التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١-٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

سارية فايز عجلوني　　جمال عبد الرحيم الفارس

المجلد الرابع عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير
في
التفسير

(١٤)

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

9 786052 279311

دار اللُّبَاب
للدِّرَاسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ ق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ مُنَزِّلِ القرآنِ المَجيد، الرَّحمنِ مُقَدِّمِ الوعدِ والوعيد، الرَّحيمِ المُبَشِّرِ بالجنة والمزيد.

وروى أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سُورةَ ق هوَّنَ اللهُ عليه تاراتِ الموت وسَكَراتِه»(١).

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، وهي خمسٌ وأربعون آيةً، وثلاثُ مئةٍ وثلاثٌ وسبعون كلمةً، وألفٌ وأربعُ مئةٍ وأحدٌ وثمانون حرفاً.

وافتتاحُ هذه السُّورةِ واختتامُ السُّورةِ التي قبلها باسم الله تعالى، وهو وجهُ انتظامِها.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٨).

لكن قد ورد في فضلها كثير من الأحاديث الصحيحة، فقد كان ﷺ كثيراً ما يقرؤها في صلاة الفجر كما روى مسلم (٤٥٨) عن جابر بن سمرة، وفي حديث قطبة بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرؤها في الركعة الأولى من صلاة الفجر، رواه مسلم أيضا (٤٥٧). وروى مسلم أيضاً (٨٩١) عن أبي واقد الليثي أنه ﷺ كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت. وروى مسلم أيضا (٨٧٣) عن أم هشام ابنة حارثة قالت: ما أخذت ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الا من في رسول الله ﷺ، كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ الأولى في تعليم آدابِ الشَّرْع وثوابِ عاملِها وعقابِ تاركِها في الآخرة، وهذه في مُحاجَّةِ مُنْكِري البعثِ، وبيانِ أحوالِهم في الآخرة.

* * *

(١) - ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسَمٌ، وهو اسمٌ مِن أسماء الله تعالى[(١)].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: هو افتتاحُ أسماءِ الله تعالى: قادر، وقدير، وقديم، وقاهر، وقَهَّار، وقريب، وقاضٍ، وقابض[(٢)].

وقال قتادة: هو اسمٌ مِن أسماء القرآن[(٣)].

وقيل: هو اسمُ هذه السُّورةِ، وتقديرُه: هذه سُورةُ (ق).

وقال الضحاك: (ق) جبلٌ مُحيطٌ بالأرض[(٤)].

وقال عكرمة: (ق) جبلٌ أخضرُ مُحيطٌ بالأرض، والأَرَضون السَّبْعُ على عاتِقِ ملَكٍ، والملَكُ على الياقوتة، والياقوتةُ على الثَّور، والثَّورُ على ظَهْرِ الحوت، وبين كلِّ أرَضين بحرٌ، ولولا ذلك البحرُ لَأَحْرَقَتْ جهنَّمُ كلَّ شيءٍ فيها إلى مُنتهى

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٥٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٠).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣١) عن قتادة. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٤٥) عن مجاهد.

الكرسيِّ، ثم أنبتَ اللهُ مِن الياقوتة جبلاً، فأحاطَ بالأرَضين السَّبع، ثم أنبَتَ اللهُ هذه الجبالَ كلَّها على وجه الأرض في بَرِّها وبحرِها مِن ذلك الجبل، فهي عروقُه(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ق) جبلٌ مُحيطٌ بالأرَضين مِن زَبَرْجَدَةٍ خَضْراءَ(٢)، فخُضْرَةُ السماءِ منه، فليست مدينةٌ مِن المدائن إلا وفيها عِرْقٌ مِن عُروقه وملَكٌ مُوكَّلٌ به واضِعٌ يديه على تلك العُروق، فإذا أرادَ اللهُ بقوم هلاكاً، أوحى اللهُ إلى ذلك الملَكِ، فحرَّكَ منها عِرْقاً، فخسَفَ بأهلها، فالشياطينُ ينطلقون إلى ذلك الزَّبَرْجَدِ، فيأخذون منه، فيَبُثُّونه في الناس، فمِن ثمَّةَ هو قليلٌ(٣).

وقيل: معناه: قُل يا محمدُ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾.

وقال أبو بكر الوراق: معناه: قِفْ يا محمد(٤) عند أَمْرِنا ونَهْيِنا ولا تتعدَّاهما(٥)، والعربُ قد تقتصِرُ مِن الكلمة على حرفٍ، قال قائلُهم:

---

(١) لم أقف عليه وهو من خرافات الإسرائيليات.

(٢) في (ر): «زبرجد أخضر».

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٨٤ و١٤٨٩).
وهو كسابقه من خرافات الإسرائيليات، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وقد ذهب القرافي إلى أن جبل قاف لا وجود له، وبرهن عليه بما برهن ثم قال: ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه.
ذكر ذلك الآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٤١٢)، ثم أورد تعقب ابن حجر الهيتمي على القرافي وأعقبه بقوله: والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في صحة هذه الأخبار أهون من تكذيب الحس، وليس ذلك من باب نفي الوجود لعدم الوجدان كما لا يخفى على ذوي العرفان، وأمر الزلزلة لا يتوقف على ذلك الجبل، بل هي من الأبخرة وطلبها الخروج مع صلابة الأرض، وإنكار ذلك مكابرة عند من له أدنى عرق من الإنصاف، والله تعالى أعلم.

(٤) في (أ): «قف»، بدل: «معناه قف يا محمد».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٥٧).

قلـــتُ لهـــا قِفـــي فقالـــتْ قِ[1]

وقال الفرَّاءُ: قيل: معناه: قضى ما هو كائنٌ[2].

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: أقسَمَ بالقرآن تَعْظيماً له.

و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾: الشريفُ، وقيل: الكريمُ.

واختُلِفَ في جواب هذا القسَمِ، وأصلُه: أنَّ جوابَه بأحدِ خمسةِ أشياءَ:

(إنَّ) المُشَدَّدة؛ كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

و(ما) النَّافية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣].

واللَّامُ المفتوحةُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

و(إنْ) الخفيفةُ بمعنى (ما): ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

و(لا): ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨].

وزاد البَعْلِيُّ على هذا:

(قد)؛ كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا... قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

و(بل)؛ كما في قوله في هذه السورة: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ... بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾.

وقيل: إنَّ جوابَ هذا القسَمِ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾، وتقديرُه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾؛ كما في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾، ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: لقد أفلَحَ.

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٥)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠١)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٨٨)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٠٤) من غير نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥).

وقيل: حُذِفَتِ اللَّامُ على نِيَّةِ تقديمِ جوابِ القسَمِ، وتقديرُه: قد علِمْنا ما تنقُصُ الأرضُ منهم، والقرآنِ المجيدِ.

وقال ابنُ كَيْسانَ: جوابُه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾[1].

والصَّحيحُ: أنَّ جوابَه محذوفٌ، ودليلُ ذلك قولُه: ﴿بَلْ﴾؛ لأنه لِنَفْيِ ما قَبْلَه، فدلَّ على مَنْفِيٍّ[2] مُضْمَرٍ، وتقديرُه: أُقْسِمُ بجبَلِ (ق) الذي به بقاءُ دنياكم، وبالقرآنِ المجيدِ الذي به بقاءُ دينِكم، ما كذَّبوك لِمعرفتِهم بكَذِبِكَ.

***

(٢ ـ ٣) ـ ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾.

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: وهو كقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢]، ولم يقل: (فقالوا)، بل قال: ﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تقبيحاً لهم ووَصْفاً لهم بما هو أسوأُ صفاتِهم ـ وهو مِن فَرْطِ جهالتِهم ـ أنْ تَعَجَّبوا وأنكروا أنْ يكونَ مَن مِثْلُهم نبيًّا مبعوثاً، واستجازوا أنْ يكون الصَّنَمُ الذي هو دونَهم إلهاً مَعْبوداً.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: أي: وقالوا أيضاً هذا: أئذا مِتْنا وبَلِينا وصِرْنا تُراباً أَنُبْعَثُ؟! فهذا مُضْمَرٌ.

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: أي: رَدٌّ بعيدٌ عن العقل؛ أي: قولُه: إنا نُرَدُّ بعد الموت إلى الحياة، مُحالٌ لا يقبَلُه العقلُ، وهو كقولهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، والرَّجْعُ مُتَعَدٍّ، والرُّجوعُ لازمٌ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١٥٥).

(٢) في (ر): «قسم».

قال مقاتل: نزلت في أُبَيٍّ وأُمَيَّةَ ابني خلَفٍ الجُمَحِيَّينِ، ونُبَيْهٍ ومُنَبِّهٍ ابني الحَجَّاج السَّهْمِيَّينِ، وأسيدُ بنُ كَلَدَةَ أبي الأَشَدَّين لعنَهم الله[(١)].

* * *

(٤) ـ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: أي: ما تأكلُه الأرضُ بعد موتهم مِن أجسادهم لَحْمِها وعَظْمِها وشَعْرِها وبَشَرِها وكلِّ ما فيها، ما يَغيبُ شيءٌ منها عن عِلْمِنا، ولا يتعذَّرُ إعادتُها علينا.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: أي: وعندنا في السماء كتابٌ حافظٌ لذلك كلِّه؛ أي: هو مُثْبَتٌ فيه، فكأنَّه حافِظٌ له، وهو فَعيلٌ بمعنى فاعلٍ؛ كـ(السَّميعِ) بمعنى (السَّامِعِ).

وقيل: هو بمعنى مفعول، وهو كقوله: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾: أي: نحفَظُ نحن فلا نُضَيِّعُ.

وقيل: يعني: عندنا كتابٌ حفيظٌ لأعمالِ بني آدم خيرِها وشَرِّها ولأسمائِهم وعَدَدِهم لِنُحْضِرَهم ونَجْزيَهم يومَ البَعْثِ.

وقال الحسن: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ﴾: مِن هؤلاء الكفار بالقَتْلِ والموت والانتقال مِن الكفر، ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: فيه أعمالُهم وما وعدتُّكَ مِن النَّصْر، وهو كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، وهو في وَعْدِ النبي ﷺ بالنَّصْر والظَّفَر عليهم[(٢)].

* * *

(٥) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١٠).

(٢) لم أقف عليه.

قولـه تعالـى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾: قيـل: يرجِـعُ إلى قولـه: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾، وليـس عَجَبُهـم لاستحالتِه، بـل لِتكذيبِهم للحقِّ عِنـاداً، وهو الرَّسولُ.

﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾: قال مجاهد: أي: مُلْتَبِسٍ مُخْتَلِطٍ(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: فاسدٍ(٢).

وقال الضحاك: في لَبْسٍ وضلالٍ(٣).

ومعنـى الاختـلاطِ: أنهـم مَـرَّةً قالـوا: هـو مجنـونٌ، ومَـرَّةً قالـوا: هو سـاحِرٌ، ومَـرَّةً قالـوا: هـو كاهِـنٌ، ومَـرَّةً قالـوا: هـو شـاعِرٌ، ومَـرَّةً قالـوا: هـو كاذِبٌ، ومَـرَّةً قالـوا: هـو مُفْتَرٍ.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٤)، ومكي بن أبي طالب (١١/ ٧٠٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٦)، عنه وعن سعيد بن جبير. وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٧) عنه وعن قتادة.

(٢) ذكـر هـذا القـول بهـذا اللفظ المـاوردي فـي «النكـت والعيـون» (٥/ ٣٤١) لكـن عن أبـي هريرة رضـي الله عنـه. وروى الطبـري فـي «تفسـيره» (٢١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) عن ابن عباس رضـي الله عنهما ثـلاث روايات فـي المريج:

الأولى: الشيء المنكر.

والثانية: مختلف.

والثالثة: هم في أمر ضلالة.

وروى عنه ابن الأنباري في «المكتفى في إيضاح الوقف والابتدا» (ص: ٦٤) رابعاً، وهو قوله: مختلط، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

فجالـتْ والتمسـتُ بـه حشاها ... فـخـر كـأنـه خُـوطٌ مَرِيـج

(٣) ذكر عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٧) قوله: مختلط. ووقع في (ر): «في لبس جديد وضلال».

وقيل: هذا(١) يرجعُ إلى إنكار البَعْثِ، وتقديرُه: ما أنكروه لِجَهْلِهم فإنَّهم مُقِرُّون بقُدْرة اللهِ (بل كذَّبوا بـ)هذا الخبرِ (الحقِّ) لَمَّا جاءهم، (فهُم في أمرٍ مَريجٍ): مُلْتَبِسٍ مِن حديث البَعْثِ، فمنهم مَن يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ومنهم مَن يقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ومنهم مَن يقول: ﴿مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

وقيل: ﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾؛ أي: جوابٍ مُتَناقِضٍ، فإنهم يُقِرُّون(٢) بالقُدْرةِ على الإنشاء، ويُنْكِرون القُدْرةَ على الإعادة، وهو تناقُضٌ.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾: أي: أيُّ عُذْرٍ لهم في إنكار البَعْثِ؟! أمَا يَنْظُرون بأبصار قلوبِهم إلى أصناف ما خَلَقْتُه مِن السماء والأرض وما بينهما؟! فيتنبَّهوا بذلك على قُدْرَتي على إعادة الموتى؛ إذ قد رأوا بأبصار رؤوسِهم السماءَ كيف جعلناها(٣) كالبِناءِ المُظِلِّ فوقهم ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب والشمس والقمر ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾؛ أي: شُقوقٍ.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: أي: بَسَطْناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابتَ ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾؛ أي: مِن كلِّ نوعٍ حَسَنٍ مِن النبات.

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) في (أ): «يقولون».

(٣) في (أ) و(ف): «خلقتها».

(٨ ـ ٩) ـ ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾.

﴿تَبْصِرَةً﴾: أي: تعريفاً لِمَن نظَرَ إليها وتدبَّر خَلْقَها أني أنا خالِقُها؛ إذ لا يتهَيَّأُ ذلك لأحدٍ مِن المخلوقين، ولا يُتَصَوَّرُ تكوُّنُها مِن غير تكوينِ مُكَوِّنٍ كوَّنَها لا يُشْبِهُها، قادرٍ عالمٍ واحد.

﴿وَذِكْرَىٰ﴾: أي: تذكيراً للعباد يتذكَّرون بها قُدْرتي ووحدانِيَّتي.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: أي: جعَلْتُ هذا التَّبْصيرَ والتَّذْكيرَ لكلِّ عبدٍ أقبلَ إليَّ بإرادتِه ونِيَّتِه، وعلَّقَ قلبَه بالتَّفكُّر في أصناف خَليقَتي، فهو الذي أُوَفِّقُه لِلتَّذْكار والاستبصار.

وقولُه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾: أي: مطراً كثيرَ الخيرِ والبرَكةِ.

ثم ذكَرَ بعضَ تلك البركاتِ، فقال:

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾: أي: بساتينَ مُشْتَمِلَةً على الأنهار[1] والثِّمار.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾: أي: الزَّرْعِ، واحدٌ بمعنى الجَمْع؛ لأنه جنسٌ، وأضاف الحَبَّ إلى الحَصيدِ لأنَّ الحَصيدَ هو المحصودُ، وهو السُّنْبُلُ، وهو الجوابُ الصَّحيحُ عن هذا السؤال أنَّه: لماذا أُضِيفَ إليه؟

وقال[2] الفرَّاء: الحَبُّ هو الحَصيدُ، فأُضِيفَ إلى نفْسِه؛ كقولكَ: (حَقُّ اليقينِ)، و(مسجدُ الجامعِ)، و(صلاةُ الأولى)[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «الأزهار».

(٢) في (ر) و(ف): «وقد قال».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٦). وتعقب هذا القول الآلوسي ذاكرًا نحو كلام المؤلف السابق له، فقال: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾؛ أي: حب الزرع الذي من شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما، =

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾: أي: وأنبَتْنا النَّخْلَ، وهو[1] جَمْعُ نَخْلَةٍ.

﴿بَاسِقَٰتٖ﴾: قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: أي: طِوالاً[2].

وقيل: الباسِقُ: العالي بذهابه في[3] جِهَة الارتفاع.

﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾: قال مجاهدٌ وقتادةُ: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ[4]، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ.

وقيل: النَّضيدُ: المُتَرَاكِبُ، والطَّلْعُ: الكُفُرَّى[5]، وهو نَضيدٌ ما دام في وعائه.

وقيل: الطَّلْعُ: التَّمْرُ، وهو نضيدٌ؛ أي: مُتراكِبٌ في رؤوس النَّخْلِ، ليس كسائر الأشجار التي تتفرَّقُ ثمارُها.

= فالإضافة لما بينهما من الملابسة، و﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾ بمعنى المحصود صفةٌ لموصوف مقدر كما أشرنا إليه، فليس من قبيل: مسجد الجامع. انظر: «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٢).

(١) في (ر) و(ف): «وهي».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، وذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٧) عن مجاهد وعكرمة وقتادة، وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٤٨) عن مجاهد.

(٣) في (ر): «إلى».

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٤)، ورواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥٠).

(٥) الكُفُرَّى: وعاء الطلع وقشره الأعلى، وكذلك كافوره، وقيل: هو الطلع حين ينشق. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٨٩). وفي البخاري قبل الحديث (٤٨٤٨): ﴿نَّضِيدٞ﴾: الكُفُرَّى ما دام في أكمامه، ومعناه: منضودٌ بعضُه على بعضٍ، فإذا خرج من أكمامِه فليس بنَضيدٍ.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾: أي: أنبَتْنا هذه الأشياءَ عَطِيَّةً منا وقُوتاً دارًّا للعباد، ولم نخلُقْها لأنفسنا.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: أي: بالماء المبارك ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أرضاً يابسةً قد ذهَبَ نباتُها.

﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾: مِن قبوركم يومَ البَعْثِ بعد إذ كنتم أمواتاً.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي: قبلَ هؤلاء المشركين ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾: نبيَّهم ﴿وَثَمُودُ﴾: صالحاً ﴿وَعَادٌ﴾: هوداً.

﴿وَفِرْعَوْنُ﴾: موسى وهارونَ.

﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾: أي: قومُ لوطٍ وأنسباؤُه(1) لوطاً.

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أي: الغَيْضَةِ شُعيباً.

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: رسولَهم.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: أي: كلُّ واحدٍ كذَّبَ رسولَه.

وقيل: كلُّ واحدٍ كذَّبَ جميعَ الرُّسُل؛ لأنَّ تكذيبَ الواحدِ تكذيبُ الكلِّ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الرسل يدعو إلى تصديق الكُلِّ.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: أي: وجَبَ عليهم ما كنتُ توَعَّدتُهم به، وقد مَرَّ ذِكْرُ كلِّ قِصَّةٍ فيما تقدَّمَ.

---

(١) في (أ): «وأنسابه».

وأصحابُ الرَّسِّ ذكَرْناهم في سورة الفرقان.

قال ابن عباس: كانوا أصحابَ آبارٍ[١].

وقال الضحاك: كانوا بناحية أَذَرْبيجانَ[٢].

وقال عكرمة: كان لهم نبيٌّ رَسُّوه في بئرٍ[٣].

وقال مقاتل: الرَّسُّ بئرٌ، قيل: أُلْقِيَ فيها حبيبٌ النَّجَّارُ صاحبُ ياسين[٤].

وقال سعيدُ بنُ جُبير: هُم قتَلوا نبيَّهم، ورَسُّوه في بئر ببَطْنِ فَلَجٍ نحوَ اليمامة، واسمُ نبيِّهم حَنْظَلَةُ بنُ صفوان[٥].

وقال عكرمة: كانوا قوماً مِن بُطون إسماعيل وأولادِه.

وقال وَهْبٌ: كانوا أهلَ بئرٍ قعوداً عليها وأصحابَ مَواشٍ، وكانوا يعبدون الأصنامَ، فوجَّهَ إليهم شعيبٌ النبيُّ عليه السلام نبيًّا يَدْعوهم إلى الإسلام، فأتاهم وأقام عندهم بُرْهَةً يدعوهم فيَأْبون، وهو يُلاطِفُهم إلى أنْ تمادَوا في أذاه، فحذَّرَهم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٣)، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٤) عنه: أنهم أهل بئر بأذربيجان.

(٢) ذُكر هذا القول عن ابن عباس كما في التعليق السابق. أما الضحاك فروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٥) قوله: الرس: بئر قتل فيها صاحب يس، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨٤).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١١).

(٥) ذكره مطولاً بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٤) عن سعيد بن جبير وابن الكلبي والخليل. وذكره عن سعيد أيضاً الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٢١).

عِقابَ اللهِ وبأسَه، فبينما هُم حولَ البئر في منازلهم انهارَتِ البئرُ، وانخسَفَتْ بهم، وانخسَفَتْ رِباعُهم ودُورُهم، وهلَكوا جميعاً[١].

وأما تُبَّعٌ، فقد ذكَرْنا فيه الأقاويلَ والأحاديثَ في سورة الدُّخان.

وقال الحسن: لم أسمَعْ مِن أصحاب رسول الله ﷺ يذكُرون مِن تُبَّعٍ أكثرَ ممَّا ذكَرَه اللهُ تعالى في كتابه، وقد كذَّبَ قومُه رسولَهم.

وقال وَهْبٌ ومحمدُ بنُ إسحاقَ والواقديُّ: هُم قومٌ مِن حِمْيَرَ، وكان تُبَّعٌ مُسْلِماً، وسُمِّيَ تُبَّعاً لكثرة مَن تَبِعَه، وكان تُبَّعٌ أعجبَه غِلْمانٌ مِن فَدَكَ كانوا يختلفون إليه، فقالوا: قد أكرَمَنا هذا الرجلُ، وإنا نراه يعبُدُ ناراً لا تُغْني عنه شيئاً، أفلا نَدْعُوه إلى أمرِنا ونخبرُه أنَّ اللهَ بعَثَ رسولاً، يَعْنون به موسى، وأنزَلَ عليه التَّوراةَ فيها الحلالُ والحرامُ والأمرُ والنَّهْيُ؟! فقال بعضُهم: نخافُ أنْ يقتُلَنا، وقال أَصْغَرُهم: أنا أقولُ له ذلك، فإن قال شيئاً قلتم: هو أصغرُنا وأحدَثُنا سِنًّا، فلما خلا بهم ذكَرَ أمرَ موسى، فقال تُبَّعٌ للآخرين: ما يقول هذا الفتى؟ فقالوا: صدَقَ، فإنْ شئتَ عرَضْنا عليك أمرَنا، قال: فافعلوا، فعرَضوا عليه أمرَهم، فقَبِلَه وتابعَهم، ثم عرَضوا على حاشِيَتِه وخاصَّتِه فقَبِلوه، وفشا في الناس ذلك، وقالوا: إنَّ الملِكَ ترَكَ دِينَه، فصاروا إليه، فقالوا: بلَغَنا أنكَ ترَكْتَ دِينكَ، فإنْ كنتَ فعلتَ ذلك لم تكن بعد هذا علينا مَلِكاً، وإنْ لم تفعلْ ذلك فادفَعْ إلينا هؤلاء الغِلْمانَ، وكانت لهم نارٌ في أسفَلِ جبلٍ يُقال لها: نِدًّا، يتحاكمون إليها، فتَحْرِقُ الظالمَ، فتحاكَموا إليها، فجاء الفَدَكِيُّون بالتوراة، وجاء الحِمْيَرِيُّون بأصنامهم، فخرجَتْ نارٌ، فأحرقَتِ الحِمْيَرِيِّينَ، ولم تَحْرِقْ أحداً مِن أصحاب التوراة، فهُم قومُ تُبَّعٍ[٢].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٤١)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨٤).

(٢) ذكره الغزالي في «مقامات العلماء» (ص: ٢٠) عن وهب ومحمد بن إسحاق.

وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّب: سأل أبو مِجْلَزٍ لاحِقُ بنُ حُمَيدٍ ابنَ عباسٍ عن قومِ تُبَّعٍ، فقال سألتُ عبدَ اللهِ بنَ سَلامٍ، فقال: تُبَّعٌ كان رجلاً مِن العرب، وإنه ظهَرَ على الناس، وسبى فِتْيَةً مِن الأحبار، فتابعَهم، وإنَّ قومَه استنكَروا[١] ذلك، وقالوا: بَدَّلَ دِينَه، فقال للفِتْيَةِ: ما ترون؟ قالوا: بيننا وبينهم النَّارُ، فينجو الصادقُ، ويحترِقُ الكاذبُ، فعمَدوا إلى النار، فأمرَ تُبَّعٌ الفِتْيَةَ أنْ يدخُلوها، ففعَلوا ومصاحفُهم[٢] في أعناقهم، فلما أرادوا دُخولَها سفَعَتِ النارُ وجوهَهم فنكَصوا، فقال تُبَّعٌ: لَتَدْخُلُنَّ، فدخَلوها، فانفرَجَتْ عنهم حتى قطَعوها، ثم قال لقومه: ادخُلوها، فلما أرادوا دخولَها سفَعَتِ النارُ وجوهَهم، فنكَصوا، فقال تُبَّعٌ: لَتَدْخُلُنَّ، فدخَلوها، فانفرجَتْ عنهم، حتى إذا توسَّطوها أحاطَتْ بهم، فأحرَقَتْهم عن آخرهم، فأسلَمَ تُبَّعٌ عند ذلك[٣].

* * *

(١٥) ـ ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾: أي: أَفَعَجِزْنا عن الخَلْق الأول؟! استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ.

قال الحسن: الخَلْقُ الأولُ آدمُ[٤]، وقد كانوا يُقِرُّون به وأنهم مِن ولَدِه.

---

(١) في (ر): «أنكروا».

(٢) في (ر): «فعلقوا مصاحفهم» بدل: «ففعلوا ومصاحفهم».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٩٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٧).

(٤) ذكره عنه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٥٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٩).

وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٥٠) من غير نسبة.

وقيل: هو الإنشاءُ، وهو احتجاجٌ عليهم أنَّ مَن قَدِرَ على الإنشاء قَدِرَ على الإعادة.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: أي: ما عَيِينا، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: أي: لبَّسَ الشيطان عليهم وموَّهَ، فأعرَضوا عن التَّدبُّر؛ أي: لا يُنْكِرون البعثَ عن دليلٍ، بل عن تقليدٍ بجَهْلٍ.

﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي: البعثِ والتَّجديدِ بعد البِلى، وهو كما قالوا: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

***

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: الوسوسةُ: حديثُ النَّفْسِ في خفاءٍ، ومنها وسوسةُ الشيطانِ؛ أي: لا يخفى علينا ما يخطُرُ بباله.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: قال ابن عباس ومجاهد: هو عِرْقٌ في الحَلْقِ[1]، وهما الوَريدان في العُنُقِ عن يمينٍ وشمالٍ، ويَرِدُ إليهما ما يَنْصَبُّ مِن الرأس.

وقيل: هو العِرْقُ الذي بين الحُلْقُوم والعِلْبَاوَينِ[2].

وقال الفراء: الحَبْلُ هو الوَريدُ، وأُضِيفَ إليه لاختلاف اللَّفْظَين[3].

وقال الأخفش: أُضِيفَ إليه كما أُضِيفَ إلى العاتِقِ.

وقيل: الحَبْلُ: العِرْقُ، وهو اسمُ جنسٍ، وأُضِيفَ إلى نوعه كما يُقالُ: (عِرْقُ

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٢). ورواه أبو حاتم الرازي في «الزهد» (٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٦).

(٢) العِلْباوان: جمع (عِلْب)، وهو عصب العنق الغليظ خاصة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٢٤٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٦).

النَّسا)، ومعنى هذا الكلامِ: ونحن أقرَبُ إلى ضميرِه مِن هذا العِرْقِ إلى بدَنِه، ولا يُرادُ به قُرْبُ المكانِ جلَّ اللهُ تعالى عن ذلك، بل يُرادُ به أنه عالِمٌ به، لا يخفى عليه منه شيءٌ.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: قيل: أي: اُذْكُرْ إذ يتلَقَّى.

وقيل: أي: نَعْلَمُ منه ما يكونُ منه إذ يتلَقَّى الملَكانِ المُوَكَّلانِ به عمَلَه[1]، فيكتبان ذلك عليه؛ كمَن يُمْلِي على آخرَ شيئاً، فيَتَلَقَّاه المُمْلَى عليه فيكتُبُه.

والتَّلَقِّي: هو الأَخْذُ والقَبولُ، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: أي: أحدُ الملَكين قَعيدٌ له عن يمينه، والآخَرُ عن شماله، كأنَّهما جَليسان قاعدان في مَجْلِسٍ واحدٍ، والإفرادُ لهذا التَّقْدير.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾: أي: ما يَتكلَّمُ، وأصلُه: الرَّمْيُ.

﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾: أي: عنده، ويجوز أنْ يكون كِنايةً عن الإنسان، ويجوز أنْ يكونَ كِنايةً عما يَلْفِظُ.

﴿رَقِيبٌ﴾: أي: حافِظٌ، وهو الملَكُ الكاتِبُ ﴿عَتِيدٌ﴾؛ أي: مُعَدٌّ.

وقال الزَّجَّاجُ: أي: ثابتٌ لازمٌ[2].

وهذه الآيةُ في كتابة الأقوال، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وهذا في كتابة الأفعال.

---

(١) في (ر): «بعمله».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٥).

وهذه حالةُ الحَياة، ثم ذكَرَ حالةَ الموت، فقال:

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾: أي: تجيءُ شِدَّةُ الموتِ التي تَغْلِبُ على فَهْمِ الإنسان حتى تغمُرَه كَسَكْرَةِ الشَّراب.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: بأمر الله الذي هو حَقٌّ.

وقيل: أي: تأتي بالموت الذي هو كائنٌ.

وقيل: أي: ببيان[1] ما يَصيرُ إليه مِن جنة أو نار، فإنه يظهَرُ له ذلك عند الموت.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾: أي: ويُقالُ له: هذا الذي كنتَ تَنْفِرُ منه وتكرَه لقاءَه.

والحَيْدُ: المَيْلُ والرَّوَغانُ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: أي: يُنْفَخُ فيه نَفْخَةُ البَعْثِ، ويُبْعَثُ الإنسانُ.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾: أي: ذلك اليومُ الذي أُوعِدُ به الناسَ لِيَرْغَبوا في الطاعات، ويَجْتَنِبوا السَّيِّئاتِ[2].

* * *

(٢١) ـ ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾.

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ﴾: أي: تجيءُ كلُّ نفْسٍ يومئذٍ.

﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾: يَسوقُها إلى مَوْقِفِ الحساب.

﴿وَشَهِيدٞ﴾: يَشْهَدُ عليها بما عَمِلَتْ مِن خيرٍ أو شرٍّ.

---

(١) في (أ): «بنيل».

(٢) في (ف): «عن السيئات».

فلا مَهْرَبَ مِن ذلك الأمرِ ومعه السَّائِقُ، ولا جُحودَ ومعه الشَّاهِدُ، واختُلِفَ فيهما:

فقيل: السَّائِقُ ملَكٌ، والشَّاهِدُ كذلك.

وقيل: السَّائِقُ إلى الجنة وإلى النار؛ كما قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال القُتَبِيُّ: السَّائِقُ: قرينُه مِن الشياطين، والشَّهيدُ: الملَكُ[١].

وقيل: الشَّهيدُ: كاتِبُ عمَلِه.

وقيل: هو الرَّسولُ، قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ٤١].

وقيل: أعضاءُ الإنسانِ.

وقيل: اللَّيلُ والنَّهارُ.

وقيل: البِقاعُ التي عَمِلَ فيها الإنسانُ.

وقال الضَّحَّاكُ: السَّائِقُ: كاتبُ السَّيِّئاتِ، والشَّهيدُ: كاتِبُ الحسَناتِ[٢].

وقال أبو هريرة: السَّائِقُ: الملَكُ، والشَّهيدُ: العمَلُ[٣].

وقال القُرَظِيُّ: السَّائِقُ والشَّهيدُ: الملَكان المُتَلَقِّيان.

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٣٨).

(٢) روى عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣١) قوله: السائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم: الأيدي والأرجل، والملائكة أيضاً شهداء عليهم. وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠).

(٣) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٧٥٥)، وابن ماسي في «فوائده» (٣٦)، والحاكم في «الأسامي والكنى» (١١٣٤). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦١)،

(٢٢) ـ ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: أي: يُقالُ له: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا، ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: لا تتفكَّرُ فيه.

﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: أَوْضَحْنا لكَ ما كان مَخْفِيًّا عنكَ.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: أي: فعِلْمُكَ اليومَ ثاقبٌ نافذٌ، وهو مَجازٌ واستعارةٌ.

وقال الكلبي: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: يعني: الحياةَ بعد الموتِ[١].

وقال مجاهد: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾؛ أي[٢]: نظَرُكَ إلى لسانِ ميزانِكَ حتى تَرى حسناتِكَ وسيِّئاتِكَ[٣].

وقال السُّدِّيُّ: الآيةُ في الكافر[٤].

وقيل: أي: في كُلِّ بَرٍّ وفاجِر.

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: أي: قرينُ هذا الإنسانِ، وهو الملَكُ الكاتِبُ عمَلَه.

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: أي: الذي كتبتُه عليه عندي مُعَدٌّ، فإنْ كانت الآيةُ في الكافر على ما قال بعضُهم، فالقَرينُ هو كاتِبُ السَّيِّئاتِ، وليس له كاتِبُ الحسَناتِ، فلذلك وُحِّدَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «يعني».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسفيان.

وقولُه تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: ويُقالُ للزَّبانِيَةِ: أَلْقُوا، والتَّثْنِيَةُ على عُرْفِ العرب، فإنَّ أكثرَ مُخاطباتِهم بالنداء والأمرُ على التَّثْنِيَةِ؛ لأنَّ أعدَلَ الرِّفْقَةِ ثلاثةٌ، فيُخاطِبُ أحدُهم صاحِبَيْهِ بذلك، وصار الأكثرُ على هذا الأغلَبِ، ولذلك قال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ[(١)]

وقال المُبَرِّدُ: هذا خِطابُ الشَّاهِدِ للسائقِ[(٢)]، والتَّثْنِيَةُ بمعنى التكرير بمعنى: أَلْقِ أَلْقِ، ونُقِلَ إلى التَّثْنِيَةِ[(٣)]، وعلى هذا قال الشاعرُ:

فقلتُ لصاحبي لا تَحْبِسانا[(٤)]

قولُه تعالى: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مُبالغَةٌ للكافر، ﴿عَنِيدٍ﴾: أي: عادلٍ عن الصواب.

---

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٢١)، وعجزه:

بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ

(٢) في (أ): «السائق».

(٣) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٤٢)، والتبريزي في «شرح القصائد العشر» (ص: ٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٣).

(٤) في (أ): «تحسبانا». وفي (ف): «حبسانا».

نسبه الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٨٦٨) ليزيد بن الطثرية، وقال ابن بري: ليس هو ليزيد، وزاد الصاغاني: وإنما هو لمضرس بن ربعي الأسدي، انظر: «التكملة» للصاغاني، و«تاج العروس» للزبيدي (مادة: جزز).

وأورده الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٧)، وابن جني في «سر صناعة الإعراب» (ص: ١٩٨) من غير نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٥) عن الأعشى، إلا أن فيه: (لا تعجلانا) بدل من (لا تحبسانا). وعجز البيت:

بنزعِ أُصولِهِ واجْتَزَّ شيحاً

وقيل: ذاهِبٍ عن الحقِّ.

وقيل: جاحِدٍ مع[1] المعرفة.

* * *

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بخيلٍ بالمال، وقيل: بما ينفعُ النَّاسَ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُجاوزٍ حُدودَ الشَّرْعِ[2].

﴿مُّرِيبٍ﴾: صاحبِ رِيبَةٍ، وهي التُّهمَةُ.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾: أي: أشرَكَ به غيرَه.

﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾: عذابِ النَّارِ.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: هو الشَّيطانُ الذي قُرِنَ به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

أي: يُلْقَى الكافرُ في النار مع قَرينِه، فيَلْعَنُ[3] قرينَه، ويقول: هو أَضَلَّني، فيقول: ما أطغيتُه أنا.

﴿وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾: طغى باختياره، وضلَّ ضلالاً بعيداً عن الحق بإرادتِه.

* * *

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ر) و(ف): «الله».

(٣) في (أ): «فيلقى».

(٢٨ ـ ٣٠) ـ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾: يقول اللهُ تعالى للكفار وقُرنائِهم مِن الشياطين: لا تَخْتَصِموا عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾: الكتابَ والرَّسولَ ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ بهذا.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: أي: لا يُغَيَّرُ قولُ السَّائِقِ أني أُخَلِّدُ الكافرَ في النار.

﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: لا أُعَذِّبُ عبداً بغير ذَنْبٍ.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: أي: نَمْلَؤُها مِن الجِنَّةِ والناسِ أجمعين كما كنا وعدنا[١]، ثم نقول لها: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: فإني أَحْتَمِلُه، وهذا على طلَبِ المزيدِ؛ إظهاراً للتَّغَيُّظِ على الكفار.

وقيل: أي: لا مَوْضِعَ للزِّيادة فِيَّ، وهو كقول النبي ﷺ: «وهل تركَ لنا عقيلٌ مِن دار»[٢]؛ أي: وما ترك، وكقول الشاعر:

ألا هــل أخــو عَيْــشٍ لذيــذٍ بدائــمٍ[٣]

---

(١) في (ف): «كما وعدناهم».

(٢) رواه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (ص: ١٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٤٤)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (٥/ ٢٣٨) من غير نسبة.

وعزاه ابن الحداد في «الأفعال» (٢/ ٨٠)، والصغاني في «التكملة» (٦/ ٤٩٦) للفرزدق. وصدر البيت:

يقــولُ إذا اقلولــى عليهــا وأقــردَتْ

وللفرزدق قصيدة مطلعها:

وَدَّ جريــرُ اللــؤمِ لــو كان عــانيــاً ولم يَــدْنُ مِــنْ زأرِ الأسـودِ الضرّاغِـمِ =

وقيل: هو طلَبُ الزِّيادةِ في سَعَتِها.

وقيل: مَن حَمَلَ على طلَبِ الزِّيادة فعند دُخولِ البعض، ومَن حَمَلَ على نَفْيِ احتمالِ الزِّيادة فعند[1] دُخولِ الكل.

وقيل: هذا الخِطابُ لِجَهَنَّمَ، وجوابُها على الحقيقة، ويُنْطِقُها اللهُ تعالى بذلك كما يُنْطِقُ الجوارح.

وقيل: هذا الخِطابُ لِخَزَنةِ جهنَّمَ، والجوابُ منهم، وهو على الإضمار، وتقديرُه: يومَ نقولُ لخَزَنَةِ جهنَّمَ.

وقيل: هو على التَّمْثيلِ؛ أي: تصيرُ بحيث لو قيل لها ذلك وهي ناطِقَةٌ لَقالَتْ ذلك، وهو كقول الشاعر:

امتَــلَأَ الحَــوْضُ وقــال: قَطْنــي مَهْــلاً رُوَيْــداً قــد مــلأْتَ بَطْنــي[2]

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ: ﴿يومَ يقولُ﴾ بالياء؛ أي: يقولُ اللهُ تعالى، والباقون بالنُّون[3]؛ أي: نقول نحن، وهو خبَرٌ مِن الله تعالى عن نفْسِه بخِطاب الملوك جَمْعاً.

= قال أبو عبيدة في «شرح نقائض جرير والفرزدق» (٣/ ٨٧٥): (وزعم خالد بن جبلة وسعيد بن خالد أن فيها قوله...) فذكر أبياتاً منها هذا البيت.

(١) في (ر) و(ف): «فبعد».

(٢) ذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٦٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (١/ ١٩٩)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (٨/ ٢١٦) من غير نسبة.

ونسبه أبو بكر الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣٢٣)، والصحاري في «الإبانة» (٤/ ٢٦) إلى أبي النجم الراجز.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢).

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾.

وهذه الآياتُ في الكفار، ثم قال في المؤمنين:

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾: أي: قُرِّبَتْ ورأَوْها مِن قُرْبٍ إذا فرغوا مِن الحساب.

والمُتَّقون: الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصي.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾: أي: دخولُهم فيها، وهو نَصْبٌ على الحال.

والإِزْلَافُ: تَقْريبُ الرُّؤْيةِ، و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾: تقريبُ الدُّخول.

وقيل: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ عن العاصين.

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾: رَجَّاعٍ إلى الله بالطَّاعات.

﴿حَفِيظٍ﴾: حافظٍ للحُدود والعُهود، مُحافِظٍ على الخيرات، ذاكرٍ لِمَا سلَفَ مِن السَّيِّئاتِ لِيَسْتَغْفِرَ منها.

وقيل: حافظٍ لِحَواسِّه وأنفاسِه.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾: أي: في دار الغَيْبِ.

وقيل: في الغَيْبَةِ عن شُهودِ الخَلْقِ.

وقيل: بالقلب.

وقال الضَّحَّاك: ﴿بِٱلْغَيْبِ ﴾: حين لا يَراهُ أحَدٌ.

وقال السُّدِّيُّ: في الخَلْوة.

وقال الحسن: إذا أُرْخِيَ السِّتْرُ، وأُغْلِقُ البابُ[1].

---

(١) ذكر كُلاً من الآثار الثلاثة: الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٠٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣)، =

﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾: أي: مُقْبلٍ على الله بطاعته، راجعٍ إليه بعَمَله وأَمَله.

﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾: أي: ويُقالُ لهم، وجُمِعَ لأنَّ (مَن) كلمةُ جنسٍ.

﴿بِسَلَٰمٖ﴾: أي: بسلامةٍ مِن كلِّ مكروهٍ.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾: لأهل الجنة في الجنة، ولأهل النار في النار.

* * *

(٣٥) ـ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة.

وقال الإمام القشيري: يُقال لهم: قد قُلْتُم في الدنيا: ما شاءَ اللهُ كان، فاليومَ ما شئتُم كان، و﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠][(١)].

﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾: قال عِكْرمةُ: أي: على ما يشاؤون مِمَّا لم يَخْطُرْ ببالِهم[(٢)].

وقال الرَّقَاشِيُّ: ما يسُرُّني بحَظِّي مِن المزيدِ الدنيا وما فيها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك حين يجتمعون إلى ربِّهم كلَّ يومِ جمعةٍ في أرضٍ كُثْبانُها المِسْكُ، فلا يسألونه شيئاً إلَّا أعطاه إياهم، ثم يرجعون إلى منازِلِهم، فتأتيهم الملائكةُ مِن كلِّ بابٍ معهم الأطعمةُ والأشربةُ والكِسْوةُ، فيقولون: سلامٌ عليكم، هذه هَدِيَّةٌ مِن ربكم، ولكم في كلِّ جمعةٍ مِثْلُ هذا، وهو المزيدُ مِن الله تعالى.

= والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤١٠).

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٥٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٥)، والواحدي في «الوجيز» (ص: ١٠٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣)، من غير نسبة.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ في قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: يعني: لأهل الجنة، إنَّ أدنى أهلِ الجنة مَنْزِلَةً لو نزَلَ به أهلُ الجنة لَوَسِعَهم[(١)].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: يُزادُون كلَّ ساعةٍ نعيماً وسروراً؛ كما يُزادُ لأهل النارِ العذابُ، قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

وقال جابرُ بنُ عبد الله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: يتجلَّى لهم ربُّهم بلا كَيْفٍ[(٢)].

وعن معاذِ بنِ جبلٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ مِن أهل الجنَّةِ لَيُنَعَّمُ في تُكَأَةٍ واحدةٍ سبعين عاماً، فتُناديه أبهى منها وأجملُ مِن غُرْفةٍ أخرى، تقول: ما ينالُنا منكَ دَوْلَةٌ بعدُ؟ قال: فيَلْتَفِتُ إليها، فيقول: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا مِن التي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، فيتحوَّلُ إليها، فيَتَنَعَّمُ معها سبعين عاماً في تُكَأَةٍ واحدةٍ»[(٣)].

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: عاد القَوْلُ إلى تَذْكِيرهم ووَعْظِهم.

---

(١) رواه سعيد بن منصور وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠٨).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٩٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٢٦)، والبزار في «مسنده» (٧٥٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه بزيادة: «كل يوم جمعة».

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٨٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٩) من حديث علي رضي الله عنه.

ولم أقف على رواية جابر، ولا زيادة: «بلا كيف».

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦). وورد ضمن حديث طويل رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٣٢ ـ زوائد) عن أنس رضي الله عنه.

يقول: كثيراً ما أهلَكْنا قَبْلَ هؤلاء المشركين مِن أُمَّةٍ مِن الأُمَم السَّالِفة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: أي: تَجَبُّراً وسَطْوَةً على الناس؛ كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ لُوطٍ.

﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: قال مجاهد: ضرَبوا في البلاد[1].

وقيل: طافُوا فيها وساروا في أقاصيها لِلتِّجارات وغيرِها، وقال امرؤُ القيسِ:

لقــد نقَّبْــتُ في الآفــاق حتــى رَضِيــتُ مِــن الغَنِيمــة بالإيــابِ[2]

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: قال الفراء: أي: هل كان لهم مَحيصٌ[3]؛ أي: مَهْرَبٌ عن الهلاك؛ أي: لم يكنْ.

وقيل: ﴿فَنَقَّبُواْ﴾: أي: طافَ هؤلاء المشركون ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾؛ أي: بلادِ أولئكَ[4]، وشاهَدوا آثارَ أولئكَ، ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: هل لهؤلاءِ مِن مَحيصٍ عمَّا حَلَّ بأولئكَ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: أي: فيما ذُكِرَ في هذه السُّورة مِن البَعْثِ وأحوالِ يومِ[5] القيامة وإِهْلاكِ القُرونِ لِعِظَة.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٠)، وروى عقبه عن مجاهد أيضاً قوله: عملوا في البلاد، ذاك النقبُ.

وعلقه البخاري (٦/ ١٣٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٥).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٩٥)، وفيه: «وقد طوفت» بدل من «لقد نقبت».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩).

(٤) في (ر): «في كل البلاد» بدل: «بلاد أولئك».

(٥) في (ف): «وأهوال» بدل: «وأحوال يوم».

﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾: قال الفراء وجماعةٌ: أي: عَقْلٌ[١].

وقيل: أي: قَلْبٌ مُتَدبِّرٌ.

﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾: أي: استمَعَ لِكتابِ الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضِرُ القلبِ فيَفْهَمُ، أشارَ إلى أنَّ التَّنْبيهَ يقعُ بالعَقْل والسَّمْع.

وقال قتادة: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾: مِن هذه الأُمَّة، ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾: رجلٌ مِن أهل الكتاب سَمِعَ القرآنَ، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: فصَدَّقه لِمَا في كتابه مِن بَيانه[٢].

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾: أي: أَهْلَكْنا القرونَ بذُنوبهم، ولم نُعاجِلْ إِهْلاكَ هؤلاء مع استحقاقهم؛ لِحِكْمَةٍ، كما خلَقْنا السماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستَّةِ أيَّامٍ، ولم نُعاجِلْ خَلْقَها مع القُدْرة على ذلك لِحِكْمَةٍ، وقد بيَّنَّا ذلك في سورة الأعراف و(حم)[٣] الدُّخان.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾: أي: إِعياءٍ، والفعلُ مِن باب (دخَلَ).

قال سعيدُ بنُ جُبير: ﴿مِن لُّغُوبٖ﴾: أي: كَلالٍ[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٠)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ٣٦٦)، «وتفسير السمرقندي» (٣/ ٣٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٠٦).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٢).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٨).

(٣) في (ر): «وسورة».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١٢) من غير نسبة.

وقال الثَّوْريُّ: مِن سَآمَةٍ[1].

وقال يَمانُ بنُ رِئابٍ: مِن تعَبٍ[2].

وقال مجاهد: مِن نَصَبٍ[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ اليهودَ أتَتِ النَّبيَّ ﷺ، فسألَتْه عن خَلْق السماوات والأرض، فقال: «خلَقَ اللهُ الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنين، وخلَقَ الجبالَ وما فيها مِن المَنافع يومَ الثُّلاثاءِ، وخلَقَ الشَّجَرَ والماءَ والمَدائِنَ والعُمْرانَ والخرابَ يومَ الأربعاء، وخلَقَ السَّماءَ يومَ الخميس، وخلَقَ الشمسَ والقمرَ والنُّجومَ والملائكةَ يومَ الجمعة»، فقالت اليهودُ: ثُمَّ ماذا يا محمدُ؟ قال: «ثم استوى على العرش»، قالوا: قد أصَبْتَ، لو أَتْمَمْتَ، قال: «وما هو؟» قالوا: ثم استراحَ يوم السَّبْتِ، فغَضِبَ النبيُّ ﷺ غضَباً شديداً، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[4].

* * *

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٥).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٠) من غير نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٧). من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس. وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي بقوله: أبو سعد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه. قلت: وأبو سعد البقال هو سعيد بن المرزبان العبسي مولاهم، الكوفي الأعور. قال عنه الحافظ في «التقريب»: ضعيف مدلس.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: مِن الشِّرْكِ والتَّشْبيهِ والتَّكْذيبِ.

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: أي: وصَلِّ شُكْراً لله، وقيل: بأمرِ ربِّكَ.

﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾: صلاةِ الفجرِ.

﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾: أي: غُروبِها: صلاةِ الظُّهر وصلاةِ العَصْرِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾: صلاةِ المغربِ والعشاءِ.

﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وحمزةُ بكسر الألف، وهو الانقضاءُ، وقرأ الباقون بفَتْحِها[1]، وهي جَمْعُ (الدُّبُر)، وهو عَقِيبُ الشَّيءِ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه ومرفوعاً: هو الرَّكعتان بعد المغرب، أكَّدَ اللهُ النَّدْبَ إليهما، وهو قولُ عمرَ وعليٍّ والحسنِ بنِ عليٍّ وأبي هريرةَ وعِدَّةٍ مِن التابعين رضي الله عنهم[2].

والسُّجودُ: هو الصَّلاةُ، سُمِّيَتْ به لأنَّه فيها؛ كما تُسَمَّى تَسْبيحاً لذلك.

وقيل: هو التَّنَفُّلُ بعد كلِّ فرضٍ ورَدَ فيه نَفْلٌ.

وقيل: هو نَفْسُ التَّسْبيحِ بعد الصلوات، يقول: رَوِّحْ قلبَكَ إذا آذَوْكَ بالصلاة لله ومُناجاتِه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٢) عن علي، والحسن بن علي، وأبي هريرة، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وابن عباس، وجبير بن نفير، والحسن، والأوزاعي، وقتادة.

وأما رواية ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعة، فقد رواها الترمذي (٣٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٧٤٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٧) بلفظ: «إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب».

(٤١) ـ ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾: أي: واستَمِعْ يا محمدُ صَيْحَةَ يومِ القيامة، فإنها قريبةٌ تأتيهم غيرَ مُبْطِئَةٍ.

﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي النَّفْخَةُ الأخيرةُ، يقومُ إسرافيلُ على صَخْرَةِ بيتِ المَقْدِسِ ـ وهي أقرَبُ الأرض إلى السماء باثني عشر مِيلاً، وهو المكانُ القريبُ ـ يُنادي: أيَّتُها العِظامُ النَّخِرَةُ، واللُّحومُ المُتَمَزِّقَةُ، والأوصالُ البالِيَةُ، والعُروقُ المُنْبَتَّةُ، قوموا إلى مُحاسبةِ ربِّ العزة، فيخرُجون، فينتشِرون على وجه الأرض[1].

وقال عكرمة: ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾: كأنه مِن تحت أقدامِهم[2].

وقال الضَّحَّاك: يُسْمِعُ البعيدَ كما يُسْمِعُ القَريبَ[3].

وقيل: ﴿مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾: عندكم في الدنيا.

ثم الاستماعُ لا يقَعُ على اليوم، وإنما يقَعُ في اليوم، وأما ما يقع عليه:

فقيل: هو نِداءُ المُنادي، وهو مُضْمَرٌ.

وقيل: هو الصَّيْحَةُ.

وقيل: هو دُعاءُ الكافرين بالوَيلِ والثُّبورِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٥) عن كعب.
ورواه مختصرا ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٧٦) عن قتادة.

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٤٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٩٣)، من غير نسبة.
وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤١٩) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٨) عن ابن جريج.

(٤٢ ـ ٤٥) ـ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾: قال الضَّحَّاكُ: صيحةَ إسرافيلَ صلواتُ اللهِ عليه(١).

﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بأمر الله الذي هو حَقٌّ.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾: أي: مِن القُبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾: أي: مَصِيرُهم.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾: أي: تَصَدَّعُ عنهم فيَخرجون ﴿سِرَاعًا﴾: إلى دَعْوَةِ المُنادي.

﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: أي: هَيِّنٌ.

قولُه تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: أي: بقولِ هؤلاء المشركين مِن تَكْذِيبِكَ، والافتراءِ على ربِّكَ، وإنكارِ البَعْثِ.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾: أي: بِمُسَلَّطٍ تُجْبِرُهم على الإسلام، إنما عليك الدَّعْوَةُ.

قال الحسن: وما أنتَ عليهم برَبٍّ تُجازيهم على أعمالهم(٢).

وقيل: بفَظٍّ غليظٍ، فأعرِضْ عنهم، ولا تَنْتَقِمْ منهم إلى أنْ تُؤْمَرَ بقتالهم.

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾: خَصَّ الخائفَ به لأنه هو المُنْتَفِعُ به.

واللهُ المُوَفِّقُ

---

(١) هو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩) من غير نسبة.

(٢) ذكره عنه الطوسي في «التبيان» (٩/ ٣٧٦).

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمِ الله الذي مدَحَ المُتَّقين بقِلَّةِ الهُجوع، الرَّحمنِ الذي أهلَكَ العاتين مع كثرة الجُموع، الرَّحيمِ الذي أمَرَنا بالفِرار إليه والرُّجوع.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ بعدد كلِّ رِيحٍ هبَّتْ وجرَتْ في الدنيا»[1].

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، وهي ستُّون آيةً، وكلماتُها ثلاثُ مئةٍ وستون كلمةً، وألفٌ وخمسُ مئةٍ وعشرون حرفاً.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّه خَتَمَ تلك السُّورةَ بالوَعيد، وافتتَحَ هذه السُّورةَ بالقسَمِ على صِدْقِ ذلك الوعيد.

وانتظامُ السُّورتين: أنهما في ذِكْرِ المؤمنين والكافرين الأوَّلين والآخِرين، ووَعْدِهم ووَعيدِهم في الدُّنيا ويومِ الدِّين.

* * *

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٣)، وهو قطعة من حديث أبيٍّ ـ رضي الله عنه ـ الموضوع. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٩).

قولـه تعالـى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾: قال ابن عبـاس رضي الله عنهما: أقسَـمَ بالرِّياح التي تَذْرُو بالأشـياء التي تَسْـعى بها.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾: أقسَمَ بالسَّحابِ الثِّقالِ(١) المُوقَرَةِ بالماء.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾: أقسَمَ بالسُّفنِ جَرَتْ بالسَّيْر على الماء.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾: قال: أربعةٌ مِن الملائكة: جِبْريلُ، ومِيكائيلُ، وإِسْرافيلُ، وعِزْرائِيلُ، صلواتُ اللهِ عليهم، لكلِّ واحدٍ منهم أمرٌ مَقْسومٌ، وهُم المُدَبِّراتُ أَمْراً، أقسَمَ الله بهؤلاء الأشياءِ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: مِن قِيامِ السَّاعةِ ﴿لَصَادِقٞ﴾(٢).

وعن أبي الطُّفَيل قال: شَهِدتُّ عَلِيًّا رضي الله عنه وهو يخطُبُ ويقولُ: سَلوني عن كتاب الله تعالى، فوَاللهِ ما مِن آيةٍ إلا وأنا أعلمُ بليلٍ أُنْزِلَتْ أمْ بنهارٍ، فسألَه ابنُ الكَوَّاءِ، فقال: ما الذَّارياتُ ذَرْواً؟ قال: الرِّياحُ، قال: وما الحامِلاتُ وِقْراً؟ قال: السَّحابُ، قال: وما الجارياتُ يُسْراً؟ قال: السُّفُنُ، قال: وما المُقَسِّماتُ أَمْراً؟ قال: الملائكةُ(٣).

---

(١) «الثقال» ليست في (أ) و(ف).

(٢) ذكر الخبر بتمامه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤١). ورواه بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥١١) من طريق الحارث بن عبد الله الأعور عن علي رضي الله عنه، والحارث كذبه الشعبي وقال الحافظ في «التقريب»: في حديثه ضعف. وقوله في ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ﴾ ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٢٦) عن الكلبي ومقاتل.

(٣) رواه بتمامه ومختصراً عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٣٨)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣٦) وصححه، والبيهقي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٥٢)، والضياء في «المختارة» (٤٩٤).

وابن الكواء اسمه: عبد الله، قال الحافظ في «اللسان»: له أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعييه في =

وكذا قال مجاهدٌ وجماعةٌ[١].

وقالوا: الغرَضُ بالقسَمِ تأكيدُ المَحْلُوفِ عليه، وتعظيمُ المَحْلُوف به، وذِكْرُ هذه الأشياءِ تَذْكِيرٌ مِن الله تعالى بأنها نِعَمٌ عظيمةٌ.

وقال جَعْفَرٌ الصَّادِقُ: أضمَرَ في هذه الأشياءِ اسمَ اللهِ تعالى، وتقديرُها: وَرَبِّ الذَّاريات ذَرْواً..، إلى آخرها[٢]، وهو قسَمٌ بنفْسِه، وتعظيمٌ بحالِ ما أَقْسَمَ عليه.

وقيل: هذه الأشياءُ كلُّها الرِّياحُ، والعَطْفُ بالفاء دليلُ الاتِّحادِ وتعاقُبِ هذه الصفات على ذاتٍ واحدةٍ، فتَذْرو، وتَحْمِلُ السَّحابَ المُوقَرَةَ بالماء، وتَجْري بتيسير الله تعالى لها، وتعُمُّ وتُقسِّمُ[٣] الأمطارَ في الأقطار على ما جرَتْ به الأقدارُ.

وقيل: بل هي أربعةُ أشياءَ، والعطفُ بالفاء دليلُ الاتِّصالِ، فالرِّياحُ تَذْرو ذَرْواً، وتُنْشِئُ السَّحابَ الحاملاتِ وِقْراً، وتُسَيِّرُ السُّفُنَ الجارياتِ يُسْراً، والملائكةُ تعمَلُ فيها إذا أمرَها اللهُ تعالى بذلك أَمْراً.

وقيل: الفاءُ لاتِّصالِ الكُلِّ بعضِه ببعضٍ لِتحقيقِ ما أقسَمَ اللهُ تعالى عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: أي: مَصْدُوقٌ فيه؛ كما يُقال: (ليلٌ نائمٌ).

وقيل: أي: ذو صِدْقٍ؛ كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧].

* * *

= الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي رضي الله عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٤).

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٥١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٥١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٢٥) دون نسبة.

(٣) في (أ): «وتعم وتقسم». وفي (ف): «لها وبقسم».

(٦ ـ ٨) ـ ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾: أي: الجزاءَ. وقيل: الحسابَ. وقيل: القضاءَ.

﴿لَوَٰقِعٌ﴾: أي: لَكائِنٌ.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾: أي: الطَّرائقِ، جَمْعُ حَبِيكةٍ وحِباكٍ.

وقال الكلبيُّ والضَّحَّاكُ ومُقاتلٌ: ذاتِ الإتقان والإِحكام[١].

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ وعكرمةُ: ذاتِ الخَلْقِ الحسَنِ[٢].

وقيل: ذاتِ الاستواءِ والارتفاعِ.

واللُّغَةُ أَتَتْ بذلك كُلِّه، والسَّماءُ تُوصَفُ بذلك كلِّه، يُقال للطَّرائقِ في الماء بهُبوب الرِّيحِ ولِطَرائقِ الرَّمْلِ بذلك: (حبك)، وكذلك الشُّعورُ بالتجعيد يظهرُ فيها: (حبك)، وحبَكَه بالسيفِ: إذا قطَعَه فصار في لَحْمِه طرائقُ، وفرَسٌ مَحْبُوكُ المَتَنِ[٣]، مَحْبوكُ الكَفَلِ: إذا كان في ذلك استواءٌ وارتفاعٌ، وحَبَكَ الثَّوْبَ مِن حدِّ (ضَرَبَ)؛ أي: أجادَ نَسْجَه، واحتبَكَ؛ أي: شَدَّ الإِزارَ وأَوْثَقَه، والسَّماءُ شديدةُ الخَلْقِ، وثيقةٌ مُزَيَّنَةٌ بالكواكب، ذاتُ طرائقَ، أقسَمَ بها على قوله:

﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: أي: إنكم مَعاشِرَ المسلمين والكافرين بين مُصَدِّقٍ بالقرآن ومُكَذِّبٍ به.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٢٧)، وذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٤) بلفظ: ذات الطرائق، ولم يذكر الواحديُّ الضحاكَ.

(٢) ذكره عن علي رضي الله عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٢). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، والربيع بن أنس، وقتادة.

(٣) في (ر): «البطن».

(٩) ـ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: أي: يُصْرَفُ عن الإيمان به[١] مَن صُرِفَ عن كلِّ خيرٍ وسعادةٍ.

وقيل ـ وهو قولُ الحسينِ بنِ الفَضْل ـ: يُصْرَفُ عن الإيمان به الآنَ مَن صُرِفَ عنه في سابقِ الحُكْمِ[٢].

وقيل: ﴿إِنَّكُمْ﴾: مَعاشِرَ الكفارِ في القرآن، ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: مَرَّةً تقولون: هو سِحْرٌ، ومَرَّةً تقولون: هو شِعْرٌ، ومَرَّةً: هو كَهانةٌ، ومَرَّةً: هو أساطيرُ الأوَّلين، وهو معلومُ المُراد وإنْ لم يَسْبِقْ ذِكْرُه.

وقيل: ليس هو في القرآن خاصَّةً، بل كلُّ قولٍ لهم فإنه باطلٌ مُتناقِضٌ؛ كقول اليهود بالتَّشْبيه، وقولِ النصارى بالصَّاحِبَة والولد، وقولِ المشركين بالأنداد، مع إقرارهم بأنَّ اللهَ هو الخالقُ والرَّازقُ بالانفراد، ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾: أي: يُصْرَفُ عن التوحيد مَن صُرِفَ.

وقيل: القولُ المختلِفُ في البعث، فمنهم مَن يُنْكِرُه، ومنهم مَن يَشُكُّ فيه، ومنهم مَن يُثْبِتُه ويَدَّعِي لنفسِه فيه كلَّ خيرٍ.

وقيل: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في البعث حيث أقرَرْتُم بالقُدْرة على الإبداء، ثم أنكَرْتم الإعادةَ.

* * *

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.

---

(١) في (ر): «الآن».

(٢) ذكر نحوه مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٠٧٤) عن الحسن.

وقولُه تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: قيل: أي: لُعِنَ الكذَّابون؛ لأنَّ المَقْتولَ تفوتُه الحياةُ وكلُّ نِعْمَةٍ، وكذا الملعون[1] تفوتُه كلُّ سعادةٍ وكرامةٍ.

وقيل: هو أَمْرٌ مِن الله تعالى بالدعاء على الكذَّابين على الله وعلى رسُلِه[2] بأن يقتُلَهم اللهُ ويُهْلِكَهم بأيدي المؤمنين، أو بعذابٍ مِن عنده.

وقال الحسن: ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾: الكذَّابون[3].

وقال مُجاهدٌ وغيرُه: القائلون بالظَّنِّ[4]، وهو ما ذَكَرْنا مِن قولِهم في القرآن، وقولِهم في البعث بعد الموت.

وأصلُ الخَرْصِ: الحَزْرُ في النَّخْلِ والكَرْمِ والعَدَدِ والكَيْلِ.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾: أي: في غَمْرَةِ الجَهْلِ وهو غلَبَتُه، غافلون عن الحقِّ، مُتَمادُونَ في الباطل.

﴿يَسْأَلُونَ﴾: أي: النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾: أي: متى هذا اليومُ الذي حلَفَ ربُّكم بالذَّارياتِ وغيرِها أنه واقعٌ يُدانُ فيه العبادُ بأعمالهم؛ أي: يُجازَون ويُحاسَبون بها، يقولون ذلك تَعَنُّتاً واستهزاءً.

***

(١٣ ـ ١٦) ـ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «الكذاب».

(٢) في (أ): «رسوله».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٣).

(٤) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٢) عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: أي: يومُ الدِّين هو اليومُ الذي فيه بالنار يُعَذَّبون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البروج: ١٠]؛ أي: عذَّبوهم.

وقيل: ﴿يُفْتَنُونَ﴾: أي: يُحْرَقون، وقد فَتَنْتُ الذَّهَبَ والفِضَّةَ بالنار؛ أي: أَذَبْتُهما بها.

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾: أي: يُقال لهم: ذوقوا عذابَكم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: أي: هذا العذابُ الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا؛ أي: تسألون تَعْجِيلَه استهزاءً.

ثم ذكَرَ حالَ مَن يُخالِفُه، فقال:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أي: الذين يَتَّقون الشركَ والمعاصِيَ.

﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: أي: بساتين.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جاريةٍ فيها.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي: واصلين إلى ما أعطاهم ربُّهم؛ أي: وعَدَهم ذلك في الدنيا، وأَوْصَلَه إليهم في العُقْبى.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾: أي: قبلَ يومِ الدِّين.

﴿مُحْسِنِينَ﴾: في الدنيا، مُطِيعين يُحْسِنون الأعمالَ، ويُحْسِنون بذلك إلى أنفسهم.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: أي: يَنامون، و(ما) مع الفعل مَصْدَرٌ، وتقديرُه: قليلاً هُجوعُهم.

ووجهٌ آخرُ: كانوا يَهْجَعون قليلاً مِن الليل، و(ما) صِلَةٌ.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: أي: لِتَقْصِيرهم في قيام اللَّيل مع جُهْدِهم في إحسانهم.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: وهو صِفَةُ المُتَّقين أيضاً، ومنهم مَن حَمَلَ هذا الحقَّ على الزكاة.

وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، والزكاةُ فُرِضَتْ بالمدينة، فهي على الصَّدَقةِ النَّفْلِ، ويدلُّ عليه أوَّلُ الآيةِ، فإنها في مدح المتقين بإحياء الليل بنوافل العبادات، وكان هذا مدحاً لهم بإمضاءِ[1] النهار بنوافل الصَّدَقات، ومعنى[2]: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾: أي: جعَلوا على أنفسهم ذلك حقاً لازماً يَقْسِمونه[3] لا محالةَ للسائل والمحروم.

وقال الشَّعْبيُّ: لقد سألتُ عن المحروم منذ سبعين سنةً، فما أنا اليومَ بأعلمَ به مني مِن يومئذٍ[4].

وعن الحسن بنِ محمد بنِ عليٍّ: أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ سَرِيَّةً، فغَنِموا، فجاء قومٌ لم يَشْهَدوا الغَنيمةَ، فنزلت: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[5].

وقيل: هو الذي ذهَبَ مالُه بسَيْلٍ أو جائحةٍ، فلم يبقَ له شيءٌ؛ كما قال الله تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، وقال في الواقعة: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «بإحياء».

(٢) في (ف): «وقال».

(٣) في (ر) و(ف): «يقيمونه».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٨).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٢٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٥).

وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٩٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٦).

وقيل: هو الذي لا سَهْمَ له في الفَيْءِ فيستغنيَ به، وهو قولُ إبراهيمَ النَّخَعِيِّ ومُجاهدٍ والرَّبيعِ بنِ أنسٍ(١).

وقيل: هو الذي لا يَنْمِي له مالٌ، فكلما أصابَ شيئاً ذهبَ منه، قالَه الزَّجَّاجُ(٢).

وقيل: هو المُحارَفُ الذي انحرَفَ عنه الرِّزقُ.

والأشبَهُ: أنَّ السائلَ هو الذي يَتَعَرَّضُ فيَسأَل، والمحرومَ هو الذي يَتعفَّفُ فلا يَسأَلُ، ولا يُعْلَمُ حالُه، والغالِبُ في حَقِّه الحِرْمانُ.

***

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: أي: علاماتٌ دالَّةٌ على قُدْرَةِ الله تعالى ووَحْدَانِيَّتِه، وخَصَّ المُوقنين لأنَّ الانتفاعَ لهم.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾: آياتٌ أيضاً على ما مرَّ شَرْحُه في آخر سورة ﴿حم﴾ السجدة.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: أي: كلَّ هذه الآياتِ، استفهامٌ بمعنى الأمر.

وقيل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أنفسَكم مع قُرْبِها منكم، فمَن قرأَ كتُبَ علماءِ الأطباء في تشريح البدَنِ، عَلِمَ بذلك عجائبَ صُنْعِ الله تعالى في نفْسِه.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ فيمَن أَهلكتُ قبلكم مِن

---

(١) ذكره عنهم السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٣). ورواه عن النخعي عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٣٢)، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٥١٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٣).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٧) عن عكرمة، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٧١٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٩٩) من غير نسبة.

الأُمَم ينظرون إذا سافروا إلى منازلهم، وما في الأرض مِن الجبال والبحار والأشجار والأنهار والنبات والثِّمار والليل والنهار، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾: يعني: البلايا والأمراضَ(١).

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَير: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾: مَخْرَجُ الغائطِ والبولِ(٢).

وقال الضَّحَّاكُ: يأكلُ ويشربُ مِن مكانٍ واحدٍ، ويُخْرِجُ مِن مكانين(٣).

وقال أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: يعني: في تحويل الحالاتِ، وضَعْفِ القُوَّةِ، وعَجْزِ الأركانِ، وفَسْخِ الصَّريمةِ(٤).

وقيل: في الأحوال مِن غنًى وفَقْرٍ، وقُوَّةٍ وضَعْفٍ، وقُدْرَةٍ وعَجْزٍ، ومرضٍ وصحةٍ، وحياةٍ وموتٍ، فيَعْتَبرون ويعرفون مُحَوِّلَ الأحوالِ.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٧)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٥٩).

وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٠٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٣) عن المسيب بن شريك، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٧) عن ابن زيد.

(٤) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١١٣). وجاء في (ر) و(ف): «العزيمة»، والمعنى واحد فإن الصريمة: هي العزيمة على الشيء. انظر: «الصحاح» (مادة: صرم).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطرُ والثَّلْجُ، وبهما نباتُ الأَقْواتِ.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: يجوزُ مِن الوَعْد، ويجوزُ مِن الوعيد، وقد سبَقَ ذِكْرُهما في أوَّلِ هذه السُّورةِ.

وقال مجاهدٌ والضَّحَّاكُ: يعني: الجنَّةَ والنارَ[1].

قولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾: أقسَمَ بنفْسِه على أنَّ كلَّ ما أخبَرَ به في هذه السُّورةِ مِن الوعد والوعيد حَقٌّ.

وقيل: أي: الرِّزق، وعن النبي ﷺ أنه قال: «أبى ابنُ آدمَ أنْ يُصَدِّقَ ربَّه حتى أقسَمَ له، فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾»[2].

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ: ﴿مِثْلُ﴾ بالرَّفع نعتاً لقوله: ﴿لَحَقٌّ﴾، وقرأ الباقون بالنَّصب على أنه يُسلَكُ به مَسْلَكَ الأدواتِ، وهي على الفَتْحِ[3].

وقيل: هي على حَذْفِ الكافِ.

وقيل: تقديرُه: قد حَقَّ حَقًّا مِثْلَ، ومعناه: هو حَقٌّ ككَونِ النُّطْق منكم حَقٌّ.

وقيل: معناه: إنَّ اللهَ رازقُكم، هذا القولُ حقٌّ كما أنَّكم إذا سُئِلْتُم: مَن خالِقُكم؟ قلتم: اللهُ، ذلك حقٌّ، فهذا أيضاً حقٌّ.

---

(١) ذكره عنهما السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٣)، وعن مجاهد الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٤٣). ورواه عن الضحاك الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٦١). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٨).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٤) من غير إسناد. وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٣) عن الحسن في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدِّقوه».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

وقيل: معناه: كما أنكم تنطِقون به ـ وهو قولُكم: لا إلهَ إلا اللهُ حقٌّ ـ فهذا أيضاً حقٌّ.

وقيل: أي: كما أنَّ نُطْقَكَ لا يتكلَّمُ به غيرُك، ورزقُكَ لا يأكلُه غيرُكَ.

وقيل: معناه: كما أنك تَنْطِقُ، والحروفُ تَأْتَلِفُ[1] ولا تدري كيف تَأْتَلِفُ، وكذلك الرِّزْقُ يجتمِعُ عندك ولا تدري كيف يجتمِعُ.

وقيل: فائدةُ إحالةِ الرِّزق إلى السماء ولا سبيلَ لكَ إلى العُروج إليه: لِتَشْتَغِلَ بما كلَّفَكَ، ولا تَتَعَنَّى في طلَبِ ما لا تَصِلُ إليه.

وقيل: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: وإليها يُرْفَعُ عمَلُكم، فإنْ أردتَّ أنْ ينزِلَ عليكَ رِزْقُكَ فليَصْعَدْ إلى السماء عمَلُكَ، ولهذا قالوا: الصلاةُ مِفْتاحُ بابِ الرِّزْقِ، قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

* * *

(٢٤) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: وانتظامُها بما قبلَها: أنه قال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾، وقال في هذه القصة في آخرها: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾.

أي: يقولُ: ومِن الآيات في الأرض ما بَقِيَ مِن آثارِ قوم لُوطٍ الذين أهلَكْناهم، وكانت بدايةُ ذلك مجيءَ الملائكةِ إبراهيمَ.

وقولُه: ﴿وَهَلْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقْرير؛ أي: قد أتاكَ.

وقيل: أي: إنْ لمْ يَأْتِكَ فها نحن نُخبِرُكَ.

والضَّيْفُ معناه: الأَضْيافُ؛ لأنه مَصْدَرٌ فصلَحَ للجَمْع، وهمُ الملائكةُ، سمَّاهم ضَيْفاً لأنَّهم جاؤوا مَجيءَ الأضياف.

---

(١) في (ف): «تتآلف»، وكذا في الموضع الذي يليه.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: نعتٌ للأَضْياف، أكرَمَهم إبراهيمُ، وقامَ لهم بنفْسِه، وكان لا يقومُ لسائر الأضياف.

وقال مجاهدٌ: أكرَمَهم إبراهيمُ؛ أي: خدمَهم بنفْسِه، وجاء بعِجْلٍ(١).

وقيل: هو مِن قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: أي: عند الله.

وقيل: إكرامُهم مِن إبراهيمَ كان بأنْ لم يتكلَّفْه لهم، ولم يَعْتَذِرْ إليهم، فلم يُكَلِّفْهم مُؤْنَةً أو مِنَّةً.

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾: أي: دخَلَ هؤلاءِ الأضيافُ وهمُ الملائكةُ، وقد بيَّنَّا ذلك في سورة هودٍ.

﴿عَلَيْهِ﴾: أي: على إبراهيمَ.

﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾: أي: نِلْتَ سَلاماً، أو اسْلَمْ سلاماً؛ أي: سلامةً مِن كلِّ مكروهٍ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: أي: ولكم سلامٌ، أو: عليكم سلامٌ أيضاً.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي: لا أعرِفُهم؛ كما قال: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

قيل: قال ذلك في نفْسِه.

وقيل: أي: قال لهم: لا أعرِفُكم، فمَن أنتم؟

---

(١) روى القطعة الأولى منه: ابنُ أبي الدنيا في «قرى الضيف» (٨)، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٨٨)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٢٠٢٤).

وذكر الثانية الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٦).

وقيل: أَنْكَرَهم؛ لأنهم كانوا على غيرِ هَيْئَةِ أهلِ بلَدِه.

وقيل: لأنهم سلَّموا عليه، ولم يكن ذلك مَعْهوداً لهم.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿قال: سِلْمٌ﴾[1]؛ أي: بيني وبينكم سِلْمٌ؛ أي: صُلْحٌ، فلا تُرَوِّعُوني.

* * *

(٢٦ ـ ٢٩) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: أي: فرجَعَ إليهم في خُفْيَةٍ.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: أي: وقد شواهُ.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾: وها هنا مُضْمَرٌ: فأمسَكوا عن تناوُلِه ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: فكُلوا، فلم يأكلوا.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي: أضمَرَ خوفاً؛ إذ لم يَتَحَرَّموا بطعامه، فمَن لم يَتَحَرَّمْ بطعام إنسانٍ لم يَأْمَنْه.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: وقَفوا على خوفِه، فأمَّنوه وأعلَموه أنهم ملائكةٌ.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: بولَدٍ ذكرٍ يصيرُ عالِماً إذا بلَغَ أوانَه، وهو إسحاقُ عليه السَّلامُ.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾: أي: زوجتُه سارةُ في صَيْحَةٍ[2]، وقيل: في رَنَّةٍ تَعَجُّباً مِن ذلك.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥).

(٢) في (ر) و(ف): «ضجة».

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: أي: ضرَبَتْ جَبْهَتَها ـ قالَه السُّدِّيُّ ومُجاهدٌ وسُفيانُ ـ تعَجُّباً واستعظاماً على ما هو عادةُ النِّساءِ[١].

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: أي: عاقِرٌ لم تلِدْ قطُّ، فكيف يكونُ لها ولَدٌ؟!

* * *

(٣٠) ـ ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: أي: كما أخبَرْناكِ به قال لنا ربُّكِ، وعنه نُخْبِرُكِ، فلا تَشُكِّي فيه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أي: لا يجوزُ عليه الخطَأُ في قولٍ ولا فعلٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ مِن ظاهرٍ أو باطنٍ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَأَقْبَلَتِ﴾: لم تُقْبِلْ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، لكن جعلَتْ تصيحُ، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾؛ أي: جمَعَتْ أطرافَ أصابعِها، فضربَتْ جَبْهَتَها، وقالت: كيف يكونُ مِنِّي ولدٌ وأنا عجوزٌ عقيمٌ؟! وكانت يومئذٍ بنتَ ثمانٍ وتسعين سنةً، وإبراهيمُ يومئذٍ ابنَ تسعٍ وتسعين سنةً[٢].

وقيل: لَمَّا تَعَجَّبَتْ قال لها جبريلُ: انْظُري إلى سَقْفِ بَيْتِكِ، فنظَرَتْ، وكانت جُذوعُه مِن النَّخْلِ اليابسةِ، فإذا هي مُورِقَةٌ مُثْمِرَةٌ[٣]، فقال لها: أَتَعْجَبِين مِن أمرِ الله تعالى، ومِثْلُ هذا يكونُ بأمرِ الله تعالى؟!

* * *

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٣٠).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٢).

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: أي: فما شأنُكم؟

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: مُكْتَسِبين لأنفُسِهم الهلاكَ بأعمالِهم السَّيِّئَةِ مِن تكذيبِ رسولِهم وفواحِشِهم.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾: وهي الآجُرُّ، وهو المُسَمَّى سِجِّيلاً في آيةٍ أخرى.

وقيل: هي حِجارةُ الأرضِ، وأصلُها طِينٌ، فصارت حَجَراً بإِحْماءِ الشمس على مَرِّ الدُّهور.

﴿مُسَوَّمَةً﴾: أي: مُعَلَّمَةً فيها خُطوطٌ سُودٌ وبِيضٌ.

وقيل: سُودٌ وحُمْرٌ.

وقيل: أي: مكتوبةٌ عليها أسماءُ المَرْجومين بها.

﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: أي: مُعَلَّمَةً عند الله تعالى.

وقيل: أي: مُعَدَّةً في خزانةِ الله تعالى.

﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: أي: المُجاوِزين الحَدَّ في ارتكابِ المعاصي.

وقيل: ﴿مُسَوَّمَةً﴾: أي: مُرْسَلَةً؛ مِن تَسْويمِ المواشي.

* * *

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أمَرْنا لُوطاً بأنْ يخرُجَ مع مَن كان معه مِن المؤمنين قبلَ نُزولِ العذاب بقومه.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾: أي: في القرية، وهي مَفْهومةٌ غيرُ مَذْكورة؛ لأنَّ القومَ كانوا فيها.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾: وهو بيتُ لوطٍ، وذُكِرَ أنَّهم لوطٌ وابنتاه، فأما امرأتُه فكانت كافرةً.

﴿مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾: أي: علامةً. والآيةُ نَفْسُ القريةِ، وقد جُعِلَتْ أعلاها أسفلَها.

وقيل: الآيةُ: ما فيها مِن الحِجارةِ المُلْقاةِ المَنْضُودةِ التي رُجِموا بها.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: أي: هُمُ الذين ينتفعون بالنَّظَرِ في هذه الآية.

والقصَّةُ قد مرَّتْ بسياقِها في سورة الأعراف، وبعضُها في سورة هود.

وقال السُّدِّيُّ ومُقاتلٌ: كانوا ستَّ مئةِ ألفٍ، وأدخلَ جبريلُ جناحَه تحت الأرض، فاقتلَعَها ورفَعَها حتى سمِعَ أهلُ السَّماءِ أصواتَهم، ثم قلَبَها، ثم أرسَلَ عليهم الحجارةَ، ثم تتبَّعَتِ الحجارةُ شُذَّاذَهم ومُسافريهم، وأصبَحَ إبراهيمُ جالساً في مسجده فرأى الدُّخانَ ساطِعاً، وبين إبراهيمَ وبينهم أربعةُ فراسِخَ، فلما رأى الدُّخانَ عَلِمَ أنَّ العذابَ نزَلَ بهم(١).

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾: أي: وفيه أيضاً آيةٌ.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ.

---

(١) رواه بنحوه عن السدي الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٣٤)، ولم أقف عليه عن مقاتل.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾: أي: أعرَضَ فرعونُ عن قَبولِ الحقِّ مع مَن كان رُكْناً له يَعْتَمِدُ عليهم، ويتقوَّى بهم، ويركَنُ إلى نُصْرَتِهم، وهُم مَلَؤُه وقومُه، وهو كقوله: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

والباءُ بمعنى (مع)؛ كما يُقالُ: خرَجَ الأميرُ بحَشَمِه[١].

وقيل: تولَّى برُكْنِه؛ أي: بقُوَّتِه في نفْسِه. قالَه نِفْطَوَيْهِ[٢].

وقيل: أي: أعرَضَ بجانبِه؛ كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣].

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أي: قال فرعونُ: هو ساحرٌ بما يُري مِن العصا واليد، أو مجنونٌ فيما يَدَّعي ولا يُفكِّرُ في عاقِبَتِه كالذي لا يَعْقِلُ.

وقال أبو عبيدة: أي: ساحرٌ ومجنون، و(أو) بمعنى الواو في القرآن كثيرٌ[٣].

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾: الذين هُم رُكْنُه.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: أي: ألقَيْناهم في البحر، وهو نيلُ مِصْرَ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أي أتى بما يُلامُ عليه.

---

(١) في (ر): «بجيشه».

(٢) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٢) إلى ابن عباس رضي الله عنهما. ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٠٩٨)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠) إلى قتادة. وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٨٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨) من غير نسبة.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ﴾: أي: وفيهم أيضاً آيةٌ.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: أي: الرِّيحَ التي لا تُنْبِتُ، ولا تُلْقِحُ شجَراً، ولا تُنْشِئُ سحاباً مُمْطِراً؛ كالمرأةِ العَقيمِ التي لا تَلِدُ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾: أي: لا تدَعُ هذه الرِّيحُ شيئاً، و﴿مِن﴾ لِتأكيدِ النَّفْيِ وتعميمِه؛ أي: مما أُمِرَتْ بإهلاكِه.

﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: أي: كالعَظْمِ البالي.

قال ابن عباس: كانت تلك الرِّيحُ هي الدَّبُورَ[١].

وقال عليٌّ رضي الله عنه[٢]: هي النَّكْباءُ[٣].

وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّب: هي الجَنوبُ[٤].

---

(١) ذكره عنه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٣). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣) عن مقاتل.

وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٨٩)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٦)، من غير نسبة.

والدَّبور: ريح تهب من نحو المغرب. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٨٠).

(٢) في (ر): «عكرمة». وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره عن علي رضي الله عنه مكيُّ بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٠١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٣).

وذكره الواحدي في «الوسيط» (٢٠/ ٤٥٦) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والنَّكْباء: الريح الناكبة التي تنكب عن مهاب الرياح القوم. انظر: «الصحاح» (مادة: نوب).

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه» (٦٢)، وابن أبي الدنيا في «المطر» (١٦٨)، والطبري في «تفسيره» =

والصَّحيحُ الأوَّلُ، قال النَّبيُّ ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»(١).

وقال ابن عباس: كانت الرِّيحُ تحمِلُ البعيرَ والشَّاةَ والعبدَ والأَمَةَ، فتُلْقِيه بالوادي، ولم تضر غريباً ليس منهم، وكانت العَمالِقَةُ بجَنبَتَي الوادي ينظُرون إليهم، فلم تَضُرَّهمْ شيئاً(٢).

وقال عُبيدُ بنُ عُمَير: الرِّيحُ العقيمُ في الأرض الرَّابعةِ، ولم يُرْسَلْ منها على عادٍ إلا بِقَدْرِ مَنْخرِ ثَوْرٍ(٣).

وقال ابن عباس: ﴿جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾: أي كالعَظْم البالي الذي إذا فُتَّ يتفتَّتُ(٤).

وقيل: ﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾: أي: كالتُّراب المَدْقُوق، وقد مرَّ سياقُ القصة في سورة الأعراف.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: أي: وفي ثمودَ آيةٌ أيضاً.

﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: قيل: هو قولُه: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] بعد ما عقروا النَّاقةَ.

= (٢١/ ٥٣٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٣٩). وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٥٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٣).

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره عنه مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٠١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٥٦).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨) بلفظ: كالشيء الهالك، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣) عن مجاهد.

وقيل: ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾[١]: إنْ لم تَعْقِروا الناقةَ تمَتَّعْتُم إلى زمانٍ مَديدٍ، فعقَروها، فعُجِّلَتْ عُقوبَتُهم، وهو قولُه تعالى:

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: أي: ترَفَّعُوا عن قَبول الأمر به.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: أي: العذابُ المُهْلِكُ.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: أي: كانوا أَيْقاظاً وفي نهارٍ، لم يكونوا نِياماً[٢] ولا بِلَيْلٍ، فكانوا يُبْصِرونه.

وقيل: أي: وهُم ينتظُرون العذاب[٣] حين قيل لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾: أي: صَرَعَتْهم الصَّاعقةُ فلم يَقْدِروا أنْ يقوموا.

وقال قَتادةُ وجماعةٌ: أي: ما قَدِروا أنْ يقوموا لعذاب الله تعالى، فيَدْفَعوه عن أنفسهم[٤].

﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾: أي: وما قَدِروا على الانتقام لِمَن أحلَّ بهم الصَّاعقةَ.

وقيل: أي: مُمْتَنِعين عن العذاب بمانِعٍ، والنُّصْرَةُ: المَنْعُ، والانتصارُ: الامتناعُ بقُوَّةِ مانعٍ.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي قيل لهم».

(٢) في (ر): «بياتا».

(٣) في (أ): «وهم ينتظرونه أي العذاب»، وفي (ر) و(ف): «وهو ينظرون العذاب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٤٣)، وذكره بنحو الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٩).

قولُه تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾: قرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿وقومِ نوحٍ﴾ بالخفض عطفاً على المذكورات قبلَه: ﴿وَفِى عَادٍ﴾ ﴿وَفِى ثَمُودَ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿وَقَوْمَ﴾: بالنصب[١]؛ أي: وأخَذَ اللهُ قومَ نوحٍ، أو[٢]: واذكُرْ قومَ نوحٍ، والصَّحيحُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ قوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يقتضي وقوعَ فعلٍ بهم مُتَقَدِّماً على هلاكِ هؤلاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: مُسْتَحِقِّين لذلك.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾: أي: ومِن الآيات الدَّالَّةِ على قُدْرَةِ الله تعالى بعد الآيات بهذه القِصَصِ خَلْقُ السَّماءِ.

﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾: أي: بقُوَّةٍ، ونَصْبُ السماءِ بإضمارِ فعلٍ: (بَنَيْنا)، ودلَّ عليه إعادتُه بعدَه.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: أي: لنا سَعَةُ خَلْقِها، وخَلْقُ مِثْلِها، وخَلْقُ ما شِئْنا.

وقيل: أي: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ما أَرَدْنا إيساعَه؛ كما أوسَعْنا السماءَ فجعلناها واسعةً.

وقيل: المُوسِعُ: الغَنِيُّ؛ كما قال: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أي: لنا غنًى عنها وعن كلِّ خَلْقٍ.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾: أي: بسَطْناها، ونَصْبُه كنَصْبِ ﴿السماءَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

(٢) في (ف): «أي»، وسقطت من (أ) و(ر). والصواب المثبت.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾: أي: الباسِطون، فلا نطلُبُ منهم عِوَضاً على ذلك، وجعلنا[1] ذلك لمنافعهم لا لِحاجةٍ بنا.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: أي: وخلَقْنا[2] مِن كلِّ شيءٍ لونين يكون أحدُهما مُزاوِجاً للآخَر: إما مِن شَكْلِه، وإما مِن خلافه؛ كالليل والنهار، والنُّور والظُّلْمة، والذَّكَر والأنثى، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والبُكْرَةُ والعَشِيُّ، والبَرُّ والبحر، والشمس والقمر، والسهل والجبل، وكذا الألوان والطُّعوم والأَرايِح والأصوات والملموسات؛ لِيَسْتَدِلُّوا بذلك على كمال قُدْرَتِنا أنَّا نفعَلُ ذلك باختيارِنا، وليس ذلك كالذي يَظْهَرُ مِن الشيء المُسَخَّر بطَبْعِه أنه نوعٌ واحدٌ؛ كالنارِ شأنُها التَّسْخين، والثَّلْجِ شأنُه التَّبريد، والماءِ شأنُه التَّرْطيب.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِتَتَفَكَّروا وتَعْلَموا ذلك، وتَسْتَدِلُّوا به على قُدْرَتِنا على البعث بعد الموت.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: فانقَطِعوا إليه بطاعتِكم، فهو الواحدُ الخالقُ مِن كلِّ شيءٍ زوجين، وهو الواحدُ الفَرْدُ لا زوجَ له.

---

(١) في (ر) و(ف): «وفعلنا».

(٢) في (ر): «وجعلنا».

وقال ذو النُّون: أظهَرَ اللهُ معنى الرُّبوبيَّةِ والوَحْدانِيَّةِ بأنْ خلَقَ الأزواجَ؛ لِتَخْلُصَ له الفَرْدانِيَّةُ[١].

وقال ابن عباس: فِرُّوا مِن الله إليه، واعمَلوا بطاعته[٢].

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾: أي: مِن الله إنْ لم تَفِرُّوا إليه.

﴿نَذِيرٌ﴾: مُخَوِّفٌ.

﴿مُّبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ لكم مِن الله.

وقال أبو بكرٍ الورَّاقُ: فِرُّوا مِن عِقاب الله إلى رحمته، ومِن طاعةِ الشيطان إلى طاعة الله.

وقال الحُسين بنُ الفضل: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: احتَرِزوا مِن كلِّ شيءٍ دونَه، فمَن فَرَّ إلى غيره لم يمتنع منه.

وقال الجُنيدُ: الشيطانُ داعٍ إلى الباطل، ففِرُّوا إلى الله يَمْنَعْكم منه.

وقال ذو النُّون: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: مِن الجهل إلى العلم به، ومِن الكُفْران إلى الشُّكْر له.

وقال الواسطيُّ: فِرُّوا إلى ما سبَقَ لكم مِن الله، ولا تعتمِدوا على حركاتِكم وسكَناتِكم.

وقال عُرْوةُ بنُ عثمان: فِرُّوا مِن أنفسكم إلى ربكم[٣].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: مَن صَحَّ فرارُه إلى الله صَحَّ قَرارُه مع الله[٤].

---

(١) ذكره السلمي في «تفسيره» (٢/ ٢٧٦)، والبقلي في «عرائس البيان» (٣/ ٣٤٦)، عن أبي سعيد الخراز.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٩).

(٣) ذكر جميع هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٦٩).

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: وهذا ظاهِرٌ.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: أي: مِن قَبْلِ هؤلاء المشركين الذين يقولون لكَ: أنتَ ساحِرٌ ومجنونٌ.

﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟﴾ لرسولهم ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أي: هو ساحِرٌ، أو قالوا: هو مجنونٌ، مِثْلَ هذه الأُمَمِ التي ذَكَرْنا، قال فرعونُ لموسى ذلك، وكذلك سائرُ الكفار.

﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾: أي: أَتَوافَقوا على ذلك؟ وهو أنْ أوصى بعضُهم لبعضٍ بذلك.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: لم يتواصَوا بذلك، بل اجتماعُهم على هذا القول لِرسُلهم لمعنًى جامعٍ جمعَهم على ذلك، وهو طُغيانُهم وعُتُوُّهم على الله، لم يَنْقادوا له، ولم يُتابِعوا[1] رسُلَه، ولم يتركوا رياسَتهم، فكابَروا وواجَهوا الرسلَ بما قالوا.

وقيل: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾: هُم قريشٌ، يعني: أوصاهم بذلك آباؤُهم، ثم قال: بل يفعلون ذلك لِطُغيانِ أنفسِهم، والأوَّلُ أَعَمُّ.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: تَوَلَّ عن مُكافاتِهم ومُبادَأَتِهم بالقتال.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: أي: فما قصَّرْتَ فيما أمَرْناكَ به مِن الدَّعوة.

﴿وَذَكِّرْ﴾: وَعِظْ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: العِظَةَ تنفَعُ المؤمنين، فلا تترُكْها لامتناعِ الكفار عن قَبولِها.

---

(١) في (ف): «يبايعوا».

ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نزلَ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لم يَبْقَ أحدٌ منا إلا أيقَنَ بالهلَكَةِ؛ إذ أُمِرَ النبيُّ ﷺ أنْ يتولَّ عنهم، حتى نزل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فطابَتْ أنفسُنا(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ حَزِنَ رسولُ الله ﷺ مَخافةَ أنْ يَنْزِلَ بقومه العذابُ، وشَقَّ على أصحابه مَخافةَ أنْ يكون قد انقطَعَ عنهم الوحيُ، فنسَخَتْها آيةُ القتالِ(٢).

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ذَكِّرِ العاصِين عُقوبَتي لِيَرْجِعوا عن مُخالفَةِ أمري، وذكِّرِ المُطِيعين جزيلَ ثوابي لِيَزدادوا طاعةً وعبادةً لي، وذَكِّرِ العارفين ما صَرَفْتُ عنهم مِن بلائي، وذَكِّرِ الأغنياءَ ما أبحتُ لهم مِن إحساني وعَطائي، وذَكِّرِ الفقراءَ ما أوجبْتُ لهم بصَرْفِ الدنيا عنهم، وأعددتُ لهم مِن لقائي(٣).

* * *

(٥٦) - ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: إلا لِيُقِرُّوا لي بالعُبوديَّةِ طَوْعاً أو كَرْهاً(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨١)، والبيهقي في «الكبرى» (١١٦٥٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٢/ ٣٣٦).

(٢) ذكره مختصرا الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٠)، وفي «البسيط» (٢٠/ ٤٦٤).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٦٩).

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٤). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٣).

يعني: أنَّ المؤمنين يُقِرُّون له طَوْعاً، والكافرون يُقِرُّون له بما جبَلَهم عليه مِن الخِلْقَة الدَّالَّة على وحدانيَّةِ الله تعالى، وانفرادِه بالخَلْقِ، واستحقاقِ العبادةِ دون غيرِه، فالخَلْقُ كلُّهم بهذا له عابِدون، وعلى هذا قولُه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقولُه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقولُه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ على معنى: ما يُوجَدُ منهم مِن دلائلِ الحُدوثِ المُوجِبَةِ لكونها مَرْبُوبةً مَخْلُوقةً مُسَخَّرةً.

وقال مجاهد: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: إلا لِيَعْرِفون[١]، وكلُّ الجنِّ والإنسِ يَعْرِفون اللهَ اضطراراً، لا يكفُرُ به إلا مُعانِدٌ، فهم مَخْلُوقون لِيَعْبُدُوه؛ أي: لِيَعْرِفوه، وقد عرَفوه، ومَن أظهَرَ غيرَ ذلك فهو كاذِبٌ[٢] على نفْسِه.

وقال بعضُهم: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: في فِطْرَتِهم؛ لأنَّ ذلك فِطْرَتُهم إلَّا أنْ يَبْعُدوا[٣] عنه بالشُّبَهِ[٤] والتَّلْبيسِ.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: إلَّا لآمُرَهم أنْ يَعْبُدون[٥]، ويُؤَيِّدُه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١]، وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥٠٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٠).

(٢) في (ف): «كافر كاذب».

(٣) في (أ) و(ف): «إلى أن ينقلوا» بدل: «إلا أن يبعدوا».

(٤) في (ر): «بالتشبيه».

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٦٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٠)، وغيرهم. ووقع في النسخ: «الا أن آمرهم...»، والمثبت من المصادر.

وقال الحُسينُ بنُ الفَضْل: أي: إلَّا لِأَسْتَعْبِدَهم؛ أي: أُكَلِّفَهم العبادة[١]، وقد كلَّفَهم.

وقريبٌ منه قولُ بعضِهم: إلَّا لِأُلْزِمَهم عبادتي.

وقال الضَّحَّاكُ: هذا أمرٌ خاصٌّ لأهل طاعتِه[٢].

ودليلُ الخُصوصِ: أنه قال قبلَه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾؛ أي: مِن المؤمنين[٣]، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فأمَّا الكفارُ فقد قال في حقِّهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

والحاصِلُ: أنَّ اللهَ خلَقَ كلَّ شيءٍ لِمَا عَلِمَ أنه يكون منه؛ إذ لو قيلَ غيرُ ذلك لأدَّى ذلك إلى إثبات العَجْزِ أو الجهل لله تعالى، ويتعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيراً.

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: الذين اصْطَفيْتُهم في آزالي، وخصَصْتُهم اليومَ بحُسْنِ إقبالي، ووعدتُ لهم جزيلَ إِفْضَالي، ما خلقتُهم إلَّا ليعبدون، والذين سخِطتُ عليهم في آزالي، ورَبَطتُهم اليومَ بالخُذْلان فيما كلَّفْتُهم مِن أعمالي، وخلَقْتُ النارَ لهم بحُكْم إلهيَّتي وجلالي، ما خلقْتُهم إلا لِعَذابي وأنْكالي، ولِمَا[٤] أعددتُ لهم مِن سَلاسِلي وأَغْلالي.

* * *

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٩٦) من غير نسبة.

(٢) في (ف): «عبادته».

ذكره عن الضحاك الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٢٠) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤)، وزاد الثعلبي: عن سفيان، والواحدي: عن الكلبي.

(٣) كذا قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما.

انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٨١)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٠).

(٤) في (أ): «مما».

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾: أي: أنْ يَرْزُقوا أنفسَهم.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾: أي: يُطْعِموا عبادي، وهو إضافةُ تَخْصِيصٍ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام خبَراً عن الله تعالى: «مَن أهانَ لي وليًّا فقد بارَزَني بالمُحاربة»[1].

وقال النبي ﷺ أيضاً خبَراً عن الله تعالى: «مَن أكرَمَ مؤمناً فقد أكرَمَني، ومَن آذى مؤمناً فقد آذاني»[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾: أي: لكلِّ خَلْقِه.

﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾: أي: شديدُ القُوَّةِ.

* * *

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، والقضاعي في «مسنده» (١٤٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.
ومعناه مروي في الصحيح، فقد روى البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب».

(٢) لم أقف عليه مسنداً، وذكره أبو البركات النسفي في «تفسيره» (٣/ ٣٨١) من غير إسناد.
ويغني عنه في الاستدلال على المراد بأوضح صورة ما رواه مسلم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلمْ تَعُدْني، قال: يا ربِّ كيف أَعُودُك؟ وأنت ربُّ العالَمين، قال: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عبدي فلانًا مَرِضَ فلَمْ تَعُدْه، أمَا عَلِمْتَ أنك لو عُدْتَه لوجَدْتَني عنده؟ يا ابنَ آدمَ استطعَمْتُك فلمْ تُطْعِمني، قال: يا ربِّ وكيف أُطْعِمُك وأنت ربُّ العالَمين؟ قال: أمَا عَلِمْتَ أنه استَطْعَمك عبدي فلانٌ، فلَمْ تُطْعِمْه؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّك لو أَطعمْتَه لوَجدْتَ ذلك عندي... » الحديث.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: أي: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مِن[1] قومِكَ يا محمد ﴿ذَنُوبًا﴾: أي: حظًّا[2] ونَصيباً مِن العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾؛ أي: مِثْلَ نَصيبِ أصحابِهم مِن الأُمَمِ التي ظلَمَتْ فوضَعَتِ العبادةَ في غير مَوْضِعِها.

وأصلُ الذَّنُوبِ: الدَّلْوُ العظيمُ المَلْأَى ماءً، قال الراجزُ[3]:

إنَّا إذا نازَعَنا شَرِيبُ لنا ذَنُوبٌ وله ذَنُوبُ[4]

وقيل: عذاباً في إِثْرِ عذابٍ كذَنُوبِ البئرِ يَتْبَعُ بعضُه بعضاً.

وقيل: إنَّ لهؤلاء الكفار حَظًّا مِن التَّمَتُّعِ بالدنيا إلى أنْ ينتهيَ مَدَدُهم.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: فإنه كائنٌ.

﴿فَوَيْلٌ﴾: أي: شِدَّةُ عذابٍ.

وقيل: وادٍ في جهنم.

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: وهو يومُ القيامةِ.

وقيل: يومُ بدرٍ استُؤْصِلُوا فيه.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) في (أ): «مثل».

(٢) في (أ): «حقاً».

(٣) في (ر): «الشاعر».

(٤) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٩٧)، والبندنيجي في «التقفية» (ص: ١٩٥)، وكراع النمل في «المنجد» (ص: ٢٠٧)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ١٢٣)، والعسكري في «الفروق اللغوية» (ص: ٣١٤) من غير نسبة.

سُورَةُ الطُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي بشَّرَ المُتَّقين المؤمنين بجَنَّات النَّعيم، الرَّحمنِ الذي وقاهم عذابَ الجحيمِ، الرَّحيمِ الذي وعَدَ المؤمنين في الجنة بشَرابٍ لا لَغْوٌ فيه ولا تأثيم.

وروى أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ سُورةَ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ كان حقًّا على الله تعالى أنْ يُؤَمِّنَه مِن عذابه، ويُنَعِّمَه في جنَّتِه»[1].

وهذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، وهي سبعٌ وأربعون آيةً، وقيل: تسعٌ، والاختلافُ في ﴿وَٱلطُّورِ﴾، ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ واثنتا عشرة كلمةً.

وحروفُها: ألفٌ وثلاثُ مئةٍ.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّ خَتْمَ تلك بالوعيد بالعذاب، وافتتاحَ هذه بالقسَمِ على ذلك العذاب.

وانتظامُ السُّورتين: أنهما في مُحاجَّة المشركين، وفي الأولى زيادةُ تقريرٍ بقِصص الأوَّلين.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٣)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٣)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠١٢).

(١) ـ ﴿وَٱلطُّورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾: قال ابنُ عباسٍ والضَّحَّاكُ: هو الجبلُ الذي تجلَّى اللهُ تعالى له حين كان موسى عليه السلام عليه، وكلَّمَه ربُّه، فسألَ الرُّؤيةَ(١).

وقال مُقاتلٌ: هما طُورانِ: أحدُهما: طُور سيناء(٢)، والآخرُ طورُ زَيْتا، أحدُهما يُنْبِتُ التِّينَ، والآخرُ يُنْبِتُ الزيتونَ(٣)، وهما ما قال الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾.

وقيل: الطُّورُ بمَدْينَ، واسمُه زَبيرٌ.

وقيل: هو كلُّ جبلٍ.

وقال مجاهدٌ: هو الجبلُ بالسُّرْيانيَّةِ(٤).

وقال أبو عبيدةَ والخليلُ وأبو عمرو والنَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ والأصمعيُّ وأبو عبيدٍ وأبو حاتِمٍ: هو عربيَّةٌ صحيحةٌ، وليس في القرآن سوى العربيِّ المَحْضِ، فإنْ وقَعَ فيه شيءٌ موافقٌ لبعض اللُّغات فهو وِفاقٌ وقَعَ بين اللُّغتين.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «تينا»، وهما لغتان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٣) عن مقاتل بن حيان.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٠)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٠٣).

وتعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٥) بقوله: وهذا ضعيف، لأن ما حكاه في العربية يقضي على هذا، ولا خلاف أن في الشام جبلاً يسمى بالطور وهو طور سيناء.

قولُه تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾: أي: مكتوبٍ.

﴿فِي رَقّٖ﴾: أي: جِلْدٍ رقيقٍ مُهَيَّأٍ للكتابة.

وقال أبو عبيدة: الرَّقُّ: الوَرَقُ[١].

﴿مَّنشُورٖ﴾: يُنْشَرُ للقراءة.

قيل: هو قسَمٌ بالقرآن يكتُبُه المؤمنون وينشُرونه للقراءة.

وقيل: هو مكتوبٌ عند الله تعالى في رَقٍّ تقرَؤُه ملائكتُه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨].

وقيل: هو الكتابُ الأوَّلُ: التَّوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبُورُ، والصُّحُفُ المُنَزَلَةُ على الأنبياء، وكان ذلك مكتوباً في رَقٍّ ينشُرُه أهلُه لقراءته.

وقيل: هو الذي كتبَه اللهُ لموسى عليه السلام.

وقيل: هو كتابٌ عند الله كتبَه لملائكتِه في السماء يقرؤونه.

وقيل: هو اللَّوْحُ المحفوظُ.

وقيل: هو صُحُفُ الأعمالِ التي تُخرَجُ يوم القيامة، فيُعْطَون بالأيمان أو بالشَّمائل[٢]، وهذا عن البراء بنِ عازِبٍ[٣].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣٠). وذكره عنه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٠١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٧٦).

(٢) في (ر) و(ف): «والشمائل».

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٢) من غير نسبة. ولم أقف عليه عن البراء.

(٤) ـ ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: أي: الذي يُعْمَرُ بكثرة الزُّوَّار، والمُتَرَدِّدِين إليه مِن الأقطار.

قال الحسن: هو الكعبةُ[١]، أقسَمَ اللهُ به لِعِظَمِ[٢] قَدْرِه؛ إذ هو أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للناس، وهو بيتُ اللهِ وقِبْلَةُ خَلْقِه.

وروى أنسٌ وصَعْصَعَةُ وجماعةٌ عن النبي ﷺ أنه[٣]: «بيتٌ في السَّماءِ الرَّابعةِ بِحِيال الكعبة مِن الأرض يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ، ثم لا يعودون إليه أبداً، فهو مَعْمُورٌ بالملائكة»[٤].

وقال عليٌّ لأصحابه: ما تقولون في البيت المعمور؟ قالوا: هو البيتُ الحرامُ، قال: بل هو بيتٌ في السماء يُقالُ له: الضُّراحُ ـ يُروى بالصاد والضاد جميعاً ـ بِحِيال هذا البيت، حُرْمَتُه في السماء كَحُرْمَةِ هذا في الأرض[٥].

---

(١) رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٤). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٧٧)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦).

(٢) في (ف): «به ليعظم» بدل: «الله به لعظم».

(٣) في (ر): «أنه قال».

(٤) رواه البخاري (٣٢٠٧) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج الطويل، وسياق الحديث يدل على أن البيت المعمور في السماء السابعة، وعليه أكثر الروايات.

وأما كونه في السماء الرابعة، فقد رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢١٠) من حديث أنس رضي الله عنه. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤) عن علي وابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم.

(٥) رواه الحارث في «مسنده» (٣٨٨ ـ زوائد الهيثمي)، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» =

وقال ابن عباس: في السماء السادسة(١).

وقال مُقاتلٌ: في السماء الدنيا(٢).

ورُوِيَ أنَّ كعبَ الأحبارِ دخَلَ على ابن عباس، فقال له: أرأيتَ البيتَ المعمورَ أين هو؟ قال: هو بيتٌ في السماء يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ لم يدخُلُوه قطُّ قَبْلَه، ولا يدخُلُون حتى تقومَ الساعة، فقال ابن عباس: سبحانَ اللهِ! ما أكثَرَ خَلْقَ ربي! فقال: يا ابنَ عباس، والذي نفسي بيده، لَلملائكةُ التي في السماء أكثرُ مِن عدَدِ التُّراب في الأرض، وما في السماوات مَوْضِعُ قَدَمٍ إلا وفيه ملَكٌ يُسَبِّحُ اللهَ ويُقَدِّسُه، وإنَّ تحت العرش لَملائكةً ما زالوا خاضِعين رقابَهم ما ينظُرون إلى العرش مِن مَخافَةِ اللهِ تعالى(٣).

= (٤٢١٩)، الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٩١).

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٤٣).
ورواه ابن وهب في «جامعه» (١٥٢)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٣) عن علي رضي الله عنه.
وذكره عن علي مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦) من غير نسبة.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٤٣)مقدماً له بصيغة قيل.

(٣) لم أقف عليه، وقوله: «لَلملائكةُ التي في السماء أكثرُ مِن عدَدِ التُّراب في الأرض» رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٢) عن كعب.
وقوله: «هو بيتٌ في السماء يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ لم يدخُلُوه قطُّ قَبْلَه، ولا يدخُلُون حتى تقومَ الساعة» له شاهد من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عند مسلم (١٦٤/ ٢٦٤)، وآخر من حديث أنس عند مسلم أيضاً (١٦٢/ ٢٥٩).

وعن ابن عباس أنه قال: هو البيتُ الذي بناه آدمُ في الأرض، فرُفِعَ أيَّامَ الطُّوفان، ووُضِعَ حِيالَ الكعبةِ(١).

وقال مُقاتل: يُصَلِّي فيه ما يشاءُ اللهُ كلَّ يومٍ صِنْفٌ مِن الملائكة يُقالُ لهم: الجِنُّ، كان منهم إبليسُ، فإذا فرَغوا نزَلوا إلى الأرض، وطافوا بالبيت الحرام، ثم يَصْعَدون إلى السماء ولا يَهْبِطون أبداً(٢).

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾: هو السَّماءُ، رُفِعَ فوق كلِّ شيء، وفيها الملائكةُ، ومنها نزولُ الوحيِ ونزولُ المطرِ.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾: قال الفرَّاء: أي: المَمْلُوء(٣).

وقال عليٌّ: أي: المُوقَد(٤)، و(قد سَجَرْتُ التَّنُّورَ)؛ أي: أَوْقَدتُّه.

وقال كعبٌ: هو البحرُ يُسْجَرُ فيكون جهنَّمَ(٥).

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٤٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٩١).

(٤) رواه معناه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٣١)، والبيهقي في «البعث» (٤٩٥). ورواه بلفظه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٨) عن مجاهد وابن زيد. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٤) عن مجاهد والضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش. وسيأتي عن الضحاك قريباً.

(٥) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٧٥).

وقيل: يُحْمى فيكون شرابَ أهلِ النار.

وقيل: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: أي: المَفْجُور، قال: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقال ابن عباس: البحرُ المَسْجورُ: المُرْسَلُ[1]؛ كما قال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣].

وقال ابن كيسان: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: المجموع[2]، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[3]: أي: جُمِعَتْ حتى صارت بحراً واحداً.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: المُوقَدُ[4].

ثم رُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يَرْكَبَنَّ البحرَ إلَّا حاجٌّ أو مُعْتَمِرٌ أو مُجاهدٌ في سبيل الله، فإنَّ تحت البحرِ ناراً، وتحت النار بحراً، وتحت البحر ناراً»[5].

فهذه الأقاويلُ على أنَّ البحرَ هو على بحار الدنيا.

---

(١) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٩). وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٨)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٩) عن سعيد بن جبير.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٥). وقد تقدمت نسبته لعلي قريباً.

(٣) «﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾» ليس من (أ) و(ف).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٨٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٦).

(٥) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٩٣)، وأبو داود (٢٤٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٤٤٩٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٨٦٦٢)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (١/ ١٥٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٤٠): هو حديث ضعيف مظلم الإسناد، لا يصححه أهل العلم بالحديث؛ لأن رواته مجهولون لا يعرفون.

وقال عكرمةُ: هو بحرٌ تحت العرش(١).

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: أقسَمَ بهذه الأشياء أنَّ العذابَ واقِعٌ بالكفار لا محالةَ.

﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: عنهم إذا نزَلَ بهم، وذلك في اليوم الذي هُم به مُكَذِّبون.

وعن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ أُكَلِّمُه في أُسارى بدرٍ، فألفيتُه في صلاة الفجر يقرأُ سورة ﴿وَالطُّورِ﴾، فلما بلَغَ قولَه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أَسْلَمْتُ؛ خوفاً مِن أنْ يَنْزِلَ بي العذابُ(٢).

وقال الإمام القُشَيريُّ: أقسَمَ بالطُّور؛ لأنه مَحَلُّ قَدَمِ الأحبابِ وقتَ سَماعِ الخِطاب، وسَمِعَ هناك موسى ذِكْرَ محمَّدٍ وأُمَّتِه حتى نادانا مِن أصلاب آبائنا: أعطيتُكم قبلَ أنْ تسألوني.

و﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾: ما كتَبَ على نفْسِه مِن الرَّحمة لعباده، وما كتَبَ مِن قولِه: «سبقَتْ رحْمَتي غضَبي»، وما قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٠) عن علي وعبد الله بن عمرو وأبي صالح.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠١) عن أبي صالح مولى أم هانئ.
ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٥) عن علي رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٩).
ورواه مختصراً ابن حبان في «صحيحه» (٥/ ١٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٤٩٨).
وأصله في «الصحيحين» أن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور. رواه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾: قلوبُ العارفين عُمِّرَتْ بمَحَبَّتِه ومعرفتِه.

وقيل: هو مواضِعُ عباداتِهم، ومجالِسُ خَلَواتِهم.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾: عذابُه في الظَّاهرِ هو ما توعَّدَ به عبادَه العاصين، وفي الباطن الحِجابُ بعد الحُضور، والسَّتْرُ بعد الكَشْف، والرَّدُّ بعد القَبول.

قولُه تعالى: ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: إذا رَدَّ عَبْداً أُبْرِمَ القضاءُ بِرَدِّه، فلا قَبولَ له مِن بعده(١).

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾: أي: العذابُ واقِعٌ في يوم تمورُ السماءُ.

وقال مُجاهدٌ: أي: تدورُ، وهو يومُ القيامة(٢).

وقال الفراء: تدورُ بما فيها(٣).

وقال القُتَبيُّ: يدورُ أهلُها فيها(٤).

وقال الضَّحَّاكُ: أي: يموجُ أهلُها بعضُهم في بعضٍ(٥).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٣٥)، وابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ١٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٢)، والدينوري في «المجالسة» (٢٦٢٥)، وأبو الشيخ في «ذكر الأقران» (٤٣٥)، والخطيب في «الكفاية» (ص: ٣٨٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٩١).

(٤) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٢٣).

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٣). وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٩).

وقال الأخفش: تَكَفَّأُ[1]، وأنشدَ بيتَ الأعشى:

كأنَّ مِشْـيَتَها مِـن بيـتِ جارتِهـا ... مَـوْرُ السَّـحابةِ لا رَيْـثٌ ولا عَجَلُ[2]

وهو: التَّكَفُّؤُ في المشي.

وقيل: أي: تَضطربُ.

وهذا كلُّه بيانُ حالِ السماء حالَ زوالِها وتشقُّقِها.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فإنَّ الله تعالى يُسَيِّرُها، فتصيرُ الأرضُ قاعاً صَفْصَفاً.

***

(١١ ـ ١٤) ـ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: بالبعث والجزاء.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: أي: في اضطرابٍ وتَردُّدٍ في الباطل، يقولون[3] ما يعرِضُ لهم مِن غير حُجَّةٍ، بل بهوًى وشَهْوَةٍ.

وقيل: أي: في خَوْضٍ في أسبابِ الدنيا يلعبون فيها، لا يُفكِّرون في حسابٍ ولا جَزاءٍ.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: أي: يُدْفَعون إليها بعُنْفٍ وشِدَّةٍ.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: أي: يُقالُ لهم ذلك.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٦).

(٢) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٥٥)، وفيه: «مر السحابة»، وهو بيت من معلقته المشهورة.

(٣) في (ف): «يقول».

﴿ ٱصۡلَوۡهَا ﴾: أي: أُدْخُلوها وقاسُوا حَرَّها، هذا إلى آخِرِ الآيةِ مُقَدَّمٌ في المعنى، وهذا المُعْتَرِضُ[١] مُؤَخَّرٌ، وهو قولُه تعالى:

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾: يُقالُ لهم: أَفَتَخْيِيلٌ هذا العذاب الذي ترونه؟!

﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾: ليسَتْ لكم أَعْيُنٌ تُبْصِرون بها هذا؟!

وهذا تقريعٌ لهم، فقد كانوا يقولون في الدنيا في الآيات: إنَّها سِحْرٌ وتَخْيِيلٌ، ولا يُتيَقَّنُ بصِحَّتِها، فيُقالُ لهم عند رُؤية العذابِ: أَفتَتَوَهَّمون هذا تَخْيِيلاً أم ليست لكم عُيونٌ باصِرَةٌ ترونه بها ـ والخَفاءُ يكون بهذين الطَّريقين ـ أم تتيقَّنون أنه عذابٌ؟!

﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ﴾: أي: صَبْرُكم وجَزَعُكم سواءٌ، فلا يُخَفَّفُ عنكم، ولا تُرْحَمون فتُخرَجوا منها، وكانوا يقولون في الدنيا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، فيُقالُ لهم في النار: سواءٌ عليكم أَصَبَرْتُم أم جَزِعْتُم، فلا فرَجَ لكم مِن العذاب المُهين، وهم يقولون أيضاً لأنفسهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: أنتم جَلَبْتُم إلى أنفسكم هذا.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «الغرض»، وفي (ر): «معترض».

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾: وهذا بيانُ حالِ الذين يُخالِفونهم، وهُم الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصيَ، وهُم في بساتينِ الفِرْدَوسِ ونَعيمِها.

﴿فَٰكِهِينَ﴾: قال الفراء: أي: مُعْجَبين[1].

وقال القُتَبيُّ ونِفْطَوَيْهِ: ناعِمين[2].

وقيل: مُتَوَسِّعين فيما يَشْتَهونه مِن الفواكه وغيرِها.

وقيل: طَيِّبين.

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي: أعطاهم.

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: أي: حَفِظَهم.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾: أي: يُقال لهم: ﴿كُلُوا۟﴾: مِن أَطْعِمَتِها، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾: مِن أَشْرِبَتِها، ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: سائِغاً طَيِّباً لا أذًى فيها.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: جزاءً لكم بطاعتِكم في الدنيا، يُقالُ لهم هذا في مُقابلَةِ ما قيل لأولئك: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

و﴿هَنِيٓـًٔا﴾: يجوزُ نعتاً للمصدر المحذوف، ويجوزُ دُعاءً؛ كما يُقالُ: هَنَّاكُمُ اللهُ سَقْياً ورَعْياً.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٩١).

(٢) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٢٥).

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٧١) عن نفطويه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍ﴾: جَمْعُ سَريرٍ.

وقال الكلبيُّ: صُفَّ بعضُها إلى بعض[١]، طولُها مئةُ ذِراعٍ في السماء، يتقابلون عليها في الزِّيارة، وإذا أراد أحدُهم القُعودَ عليها تطامَنَتْ واتَّضَعَتْ، وإذا قعَدَ عليها ارتفعَتْ[٢].

﴿وَزَوَّجۡنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: أي: قَرَنَّاهم بحُورٍ؛ أي: سُودِ الأعيُنِ واسعاتِها.

وقال ابن عباس: يعني: أتَوْنا فُرادى، فجعلناهم أزواجاً بالحُور العِين[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿وأَتْبعناهم﴾ بالألف والنون ﴿ذرِّيّاتِهم﴾ على الجمع، ﴿**أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهم**﴾ على الجَمْعِ أيضاً، وقرأ الباقون: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾.

وقرأ نافعٌ: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ في الأول على التوحيد بالرفع، والثاني ﴿ذُرِّيَّاتِهم﴾ على الجمع بالألف.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ وابنُ كثيرٍ كليهما على التوحيد، والأولى رَفْعٌ، والثانيةُ نَصْبٌ.

وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾ بالتاء[٤]، ﴿ذُرِّيَّاتُهم﴾ على الجمع رفعاً، ﴿ألحقنا بهم ذرياتِهم﴾ على الجمع نصباً[٥].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٧) من غير نسبة.

(٢) ذكره عنه بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٣)، وفيه أن طول كل سرير ثلاث مئة ذراع.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ): «واتبعتهم» بدل من «وتبعتهم بالتاء».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

وهذا مِن تَكْميلِ النِّعَمِ عليهم في الجنة، يقول: وهؤلاء المُتَّقون الذين آمَنوا وآمَنَ أولادُهم كما آمَن آباؤُهم أَلْحَقْنا الذُّرِّيَّةَ ـ وهُم الأولادُ ـ بالآباء في الجنة في درجةٍ واحدةٍ.

يقول: وأرفَعُ الجميعَ إليها لِتَقَرَّ أعينُهم بالاجتماع في الجنة كما كان كذلكَ في الدنيا، فلا يَتَنَغَّصُ عليهم الحالُ بتَفَرُّقِ الشَّمْلِ.

ثم قيل: هذا في أولادٍ هم أقلُّ حسناتٍ مِن الآباء، يتفضَّلُ اللهُ على الآباء فيُثِيبُ[١] الأبناءَ مثلَ ثوابِ الآباء، ويتجاوزُ عن تقصير الأبناء.

وقيل: هذا في أولادٍ لم يُقَصِّروا في العمل، لكنْ كان عُمُرُهم أقصرَ مِن أعمار الآباء، فيُثِيبَ الأولادَ مثلَ ثوابِ الآباء؛ لأنه على الأعمال لا على الأعمار، فلم يَنْتَقِصْ بنُقْصانِ العُمُر.

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾: أي: ما نَقَصْناهم ـ أي: الأبناءَ ـ مِن ثواب أعمالهم بقِصَرِ أعمارهم.

وقيل: ما نَقَصْناهم مِن ثواب الآباء بسبب إلحاق الأبناءِ بهم، مع أنَّهم أقلُّ عملاً[٢] مِن الآباء، وهو كما يُروى: «مَن فطَّرَ صائماً فله مِثْلُ أَجْرِه مِن غير أنْ يَنْقُصَ مِن أجرِه شيءٌ»[٣].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾: أي: بإيمانِ آبائِهم، ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾: أي: أعطيناهم مِن الثواب ما أعطينا الآباءَ[٤].

---

(١) في (ف): «ثم يثيب».

(٢) في (ر): «أعمالا».

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٠٣٣)، والترمذي (٨٠٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣٣١٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨٣).

وقال ابن عباس: مَن أدرَكَ العملَ وعمِلَ صالحاً أُلْحِقَ بآبائِه بعمَلِهم، ومَن كان صغيراً أُلْحِقَ بآبائِه بإيمانِ آبائِه[١].

وقال أبو مِجْلَزٍ: تُجْمَعُ له ذُرِّيَّتُه في الجنة كما كان يُحِبُّ في الدنيا أنْ يجتمعوا إليه[٢].

وقال سعيدُ بنُ المسيِّب[٣]: بلَغَني أنَّ الرجل مِن أهل الجنَّة يرى درجةً أرفعَ مِن درجتِه، فيقول: أنَّى لي هذا ولم يَبْلُغْه عملي؟ فيُقال: نشأَ لكَ ولدٌ صالحٌ مِن بعدكَ، فدعا لكَ[٤].

وقال خارجةُ بن مُصْعَبٍ السَّرَخْسِيُّ: يُلْحِقُ اللهُ تعالى الذُّرِّيَّةَ الصِّغارَ بآبائهم في الدرجات، ولم يكن للذُّرِّيَّةِ أعمالٌ يَبْلُغون بها درجاتِ آبائِهم، فبلَّغَهم اللهُ تعالى تلك الدَّرَجاتِ بأعمال آبائِهم[٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٤٥٣).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨١).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٣).

(٣) في (ف): «جبير».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٧٤٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٠٦١٠)، والبزار في «مسنده» (٩٠٢٤)، والطبراني في «الدعاء» (١٢٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٣٤٥٩)، مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٥) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) لم أقف عليه.

وقولُه تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: قال ابنُ عباس: أي: مَجْزِيٌّ بكَسْبِه[١].

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾: أي: أَتْبَعْنا ما أعطيناهم فاكهةً كثيرةً لا تَنْقَطِعُ، كُلَّما أكلوا ثمرةً عادَ مكانَها مِثْلُها.

قولُه تعالى: ﴿وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: وأَمْدَدْناهم بهذا أيضاً.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾: أي: يَتَعاطَون ويتداولون في الجنة قَدَحاً فيه شرابٌ، ولا يُسَمَّى كأساً حتى يكونَ فيها شرابٌ؛ كما لا تُسَمَّى مائدةً حتى يكونَ عليها طعامٌ.

﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ كليهما بالفتح مِن غيرِ تنوينٍ، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين[٢]؛ أي: لا يَذْهَبُ هذا الشَّرابُ بعقولِهم فيتكلَّموا باللغو ـ وهو الكلامُ الباطلُ ـ فيأْثَموا به.

وقيل: اللَّغْوُ في القول، والتَّأْثيمُ في الفعل.

وقيل: أي: هو مُباحٌ لهم، لا تأثيمَ فيه بالتحريم.

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٩١) بلفظ: (﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، ووافق أبو عمرو ابنَ كثير في قراءته.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: لِلخِدْمَة.

﴿غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾: خُلِقوا في الجنة.

﴿كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾: أي: مَصُونٌ لِلَطافتِهم وصَفْوَتِهم، وقال في الجواري: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾، وهو معَ صفائِه ولَطافَتِه مأكولٌ، فأشارَ بذلكَ أنَّ الجواريَ يُتَمَتَّعُ بهن نَظَراً وتناوُلاً، والغِلْمانَ للنَّظَر دون التَّناوُل، وجمَعَتْ هذه الآيةُ نهايةَ ما يُشْتَهى، وكمالَ ما يُبْتَغى، وليس وراءَه مُنْتَهى.

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾: وهو مِن المُفاوضة التي يتِمُّ بها الاستئناسُ.

أي: أقبَلَ بعضُ أهلِ الجنة على بعضٍ يتساءلون عن أعمالهم في الدنيا التي بها وصَلوا إلى هذه النِّعَمِ بوعد الله تعالى.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: قال المسؤولون:

﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ﴾: أي: قبلَ هذا ﴿فِيٓ أَهۡلِنَا﴾: أي: مع أهلنا ﴿مُشۡفِقِينَ﴾: أي: خائِفين.

وهـؤلاء كانـوا مِن أهـل التقـوى والطاعـة، أَدَّوا فرائـضَ اللهِ تعالـى، واجتنبَوا مَحارِمَـه، إلَّا أنهم استَصْغَروا أنفسَـهم، واستَقْصَروا[1] أعمالَهم، فكانوا مُشـفقين أنْ يُؤْخَـذوا بتقصيرهم.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾: بقَبولِ الطاعات مع تقصيرِها، وعفا عن السيئات مع توفيرِها.

﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾: أي: حَفِظَنا مِن عذاب السَّموم؛ أي: الحَرُور.

---

(١) في (ر): «واستحقروا».

(٢٨) ـ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾: أي: في الدُّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أنْ يمُنَّ علينا، ويَقِيَنا عذابَ السَّموم.

قال ابن عباس: أي: حرَّ النارِ[١].

وقيل: ﴿ٱلسَّمُومِ﴾: الحَرُّ الذي يدخُلُ مَسامَّ البدَنِ فيؤلِمُه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: قرأَ نافعٌ والكسائيُّ: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بفتح الألف؛ أي: نَدْعُوه بأنه، وقرأَ الباقون بالكسر على الاستئنافِ[٢].

﴿ٱلْبَرُّ﴾: البَارُّ اللَّطيفُ.

وقال الضَّحَّاكُ: أي: الصَّادِقُ فيما وعَدَ[٣].

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: الرَّؤوفُ العَطوفُ.

وقال ابن عباس: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: خائفين مِن عذاب الله[٤].

وقال الضَّحَّاكُ: خائفين أنْ يُنْزَعَ منا الإيمانُ[٥].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: لولا أنهم قالوا: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، لكانوا قد لاحَظوا

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٣٩)، دون نسبة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩١).

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، والواحدي في «الوجيز» (ص: ١٠٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠)، دون نسبة.

(٥) لم أقف عليه.

إشفاقَهم، ولكنَّ الحقَّ اختطَفَهم عن شُهودِ إشفاقِهم، حيث أشهَدَهم مِنَّتَه عليهم حتى قالوا: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾، وقالوا: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾: أي: فَدُمْ على تذكيرِهم بهذا كلِّه، ولا تَلْتَفِتْ إلى قولِهم لكَ: إنك كاهنٌ أو مجنونٌ، فما أنتَ كذلك ﴿بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: قد أنعمَ اللهُ عليكَ بكمال العقلِ، وبرَّأَكَ مِمَّا وصفَكَ به أهلُ الجهلِ.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ﴾: وهذه مُحاجَّةٌ للمشركين، يقولُ: أتقولون: إنَّ محمداً شاعرٌ ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾؛ أي: ننتظِرُ به الموتَ فنستريحُ منه؛ كما ماتَ شاعرُ بني فُلانٍ فاستراحَ الناسُ مِن لسانِه وشَتْمِه.

و﴿ٱلۡمَنُونِ﴾: عند الكسائيِّ والأخفشِ والفرَّاءِ: الدَّهْرُ[1]، و﴿رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾: حوادثُ الدَّهرِ.

والخليلُ يقولُ: ﴿ٱلۡمَنُونِ﴾: الموتُ[2]، وهي مُؤَنَّثةٌ سماعاً، ورَيْبُها: أوجاعُها[3]، وسُمِّيَ الدهرُ مَنوناً؛ لأنه يذهَبُ بـمُنَّةِ الإنسان؛ أي: قُوَّتِه، وسُمِّيَ الموتُ مَنوناً لأنه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٣). وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥٠٠) عن الفراء، والأصمعي، والكسائي. وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٢٦) عن الكسائي.

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٣٧٥).

(٣) في (أ): «إرجاعها».

يَقْطَعُ العُمُرَ، والمَنُّ: القَطْعُ، و﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]؛ أي: غيرُ مَقْطوعٍ.

* * *

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هو تهديدٌ لا أَمْرٌ؛ أي: أنتم تتربَّصون موتي، وأنا أتربَّصُ أنْ يُظْفِرَني اللهُ عليكم فتنقادوا إليَّ بالإسلام(١)، أو يَقْتُلَكم اللهُ بيَدي وأيدي أصحابي، أو تموتوا على الكفر على الذُّلِّ والقَهْرِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾: أي: إنَّهم يدَّعون أنهم أصحابُ عُقولٍ، ويفتخرون بها، أَفَعُقُولُهم تَدْعُوهم إلى الكذب عليكَ، وتَسْمِيَتِكَ بهذه الأسماء القبيحة، والعُقولُ تدُلُّ على براءَتِكَ عن هذه الصِّفات؟

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: بل يفعلون(٢) ذلك لِطُغْيانِهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: أي: اختلَقَه؛ أي: القرآنَ.

﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بل هُم لا يُصدِّقون بما يأتيهم مِن الحقِّ.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾: أي: فليأتوا بمِثْلِ هذا القرآنِ مُتَقَوَّلاً إنْ كانوا صادقين أنَّ محمداً تقوَّلَه، فإنهم مِثْلُ محمَّدٍ في اللِّسانِ، ومعرفةِ ضُروبِ الكلام.

---

(١) في (ف): «فتنقادوا إلى الإسلام».

(٢) في (ر) و(ف): «يقولون».

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: أي: أم يقولون: إنَّهم خُلِقُوا مِن غير خالِقٍ، أم يَدَّعون أنهم خَلَقوا أنفُسَهم؟

يعني: فإذا كانوا لا يَدَّعون واحداً مِن هذين، بل يُقِرُّون أنَّ لهم صانِعاً غيرَه، فما الذي يمنَعُهم عن إفرادِه بالعِبادةِ، وعن إثباتِ القُدْرةِ له على الإعادة؟

وقيل: أم خُلِقُوا مِن غير تُرابٍ ولا نُطْفَةٍ؟ فليسوا يدَّعون هذا، بل يُقِرُّون أنَّ آدمَ خُلِقَ مِن تُرابٍ، وهُم خُلِقُوا مِن ماءٍ مَهينٍ، فما يمنَعُهم أنْ يُقِرُّوا أنهم يُخْلَقُون مَرَّةً أخرى مِن عظامٍ رَميمٍ؟

وقيل: أم خُلِقُوا مِن غيرِ آباءٍ وأُمَّهاتٍ، فهُم كالجَماد لا يعقلون ما يُذَكَّرون به، أم هُم الخالِقون هذا الخلقَ، فكذلك لا يَأْتَمِرون ولا ينتهون؛ لأنَّ الأمرَ والنَّهْيَ للخالق.

وقيل: معناه: أم خُلِقُوا مِن غيرِ حسابٍ ولا ثوابٍ وعقابٍ ـ وتقديرُه: لغير شيءٍ؛ كقولكَ: فعلْتُ هذا مِن غير شيءٍ ـ فبئس ما يَظُنُّون.

وقال ابنُ كَيْسَانَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾؛ أي: بغير شيءٍ؛ أي: تُرِكوا سُدًى، لا يُؤْمَرون ولا يُنْهَونَ.

وقال أيضاً: أَخُلِقوا عبثاً، وتُرِكوا سُدًى[1]؟ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢).

قولُـه تعالـى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: أي: أم يَدَّعـون خَلْقَهمـا، فـإذا لـم يدَّعـوا خَلْـقَ البعـضِ ولا خَلْـقَ الـكُلِّ، واعترَفوا بـأنَّ خالقَ الـكُلِّ هو اللهُ تعالـى، فلِمَ امتناعُهـم عـن توحيدِه، ونَفْـيِ الشُّـرَكاءِ عنه؟

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾: أي: ليس تكذيبُهم الرُّسُلَ وجُحودُهم البعثَ عن دليلٍ يَتَيَـقَّنون به.

وقيل: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بوعيد اللهِ بتَرْكِ النَّظَرِ والإصرارِ على الكفر.

وقيل: أي: لا يجحدون البعثَ مُوقِنين باستحالتِه، بل شَاكِّينَ في كونه.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: قيل: أم يقولون: ﴿عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مِن عِلْمِ الغَيبِ، فعَلِموا بذلك أنه كاذبٌ، وأنَّ البعثَ غيرُ كائنٍ؟

وقال عكرمةُ: ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: أي: النُّبُوَّةُ[1].

وقيل: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: مِن أرزاقِه وعَطائِه، فهُم يَمْلِكون الضُّرَّ والنَّفْعَ لأنفُسِهم ولغيرهم، فيستغنون بذلك عن ربهم؟

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: أي: أم ليس شيءٌ مِن هذا بل هُم يتمرَّدون ويتسلَّطون عليكَ جهلاً؟

وقيل: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ فهُم المالِكون أرزاقَ العبادِ، أم هُم المُسَلَّطون على الناس، المالِكون تَصْرِيفَهم كيف أرادوا؟

أي: فإذا كانوا غيرَ مالِكين ذلك، بل يُقِرُّون أنَّ اللهَ مالِكُ ذلك كُلِّه، فهل يجوزُ أنْ يكونَ عاجزاً عن البعث، أو عاجزاً عن إبانة الصَّادقِ مِن الكاذب بالدليل؟

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥٠٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٠).

وقـال أبـو عبيدةَ والأخفـشُ: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: أي: الأربابُ، يُقالُ: سَـيْطَرَ فلانٌ علـيَّ؛ أي: اتَّخَذَني مِـن خَوَلِه(١).

وقيل: أم هُم المُتَسَلِّطون بالغَلَبة بحُجَّةٍ أو عُدَّةٍ؟!

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أي: أم يَدَّعون أنَّ لهم سُلَّماً يتوصَّلون بصُعوده إلى السماء فيَسْتَمعون الأخبارَ بها، ويَصِلون بذلك إلى أخبار السماء كما يَصِلُ محمَّدٌ إليه، فيستمعون بذلك أنَّ ما هُم فيه حقٌّ، فهُم كذلك مُتَمَسِّكون به.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: أي: فلْيَأْتِ مَن يَدَّعي سَماعَ ذلك بحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ على سَماعِه، وذلك أنْ يُخبِرَ بغَيبٍ، فيَظْهَرَ كما أَخْبَرَ.

﴿لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾: أي: هُـم مِـن ضَعْـفِ العُقـول بهـذه المرتبـة يُضِيفون إلـى الله تعالـى البنـاتِ مـع أَنَفِتِهـم منهـنَّ، ومَن كان مِـن قِلَّـةِ التَّمييز بهـذه المنزلة، كيـف تَنْجَعُ فيـه الحُجَّـةُ والموعظةُ؟

وقيل: معناه: أم قد تَقَرَّرَ عندكم أنَّ ربَّكم له البناتُ، واختارَهنَّ أولاداً لنفْسِه وأَصْفاكم بالبَنينَ، فاستَدْلَلْتُم بذلكَ على كرامتِكم عليه، فقلتم: يَتْرُكنا سُدًى لا حِسابَ علينا ولا جَزاءَ؟ فلذلك لا تُبالون بشِرْكِكم ومَعاصيكم، كلَّا ما هذا كذا.

***

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣٣).

(٤٠ ـ ٤٣) ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قولُه: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾: أي: جُعْلاً لكَ مِن أموالهم على الإيمان بكَ.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: فلذلك لا يُؤمنون بك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: أي: أم يَدَّعون أنَّ عندهم عِلْمَ الغَيبِ، فهم يكتبون مِن ذلك مِثْلَ ما تأتيهم به، فيُعارِضونكَ به؟

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: إنْ يَمْكُروا بكَ بتَنْفِيرِ الناس عنكَ، وتَأْلِيبِهم عليكَ احتيالاً لِقَتْلِكَ أو لِغَلَبَتِكَ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ أي: بل ضَرَرُ كيدِهم يعودُ عليهم، فيُغْلَبون ويُخْزَون ويُهْلَكون، وهذه بشارةٌ لهم.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾: يَعْتَضِدون به، ويَلْتَجِئون إليه مما نُريدُ إنزالَه بهم مِن العذاب؛ كما قال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣].

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: هو مُنَزَّهٌ عن ذلكَ.

وقال مُقاتلٌ رحِمَه الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾: نزَلَتْ في أبي جهلٍ، والنَّضْرِ بن الحارثِ، وعُقْبَةَ، والحارثِ بنِ قيسٍ، ومُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ، ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: تُوُفِّيَ أبوه شاباً، ونحن نرجو أنْ يكونَ موتُه كَمَوْتِ أبيه(١).

وقال الحسن: ﴿ٱلْمَنُونِ﴾: الموتُ(٢).

وقال ابن عباس: الدَّهْرُ(٣)، وأنشدَ:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٤٧).

(٢) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١). =

تَرَبَّـصْ بهـا رَيْـبَ المَنـونِ لعلَّهـا تُطَلَّـقُ يومـاً أو يمـوتُ حليلُهـا(١)

وقال في قوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾: أي: لِنُزولِ العذابِ بكم، فعُذِّبوا يومَ بدرٍ.

***

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: أي: وإنْ يرَ هؤلاء المشركون قِطْعةً مِن السماء ساقطاً يَسْقُطُ عليهم وهُم يُعايِنُونها بإنزال الله ذلك حُجَّةً لكَ عليهم؛ كما سألوكَ تَعنُّتاً فقالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾، لَأَدْخَلوا على أنفسهم التَّمْويهَ، وقالوا: إنه سحابٌ مَرْكومٌ؛ يعني: رُكِمَ بعضُه على بعضٍ؛ أي: جُمِعَ، فسَقَطَ علينا، وليس بسماءٍ، وهو كقوله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾: وهذا قد يكون مِن المُعاند

= وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٣) أنه الموت.

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ١٥٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩١) من غير نسبة.
والشطر الثاني عند الطبري هكذا: سيهلك عنها بعلها أو تسرح.
ورواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح» (ص: ١٢٣)، والسراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١٥٩) عن حمدان البرتي.
ونسبه المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٣١٩)، والحاتمي في «حلية المحاضرة» (ص: ٣٩)، والراغب الأصفهاني فـي «محاضرات الأدباء» (٢/ ٢٣٠)، والمستعصمي في «الدر الفريد» (٥/ ٣١٤)، إلى فرَّاص بن عتبة الأزدي.

بعد التَّيَقُّنِ والمعرفةِ، وقد يكون مِمَّنِ استولى عليه الإِلْفُ والتَّمادي في تَرْكِ النَّظَرِ لِلحَمِيَّةِ والعَصَبِيَّةِ، فكُلُّ ما ورَدَ عليه مِن الحُجَجِ الباهرةِ أَدْخَلَ على نفْسِه التَّلبيسَ، وتَرْكَ النَّظَرِ والتَّفْتيش.

قولُه تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي: أَعْرِضْ عنهم، ولا تَحْرِصْ على أنْ يُعاجَلوا بالعذاب.

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: أي: يُهْلَكون بالصَّاعقة، وهي العذابُ المُهْلِكُ.

وقيل: هي عند النَّفْخَةِ الأولى، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

***

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾: أي: يومَ القيامةِ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: لا يَمْنَعُهم مِن عذابِ اللهِ مانِعٌ.

قرأ عاصِمٌ وابنُ عامرٍ: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضَمِّ الياء، والباقون بفتحها[1].

(صُعِقَ) بضم الصاد: أُنْزِلَتْ به الصاعقةُ، و(صَعِقَ) بالفتح: وقَعَ في الصاعقة.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أي: أَشْرَكوا، فوضَعوا العِبادةَ في غير مَوْضِعِها.

﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: قَبْلَ اليومِ الذي فيه يُصْعَقون، وهو ما نالَهم مِن القَحْطِ والسَّبْيِ والقَتْلِ يومَ بدرٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

وقال ابنُ زيدٍ: مَصائب الدُّنيا في الأموال والأولاد[١].

وقيل: هو عذابُ القبرِ. قالَه ابنُ عباسٍ والبراءُ وزاذانُ[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: يَغْفُلون عنه.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: يا محمد؛ أي: لِمَا حُكِمَ عليكَ مِن تبليغِ الرِّسالة، وتَحَمُّلِ أذى أهلِ الضَّلالة.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أي: بمَرْأًى مِنَّا، فنحن نحفَظُكَ[٣] ونَدْفَعُ عنكَ، ولا يَخْفى علينا صَنيعُكَ وصَنيعُهم، فنَجْزي كُلًّا على وَفْقِ عَمَلِه.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: صَلِّ لِربِّكَ حامِداً له.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾: مِن مَنامِكَ[٤] باللَّيل: الحمدُ لله الذي أحياني بعد ما أماتني، وإليه النُّشُورُ[٥]، وذلك صلاةُ الغَداةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٤).

(٢) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٣).

ورواه عن البراء رضي الله عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٤). ورواه عن زاذان عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٤)، والآجري في «الشريعة» (٨٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٠)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦٩).

(٣) في (ف): «نحوطك».

(٤) في (أ) و(ر): «مقامك».

(٥) «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور» زيادة من (ف).

وقيل: هو أنْ يقولَ إذا قام إلى الصلاة: سُبحانكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ. قالَه الضَّحَّاكُ والرَّبيعُ بن أنسٍ[١].

وقيل: تقومُ مِن القَيْلُولةِ، وهي صلاةُ الظُّهرِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾: أي: فصَلِّ لِرَبِّكَ أيضاً باللَّيلِ، وهي صلاةُ المغربِ والعشاءِ.

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: قال عمرُ، وعليٌّ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو هريرةَ، والحسنُ، وقتادةُ، وعكرمةُ، ومُجاهدٌ، والشَّعْبِيُّ، وزاذانُ: أي: الرَّكعتين قبل الصُّبحِ[٢].

---

(١) رواه عن الضحاك ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٢٤٠٢)، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٥).

وذكره عن الربيع الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٥).

(٢) رواه عن عمر رضي الله عنه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥٤)، والمروزيُّ في «مختصر قيام الليل» (ص: ٧٨).

ورواه عن علي وابن عباس رضي الله عنهما الطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٨).

ورواه عن أبي هريرة رضي الله عنه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٨)، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٠٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٤).

ورواه عن الحسن بن علي رضي الله عنه عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٧) عن الحسن بن علي، والحسن البصري.

ورواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٩).

وذكره الجصاصُ في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٤٤) عن عليٍّ وعمرَ والحسن بن عليٍّ وابن عباسٍ والحسن البصريِّ ومجاهد والنَّخَعيِّ والشَّعبيِّ.

وذكره عن الشعبي أيضاً الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٥).

ورواه عن زاذان ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥١).

ولم أقف عليه عن عكرمة.

وقال الحسنُ: هو أَمْرٌ بالمُواظبة على الصلوات مَفْروضِها ومَسْنُونِها.

وقيل: هي صلاةُ الفجرِ، والأمرُ للفريضة.

وقيل: التَّسبيحُ: هو الذِّكْرُ باللِّسان إذا قام مِن فراشِه إلى أنْ يدخُلَ في الصلاة. قاله عوف بن مالك[١].

وقيل: هو في حَقِّ مَن قامَ مِن مَجْلِسِه. وهو قولُ مجاهد، وعطاء، وأبي الأَحْوَصِ[٢].

وعن النبي ﷺ أنه كفَّارةُ المجلسِ[٣].

والحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، ونشكُرُه على جميع ما وعَدَ.

***

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٥) أنه قول: سبحان الله وبحمده، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٤).

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ٦٢٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٧) إلى الفريابي وابن المنذر.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥١٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٤) عن عطاء وأبي الأحوص.

(٣) روى الإمام أحمد في «مسنده» (٨٨١٨) واللفظ له، والترمذي (٣٤٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كفارة المجالس أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك».

وروى النسائي نحوه (١٠١٨٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وغيره.

سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسمِ اللهِ الذي أوحى إلى عبْدِه ما أوحى، الرَّحمنِ الذي أَغْنى وأَقْنى، الرَّحيمِ الذي إليه المُنْتَهى.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سُورةَ ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ بعدَدِ مَن صَدَّقَ بمحمد وجحَدَ به بمَكَّةَ»(١).

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، وهي اثنتان وستون آيةً، وقيل: إحدى وستون، والاختلافُ في قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وستون كلمةً.

وحروفُها: ألفٌ وثلاثُ مئةٍ وستةٌ وثمانون.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السورة: أنَّ تلك في ذِكْرِ النُّجوم، وهذه في ذِكْرِ النَّجْمِ.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّة المشركين، وفي هذه زيادةُ كرامةٍ لِسَيِّدِ المرسَلين، وبيانُ قِصَص الأوَّلين.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٤)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١٠١٦).

(١) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾: قال ابن عباس: أقسَمَ اللهُ تعالى بالقرآن إذا نَزَلَ نُجوماً[(١)]، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

وقال مجاهد: أقسَمَ اللهُ تعالى بالثُّرَيَّا إذا غابَتْ[(٢)]، والعربُ تُسَمِّي الثُّرَيَّا نَجْماً.

ويُقالُ: المرادُ به: جِنْسُ النُّجومِ، وهَوِيُّها: غروبُها.

وقيل: هَوِيُّها: انقضَاضُها لِرَجْمِ الشياطين، وهو قولُ[(٣)] ابنِ عباس أيضاً[(٤)].

وقيل: هو إسْراعُها في السَّيْرِ، لا تَفْتُرُ طالِعةً وغارِبةً.

وقال جعفرٌ الصَّادقُ: هو القسَمُ بالنَّبيِّ ﷺ إذا نزَلَ ليلةَ المِعْراجِ مِن السماء[(٥)].

وقيل: هو قسَمٌ بالعالِمِ إذا وُضِعَ في قَبْرِه؛ قال النبيُّ ﷺ: «عُلَماءُ أُمَّتي كالنُّجوم، بها يُهْتَدى في البَرِّ والبحر»[(٦)].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٨)، ومكي في «الهداية» (١١/ ٧١٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥).
وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٢٧)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤١٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٤)،

(٣) في (ف): «عن».

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٧) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٧).

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٢٦٠٠)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص: ٨٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٣٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم =

وقيل: هو قسَمٌ بنُورِ المعرفة إذا وقَعَ في القلب، قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقيل: هو قسَمٌ بالنَّبْتِ الضَّعيفِ إذا سَقَطَ، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، وتخصيصُه بالذِّكْرِ تأكيدٌ لِتَقْوِيَةِ قُلوبِ الضُّعفاء.

وقيل: هو قسَمٌ بربِّ النَّجْمِ؛ كما مَرَّ في الذَّارِياتِ.

***

(٢ ـ ٣) ـ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾: هو جوابُ القسَمِ؛ أي: ما عدَلَ عن الصَّوابِ المبعوثِ به إليكم رَسُولاً، وما جَهِلَ ما خُوطِبَ به.

وقيل: ما خابَ مِمَّا طلَبَ مِن رضى اللهِ ورحمتِه.

وقيل: أي: ﴿مَا ضَلَّ﴾: في دِينِه الذي يَدْعوكم إليه، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: أي: ما خرَجَ عن الرُّشْدِ في أسباب نفْسِه مِن أُمور دنياه ومُعاملاتِه، عرَّفَهم ما لم يَزَلْ معروفاً به مِن الأمانة والسَّداد، وكان يُسَمَّى: الأمين، ويُتَحَاكَمُ إليه في عَظائِمِ الأمور.

وقيل: ما ضلَّ قَبْلَ الوحيِ، ولا غوى بعد الوحيِ، فلم يَزَلْ كان يعبُدُ ربَّه ويُوَحِّدُه، لا يُطاوِعُ نفْسَه في شهواتِها، ويَتَوَقَّى مُسْتَقْبَحاتِ الأمور والأفعال ومُسْتَشْنَعاتِها.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: أي: بهوى نفْسِه بغير ما أُوحِيَ إليه.

و(عن) بمعنى الباء؛ كما يُقال: (رمى عن قوسِه).

***

= أوشك أن تضل الهداة». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢١): رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد، واختلف في الاحتجاج به، وأبو حفص صاحب أنس مجهول.

(٤) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾: أي: ما هو إلا وحيٌ يُوحِيه اللهُ تعالى إليه.

ولَمَّا قال مُشْرِكو[1] قريشٍ: ضلَّ محمدٌ عن دين آبائِه، أجابَ اللهُ بهذا، وسائرُ الناس كانوا يُجِيبون بأنفسهم، قال قومُ نوحٍ لنوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقال عادٌ لِهُودٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وقال فرعونُ لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، قال له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

واللهُ تعالى تولَّى جوابَ ما قالوا للمصطفى ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٢]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

وخُصُوصِيَّةٌ أخرى: قال لداود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال للمصطفى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، وقال لآدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقال للمصطفى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

ورُوِيَ عن عُرْوةَ بنِ الزُّبير أنه قال: أرادَ عُتْبَةُ بنُ أبي لَهَبٍ الخُروجَ إلى الشَّام، فقال: لآتِيَنَّ محمداً ولَأُوذِيَنَّه، فأتاه فقال: يا محمدُ، كفَرْتُ بالنَّجْمِ إذا هوى، والذي دنا فتدلَّى، فقال النبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عليه كَلْباً مِن كلابِكَ»، وكان أبو طالبٍ حاضِراً، فوجَمَ لها وقال: لقد أغناكَ اللهُ يا ابنَ أخي عن هذه الدَّعوة، خَوْفاً على ابن أخيه، فرجَعَ عُتْبَةُ إلى أبيه فأخبرَه، ثم خرجَ إلى الشام، فنزَلوا مَنْزِلاً، فأشرَفَ

---

(١) في (ف): «المشركون من».

عليهم راهِبٌ مِن الدَّيْرِ، فقال لهم: إنَّ هذه أرضٌ مُسْبِعَةٌ؛ أي: ذاتُ سِباعٍ[١]، قال عُتْبَةُ لأصحابه: أَعِينُوني هذه اللَّيْلَةَ، فإني أخافُ دعوةَ محمدٍ، فجمَعوا جِمالَهم، فأناخوها حولهم، وأَحْدَقوا بعُتْبَةَ، وفرَشوا له وَسَطَهم، وناموا، فجاء الأسدُ يَتَشَمَّمُ وُجوهَهم، ثم دنا منه، فخَدَشَه وضرَبَه حتى قتَلَه، فقال في ذلك حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه:

سائِلْ بنـي الأَشْعَرِ إنْ جئتَهم ... ما كان أنباءُ أبي واسِعِ؟
لا وسَّعَ اللهُ له قَبْرَه ... بل ضيَّقَ اللهُ على القاطِعِ
رَحِمَ نبيٍّ جَدُّه جَدُّه ... يدعو إلى نورٍ له ساطعِ
رمى رسولَ اللهِ مِن بينهم ... دُونَ قُرَيشٍ رَمْيَةَ القارعِ
أَسْبَلَ بالحِجْرِ لِتكْذِيبِه ... دُونَ قُرَيشٍ نُهْزَةُ[٢] القادِعِ
فاستوجَبَ الدَّعوةَ منه بما ... بَيَّنَ للنَّاظِرِ والسَّامعِ[٣]
أنْ سَلَّطَ اللهُ به كَلْبَه ... يمشي الهُوَيْنا مِشْيَةَ الخادِعِ
حتى أتاه وَسْطَ أصحابِه ... وقد عَلَتْهُمْ سِنَةُ الهاجِعِ
فالتقَمَ الرأسَ بِيَافوخِه[٤] ... والنَّحْرَ منه فَغْرَةَ الجائعِ
ثم علا بعدُ بأنيابِه ... مُنْعَفِراً وَسْطَ دمٍ ناقِعِ

---

(١) «أي ذات سباع» زيادة من (ف).

(٢) النهزة كالفرصة وزناً ومعنًى. وانظر التعليق الآتي.

(٣) جاء في (أ) بعد هذا البيت ما يعدُّ شرحاً لما قبله، ولعل موضعه في الحاشية دون المتن، وهو: «أي: أسبل ثيابه في حجر الكعبة ليكذب محمداً، وهو ـ أي عتبة ـ فرصةُ المفحش؛ أي: من أراد شتمه وجده أهلاً له».

(٤) بيافوخه: اليافوخ: حيث التقاء عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره. انظر: «المحكم» لابن سيده (٥/ ٢٣٩).

قَـــد كان هـــذا لكـــمُ عِـــبْرَةً للسَّـــيِّدِ المَتْبـــوعِ والتَّابـــعِ
مَـــن يرجِـــعُ العـــامَ إلى أهلِـــه فمـــا أكيـــلُ السَّـــبْعِ بالرَّاجـــعِ[1]

***

(٤ ـ ٦) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: أي: عَلَّمَ محمداً ﷺ جبريلُ وحيَ اللهِ، وهو شديدُ القُوى. قالَه[2] ابنُ عباس وقتادة والرَّبيع[3]؛ أي: في نفْسِه وعِلْمِه، وهو كما قال في موضعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ﴾.

ومِن قُوَّتِه ما ذكَرْنا في قصة لوطٍ مِن رَفْعِه القريَّاتِ إلى السماء ثم تَقْلِيبِها، ومِن قُوَّتِه ما رُوِيَ أنه ضرَبَ بجناحِه إبليسَ على عَقِبِه[4] بمكَّةَ فألْقاه بالهند.

وقولُه: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: أي: ذو إِحْكامٍ كالحَبْلِ المُمَرِّ المُوثَقِ بالفَتْلِ.

وقيل: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: في أوامرِ اللهِ تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾؛ أي: ذو قُوَّةٍ في جِسْمه.

---

(١) روى الحادثة بتمامها مع الشعر باختلاف يسير: الدولابيُّ في «الذرية الطاهرة» (٧٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٤٥٤) إلى قوله: (فغرة الجائع)، وقوام الدين الأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص: ٢٢٠)، وذكرها الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والطيبي في «فتوح الغيب» (١٥/ ٧٣) وقال: وأثر الصنعة ظاهر في هذه الأبيات.

(٢) في جميع النسخ الخطية: (قال)، والصواب المثبت.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩) عن قتادة والربيع. وذكره المجاشعي في «النكت» (ص: ٤٦٨)، والأصبهاني في «إعراب القرآن» (ص: ٤٠٥) عن ابن عباس وقتادة والربيع.

(٤) في (ر): «عنقه».

وقيل: أي: ذو خَلْقٍ حسَنٍ.

وقال قتادة: أي: ذو خَلْقٍ طويلٍ حسَنٍ[١].

وقيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: أي: ذو استمرارٍ ومُرورٍ في الجوِّ في انحدارِه وصُعودِه سريعاً في ذلك.

وقال نِفْطَوَيْهِ: أي: ذو رأيٍ مُحْكَمٍ.

وصَرْفُ هذه الصِّفَةِ[٢] إلى جبريل عليه السلام قولُ مُجاهدٍ وقتادةَ وأبي العالية وجماعةٍ[٣]، وسياقُ هذه الآيةِ على قولهم.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾[٤]: أي: جبريلُ واقِفاً في الهواء بعد أنْ كان ينزِلُ مُسْرِعاً في كلِّ مَرَّةٍ.

* * *

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: مِن الهواء قريباً مِن السماء.

وقيل في ذلك: إنه كان بمَطْلَعِ الشمس. قالَه قتادةُ[٥]، والأُفُقُ: النَّاحِيَةُ، وجمعُه: الآفاقُ.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٧)، ومكي في «الهداية» (١١/ ٧١٤٢).

(٢) في (ف): «القصة».

(٣) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٩ ـ ١١) عن قتادة ومجاهد والربيع.

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٨٥) عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وعلقمة وقرة بن شراحيل وأكثر أهل التفسير.

وقال القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١١): هو قول سائر المفسرين سوى الحسن، فإنه قال: هو الله عز وجل. وسيأتي قوله قريباً.

(٤) بعدها في (ر): «سريعاً في ذلك».

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩)، والثعلبي في =

﴿ثُمَّ دَنَا﴾: جبريلُ مِن الأرض.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: فاسترسَلَ إلى محمد ﷺ.

وقيل: نكَسَ رأسَه لِتَبْليغ وحيِ الله تعالى إلى محمد ﷺ.

﴿فَكَانَ﴾: قُرْبُ ما بينهما ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: أي: قَدْرَ قوسين.

وقيل ـ وهو قول ابن عباس ـ: أي: قَدْرَ ذِراعين[1]، ويُسَمَّى الذِّراعُ قوساً؛ لأنَّه يُقاسُ به المَذْروعُ؛ أي: يُقَدَّرُ.

﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: قيل: بل أدنى مِن ذلك، فلم يكن بالقَريبِ المُلاصِقِ، ولا بالبعيد المانع مِن التَّمَكُّن مِن النَّظَر إليه، وهو المقدارُ المعقولُ مِن مَجالسِ الخَواصِّ مِن العُظَماء في الدنيا، وهو يَجْمَعُ تقريباً مِن العَظيم للمُجالس، وتعظيماً مِن المُجالِسِ له[2].

***

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: أي: بلغ جبريلُ الوحي.

﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: أي: إلى عبد الله.

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾: أي: ما أوحى اللهُ تعالى إلى جبريل، وأمرَه أنْ يُبَلِّغَه إلى المصطفى ﷺ.

= «تفسيره» (٩/ ١٣٧) من غير نسبة. وذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٣٩٢) عن مجاهد.
ورواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾.

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٥). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٨).

(٢) في (أ): «تقريباً من العظيم للجالس وتعظيماً من الجالس» وفي (ف): «تقريباً من العظماء للجالس وتعظيماً من الجالس له».

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ(١): ﴿ما كذَّب﴾: بالتشديد، والباقون بالتخفيف(٢).

﴿ٱلْفُؤَادُ﴾: أي: فؤادُه، بالألف واللَّامِ بدلٌ عن الإضافة؛ كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

ومعنى التَّخفيفِ: ما كذَبَ فؤادُه فيما رأى محمدٌ بعينه جبريلَ، وفيما وعى مِن عِلْمِه، وبالتَّشديدِ: لم يوجَدْ مِن قلبِه التَّكذيبُ لِمَا رآه بعينه، ولا إنكارُه.

* * *

(١٢) ـ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿أَفتَمْرُونَه﴾، ومعناه: أَفَتَجْحَدُونه أيُّها المشركون؟

وقرأ الباقون: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾(٣): أي: أَفَتُجَادِلونه على ما يرى؟ فتقولون: إنه لم يرَ جبريلَ عليه السلام، وإنما رأى شيطاناً؛ كما ترى(٤) الكهَنةُ الشياطينَ.

وإنما قال: ﴿يَرَىٰ﴾، ولم يقل: (رأى)؛ لأنه كان يراه في كلِّ نُزولٍ، فهو على الفعلِ الدَّائمِ.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «رأيتُ جبريلَ مُنْهَبِطاً قد ملأَ ما بين السماء والأرض، عليه ثِيابُ سُنْدُسٍ مُعَلَّقٌ بها اللُّؤْلُؤُ والياقوتُ»(٥).

---

(١) في (ف): «عباس».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، وقراءة التشديد رواها هشام بن عمار عن ابن عامر. وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالتخفيف كباقي السبعة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

(٤) في (أ): «رأى».

(٥) رواه ابن راهويه في «مسنده» (١٤٢٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٤٨٨٥)، وأبو العباس =

وعنها أيضاً: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرَجَ ذاتَ يومٍ، فإذا هو بجبريل عليه السلام على الشمس، له جَناحٌ بالمشرق، وآخَرُ بالمغرب[١].

ورُوِيَ: أنَّ حمزةَ بنَ عبد المُطَّلِب قال: يا رسولَ اللهِ، أَرِني جبريلَ في صُورتِه، فقال: «إنَّكَ لا تستطيعُ أنْ تنظُرَ إليه»، قال: بلى يا رسولَ اللهِ أَرِنيه، فقعَدَ ونزَلَ جبريلُ على خَشَبَةٍ في الكعبة كان المشركون يَضَعون عليها ثيابَهم إذا طافوا، فقال النبيُّ ﷺ: «ارفَعْ طَرْفَكَ يا حمزةُ، فانْظُرْ»، فرفَعَ عينيه، فإذا قدَماه كالزَّبَرْجَدِ الأخضرِ، فخَرَّ مَغْشِيًّا عليه[٢].

ورُوِيَ: أنَّ النبيَّ ﷺ سأل جبريلَ أنْ يراه على صورته، فقال: إنَّ الأرضَ لا تَسَعُني، ولكنِ انظُرْ إلى السماء، فرآه على صُورته، ثم دنا منه، فكُلَّما دنا منه انتقَصَ[٣]، فلما قرُبَ منه مقدارَ قوسين رآه على صُورته التي كان يراه عليها في كلِّ مَرَّةٍ[٤].

ورُوِيَ: أنَّه رآه على فرَسٍ والدُّنيا كلُّها بين كَلْكَلِه[٥]، وفي وجْهِه أُخْدُودٌ مِن البُكاء، لو أُلْقِيَتِ السُّفُنُ فيها لَجَرَتْ، فقال في هذه الحادثة في سُورةٍ أخرى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[٦].

= السراج في «حديثه» (١٤١٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٦٨).

(١) رواه مطولاً الطيالسي في «مسنده» (١٦٤٣)، وابن راهويه في «مسنده» (١٦٨٩)، من طريق رجل عن عائشة. ورواه الحارث في «مسنده» (٩٢٨) فسمى المبهم وهو يزيد بن بابنوس، لكن شيخ الحارث فيه داود بن المحبر وهو متروك كما في «التقريب».

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٨١) وقال: هكذا روي هذا عن عمار بن أبي عمار، وهو مرسل.

(٣) في (ر): «انتقض».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٤٣٨) من غير إسناد.

(٥) الكَلْكَلُ: الصدر. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٣٣٣).

(٦) لم أقف عليه.

(١٣ ـ ١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: أي: رأى جبريلَ أيضاً مَرَّةً أخرى ليلةَ المعراجِ.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: في السماوات.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: أي رآه على صُورته مَرَّةً في الدنيا، ومَرَّةً عند سِدْرَة المُنْتهى، على هذا بعضُ المُفَسِّرين.

وقال الحسنُ البَصْريُّ وجماعةٌ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: أي: علَّمَه الله[1]، وهو وصفٌ مِن الله تعالى نفْسَه بكمال القُوَّةِ والقُدْرة، وهو كقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢]، وقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾: أي: ذو إحكامٍ للأمور والقضايا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩]، وبيَّنَ المكانَ الذي فيه عَلَّمَه بلا واسطةٍ فقال: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: أي: محمدٌ، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: فوقَ السماوات، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾: هو بيانُ قُرْبِ الكرامةِ لمحمد ﷺ مِن ربِّه.

والإسراءُ برسولِه ﷺ في اليقظة بجِسْمه ليلاً مِن المسجد الحرام إلى بيت المَقْدِس، ثم منه إلى السماء، ثم منه إلى سِدْرَةِ المنتهى، ثم منه إلى ما شاء الله تعالى= حَقٌّ صِدْقٌ، ذكَرَه اللهُ تعالى في أوَّلِ سورة بني إسرائيل، وفي هذه السورة، وقد وردَتْ أحاديثُ كثيرةٌ أشَرْنا إلى بعضِها في أوَّلِ سورة بني إسرائيل، وقد أورَدْناها في كتابٍ جَمَعْناه في ذلك[2]، وقد قال به أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، وأنكَرَه أهلُ الضَّلالةِ والبِدْعَةِ.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٨٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٧) عن الحسن البصري.

(٢) لعله: «كتاب ما ورد من الأخبار في ذكر معراج النبي المختار وفوائده ولطائفه»، ذكره المؤلف في أول الإسراء.

واختلَفَتِ الرواياتُ في تعيين تلك الليلة:

قيل: كانت ليلةَ السَّابعِ والعشرين مِن رجَبٍ.

وقيل: كانت ليلةَ السَّادسَ عشرَ مِن شهر رمضانَ.

وقيل: كانت ليلةَ الثاني عشرَ مِن شهر ربيعٍ الأوَّلِ.

وقيل: كانت ليلةَ السبتِ.

وقيل: كانت ليلةَ الإثنينِ.

وقيل: كانت بعد المَبْعَثِ بسنتين.

وقيل: بثلاث سنين.

وقيل: كانت قبلَ الهجرةِ بثمانيةَ عشرَ شهراً، أتاه جبريلُ عليه السلام ومعه خمسون ألفَ ملَكٍ لهم زَجَلٌ بالتَّسْبيح، ورسولُ اللهِ ﷺ في بيتِ أمِّ هانئٍ ومعه ميكائيلُ، فقال: قُم يا محمَّدُ، فإنَّ الجَبَّارَ يَدْعوكَ إلى حَضْرَتِه[1]، فخرَجَ فإذا بالبُرَاقِ.

قال الواقديُّ: وهي دابَّةٌ فوق الحمار ودُونَ البَغْلِ، جسَدُها مِن ياقوتةٍ حمراءَ، وعنُقُها مِن زُمُرُّدٍ أخضَرَ، وأُذُناها بَيْضاوانِ، وذنَبُها كذَنَبِ البَقَرِ، وعيناها مِثْلُ الزُّمُرُّدَةِ.

وقال محمد بنُ إسحاقَ: كانت خضراءَ، وعُنُقُها حمراءُ.

وقيل: كان رأسُها مِن زَعْفَرَانٍ، وصَدْرُها مِن ياقوتٍ، ويداها مِن لُؤْلُؤٍ، ورجلاها مِن زَبَرْجَدٍ، ووَجْهُها كوجه الإنسان، وعُرْفُها كعُرْفِ الفرَسِ، وأُذُناها كأُذُنِ الفِيلِ، وعُنُقُها كعُنُقِ البعير، وصَدْرُها كصَدْرِ البغال[2]، وقوائِمُها كقوائمِ البقَرِ، وبَطْنُها بالألوان المختلفة[3].

---

(١) «إلى حضرته» من (أ).

(٢) في (ر): «الإبل».

(٣) لم يرد في هذه الأوصاف ما يحتج به، والمعتمد فيه رواية الصحيحين، انظر التعليق الآتي.

قال: «فرَكِبْتُها، فكانت إنْ تركْتُها سارَتْ، وإنْ حرَّكْتُها طارتْ، خَطْوُها مَدُّ البَصَرِ، والملائكةُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي»[1].

ثم كان في الطَّريقِ أعاجيبُ، وفي بيت المَقْدِس رأى النبيين وأَمَّهم، وبَشَّروه في أُمَّتِه بكل خيرٍ، ثم صَعِدَ إلى السماء، ورأى في كلِّ سماءٍ أعاجيبَ وجماعةً مِن الرسل، ورقَّاه اللهُ إلى ما رَقَّاه، ولَقَّاه ما لَقَّاه، وأراه ما أراه، وخَصَّه بقُرْبٍ لم يكن لأحدٍ قَبْلَه، ولا يكونُ لأحدٍ بَعْدَه، وهو قولُه تعالى: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، أي: على طرف الكون.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قيل: أي: دنا مِن كرامةِ الله، ولم يُرِدْ به قُرْبَ المكانِ، فإنَّ اللهَ تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان، خلَقَ كلَّ مكانٍ، ولا حاجةَ له إلى مكانٍ، وإنما هو قُرْبُ المَنْزِلَةِ والدَّرَجة والكرامة والزُّلْفَة.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: سجَدَ للهِ تعالى؛ لأنه قال: «وجدتُ ما وجدتُ بالخِدْمة فأزيدُ في الخِدْمة، وفي السَّجْدة وعدُ القُرْبةِ، فأزدادُ قُرْباً على قُرْبٍ، وحُبًّا إلى حُبٍّ»[2].

فانتهى إلى مكانٍ لم يَدْرِ الكونُ أين قدَمُه، ولم تَدْرِ قدمُه[3] أين نفْسُه، ولم تَدْرِ نفْسُه أين قلبُه، ولم يَدْرِ قلبُه أين روحُه، ولم تَدْرِ روحُه أين سِرُّه، فكأنَّ الكونَ يطلُبُ قَدَمَه، وقَدَمَه تطلُبُ نفْسَه، ونفْسَه تطلُبُ قلبَه، وقلبَه يطلُبُ رُوحَه، ورُوحَه تطلُبُ سِرَّه.

---

(١) لم أقف عليه، لكن قوله: «خطوها مد البصر» رواه بلفظه الحميدي في «مسنده» (٤٤٨)، والبزار في «مسنده» (٢٩١٥)، من حديث حذيفة رضي الله عنه. وروى معناه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤)، من حديث مالك بن صعصعة: «.. ثُم أُتيتُ بدابَّة أبيضَ، يقالُ له: البُرَاقُ، فوق الحمار، ودون البغل، يقعُ خَطْوُه عند أَقْصَى طَرْفه..».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ف): «القدم».

قالوا: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: إشارةٌ إلى مَقامِ نفْسِه، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: إشارةٌ إلى مَقامِ قلبِه، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: إشارةٌ إلى مقامِ رُوحِه، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: إشارةٌ إلى مَقام سِرِّه، فكانت نفْسُه في مَقامِ الخِدْمة، وقلبُه في مَقام المَحَبَّة، ورُوحُه في مَقامِ القُرْبة، وسِرُّه في مَقامِ المُشاهدة، وكانت حياةُ نفْسِه بالخدمة، وبقاءُ قلبِه بالمحبَّة، وقيامُ رُوحِه بالقُرْبة، وغذاءُ سِرِّه بالمشاهدة، ولو نظَرَتْ نفْسُه إلى الكون لَبَقِيَتْ بلا خِدْمةٍ، ولو نظَرَ قلبُه إلى نفْسِه لَبَقِيَ بلا مَحبَّةٍ، ولو نظَرَ رُوحُه إلى قلبه لَبَقِيَ بلا قُرْبَةٍ، ولو نظَرَ سِرُّه إلى رُوحه لَبَقِيَ بلا مُشاهدةٍ.

وسُئِلَ أبو الحسين النُّورِيُّ عن هذا المقام، فقال: لم يَسْعَ فيه جبريلُ، فمَن النُّوريُّ؟!

ثم قال: ﴿دَنَا﴾: يكونُ في أفهامنا بَعْدَ البُعْدِ ولا بُعْدَ ثَمَّ، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: يكونُ في مكانٍ ولا مَكانَ ثَمَّ، ﴿فَكَانَ﴾: عبارةٌ عن زمانٍ ولا عِبارةَ ثَمَّ ولا زمانَ، ﴿قَابَ﴾: إشارةٌ إلى مِقْدارٍ ولا إشارةَ ثمَّ، ﴿قَوْسَيْنِ﴾: مِثالٌ ولا مِثالَ ثَمَّ، ﴿أَوْ﴾: كلمةُ شَكٍّ ولا شَكَّ ثَمَّ، ﴿أَدْنَىٰ﴾: مُبالغةٌ في أنه أدنى مِن دانٍ آخَرَ ولا دانٍ معه ثَمَّةَ، فقد قصُرَتْ عنه العلوم، وطاشَتْ عنده الفُهوم، ولم يكنْ لأهلِ المعرفة أنْ يذكُروا فيه شيئاً إلا أنْ قالوا: معناه: دنا عبداً فتدلى فَرْداً، دنا مَكِّيًّا فتدَلَّى مَلَكِيًّا، دنا قُرَشِيًّا فتدَلَّى عَرْشِيًّا، دنا مُجاهِداً فتدَلَّى مُشاهِداً، دنا طَالِباً فتدلَّى واصِلاً، دنا ومعه الزَّحْمَةُ فتدَلَّى ومعه الرَّحْمةُ، دنا افتقاراً فتدلَّى افتخاراً، دنا مُنادِياً فتدَلَّى مُناجِياً، دنا مادِحاً فتدَلَّى مَمْدوحاً، دنا شاكِراً فتدَلَّى مَشْكوراً.

وقيل: أحدُهما صفةُ اللهِ تعالى، والآخَرُ صفةُ محمد، ومعناه: كان هو يتقرَّبُ واللهُ يُقَرِّبُه، وكان هو يتكلَّمُ واللهُ يَسْمَعُه، وكان هو يسأَلُ اللهَ واللهُ يُعطِيه، وكان هو يَشْفَعُ واللهُ يُشَفِّعُه، وكان هو ينظُرُ في آياتِ الله واللهُ ينظُرُ في آدابِ رسولِ الله.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾: قد مَرَّ بعضُ الشَّرحِ فيه، وهو تقريرُ خاصِّيَّةٍ كانت له في تقريبِ المَنْزِلَةِ في الأفهام، وتأكيدُ حُرْمَةٍ وقعَتْ له مُصَوَّرَةً في الأوهام، مُمَثَّلَةً بما يتسارَعُ[1] إليه عُقولُ الأنام، فكانت عُظَماءُ العرب إذا أرادوا تأكيدَ عهدٍ وتوثيقَ عَقْدٍ لا يُنْقَضُ ولا يُرْفَض، أحضَرَ المتعاقدان قَوْسَيْهِما، فجَمَعا بينهما، وقَبَضا عليهما، ونزَعاهما جميعاً، ورَمَيَا عنهما سَهْماً واحداً، يُشِيران بذلك إلى الاتِّحادِ الكُلِّيِّ، والاجتماعِ[2] الأصليِّ، فكان بعدَ ذلك رِضا أحدِهما رضا الآخَرِ، وسَخَطُ أحدِهما سَخَطَ الآخَرِ، فكأنَّه قال: أَكَّدْنا المحبَّةَ، وأَبْرَمْنا القُرْبَةَ، فمَقْبُولُه مَقْبولي، ومَرْدُودُه مَرْدودي، وأبانَ ذلك في آياتٍ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١٥]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النور: ٥٢]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]، فما هوَ له فهو لي، وما هو لي فهو له، وهذا مَقامٌ ليس فوقَه مَقامٌ.

وقيل: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: أرسَلَ نفْسَه في هذا المكان، فقال: أنا لا أرجِعُ عن هذا المكان، فإني لا أَصْبِرُ عنه، فقيل له: إنَّ الذي أحضَرَكَ هذا المقامَ قادِرٌ على أنْ

---

(١) في (ف): «لا يتسارع».

(٢) في (أ): «والإجماع».

يُحْضِرَكَ هذا المكانَ وأنتَ في الدنيا، فارجِعْ فادْعُ إلينا الهاربين، فإذا استَوْحَشْتَ مِن الخَلْقِ، واشتَقْتَ إلى هذا المكان، فتُحْرِمُ للصلاة نُقَرِّبُكَ ونُبَلِّغُكَ هذا المقامَ؛ ولذلك كان يقول: «أَرِحْنا يا بلالُ»[١]، وكان يقولُ: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة»[٢].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: أدناه حتى لا دُنُوَّ، وأخذَه عنه حتى لا غير، وأَصْحاهُ لَمَّا مَحاهُ عنه، وقال له ما قال، ولم يُطْلِعْ أحداً على ما بينهما مِن السِّرِّ، وأخبَرَ أنه ما يَنْطِقُ عن الهوى، ومتى يَنْطِقُ عن الهوى مَن هو في مَحَلِّ النَّجْوى، وظاهرُه مَزْمُومٌ بزِمام التَّقوى، وفي السِّرِّ هو في إيواء المولى؟! مُصَفًّى عن كُدُوراتِ البَشَرِيَّةِ، مُرَقًّى إلى شُهودِ الأَحَدِيَّةِ، مُكاشَفٌ بجَلالِ الصَّمَدِيَّةِ، مُخْتَطَفٌ عنه بالكُلِّيَّةِ، لم تَبْقَ فيه إلا للحقِّ بالحقِّ بَقِيَّةٌ، فمَن كان هذا صِفَتُه أنَّى يَنْطِقُ عن الهوى؟![٣]

وقولُه تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾: أي: أوحى اللهُ في ذلك المقامِ ما أوحى، فأخفى كلَّ شيءٍ نسَبَه إليه؛ إشعاراً بأنه الحبيبُ الأَخَصُّ، فقال في مَقامه: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وقال في نثاره: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، وقال فيما رآه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، وقال في الوحيِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٩٤٠)، وأبو داود (٤٩٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٢١٤) من حديث رجل من خزاعة.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٠٨٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٣٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٦٢١٥) من حديث رجل من أسلم.

قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٦٢): رواه أبو داود، وسنده رجال الصحيحين، إلا شيخه مسددا، فانفرد عنه البخاري.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٩٣٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٤٠٣٧)، والبزار في «مسنده» (٦٨٧٩)، والنسائي (٣٩٤٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢).

وكذلك أحوالُ الأحبابِ، وتكلَّموا فيه:

فقيل: الأقربُ إلى الأدَبِ السُّكوتُ، فإنه ما أخفاه ليكون لكلِّ أحدٍ إظهارُه.

وقيل: قَدَّرَ ما وقَفَ عليه بخَبَرٍ أو أثَرٍ أو استدلالٍ، فلا بأسَ بِذِكْرِه.

وقيل: أوحى إليه قولَه تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخره، كان ذلك وحياً إليه في ذلك المقامِ بغير واسطة جبريل.

وقال ابن عباس: قال اللهُ تعالى له: عَبَدْتَنا في الخَلْوَةِ، فاشْفَعْ لِأُمَّتِكَ في الخَلْوَةِ(١).

وقالت عائشةُ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو قولُ اللهِ تعالى: لولا العِتابُ ما كان معَ أُمَّتِكَ الحِسابُ»(٢).

ورُوِيَ: أنَّ اللهَ تعالى قال له: «قل لأُمَّتِكَ: إنْ أَحْبَبْتُم أحداً لإحسانه إليكم فأنا أولى به منكم لِكَثْرَةِ نِعمتي عليكم، وإنْ أنتم خِفْتُم أحداً مِن أهل السماء والأرض فأنا أولى بذلك لِكَمال قُدْرتي، وإنْ أنتم رَجَوْتُم أحداً فأنا أولى بذلك لأَنِّي أُحِبُّ عِبادي، وإنْ أنتم استحيَيْتُم مِن أحد لِجَفائِكم إياه فأنا أولى بذلك لأنَّ منكم الجَفاءَ ومني الوَفاء، وإنْ أنتم آثَرْتم أحداً بأموالكم وأنفسكم فأنا أولى بذلك لأني مَعْبودُكم، وإنْ صَدَّقْتُم أحداً في وعده فأنا أولى بذلك لأني أنا الصَّادقُ»(٣).

وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: أوحى اللهُ إليه: أَلَمْ أَجِدْكَ يتيماً فآوَيْتُكَ، ووجدتُكَ ضالًّا

---

(١) ذكره الصفوري في «نزهة المجالس» (٢/ ١١٩)، ولعله نقله عنه المصنف.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

فهدَيْتُكَ، ووجدتُكَ عائِلاً فأَغْنَيْتُكَ، ألم أشرَحْ لكَ صدرَكَ، ألم أضَعْ عنكَ وِزْرَكَ، ألم أرفَعْ لكَ ذِكْرَكَ[١]؟!

وقيل: أوحى اللهُ إليه: إنَّكَ القاسِمُ بين الجنة والنار.

وقيل: أوحى إليه: إنَّ الجنَّةَ مُحَرَّمَةٌ على الأنبياء حتى تَدْخُلَها أنتَ، وعلى الأُمَمِ حتى تَدْخُلَها أُمَّتُكَ.

وقيل: أوحى إليه: خصَصْتُكَ بحوضِ الكوثر، فكلُّ أهلِ الجنَّةِ أضيافُكَ بالماء، فلهم الخَمْرُ واللَّبَنُ والعَسَلُ.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: إنِّي ضَمِنْتُ الرزقَ لعبادي وأُمَّتُكَ لا يَثِقون بذلك، وخلقْتُ[٢] النارَ لأعدائي وهُم يجتهدون أنْ يدخلُوها، وأنا لم أُطالِبْهم بعمَلِ الغدِ وهُم يَطْلُبون مني رِزْقَ الغدِ، وأنا لا أُعْطِي رِزْقَهم غيرَهم وهُم يُؤَدُّون طاعتي لِرؤية غيري، وأنا المُعِزُّ والمُذِلُّ وهُم يَرْجُون ويخافون غيري، وأنا المُنْعِمُ عليهم وهم يشكُرون لغيري.

يُروى هذا عن فاطمةَ رضي الله عنها: أنها سألَتْ رسولَ الله ﷺ عن هذا، فقال هو هذا[٣].

---

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٩٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥١١)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٦٣) والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٢) عن سعيد بن جبير، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٨٢) من غير نسبة.

(٢) في (أ) و(ر): «وجعلت».

(٣) لم أقف عليه.

وقيل: أوحى إليه: وَهَبْتُ لكَ ثُلُثَ أُمَّتِكَ الليلةَ، وأَهَبُ لكَ الثُّلثين يومَ القيامة.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: يا محمدُ، لم أُكْثِرْ مالَ أُمَّتِكَ لئلا يكثُرَ[١] في القيامة حِسابُهم، ولم أُطِلْ أعمارَهم لِئلَّا تقسوَ قلوبُهم، ولم أُفاجِئْهم بالموت لِئلَّا يكونَ بدون التوحيد خروجُهم مِن الدنيا[٢]، وأَخَّرْتُهم في الدنيا عن الآخرين لِئلَّا يطولَ في القبور حَبْسُهم.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: إنَّ أُمَّتَكَ يُطيعون ويَعْصون، وطاعتُهم برِضَائي، ومعصيتُهم بقضائي، فما كان برضائي أَقْبَلُه فأنا كريمٌ، وما كان بقضائي أغفِرُه فإني رحيمٌ.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: «عِشْ ما شِئْتَ فإنكَ مَيِّتٌ، وأحبِبْ ما شِئْتَ فإنكَ مُفارِقُه، واعمَلْ ما شئتَ فإنك مَجْزِيٌّ به»[٣].

وقيل: أوحى إليه: كُنْ آيِساً مِن الخَلْق فليس بأيديهم شيءٌ، واجعل صُحْبَتَكَ معي فإنَّ مَرْجِعَكَ إليَّ، ولا تجعلْ قلبَكَ مُتَعَلِّقاً[٤] بالدنيا فما خَلَقْتُكَ لها.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: أي: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ.

---

(١) في (ف): «ليطول» بدل: «لئلا يكثر»

(٢) في (ر): «لئلا يكون بدون التوبة في الدنيا خروجهم»، وفي (ف) مثله لكن تحرفت: «التوبة» إلى: «الموت».

(٣) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٨٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٥٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

والطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والقضاعي في «مسنده» (٧٤٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) في (ف): «معلقاً».

﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: قيل: مَرَّةً أخرى، و﴿نَزْلَةً﴾: مَرَّةٌ مِن النزول؛ أي: نزَلَ بسِدْرَةِ المنتهى ليلةَ المعراج، فرآه بها على صورته.

قال ﷺ: «رأيتُه عند سِدْرةِ المنتهى، عليه سِتُّ مئةِ جَناحٍ، يتناثَرُ منها الدُّرُّ والياقوتُ»(١).

وسِدْرَةُ المُنْتَهى: شجرةُ نَبِقٍ، ولها حُسْنُ المَنْظَرِ، وطِيبُ الرائحةِ، وحلاوةُ الثَّمَرِ، وورقُها كآذانِ الفِيَلَةِ في الكِبَر، وثمَرُها كقِلالِ هَجَرٍ(٢)، وهي مقامُ جبريلَ، وأَمَّ فيها رسولُ الله ﷺ ملائكةَ السماء في الوِتْر، فكان إمامَ الأنبياءِ في بيت المَقْدِس، وإمامَ الملائكةِ عند سِدْرَةِ المنتهى، فظهَرَ بذلك فَضْلُه على أهل الأرض والسماء.

وسُمِّيَتْ سِدْرَةَ المنتهى عند كعبٍ؛ لأنَّ رؤيةَ الملائكةِ تنتهي إليها، لا تَرى ملائكةُ السماوات ما فوقَها، وهي في السماء السابعة(٣).

وقال ابن مسعود والضحاك: ينتهي إليها ما يعرُجُ إلى السماء(٤).

---

(١) رؤيته له عليه سِتُّ مئةِ جَناحٍ متفق عليه، فقد رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
والحديث بتمامه رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩١٥)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٥٣٦٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٠٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً.

(٢) هَجَر: قرية قريبة من المدينة، كانت تعمل بها القِلال، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها تُقَلُّ؛ أي: ترفع وتحمل. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: قلل).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٥)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٦).

(٤) رواه عن ابن مسعود: مسلمٌ (١٧٣)، والترمذيُّ (٣٢٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤).
ورواه عن الضحاك: الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩).

وقيل: تنتهي إليها أرواحُ الشُّهداءِ.

وقال ابن عباس: إليها ينتهي عِلْمُ العُلَماءِ، ولا يَعْلَمَ ما وراءَها إلا الله[(١)].

وقيل: إليها ينتهي ما يَهْبِطُ مِن فوقها، وإليها ينتهي ما يَصْعَدُ مِن تحتها.

وقيل: إليها تنتهي كرامةُ اللهِ لأوليائه.

وقولُه تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: وهي جنَّةُ الخُلْدِ.

وقيل: أوى إليها آدمَ وحوَّاء.

وقيل: تأوي إليها أرواحُ الشُّهداءِ.

وقيل: يأوي إليها أهلُها يوم القيامة.

* * *

(١٦) ـ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾: أي: يُغَطِّيها.

قيل: النُّورُ والبهاءُ والحُسْنُ والصَّفاءُ الذي يروقُ الأبصارَ.

وقيل: العجائبُ الدَّالَّةُ على قُدْرةِ الله تعالى وعظيمِ سُلْطانِه.

وقيل: غَشِيَها ملائكةُ اللهِ الصَّاعدون إليها مِن ملائكة السماوات، والنَّازِلون إليها مِن ملائكة العرش للقاء النبيِّ ﷺ.

وقيل: طولُها مَسيرةُ خمسين سنةً، وغَشِيَها مِن الملائكة ما غطَّاها كُلَّها، وهُم على صورة الجراد مِن الذَّهَبِ.

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٥).

وقال قتادة: استأذنوا للقاءِ النَّبيِّ ﷺ فأَذِنَ لهم، وقيل لهم: لا تأتُوه بغير نِثَارٍ، فجاء كلُّ واحدٍ منهم بطَبَقٍ مِن أطباقِ الجنة عليه مِن اللَّطائفِ ما لا يُحصَى، فنَثَروه بين يديه تَقَرُّباً إليه.

وقال مُقاتلٌ: فلو أنَّ رجلاً ركِبَ حِقَّةً، وطافَ على ساقِها حتى أدرَكَه الهرَمُ، ما وصَلَ إلى المكان الذي رَكِبَ منه[1]. تَحْمِلُ لأهل الجنة الحُلِيَّ والحُلَلَ وجميعَ ألوانِ الثِّمار.

ويُقالُ: هي عن يمينِ العرشِ تخرُجُ أنهارُ الجنة مِن أَصْلِها.

* * *

(١٧) ـ ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾: أي: ما مالَ[2] بصَرُ محمد عما رأى، وما جاوزَه إلى غيره، يعني: ما عدَلَ عن رؤيتِه قبلَ إحاطةِ عِلْمِه به، وما تعدَّى عن رؤيتِه إلى غيره رَغْبَةً عنه وفي حقِّ النَّظَرِ، فتيقَّنَ بما أبصرَ؛ كما قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾.

وقيل: ما زاغَ بصرُه حين عُرِضَتْ عليه الدنيا رَغْبَةً فيها، وما طغى حين عرِضَتْ عليه الآخرةُ تَعَلُّقاً بها، بل ترَكَ ذلك كلَّه مُكْتَفِياً بالمولى.

وقيل: ﴿ مَا زَاغَ ﴾: أي: ما مالَ يميناً ولا شمالاً، ولا طغى ولا تقدَّمَ؛ أي: وقَفَ حيث وُقِّفَ، وتصَرَّفَ على ما صُرِّفَ.

* * *

(١٨) ـ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٠)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٣).

(٢) في (أ): «زاغ».

وقولُه تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: أي: العُظمى، وهي عظائِمُ[١] السماوات، وطوائفُ الملائكةِ، وسِدْرَةُ المنتهى، وجنَّةُ المأوى، وما في الجِنان لأهل الإيمان، وما في النِّيران لأهل الطُّغْيان، والحُجُبُ والبحار، والظُّلَمُ والأنوار، وما تعجِزُ عنه الأفكار، وتحارُ فيه الأبصار.

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ والرَّبيعُ بنُ أنسٍ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ قال: «رأيتُه بفؤادي، ولم أرَه بعيني»[٢].

وقال ابن عباس: رآه ببصَرِه بلا كَيْفٍ. وهو قولُ أنسٍ وكعبٍ وأسماءَ[٣].

وقالت عائشة: مَن قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى ربَّه ليلةَ المعراجِ ببَصَرِه فقد أعظَمَ الفِرْيَةَ، ومَن قال: إنه كان يَعْلَمُ ما في غدٍ فقد أعظَمَ الفِرْيَةَ، ومَن زعَمَ أنه كتَمَ شيئاً مما أنزلَه اللهُ تعالى عليه فقد أعظَمَ الفِرْيَةَ، وإنما رآه بقلبه[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «عجائب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٠) عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ.
وذكره عنهما السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٤) عن القرظي.

(٣) رواه عن ابن عباس الترمذي (٣٠٦٨) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٧٥)، وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٠٨). وليس فيه قوله: (بلا كيف).
وذكره عن أنس السمعانيُّ في «تفسيره» (٥/ ٢٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٦).
ورواه عن كعب الترمذيُّ (٣٢٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٩٦)، والدارقطني في «رؤية الله» (٢٢٥).
وذكره عن أسماء أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٣٧) نقلا عن محمد بن سعيد القرشي.

(٤) رواه الترمذي (٣٠٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٥٤)، والنحاس في «إعراب القرآن» =

وهو قولُ الحسن[1]، وأبي صالحٍ، وأبي العاليةِ، وإبراهيمَ التَّيْمِيِّ، ومسروقٍ، وهو الصَّحيحُ، وتقديرُ قولِه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: لقد رأى آياتٍ مِن آياتِ ربِّه الكبرى.

ووجهٌ آخَرُ: لقد رأى الكبرى مِن آياتِ ربِّه.

وقصَّةُ المعراجِ أورَدْناها بطُرُقِها مُستوفاةً في كتاب: «**ما ورَدَ مِن الأخبار في معراجِ النبيِّ المختار**»، وهو قريبٌ مِن دَفْترٍ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: كلمةُ استفهامٍ، ومعناها: أَخْبِروني عن هذه الأصنام التي تعبُدونها وتعتقِدونها آلهةً: هل فَعَلَتْ ما فعَلَ اللهُ تعالى مِمَّا مَرَّ ذِكْرُه في هذه السُّورة مِن الإسراء بمحمدٍ ﷺ إلى السماء، وإيحائِه إليه؟! فهذا هو المُضْمَرُ.

وقيل: المُضْمَرُ: أَنَفَعَتْكم عبادتُها؟!

وهذه أصنامٌ كانت مِن حجارةٍ، وكانت في جَوْفِ الكعبة.

وقيل: العُزَّى: شجرةٌ كانوا يعبُدونها، وكانت لِغَطَفانَ، بعَثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد فقطَعَها، فخرَجَتْ منها شيطانةٌ ناشِرةٌ شَعْرَها، داعِيةٌ وَيْلَها، واضِعَةٌ

= (٤/ ١٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠). وقال الترمذي: حسن صحيح.
ورواه بنحوه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٠٣٣) عن المبارك بنِ فَضَالةَ، قال: كان الحسنُ يَحْلفُ بالله ثلاثةً لقد رأى محمدٌ ربَّه.

يدَها على رأسها، فجعَلَ خالدٌ يضرِبُها بالسيف حتى قتَلَها، وهو يقول:

كُفْرانَكِ اليومَ ولا سُبحانَكْ إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكْ

ثم رجعَ خالدٌ فأخبرَ النبيَّ ﷺ بذلك، فقال: «تلك العُزَّى، ولن تُعْبَدَ أبداً»[١].

وكان وضعَها لِغَطَفانَ سعدُ بنُ ظالمٍ الغَطَفانيُّ، وذلك أنَّه قدِمَ مكَّةَ فرأى الصَّفا والمروةَ، ورأى أهلَ مكَّةَ يطوفون بهما، فعاد إلى بَطْنِ نَخْلَةَ، وقال لقومه: إنَّ لأهلِ مكَّةَ الصَّفا والمروةَ وليست لكم، ولهم إلهٌ يعبُدونه وليس لكم ذلك، قالوا: فما تأمرُنا؟ قال: أصنَعُ لكم كذلك، فأخَذَ حجَراً مِن الصَّفا، وحجَراً مِن المروة، ونقَلَهما إلى نَخْلَةَ، فوضَعَ الذي أخذَ مِن الصَّفا، فقال: هذا مِن الصَّفا، ووضَعَ الذي أخذَه مِن المروة، وقال: هذا مِن المروة، ثم أخَذَ ثلاثةَ أحجارٍ، فأسنَدَها إلى شجرةٍ، فقال: هذا ربُّكم، فجعَلوا يطوفون بين الحَجَرين، ويعبُدون الحِجارةَ، حتى افتتَحَ رسولُ اللهِ مكَّةَ، فأمَرَ برفع[٢] الحجارة، وبعَثَ خالدَ بنَ الوليدِ إلى العُزَّى فقَطَعَها[٣].

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٧) عن سعيد بن عمرو الهذلي.
ورواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ١٩٣) عن العيزار بن حريث.
ورواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧) عن أبي الطفيل.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٢٦) عن مجاهد.

(٢) في (أ): «فرفعت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨) عن الضحاك.

وقال مُقاتلٌ: كانت مناة حجَراً يُعْبَدُ[١] بأرضِ هُذَيلٍ على الساحل[٢].

وقال قتادة: اللَّاتُ كانت بالطَّائفِ، والعُزَّى بشِعْبِ بَطْنِ نَخْلَةَ، ومَناةُ بقُدَيد[٣].

وقيل: كانت العُزَّى لقريشٍ، ومَناةُ للأنصارِ.

و﴿ٱللَّٰتَ﴾ كان الكسائيُّ يقِفُ عليها بالهاء[٤].

وقال الزَّجَّاجُ: الأجودُ الوقفُ بالتَّاءِ على ﴿ٱللَّٰتَ﴾، أرادوا: (اللَّاهة)، فأسقَطوا الهاءَ تخفيفاً، وبَقِيَتْ هاء التأنيث[٥].

وكان مُجاهدٌ يقرأ: (اللاتَّ) بتشديد التاء، وقال: كان رجلٌ يَلُتُّ السَّوِيقَ، فمات، فاتُّخِذَ قبرُه مُصَلًّى[٦].

وعن ابن عباس قال: (اللَّاتُّ): رجلٌ يلُتُّ السَّوِيقَ يَسْقِيه الحاجَّ[٧].

وقال أبو الجَوْزاءِ: (اللاتُّ): حجَرٌ كان يُلَتُّ عليه السَّوِيقُ، فسُمِّيَ (اللَّاتَّ)[٨].

---

(١) في (ف): «يعبدونها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٠).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٣٩)، وابن مردويه فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٥): رواه الطبراني، وفيه أبو شيبة، وهو ضعيف.

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٧٣).

(٦) انظر القراءة في: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٧)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٤٥) عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح.
والأثر رواه عن مجاهد الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٧).

(٧) رواه عنه البخاري (٤٨٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨).

(٨) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣).

وقال أبو صالحٍ: (اللاتُّ) رجلٌ كان يقوم على آلهتِهم، وكان يلُتُّ لهم السَّوِيقَ (١).

و﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ بالمدِّ والهمزِ، والباقون بالقَصْر (٢).

قيل: سُمِّيَ بها؛ لِمَا يُمْنَى عندها مِن الدِّماء؛ أي: يُهَرَاقُ؛ كما تُسَمَّى (مِنًى)؛ لأنه مَذْبَحُ الهدايا والضَّحايا.

﴿ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾: تأنيثُ الأَعَزِّ.

قولُه تعالى: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾: قال الخليل: لا يُقالُ للثالثة: الأخرى، إنما يُقالُ ذلك للثانية، ولكنْ تقديرُ الآيةِ: أفرأيتُم اللَّاتَ والعُزَّى الأُخْرى ومَناةَ الثالثةَ، لكنْ أَخَّرَ ﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ في الذِّكْر؛ لِتَتَّفِقَ الفواصِلُ (٣).

وقيل: بل هي على نَظْمِها، وسُمِّيَتْ (أخرى)؛ لأنهم كانوا يُؤَخِّرُونها في الذِّكْرِ.

وقيل: هذا جائزٌ، ويُرادُ بها الغَيْرِيَّةُ، ألا ترى أنَّ رجلاً لو أعطى رجلاً درهماً، فقال له: هاتِ آخرَ، فأعطاه، فقال له: هاتِ آخَرَ، جاز وهو ثالثٌ، فكذلك ما بعده.

* * *

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾: قيل: كانوا يقولون: الأصنامُ بناتُ اللهِ، فرَدَّ اللهُ عليهم بهذا.

وقيل: هذا في قولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٤٠٩).

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾: أي: جائِرَةٌ، وهي على وزن (فُعْلَى) بضم الفاء، فكُسِرَتِ للياءُ، وقد ضازَ يَضيزُ: إذا جارَ.

ورُوِيَ عن محمد بنِ كعب القُرَظِيِّ أنه قال: جلس رسول الله ﷺ ذات يوم في ناد من أندية قريش، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ حتى إذا بلغ هذه الآية: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان في قراءته(١): تلك الغرانيق العلى منها الشفاعةُ تُرتجى، ثم ختم تلك رسول الله ﷺ السورة وسجد وسجد المشركون، وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً فلم يسجد وأخذ كفاً من تراب ووضع جبهته عليه، وقال: يا محمد، إنَّا لنعلم أن الله يخلق ويرزق ويحيي ويميت، ولكنا نقول: إن آلهتنا شفعاء لنا عنده، فأما إذا جعلتَ لها نصيباً في الشفاعة فنحن معك(٢).

وقد ذكرنا القصة وتأويلها في سورة الحج(٣).

***

(٢٣) ـ ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ ﴾: أي: ما هذه الأصنامُ اللَّاتُ والعُزَّى ومَناةُ.

﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ ﴾: مُسَمَّياتٌ ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ ﴾: تَقْليداً ﴿وَءَابَآؤُكُم ﴾: جَهْلاً، لا معانيَ لها، ولا حقائِقَ، ولا أُلُوهِيَّةَ للَّاتِ، ولا عِزَّةَ لِلعُزَّى، ولا يُمْنَى لَمَناةَ؛ أي: لا تَقْدِرُ شيئاً.

---

(١) في (أ): «أمنيته».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٠٤) دون كلام الوليد بن المغيرة. وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] وذكرنا هناك أن قصة الغرانيق لا يصح فيها شيء، وقد تكلم المؤلف وغيره من العلماء في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً فلتراجع ثمة.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾: أي: مِن حُجَّةٍ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾: أي: ما يتَّبِعون ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: أنَّ آباءَهم لم يَعْبُدوها إلَّا لاستحقاقِها، وإلا ظَنًّا أنها تَشْفَعُ لهم وتُقَرِّبُهم إلى الله.

﴿وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾: عَطْفٌ على ﴿ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: وما يَتَّبِعون إلَّا ما تهواه أنفسُهم مِن تعظيمِ قَدْرِ الآباء وتصويبِهم.

وقيل: أي: إلَّا ما تهواه أنفسُهم مِن عبادةِ ما يَسْتَحْسِنُونه.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: أي: البيانُ، ولكنَّهم مُقَلِّدون.

* * *

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾: ﴿أَمۡ﴾: تَقْتَضِي ألفَ الاستفهامِ قَبْلَه، وتقديرُه: أتفعلون هذا بحُجَّةٍ أم للإنسان أنْ يَتَمَنَّى ما شاءَ، فيعبُدَ ما شاءَ، ويُعْطِيَ العِزَّةَ مَن يشاءُ، ويجعلَ للهِ البناتِ، ولنفْسِه البنينَ؟! ولله العزة ولرسوله[1].

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾: أي: فليس للإنسان أنْ يتمنَّى على الله، إنَّما له ما يجعلُه اللهُ له؛ إذ له الدنيا والآخرةُ ومَن فيهما وما فيهما.

وقيل: معناه: أَلِلإنسانِ ما تمنَّى مِن شفاعة الأصنام والملائكة؟! ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾: بل لله الأمرُ جميعاً، والحُكْمُ في أمرِ[2] الدنيا والآخرة.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي﴾: أي: لا تَنْفَعُ.

---

(١) «ولله العزة ولرسوله» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «أهل».

﴿شَفَٰعَتُهُمۡ﴾: جُمِعَ مع سَبْقِ ذِكْرِ الملَكِ وهو واحدٌ؛ لأنَّ (كمْ) للتكثير، فصار جَمْعاً، وليس معناه أنهم يَشْفَعون ولا تَنْفَعُ شفاعتُهم، بل معناه: أنهم لا يَشْفَعون؛ لأنَّه لا يُؤْذَنُ لهم.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: مِن الملائكة لِتَشْفَعَ.

وقيل: أي: مِن البشَرِ لِتَشْفَعَ الملائكةُ له.

﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾: أي: يرضى بشفاعةٍ مِن الملائكة.

وقيل: يرضى بالشَّفاعةِ له مِن البَشَر.

* * *

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: وهُم مُشْركو العربِ.

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾: أي: يقولون: هُم بناتُ اللهِ؛ كما تقول عبَدَةُ الأصنامِ في الأصنام.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾: مِن جِهَةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو كتابٍ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما يُتَخَيَّلُ في ظُنونِهم، لا عن مُشاهدةٍ وخبَرٍ صحيحٍ.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾: أي: لا ينوبُ الظَّنُّ مَنابَ الحقِّ، ولا ينفَعُ صاحبَه، ولا يُنَزِّلُه مَنْزِلَةَ المُحِقِّ.

﴿فَأَعۡرِضۡ﴾: يا محمد ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾: عن كتابِنا ووَعْظِنا، فلم يُصَدِّقْه ولم يَقْبَلْه.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: ومالَ إليها.

وقيل: ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾: عن الثَّناء علينا، والدُّعاء لنا، وذلك مما يُجْتَلَبُ به الثَّوابُ في الآخرة، واقتَصَرَ على عَرَضِ الدنيا، ورَضِيَ به ثواباً لنفْسِه.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: وهو العمَلُ لثواب الدنيا، وهو مَبْلَغٌ خَسِيسٌ لا يرضى به عاقلٌ، وهو مِن طَبْعِ[1] البهائمِ التي لا تَرْغَبُ إلا في الحاضِرِ التَّافِهِ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أنْ يقولوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وهو جَهْلٌ مَحْضٌ تَصَوَّرَ عندهم بصُورةِ العلم.

والأظهَرُ هو الأوَّلُ، فقد كان النبيُّ ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ لا تجعَلِ الدنيا أكبَرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا»[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: فيَجْزِي كُلًّا على وَفْقِ عمَلِه، فأَعْرِضْ أنتَ عنهم.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

---

(١) في (ر): «ظن».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٣١)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٢)، والترمذي (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب، والبزار في «مسنده» (٥٩٨٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠١)، والدينوري في «المجالسة» (٧٢٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٩١١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: مُلْكاً ومِلْكاً وخَلْقاً خَلَقَهم وتعبَّدَهم.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾: فيُمَيِّزَ بين الضَّالِّ والمُهْتَدي، والمُسِيءِ والمُحْسِنِ، فيَجْزِيَ المُسِيءَ المُشْرِكَ في الدنيا بالسَّبْيِ والقتلِ والهَوان، وفي الآخرة بالخُلود في النِّيران، ويَجْزِيَ المؤمنَ المُحْسِنَ في الدنيا بالنَّصْر والظَّفَر والإِمْكان، وفي الآخرة بالخُلودِ في الجِنان.

***

(٣٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: هو نَعْتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿كَبِيرَ الإثمِ﴾: وهو الكفرُ، وقرأ الباقون: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾[1]: وهي عَظائِمُ الذُّنوبِ، ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: القبائحُ.

وقيل: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾: ما أوعَدَ اللهُ عليها بالنار، ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: ما شرَعَ فيه الحُدودَ، وقد ذَكَرْنا الأقاويلَ في الكبائر في سورة النساء.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: هو استثناءٌ مُنْقَطِعٌ؛ لأنه ليس مِن الكبائر والفواحش.

قال ابن عباس وابن زيد[2]: معناه: لكنِ الذين أَلَمُّوا به قبلَ الإسلامِ قد غفَرَ اللهُ لهم ذلك[3].

وقيل: اللَّممُ: أنْ لا يُصِرَّ على ما ارتكبَه، بل يُبادِرُ بالتوبة عنه، مِن قولهم: (ما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، عن حمزة والكسائي، أما ابن كثير فقد وافق باقي السبعة في قراءة: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾.

(٢) في (أ): «وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٤).

يأتينا فُلانٌ إلا لِماماً)؛ أي: في الحِين بعد الحِين، واللَّمَمُ: ما يقَعُ فيه حِيناً بعد حِينٍ، لا يدومُ عليه، ولا يعتادُه.

وقيل: اللَّمَمُ: الصَّغائِرُ.

وقيل: اللَّمَمُ: ما يُقارِبُ الإثمَ.

وقيل: اللَّمَمُ: الهَمُّ بالخَطيئةِ، وحديثُ النَّفْسِ بها مِن غير مُواقَعَةٍ(١).

وقال الحسن: هو اللَّمَّةُ مِن الزِّنا والسَّرقةِ وشُربِ الخمر، ثم لا يعودُ(٢).

وقال قتادة: وهو أنْ يقعَ الوَقْعَةَ ثم ينتهي(٣).

وقال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ: هي النَّظْرَةُ والغَمْزةُ(٤) والقُبْلةُ(٥)، فإذا مسَّ الخِتانُ الختانَ فقد زنى(٦).

وقال أبو الجَوْزاءِ: سألتُ ابنَ عبَّاسٍ عن اللَّمَمِ، فقال: لم أرَ شيئاً أشبَهَ به مِن قولِ أبي هريرة: «كُتِبَ على ابنِ آدمَ حَظُّه مِن الزِّنا، أدرَكَ ذلك لا محالةَ، وزنا العَينِ النَّظَرُ، وزنا اليدِ البَطْشُ، وزنا اللِّسانِ النُّطْقُ، وزنا الرِّجْلِ المشيُ، وتصديقُ ذلك كلِّه الفَرْجُ»(٧).

---

(١) في (ف): «موافقة».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٩٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦) عن قتادة عن الحسن.

(٤) في (ر): «واللمزة».

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٢٦) عن الخدري، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٨) من غير نسبة.

(٦) رواه الطبري بتمامه في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٣٧)، والبخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) عن طاوس عن ابن =

ثم هذا ليس بتَرْخِيصٍ في هذه الأشياء، ولكنْ بيانُ أنها ليست مِن الكبائر والفواحش إذا لم يَتَهاوَنْ بها.

وقد روى أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صغيرةَ مع الإصرار، ولا كبيرةَ مع الاستغفار»(١).

وقيل: نزلت الآيةُ في نَبْهانَ التَّمَّارِ، وذلك أنَّ امرأةً أَتَتْه تريدُ تمراً، فقال لها: أُدْخُلي الحانوتَ، فإنَّ فيه تَمْراً جَيِّداً، فدخلَتْ، فراودَها عن نفْسِها، فأبَتْ، فضرَبَ عَجِيزَتَها بيده، فقالت المرأةُ: واللهِ ما نِلْتَ مِنِّي حَظًّا، وما حَفِظْتَ غَيْبَ أخيكَ، فنَدِمَ نَبْهانُ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فقال: ويحكَ، فلعلَّها امرأةُ غازٍ في سبيل الله، ثم لَقِيَ عمرَ فأخبرَه، فصَرَعه عمرُ، ووَطِئَه برِجْلِه، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقال: إخوانُنا غُزاةٌ في سبيل الله تُكْسَرُ الرِّماحُ في صُدورهم، يَخْلُفُ هذا ونحوُه في أهاليهم، دعني يا رسولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَه، فضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقال: أَرْسِلْه يا عمرُ فليَتُبْ، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: يعني: ضَرْبَه بيدِه عَجِيزَتَها(٢).

= عباس، عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه.

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٦٠٦)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٨٧)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (١١٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه.
ورواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٧٣)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (٨٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٩١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٤٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.
وقد ضعف رفعه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٤٤٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٤)، ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٤٧٣) في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: فلِسَعَةِ مغفِرَتِه يغفِرُ ما تِيبَ عنه، ويغفِرُ اللَّمَمَ، ويغفِرُ ما سلَفَ في الجاهلية، ويغفِرُ ما شاءَ مِن الذُّنوب مِن غير توبةٍ.

وقال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ: اللَّمَمُ: الذي تُحَدِّثُ به نفْسَكَ مِن الشَّرِّ أنْ تفعلَه، ثم يصرِفُكَ اللهُ عنه، فلا تفعلُه[1].

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: أي: بضَعْفِكم وغلَبَةِ الهوى عليكم.

﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: أنشأَ أباكم مِن الأرض آدمَ، عَلِمَ حينئذٍ أحوالَكم مِن الضَّعْفِ، واستيلاءِ الشَّهْوةِ عليكم.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾: جَمْعُ جَنينٍ، وهو الولدُ المُجْتَنُّ في البُطون في أرحام الأُمَّهاتِ، وهو قولُه تعالى:

﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: فلا تَرْفَعوها فوق قَدْرِها وحالُكم هذه في استيلاءِ الهوى عليكم، حتى لا يَخْلُوْ أحدُكم عن اللَّمَمِ.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾: منكم مِمَّن لم يَتَّقِ، فلا حاجةَ بكم إلى تَزْكِيَةِ أنفسكم؛ لأنكم تَعْمَلون له، وعِلْمُه كافٍ لكم.

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾، وما بعده مُبْتَدأٌ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: بسرائرِكم وظواهرِكم وأوائلِكم وأواخرِكم، وأنتم تَنْسَون وتخفى عليكم الحقائقُ، واللهُ لا ينسى ولا يخفى عليه شيء ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: بما ليس فيها، أو بما تفعلونه بما لا تَقِفون على حقيقته عند الله تعالى، فهو أعلمُ بمَنِ اتَّقى، فاكتفُوا بعِلْمِه عن عِلْمِ الناس، وبجزائِه عن ثَناء الناس.

نزلَتْ في ناسٍ كانوا يعملون أعمالاً حسنةً ثم يذكُرونها.

---

(١) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨).

وقيل: بل نزلَتْ في قومٍ يُخْبِرون عن أنفسِهم بخلافِ ما هم فيه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت اليهودُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ قالوا: هذا[1] صِدِّيقٌ، فبلَغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «كذَبوا، ما مِن نَسَمةٍ يخلُقُها اللهُ في بَطْنِ أُمِّها إلا شَقِيٌّ أو سعيدٌ»، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[2].

ورُوِيَ عن عبد الله بنِ مسعودٍ أنه قال لأصحابه: السَّعيدُ مَن سَعِدَ في بَطْنِ أُمِّه، والشَّقِيُّ مَن شَقِيَ في بَطْنِ أُمِّه، فأنكَروا عليه، فقال: أين تذهبون عن عِلْمِ الله تعالى، ثم تلا قولَه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[3].

***

(٣٣) ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾: ذكَرَ اللهُ تعالى جَهْلَ المشركين بأمور الآخرة، ثم عيَّنَ جَهْلَ واحدٍ منهم، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾: وهذا تعجيبٌ مِن حاله.

---

(١) في (أ) و(ر): «هو».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٣٦٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري.

(٣) رواه أبو عوانة في «مستخرجه» (١١٥٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٣١).

وروى القطعة الأولى منه الطبرانيُّ في «الأوسط» (٨٤٦٥)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٣٩) مرفوعا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه بتمامه من حديثه مرفوعاً: ابن بطة في «الإبانة» (١٤١٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٥٨).

وليس في جميع هذه الروايات أن الراوي تلا الآية المذكورة.

رُوِيَ: أنَّ الوليدَ بنَ المُغيرة كان أرادَ الدُّخولَ في الإسلام، فعاتبَه بعضُ المشركين، وقال له: إنْ أعطَيْتَني شيئاً مِن مالكَ، ورجَعْتَ إلى شِرْكِكَ ودينِ آبائِكَ، ضَمِنْتُ لكَ أنْ أتحمَّلَ خطاياكَ وعذابَ الآخرةِ على شركِكَ، فأجابَه الوليدُ إلى ذلك، وأعطاه بعضَ ما كان ضَمِنَ له به، ومنَعَه البعضَ[1].

وقيل: إنَّ هذا رجلٌ أسلَمَ، فلَقِيَه بعضُ مَن عيَّرَه فقال: ترَكْتَ دِينَ الأشياخ وضلَّلْتَهم، وزعَمْتَ أنهم في النار، وكان ينبغي لكَ أنْ تنصُرَهم، فكيف تفعلُ بآبائكَ؟! فقال: إني خشِيتُ عذابَ اللهِ، فقال: أَعْطِني شيئاً وأنا أَحْمِلُ كلَّ عذابٍ كان عليكَ عنكَ، فأعطاه شيئاً، فقال: زِدْنا، فتعاسَرا حتى أعطاه شيئاً، وكتَبَ له كتاباً، وأشهَدَ له بذلك، فذلك قولُه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾[2]: أي: أعرَضَ عن الإيمان بالله ورسوله.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾: مِن المال على أنْ يتحَمَّلَ عنه ما يَسْتَحِقُّه مِن العذاب بكفره وتَوَلِّيه، ثم قطَعَ إعطاءَه، فلم تَسْنَحْ نفْسُه ببَذْلِ مالِه على تحمُّلِ العذاب عنه، فجمَعَ جَهْلاً وبُخْلاً، وذلك قولُه:

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٦٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥) من غير نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٢) عن ابن زيد.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١) عن مجاهد وابن زيد.

﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: قال الكسائيُّ: يُقالُ: (أكدى)؛ أي: بلَغَ المكانَ الذي لا يستطيعُ أنْ يَحْفِرَ، وهو الكُدْيَةُ، فامتنَعَ[(١)].

وقال الأخفشُ: (أكدى)؛ أي: قطَعَ[(٢)]، اُشْتُقَّتْ مِن كُدْيَةِ الرَّكِيَّةِ[(٣)].

وقال الفرَّاءُ: (أكدى)؛ أي: أمسَكَ عن العَطِيَّةِ وقطَعَ[(٤)].

وقال قُطْرُبٌ: الكُدْيَةُ: الصَّفاةُ الغَليظةُ[(٥)]، ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: أي: بلَغَ مجهودَه، فلم يَحْصُلْ على شيءٍ[(٦)].

وقال القُتَبِيُّ: الكُدْيَةُ: صلابةُ الرَّكِيَّةِ[(٧)]، فإذا بلَغَها الحافرُ يَئِسَ، فقيل لكُلِّ مَن طلَبَ شيئاً فلم يَبْلُغْ آخِرَه أو أعطى فلم يُتِمَّ: أكدى[(٨)].

وقيل: معناه: وأعطى قليلاً مِن الإيمان بما عزَمَ عليه منه[(٩)]، ثم لَحِقَه الخُذْلانُ فأكدى؛ أي: قطَعَ به فيه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٥١).

(٢) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٣).

(٣) كُدْيَة الرَّكِيَّة: هو أن يحفر حتى ييأس من الماء. انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٧١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١٠١). وذكره عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٣).

(٥) ذكره ابن سيده في «المحكم» (٧/ ١٠٣) من غير نسبة. والصَّفاة: هي الصخرة الملساء. انظر: «الصحاح» (مادة: صفا).

(٦) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٣) عن قطرب أنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ بقوله: منَعَ.

(٧) في (ر): «الكدية».

(٨) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٢٩).

(٩) في (ف): «بما عزم فيه».

وقال مُجاهدٌ: كان الوليدُ بنُ المُغيرة يأتي النَبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ فيَسْمَعُ ما يقولان، فذلك ما أعطى مِن نفْسِه؛ أي: أعطى الاستماعَ، ﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾: انقطَعَ عطاؤُه ذلك[١] وترَكَه.

***

(٣٥) ـ ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾: أي: أَعِنْدَ هذا المُعْطي المُكْدِي عِلْمَ الغيبِ ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: أي: يَعْلَمُ عِلْمَ الآخرةِ وما غابَ عنه مِن أمرِه، فيَعْلَمُ أنَّ مَن ضَمِنَ له يَحْمِلُ أوزارَه عنه.

وهذا العِلْمُ يكون على أحد وجهين:

أحدُهما: أنه يَفِي له به، فيُخَلِّصَه عنه[٢].

والثاني: أنْ يجعَلَ نفْسَه فِداءً عنه.

فليس عنده عِلْمٌ بواحد مِن هذين، فما اعتمادُه عليه إلا غايةُ جَهْلٍ منه.

وقال ابن عباس: كان رجلٌ مِن قريشٍ له أموالٌ يتصدَّقُ بها، فقال له عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ: ما هذا الذي تصنَعُ؟ يوشِكُ ألا يبقى لكَ شيءٌ، فقال له الرجلُ: إنَّ لي ذُنوباً وخطايا، وإني أطلُبُ بما أصنَعُ رضى اللهِ تعالى، فقال له عبدُ اللهِ: أَعْطِني ناقتَكَ هذه بزِمامِها، وأنا أتحمَّلُ عنكَ ذُنوبَكَ وخطاياكَ، ففعَلَ، ثم أقْصَرَ عن النَّفَقَةِ والصَّدَقة، فنزلَتْ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾[٣]: يعني: عن الحقِّ والصَّدَقةِ.

---

(١) رواه عنه مختصراً الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٣)، وعزاه السيوطي بتمامه في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩) إلى الفريابي وعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وابن ابي حاتم.

(٢) في (ر): «فيتحمله».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) عن ابن عباس، والسدي، والكلبي، والمسيب بن شريك من غير إسناد، والمتصدق في هذا الخبر هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولا يصح مثل هذا، فإن مقام الصحابة ينزه عن مثل هذا السخف، فكيف =

وقال عطاءُ بنُ يسارٍ: نزلت في رجلٍ قال لأهله: جَهِّزوني أَنْطَلِقْ إلى هذا الرجل، يعني: إلى النَّبيِّ ﷺ، فتجهَّزَ وخرَجَ، فلَقِيَه رجلٌ مِن الكفار، فقال له: أين تُريدُ؟ فقال محمداً: لعلِّي أُصيبُ مِن خيرِه، فقال له الرجل: أعطِني جَهازَكَ، وأَحْمِلُ عنكَ إثْمَكَ، وفيه أنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ[1].

وقال محمدُ بنُ كعبٍ: نزلت في أبي جهلٍ، وذلك أنه قال: واللهِ ما يأمُرُنا محمَّدٌ إلا بمَكارمِ الأخلاقِ، وذلك قولُه: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾: أي: لم يؤمنْ به[2].

وروى عليُّ بنُ إسحاقَ في «المُشافَهات» عن الكلبيِّ أنها نزلت في عثمانَ، عاتبَه ربُّه فيه كما عاتَبَ أكرَمَ البَرِيَّةِ عليه في ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾، وكان عثمان مُعْطِياً جَواداً، فقال له مولاه عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وقيل: كان أخاه مِن الرَّضاعة: أراكَ قد أسرَعْتَ في مالِكَ، ولا تدري على ما أنتَ عليه مِن أمرِ هذا الرجل أَيَتِمُّ أَمْرَه أم لا؟ فهل لكَ أنْ تُعْطِيَني هذه الرَّاحِلَةَ بما عليها، وأتحمَّلُ عنكَ كلَّ خطيئةٍ عَمِلْتَها؟ فقال: هي لكَ، وكَفَّ عن بعضِ عطاياه، فنزلَتْ فيه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾: عمَّا كان يُعْطِي، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾: يقول: فلو أنَّ رجلاً أعطى اللهَ الدنيا وما فيها كان قليلاً فيما يرجو، ﴿وَأَكْدَىٰ﴾: أي: قطَعَ عطاياه[3].

= بصحابي جليل من العشرة المبشرين، وثالث الخلفاء الراشدين؟ وسيأتي مزيد كلام عليه قريباً.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١) من رواية موسى بن عبيدة عن عطاء بن يسار.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١).

(٣) تقدم تخريجه قريباً من الثعلبي والواحدي عن الكلبي وغيره من غير إسناد. وتعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥) بقوله: ذلك عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله.

قلت: بل هو من أبطل الباطل، ولا شك أنه من وضع الزنادقة للطعن على الصحابة، فكيف يظن بعثمان أن يشك بدعوة النبي ﷺ وبنصر الله له لكلمة سمعها من ابن أبي سرح، وحتى لو صحت =

وقال السُّدِّيُّ: نزلَتِ الآيةُ في العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمِيِّ[(١)]، وهو الذي أنزَلَ اللهُ فيه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو كقوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨] وهو فيه.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾: أي: ألم يُنبَّأْ هذا المَضْمونُ له[(٢)] ـ وهو استفهامٌ بمعنى التَّقْرير ـ بما سبَقَ مِن حُكْمِ اللهِ تعالى على ألْسِنة أنبيائِه المتقدِّمين أنه لا يُقْبَلُ أحدٌ بَدَلاً عن غيره فيما يستحِقُّه مِن العذاب على ذَنْبه، ولا يَحْمِلُ عن أحدٍ عقاباً يستحِقُّه غيرُه؟

وقولُه تعالى: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾؛ أي: وفي صُحُفِ إبراهيم الذي وفَّى؛ أي: وفَّى بعُهودِ الله تعالى.

وقيل: أي: أتمَّ كلَّ ما أُمِرَ به؛ كما قال: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقيل: أي: أدَّى جميعَ ما أُرْسِلَ به، وهو التَّبْليغُ.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾: أي: وفَّى عمَلَ يومِه بأربعِ ركَعاتٍ مِن أول النهار»[(٣)].

= نسبته للكلبي فهو كذاب متروك لا تصح أخباره، وإنما العجب من هؤلاء المفسرين الذين همهم التقاط أي خبر دون التمعن في حقيقته أو معرفة بسنده!

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١). ورواه ابن مردويه فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «أي لم ينبأ هذا المضمون الذي له».

(٣) رواه حفصُ بن عمر في «قراءات النبي» (١٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٧)، والثعلبي في =

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: أي: لا تحمِلُ نفْسٌ حامِلَةٌ حِمْلَ نفْسٍ أخرى.

وبهذه الآيةُ رَدَّت عائشةُ رضي الله عنها على مَن روى أنَّ الميِّتَ يُعَذَّبُ ببُكاءِ أهلِه عليه[1].

فأما ما رُوِيَ عن النبي ﷺ: «مَن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عمِلَ بها بعدَه إلى يوم القيامة»[2]، وقوله ﷺ: «ما سَفَكَ أحدٌ دماً حراماً إلا كان على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن ذلك»[3]، فليس في ذلك حَمْلُ ذنْبِ غيرِه عليه، بل الأوَّلُ استوجَبَ ذلك بفعل نفْسِه، لا أنه حُمِلَ عليه ذنْبُ غيرِه.

فأما تحمُّلُ العاقلةِ الدِّيَةَ عن القاتل خطَأً، فذلك مُواساةٌ منهم له، وتخفيفٌ عنه.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾: أي: ثوابُ طاعتِه، وعِقابُ معصيتِه.

* * *

= «تفسيره» (٩/ ١٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٥)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٠) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والشيرازي في «الألقاب» وضعفه.

قال الطبري: لو صح عن رسول الله ﷺ لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت من أجله.

(١) رواه البخاري (١٢٨٨)، ومسلم (٩٢٩).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل».

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾: أي: هو يراه في الآخرة؛ أي: يرى جزاءَه؛ كما قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، ويراه أهلُ الموقِفِ أيضاً والملائكةُ، وهو تشريفٌ للمُطيعِ، وإِخْزاءٌ للعاصي.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الهاءُ راجِعٌ[1] على السَّعْيِ، وهو خبَرُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، ويُقالُ: (جزاه عملَه) كما يُقالُ: (جزاه بعَمِله) و(على عمَلِه).

و﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الأَتَمُّ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: أي: إلى جزاء اللهِ مَرْجِعُ الخَلْقِ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: وهو دليلُ خَلْقِ اللهِ تعالى أفعالَ العِبادِ.

قيل: أضحَكَ المسرورين، وأبكى المحزونين.

وقيل: أضحَكَ الرَّاجين، وأبكى الخائفين[2].

وقيل: أضحَكَ اللَّوْحَ بما أثبتَ فيه مِن أحكامِه في العِباد، وأبكى القلَمَ بما أجرى على سِنِّه مِن المِداد.

وقيل: أضحَكَ العرشَ بإضافته إليه، وأبكاه لافتراء المُجَسِّمَةِ عليه.

وقيل: أضحَكَ الجنَّةَ بالنَّعيم، وأبكى النَّارَ بالحَميم.

---

(١) في (ف): «واقع».

(٢) في (ر): «أضحك الناجين وأبكى الجاهلين».

وقيل: أضحَكَ أهلَ الجنَّةِ بتمام الحُبور، وأبكى أهلَ النار بدوام الثُّبور، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]، وقال: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧].

وقيل: أضحَكَ السَّماءَ[1] بعُروج النبيِّ ﷺ إليها، وأبكاها بنُزولِه عنها.

وقيل: أضحَكَ الملائكةَ حيث شغَلَهم بخِدْمَتِه، وأبكاهم حين أصابَ إبليسَ منهم بلَعْنَتِه.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بالأنوار، وأبكى السَّماءَ بالأمطار.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بولادة الرسول، وأبكاها بوفاة الرسول.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بما يُعْمَلُ عليها مِن الحسنات، وأبكاها بما يُرْتَكَبُ عليها مِن السيئات.

وقيل: أضحَكَ آدمَ بإدخالِه دارَ الجنَّةِ، وأبكاه بإِهْباطِه إلى دار المِحْنَة.

وقيل: أضحَكَ آدمَ بالرَّحمة، وأبكى إبليسَ باللَّعْنة.

وقيل: أضحَكَ نوحاً بإجابة دعوتِه، وأبكاه بإهلاكِ بعضِ ذُرِّيَّتِه.

وقيل: أضحَكَ سارَةَ حين بشَّرَها بإسحاقَ، وأبكاها حين أوقَعَ بينها وبين إبراهيمَ بوفاته الفِراقَ.

وقيل: أضحَكَ يعقوبَ بولادة يوسفَ، وأبكاه بغَيْبَةِ يوسفَ.

وقيل: أضحَكَ موسى بإعطاء الكلام والقُرْبَة، وأبكاه بمَنْعِ اللِّقاء والرُّؤية.

وقيل: أضحَكَ عيسى، وأبكى يحيى[2].

---

(١) في (ف): «أصحاب السماء».

(٢) في (ف): «أضحك يحيى وأبكى عيسى».

وقيل: أضحَكَ الوالدين عند ولادةِ الولدِ، وأبكى الولدَ.

وقيل: أبكى أصحابَ السَّعادةِ الذين لا يُؤَدُّون زكاةَ أموالِهم في الدنيا، وأضحَكَ الذين يُؤَدُّون الزَّكاةَ في العُقْبى.

وقيل: أضحَكَ المُفْسِدَ في الدنيا وأبكاه في العُقْبى، قال ﷺ: «مَن أذنَبَ وهو يضحَكُ، دخَلَ النَّارَ وهو يبكي»[1].

وقيل: أضحَكَ المُذْنِبَ، وأبكى التَّائِبَ.

وقيل: أضحَكَ قوماً عند الموت بإسماع: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]، وأبكى قوماً بإسماع: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: ٢٢].

وقيل: أضحَكَ المُتوفَّى على السَّعادة، وأبكى أهلَه بالمُصِيبة.

* * *

(٤٤ ـ ٤٧) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾: أي: أماتَ الأحياءَ وأحيى الأمواتَ، وأماتَ الكفارَ وأحيى المؤمنين، وأماتَ الجُهَّالَ وأحيى العالِمين[2].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾: أي: مِن أولادِ آدمَ.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٦)، والديلمي في «الفردوس» (٥٨١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٨): فيه عمر بن أيوب، قال الذهبي في «الضعفاء»: جرحه ابن حبان. ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٥) مقطوعا من كلام بكر بن عبد الله المزني.

(٢) في (ر): «العلماء».

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: أي: مَنِيٍّ.

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾: أي يُمْنِيها الرَّجُلُ والمرأةُ؛ أي: يُرِيقانِها، وهو فِعْلُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه؛ مِن الإمناء.

وقيل: هو مِن (مَنَى يَمْنِي)، و(مَنا يَمْنو)؛ أي: قَدَّر؛ أي: يُقَدَّرُ أنْ يكون منها الولدُ.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾: وفي قراءةِ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرو بالمَدِّ على ميزان (الفَعالَة) كـ(البَراءَة)، والباقون على (الفَعْلَة)[1]، وهما بمعنًى واحدٍ؛ مِن الإنشاء.

والنَّشْأَةُ الأولى مِن النُّطْفة، والنَّشْأَةُ الأخرى البعثُ بعد ما ماتوا وصاروا رُفاتاً ورَمِيماً.

ومعنى ﴿عَلَيْهِ﴾: أنه فاعِلُه لا محالةَ بما وعَدَ ذلك مِن نفْسِه وَعْداً حَتْماً.

***

(٤٨) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾: أي: أغنى مَن شاءَ مِن خَلْقِه.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أي: أعطى ما يُقْتَنى؛ أي: يُتَّخَذُ أصلَ مالٍ يُسْتَثْمَرُ ويُسْتَنْمَى.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطى المالَ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أعطى الخَدَمَ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: مَوَّلَ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: قَنَّعَ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: بالذهب والفضة، والملابس والمساكِنِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: بالإبل والبقر والغنم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣).

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أكثَرَ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أقَلَّ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطى ما يَكْفِي ويُغْنِي عن الغَير، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾؛ أي: جعَلَ بعد الغِنى زيادةً على الكِفايةِ مالاً يَبْقى أَصْلُه ويَنْمِي فَرْعُه.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: بالمال، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: بالقَناعة.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: هُما شِعْرَيان نَجْمَان أحدُهما يُسَمَّى: الغُمَيْصَاء، والآخر: العَبُور، يعبُرُ المَجَرَّة وحدَه مِن بين الكواكب.

وكان بعضُ أهلِ الجاهليَّةِ يعبُدُها ـ وقيل: هو أبو كَبْشَةَ الخُزَاعِيُّ ـ ويقول: له ما ليس لسائر النُّجوم مِن عُبورِه المَجَرَّةَ.

وفي الشِّعْرَيَيْنِ يقولُ الفَرَزْدَقُ:

إذا اغْرَوْرَقَتْ عينايَ أسبَلَ منهما ... إلى أنْ تَغِيبَ الشِّعْرَيانِ بُكَائِيا[1]

واتَّبَعَتْ خُزاعةُ وبنو مُلَيْحٍ أبا كَبْشَةَ في عِبادة الشِّعْرى، ولَمَّا خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ على خِلاف العربِ ونابَذَهم، شبَّهَتْه العربُ في خِلافِه إيَّاهم بأبي كَبْشَةَ، فقالتْ: ما لَقِينا مِن ابنِ أبي كَبْشةَ! فسَمَّوه بذلكَ لِخلافِه إياهم كخِلاف أبي كَبْشَةَ العربَ في عِبادةِ الشِّعْرى.

* * *

(١) انظر: «ديوان الفرزدق» (ص: ٦٥٤). وذكره أبو عبيدة في «شرح نقائض جرير والفرزدق» (١/ ٣٤١)، وأبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» (١١/ ٢٧٧).

(٥٠) ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: قرأ أبو عمرو ونافعٌ: ﴿عاداً لُّولا﴾ بتشديد اللام الأولى، وحَذْفِ الهمزة، وإدغامِ التَّنوين في اللام[1].

و﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: هُم عادُ بنُ إِرَمَ بنِ عَوْصِ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ قومُ هُودٍ، أهلَكَهم اللهُ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيَةٍ.

وعاداً الآخرة: بنو لُقَيْمِ بنِ هزَّال بن هزيل بن عُتَيل بن صُدِّ بن عادٍ الأَكْبر، لم يكونوا مع الأوَّلين، وكانوا بحَضْرَمَوْتَ، وتفانَوا بالقَتْلِ.

وقيل: الآخرةُ كانت في زمَنِ فارسَ الأولى.

ومِن أهل العلم مَن قالَ: إنَّ قولَه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ يَتِمُّ عند قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، وما بعدَه في حُكْمِ المبتدأ، وما فيه مِن إعادة: (وأنَّ) و(أنَّ)، و(أنَّ) بالفتح للإِتْباعِ نَظْماً، لا للوَصْلِ معنًى؛ كما في سورة الجنِّ: فتحَ الكُلَّ بعضُ القُرَّاء، وبعضُها ليس مِن كلام الجِنِّ، وكذا قولُه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، يتِمُّ عند قوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وما بعدَه ليس في الصُّحُفِ، وذَكَرَ (أنَّ) و(أنَّ) لإيقاع قولِه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ عليها، وهو إِنْباءٌ آخَرُ سِوى ما في الصُّحُفِ.

ومنهم مَن قال: يجوزُ أنْ يكون إلى قولِه: ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ في مُحاجَّةِ الوليد؛ لأنه كان يُنْكِرُ البعثَ، ويقولُ بكلِّ أقاويل المشركين.

ويجوز أنْ يكون كلُّ ذلك في الصُّحُفِ أيضاً، وهو الإخبارُ بإهلاكِ مَن مضى، وإهلاكِ مَن يجيءُ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾: أي: وأهلَكَ ثموداً فما أبقى منهم أحداً.

وقرأ حمزةُ وعاصمٌ في روايةِ حفصٍ: ﴿وَثَمُودَا۟﴾ بغير تنوين، والباقون: ﴿وثموداً﴾ بالتنوين[1].

وقال أبو عبيد: تُقْرَأُ بالتَّنوين لِمَكان الألفِ الثانية في المصحف.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: عطفٌ على الأوَّلِ.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: أي: مِن قبلِ عادٍ وثمودَ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾: مِن عادٍ وثمودَ؛ لأنهم أصَرُّوا على الكفر وإيذاءِ نوحٍ ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً، ولم يَسْلَمْ منهم إلا نفرٌ يسيرٌ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: أي: وأهلَكَ قريَّاتِ لوطٍ المُنْقَلِبَةِ بأهلها.

﴿أَهْوَىٰ﴾: أي: أسْقَطَها في النار.

وقيل: أي: أسْقَطَها مِن السماء.

وقيل: خسَفَ بها في الأرض.

* * *

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

﴿فَغَشَّىٰهَا﴾: أي: المُؤْتَفِكَةَ.

﴿مَا غَشَّىٰ﴾: أي: الحِجارة، وغشَّاها: جلَّلَها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥).

وقيل: هو في حَقِّ كلِّ مَن تقدَّم ذِكْرُه، وأَبْهَمَ لأنهم أُهْلِكوا بأنواعٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾: أي: بأيِّ نِعَمِ ربِّكَ تشُكُّ أيها الإنسانُ؟

وقيل: أي: تَجْحَدُ.

وقيل: أي: تُجادِلُ مع وُضوحِها.

والنِّعَمُ: هي الحُجَجُ الباهِرَةُ، والمواعِظُ الزَّاهِرَةُ.

وقيل: الخِطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ غيرُه؛ كما عُرِفَ في قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧].

قولُه تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ﴾: أي: محمدٌ رسولُ اللهِ مُنْذِرٌ مِن النُّذُر ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: المرسلين الأوَّلين.

وقيل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾؛ أي: اقتصاصُ هذه القِصَصِ تخويفٌ مِن التَّخْوِيفات الماضية.

* * *

(٥٧ ـ ٦٠) ـ ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾: أي: قَرُبَتِ القيامةُ، والأُزوفُ: الدُّنُوُّ، و﴿الآزفة﴾: مِن أسماء القيامة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: أي: ليس لها من غير[١] الله كشفٌ؛ أي: بيانُ الوقت، وهو[٢] كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال الفرّاء والكسائي رحمهما الله: هي مصدر كالباقية واللاغية[٣].

---

(١) في (ر): «دون».

(٢) في (ر): «وهذا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٣).

وقال قطربٌ: هي نعتٌ والهاءُ للمبالغة، أو هي صفةٌ للنفس أو للجماعة.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: أي: من القرآن، استفهامٌ بمعنى التوبيخ.

﴿تَعْجَبُونَ﴾: إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾: استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾: تدبُّراً[١] بوعيده.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩﴾.

﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾: قال الخليل: أي: ساهون غافلون[٢].

وقال قطربٌ: لاعبون.

وقيل: مغنُّون، وكانوا يعارضون القرآن بالغناء.

وقيل: أي: قائمون حيَارى.

وقيل: معرِضون طامحون بأبصاركم ناكسون رؤوسكم.

وقيل: السامد: المطرِق الحزين، ويكون صلةً لقوله: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾؛ أي: لا تبكون مطرِقين محزونين.

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: قيل: هي سجدة تلاوة، وقيل: هي سجدة الصلاة.

﴿وَاعْبُدُوا﴾: أي: وحِّدوه، وقيل: وأطيعوه.

وقال الشعبي رضي الله عنه: سجَد رسول الله ﷺ في النجم وسجَد معه المؤمنون والمشركون والجنُّ والإنس[٣].

والله الموفِّق

---

(١) في (ر) و(ف): «تذكراً».

(٢) انظر: «العين» (٧/ ٢٣٥).

(٣) ذكره عن الشعبي السمرقندي «تفسيره» (٣/ ٣٦٨). ورواه البخاري (١٠٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سُورَةُ القَمَرِ (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسـمِ اللهِ الـذي شَـقَّ القمَـر، الرَّحمـنِ الـذي خلَـقَ كلَّ شـيءٍ بقَـدَر، الرَّحيمِ الـذي وعَـدَ المُتَّقيـن بجَنَّـاتٍ ونَهَر.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ غِبًّا، بعثَه اللهُ يومَ القيامةِ ووجهُه مِثْلُ القمَرِ ليلةَ البَدْرِ، ومَن قرأَها في كل ليلةٍ فهو أفضلُ إنْ شاء اللهُ»(2).

وهي مَكِّيَّةٌ، وآياتُها: خمسٌ وخمسون.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةِ كلمةٍ واثنان وأربعون.

وحروفُها: ألفٌ وأربعُ مئةٍ وتسعةٌ(3) وأربعون.

وانتظامُ آخرِ تلك السُّورة بأوَّلِ هذه السورة: بذِكْرِ القيامةِ وقُرْبِها، قال هناك: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾، وقال هنا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين، وتنبيهِهم بقِصَصِ الأوَّلين.

---

(1) في (ر): «سورة اقتربت الساعة».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (9/ 160)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (1221)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 206)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 1019).

(3) في (ر): «وسبعة».

(١) ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي: دنَتِ القيامةُ.

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: أي: وقد انشَقَّ القمرُ نِصْفَين، وفي قراءة حُذيفة بنِ اليَمان كذلك: (وقد انشَقَّ القمرُ)(١).

قال أنسٌ: وذلك أنَّ المشركين سألوا رسولَ اللهِ ﷺ آيةً ـ وقيل: قد عَيَّنوا هذا ـ فأشارَ إليه، فانشَقَّ نِصْفَينِ(٢).

وهو عند عامَّةِ الصَّحابة ومَن بَعْدَهم على أنه قد كان، والحسنُ البصريُّ يحمِلُه على أنه مما يكون إذا قامَتِ القيامةُ(٣).

والصَّحيحُ هو الأَوَّلُ، وقد رواه عبدُ الله بنُ مسعودٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بنُ عمر، وحُذَيفةُ بنُ اليَمان، وعبدُ اللهِ بنُ عباس، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، ومُجاهدٌ، وإبراهيمُ(٤).

قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: لقد رأيتُ حِراءَ بين فِلْقَتَيِ القمر، فتعجَّبَ أهلُ مكَّةَ مِن ذلك، وقالوا: سِحْرٌ مَصْنوعٌ سيَذْهَبُ، فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ(٥).

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٩٧)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٦٠). وروى القراءة عنه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٢).

(٢) رواه البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه قال: سَأَل أهلُ مكةَ أن يُرِيَهم آيةً فأَراهُم انشقاقَ القمر.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٩)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١).

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٤). وحديث أنس في الصحيحين كما تقدم، وكذا حديث ابن مسعود وابن عباس كما سيأتي، وحديث ابن عمر رواه مسلم (٢٨٠١).

(٥) رواه عنه الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٨٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٩). وانظر التعليق الآتي.

وقال ابنُ مسعودٍ في روايةٍ: قال النبيُّ ﷺ: «اشهَدُوا شهدوا»، فقال المشركون: سحَرَ محمدٌ القمَرَ[١].

وقال ابن عباس: إنَّ المشركين قالوا لَمَّا انشَقَّ القمرُ: سحَرَ محمدٌ القمرَ، فنَسْتَخْبِرُ السُّفَّارَ والقادمين، فكلَّما قدِموا سألوهم، فأخبَروهم أنَّهم قد رأوا ذلك، فتعجَّبوا منه[٢].

* * *

(٢) ـ ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً ﴾: أي: مِثْلَ ما رأوا مِن انشقاق القمر.

﴿يُعْرِضُواْ﴾: أي: عن الإيمان بها.

﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي: ويُلَبِّسوا على الضَّعَفة، ويقولون: هذا تخييلٌ قَوِيٌّ، فعَلَه حاذِقٌ بالسِّحر، فيَتَصَوَّرُ بصُورة الانشقاق وهو بحاله لم يَنْشَقَّ، وهو مأخوذٌ مِن إمرار الحَبْل، وهو إحكامُ فَتْلِه.

وقال الأخفش: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: شديدٌ[٣]، والمِرَّةُ: القُوَّةُ والشِّدَّةُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٦٤) و(٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠)، دون قوله: «فقال المشركون: سحَرَ محمدٌ القمَرَ»، ولفظ مسلم: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٦)، والشاشي في «مسنده» (٤٠٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٤٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ٢٦٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وقد روى البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنه: (أن القمر انشق في زمان النبي ﷺ).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٠) عن الأخفش والفراء. =

وقال الكسائي والفراء: أي: يستمِرُّ ويذهبُ عن قليلٍ[1]؛ لأنه لا حَقيقةَ له؛ مِن المُرور.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي: يُشْبِهُ أفعالُ محمدٍ بعضُها بعضاً؛ كما يقول الفقهاء: (قياسٌ مُسْتَمِرٌّ)؛ أي: يجري على وجهٍ واحدٍ.

وقيل: أرادوا أنه سحرٌ مستمِرٌّ في الدُّهور قبل محمد؛ أي: هذا شيءٌ كان يفعلُه أمثالُ محمدٍ في الأُمَمِ الماضية.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي: مُمْتَدٌّ مِن الأرض إلى السماء، وكان قبلَ هذا سَحَرَةٌ في الأرض، فصار الآنَ سِحْرٌ في السماء.

***

(٣) ـ ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

﴿وَكَذَّبُوا﴾: أي: محمداً فيما جاء به مِن هذه الآيةِ وغيرِها.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي: فعلوا ذلك بالشَّهَوات والأهواء، لا بالحُجَّة.

وقولُه تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾: أي: وكلُّ أمرٍ مِن الخير والشَّرِّ، والحَقِّ والباطل، والهوى والحُجَّة، يستقِرُّ يوماً قرارُه، ويتناهى نهايتَه، فتخرُجُ حقيقته، وتزولُ شُبْهَتُه، وعند العواقب تظهَرُ الحقائقُ.

وهذا وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ وبِشارةٌ للرسول والمؤمنين، وهو كقوله:

= وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١٣) عن بعض البصريين.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٤). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٧) عن مجاهد، وقتادة، والفراء، والكسائي.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: إنَّ مُدَّتَه وإنْ طالَتْ فلا بُدَّ مِن أنْ يستقِرَّ قرارُه، وتنكشِفُ حقيقتُه مِن حقٍّ وباطل.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: أي: مِن أخبار الأُمَم الماضية التي هي غُيوبٌ، ولا يعلَمُها محمدٌ إلا بوحيٍ.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: أي: زَجْرٌ ومَنْعٌ، وقد زجَرَه وازْدَجَرَه، وهو للمصدر ها هنا كالازدجار؛ كالمُصْطَبَر يُستعمَلُ في معنى الاصطبار.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: قيل: هو ترجمةٌ عن الأوَّلِ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾؛ أي: حِكْمةٌ.

وقيل: إنها ترجمةٌ وبدلٌ عن قوله: ﴿مُزْدَجَرٌ﴾.

وقيل: أُضْمِرَ ابتداؤُه، وهذا خبرٌ عنه؛ أي: هذه ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: أي: بالِغَةٌ نهايةَ الإحكامِ.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾: يجوز أنْ يكون نَفْياً، ويجوز أنْ يكون استفهاماً بمعنى التَّوْبِيخ؛ أي: فما يُغْنِي النَّذِيرُ بعد النَّذير لِمَن أعرَضَ عنه ولم يتأمَّلْه وعانَدَ؟!

وقيل: فما يُغْنِي الأنبياءُ عن هؤلاء الكفار شيئاً مِن العذاب وما يَصْرِفُونه عنهم وهم لم يَقْبَلوا إنذارَهم؟!

* * *

(٦) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: أَعْرِضْ عن مُكَافأَتِهم الآنَ، إنَّ لهم يوماً يُجازَون فيه.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: قيل: تقديرُه: فتولَّ عنهم لِيومِ يَدْعُ الدَّاعِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، وقولُه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ يتعلَّقُ بقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾.

وقيل: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: ظرفٌ لقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾؛ كما قال: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١]، وهو إسرافيلُ في النَّفْخَة الثانية.

﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾: أي: هائلٍ مُنْكَرٍ لا يُطاقُ، ويُسَمَّى (نُكراً)؛ لِغِلَظِه على النَّفْس.

وقيل: لأنهم لم يروا مِثْلَه قَطُّ، فيُنْكِرونه استعظاماً له.

وقيل: أي: إلى شيءٍ كانوا يَجْحَدونه في الدنيا، ويُنْكِرونه في الدنيا، ولا يؤمنون به.

* * *

(٧) ـ ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾(١): قرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿خاشِعاً أبصارُهم﴾، وتقدُّمُ الصِّفة كتقدُّمِ الفعل، فيجوزُ تذكيرُه وتوحيدُه، قال الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهم ... مِن إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَدّْ(٢)

---

(١) في (ف): «خاشعاً أبصارهم»، وهما قراءتان متواترتان كما سيأتي.

(٢) نسبه أبو العلاء المعري في «رسالة الملائكة» (ص: ١٥٣)، وابن رشيق في «العمدة» (٢/ ٨٣) إلى أبي دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه (ص: ٩٢)، إلا أن مطلعه: (وفُتُوٍّ). =

وقرأ الباقون: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ على الجَمْع[1]؛ لأنها نَعْتٌ لـ(أبصار) حقيقةً، وهي جَمْعٌ.

ونصبُه على الحال مِن: ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

وقيل: نُصِبَ لأنه مفعولٌ به مِن قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾: أي: قوماً هُم كذا.

ومعناه: خاضِعين أَذِلَّةً لأمرِ الله.

وأضافَ الخُشوعَ إلى الأبصار؛ لأنَّ ذِلَّة الذَّليلِ وعِزَّةَ العزيزِ يَظْهَران في النَّظَر.

وقيل: هو دليلُ الخوفِ والحياء، فيُنَكِّسُ رأسَه، ويَخْفِضُ بصرَه.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: أي: القُبورِ.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾: وحَّدَ اللَّفْظَةَ، ومعناه: خاضعين كأنَّهم جرادٌ مُنْتَشِرٌ في كَثْرَتِهم وتفرُّقِهم في كلِّ جِهَةٍ.

وقيل: أي: يخرُجون فَزِعين لا يَهْتَدون، مُتَحَيِّرين لا جِهَةَ لأحدٍ منهم يَقْصِدُها.

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾: قيل: مُسْرِعين.

وقيل: رافِعين أبصارَهم إليه.

= وذكره دون نسبة الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١٨)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٨٦)، وابن خالويه في «الحجة» (ص: ٣٣٨)، والأزهري في «معاني القراءات» (٣/ ٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥).

وقيل: مُدِيمين النَّظَرَ إليه.

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: أي: شديدٌ عَسيرٌ.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: أي: رسولَهم نوحاً.

﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾: أي: هو مجنونٌ.

﴿وَازْدُجِرَ﴾: أي: زجَروه عن تبليغِ الرِّسالة بالتَّهديد والشَّتْم، و(ازدجَرَ) مُتعَدٍّ كـ(زجَرَ)، وهو كما قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾: أي: لَمَّا أَيِسَ مِن إيمانهم:

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾: أي: غلَبَني قومي بتمَرُّدِهم، ومنَعُوني عن الدُّعاء إليكَ.

﴿فَانْتَصِرْ﴾: أي: فانتَقِمْ لي منهم.

وعن عاصمٍ: (إني مَغْلوبٌ) بكسر الألف[1]؛ أي: دعا فقال: إني، والفتحُ لِوُقوعِ الفعلِ ـ وهو الدُّعاءِ ـ عليه.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾: أي: فأجَبْناه وأمَرْناه باتِّخاذ السَّفينة، ثم لَمَّا بلَغَ الكتابُ أجَلَه فتَحْنا أبوابَ السَّماءِ فوقهم.

﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾: أي: كثيرٍ مُنْصَبٍّ خارجاً عن المُعْتاد.

---

(١) ذكر القراءة ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٤) عن عاصم، وابن أبي إسحاق، وعيسى. وعزاها الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٨٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٩) إلى عيسى بن عمر النحوي.

وقيل: هو الكثيرُ السَّريعُ الانصِبابِ.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾: أي: سَيَّلْنا عُيونَ الأرضِ مِن تحتهم.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: أي: اجتمَعَ ماءُ السَّماءِ وماءُ الأرضِ، ولم يُثَنَّ لأنه اسمُ جِنْسٍ، وبالاجتماعِ يجوزُ أنْ يُقالَ: هذا ماءٌ واحدٌ.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: أي: قدَّرَه اللهُ، وعَلِمَ مِقْدارَه ومَبْلَغَه، وقَدَّرَ في أُمِّ الكتاب هلاكَ القومِ به، فلم يَزِدْهم على ما سبَقَ عِلْمُه به، ولم يَنْقُصْ[1] عنه.

وقيل: أي: التقى الماءانِ على مِقْدارٍ واحدٍ، فكان ماءُ السَّماءِ بقَدْرِ ماءِ الأرض، لا يزيدُ أحدُهما على الآخَرِ.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾: أي: حَمَلْنا نوحاً.

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾: أي: على سفينةٍ ذاتِ صَفائِحَ مِن الخَشَبِ التي تُؤَلَّفُ منها السَّفينةُ.

﴿وَدُسُرٍ﴾: جَمْعُ دِسارٍ.

وقال قُطْرُبٌ: هي المِسْمارُ.

وقال الخليل: الدِّسارُ: خَيْطٌ مِن لِيفٍ تُشَدُّ به ألواحُ السُّفُنِ[2].

وقال الفرَّاء: الدُّسُرُ: مساميرُ السفينة وشُرُطُها التي تُشَدُّ بها[3]، واحدتُها: دَسِيرة.

---

(١) في (ر): «ينتقص».

(٢) انظر: «العين» (٧/ ٢٢٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٦).

وقال مُجاهد: الدُّسُرُ: أَضْلاعُ السَّفينةِ(١).

وقال الضَّحَّاكُ: طرَفاها وأَصْلُها(٢).

وقال نِفْطَوَيْهِ: الدُّسُرُ: السُّفُنُ نفسُها تُدَسِّرُ الماءَ بصَدْرِها؛ أي: تَدْفَعُه.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: أي: بمرأى مِنَّا، نحن نراها ونحفَظُها.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾: أي: فعَلْنا ذلك جزاءً لنوحٍ بصَبْره على أذى قومِه وكُفْرِهم به، وتَرْكِهم الشُّكْرَ له على دعائه إياهم إلى ما فيه نَجاتُهم.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَهَآ ءَايَةً﴾: أي: ولقد ترَكْنا السَّفينةَ علامةً على قُدْرَةِ اللهِ تعالى، ولُطْفِه بأهل ولايته، وتمييزِه بين أهل الإيمان وأهل الكفر، والكنايةُ راجعةٌ إلى ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾.

وقيل: أي: ترَكْنا هذه الفِعْلَةَ آيةً للعالمين، يَعْتَبِرُ بها كلُّ مَن بلَغَه هذا الخبَرُ.

وقال قتادة: أبقى اللهُ سفينةَ نوحٍ على الجُوديِّ حتى أدرَكَها أوائلُ هذه الأُمَّةِ(٣).

وعن ابن عباسٍ مِثْلُه(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٤)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٢٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٣).

(٣) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٨).

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾: أي: بَقَّيْناها؛ كما قال: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: أي: مُتَّعِظٍ منكم مَعاشِرَ المشركين؟

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: أي: إنـذاري؛ أي: ألـم يكـن عذابي شـديداً مُهْلِكاً، أوَلـم يكن إنـذاري صِدْقـاً واقِعاً؟

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

قولُه: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: قال ابن عباس: هوَّنَّا قراءةَ القرآنِ لِيَتَّعِظَ المُتَّعِظُ به، ولولا أنَّ اللهَ تعالى يسَّرَه ما استطاعَ أحدٌ أنْ يتكلَّمَ بكلام الله تعالى(١).

وقال سعيد بن جُبيرٍ: يسَّرْناه للحفظ ظاهِراً، وليس مِن كُتُبِ اللهِ تعالى يُقْرَأُ ظاهِراً إلا القرآنُ(٢).

وقال الحسن: ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: أي: خائفٍ مِثْلَ عُقوبَتِهم(٣).

وقيل: يسَّرَ قراءتَه على ألسنةِ قومٍ، وعلَّمَه على قلوبِ قومٍ، وفهَّمَه على قلوب قومٍ، وحَفِظَه على قلوبِ قومٍ، وكلُّهم أهلُ القرآنِ، وكلُّهم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه.

---

(١) رواه مختصراً عنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٧٢)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٨٢).

وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ١٨٠)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٣).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٣٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٧).

وقولُه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: أي: رسولَهم هوداً.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾: أي: بالرِّيحِ العَقيم.

﴿وَنُذُرِ﴾: أي: إنذاري على لسان رسولي، أليس كان العذابُ أليماً شديداً، والإنذارُ حقًّا وصِدْقاً؟

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: يعني: شديدةً باردةً، ذاتَ بَرْقٍ وصوتٍ هائلٍ.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: أي: في يومٍ كان مَشْؤوماً عليهم.

﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: استمَرَّ بهم العذابُ حتى أهلَكَهم.

وقال قتادة: استمَرَّ عليهم شَرُّه؛ أي: دام إلى أن صاروا في نار جهنَّمَ[(١)].

وقال الفَرَّاءُ: أي: استمَرَّ عليهم بنُحُوسَته[(٢)]؛ أي: قَوِيَ واشتَدَّ.

وقال الكسائيُّ: هو مِن المرارة، وقد استمَرَّ الشيءُ وأَمَرَّ[(٣)].

وقال نِفْطَوَيْهِ: في يوم شُؤْمٍ مُسْتَحْكِمٍ، بكسر الكاف[(٤)].

قولُه تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: أي: تَقْلَعُهم مِن مواضِعهم.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٥). وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٩١)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٨)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٤).

(٣) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣٥).

(٤) «بكسر الكاف» ليس في (أ) و(ف).

قيل: كانت تأتيهم مِن تحت أقدامِهم فتَقْلَعُهُم كما تَنْقَعِرُ النَّخْلَةُ مِن أَصْلِها.

وقيل: كانت تَقْتَلِعُ الناسَ فتَرْمِي بهم على رؤوسهم، فتَدُقُّ رقابَهم، وتَبِينُ مِن أجسادِهم، فشُبِّهوا بأُصول النَّخْلِ لهذا.

وقيل: بل أَحْرَقَتْهم فقَطَّعَتْهم الرِّيحُ قِطَعاً، فكان كلُّ عُضْوٍ منهم كعَجُزِ النَّخْلِ المُنْقَعِرِ، فذلك قولُه:

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: والأعجازُ: جَمْعُ عَجُزٍ، وهو أَصْلُ النَّخْلَةِ.

والمُنْقَعِرُ: المُنْقَلِعُ مِن أصلِه.

والنَّخْلُ يؤنَّثُ إذا أُرِيدَ بها جَمْعُ نَخْلَةٍ، وعلى ذلك قولُه: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ويُذَكَّرُ إذا أُرِيدَ به الواحدُ، ويجوز أنْ يكون جَمْعاً هاهنا وذَكَّرَ نَعْتَه للفظه، والأَولى أنْ تكون جَمْعاً؛ لأنه شبَّه بها الجماعةَ.

وقيل: كأنهم حفَروا حُفَراً دَخَلوا فيها، فكانت الرِّيحُ تَنْزِعُهم؛ أي: تُخْرِجُهم منها، فتكْسِرُهم، فتبقى تلك الحُفَرُ كأنها أصولُ نخلٍ قد هلَكَ ما كان قائماً فيها، فبَقِيَ موضعُها مُنْقَعِراً، وهو الشيءُ الذي له قَعْرٌ.

وقال الأخفش: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: أي: أَسافِلُ نَخْلٍ مُنْقَلِعٍ[1].

* * *

(٢١ ـ ٢٤) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: فسَّرْناه.

---

(١) وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٨)، وأبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤١).

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: فسَّرْناه مَرَّةً، وكرَّرَه لأنَّ معناه: سَهَّلْنا سبيلَ التَّذَكُّرِ والاتِّعاظ به لمَّا وصَّلْنا به القولَ مِن قِصَصِ الأوَّلين تَنْبيهاً للآخِرين.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: قيل: بالإنذار، وهو واحدٌ.

وقيل: بالآيات التي هي نُذُرٌ، جَمْعُ نذيرٍ.

وقيل: بصالحٍ ومَن تقدَّمَه مِن الرُّسُل، جَمْعُ نذيرٍ، وهو الرسولُ المُنْذِرُ.

قولُه تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾: أي: استنْكَروا أنْ يَلْزَمَهم الانقيادُ لِبَشَرٍ هو واحدٌ منهم؛ أي: مِن جِنْسِهم وجُمْلَتِهم يأكُلُ الطَّعامَ، ويمشي في الأسواق.

﴿إِنَّا إِذًا﴾: لو اتَّبَعناه.

﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾: أي: ذهابٍ عن الحقِّ.

﴿وَسُعُرٍ﴾: أي: جنونٍ، وهو قولُ القُتَبِيُّ، قال: هو مِن تَسَعُّرِ النارِ، ويُقالُ: ناقةٌ مَسْعورةٌ؛ كأنها مجنونةٌ مِن النَّشاط[1].

وقال قتادة: أي: عذابٍ وعَناءٍ[2].

وقال الأخفش: هو مِن الاستعار[3]؛ أي: الالتهاب؛ أي: في تعَبٍ شديدٍ يَلْتَهِبُ مِن التَّمادي فيه، ومَن حمَلَه على الجُنون، فإنَّ الجُنونَ يُحَرِّكُ صاحبَه ويُلْهِبُه.

وقيل: أي: في أمرٍ يُسْعِرُ مِثْلُه؛ أي: يُلْهِبُ صاحبَه ويُحَرِّكُه حتى يُحميَه فيأنَفَ منه.

***

---

(١) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٣٣).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٧١) بلفظ: ضلال وعمى، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٠).

(٣) في (ر): «السعارة»، وفي (ف): «الاستعارة». وذكره عن الأخفش السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣١٨).

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾.

﴿أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾: أي: الوحيُ، وذكْرُ ما بالناس إليه حاجةٌ مِن أمور الدِّين والدنيا وفينا مَن هو أكثرُ مالاً وأعلى حَسَباً منه؟!

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾: أي: ليس كما يقول أنَّ الوحيَ أُنْزِلَ عليه مِن بيننا، بل هو كذَّابٌ في ذلك.

﴿أَشِرٌ﴾: لَجُوجٌ[1] يلتمِسُ التَّجبُّر والتَّكبُّر علينا مِن غير استحقاقٍ.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾: أي: يومَ القيامةِ ﴿مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾.

وقيل: ﴿غَدًا﴾: أي: يومَ يَنْزِلُ بهم العذابُ المُسْتَأْصِلُ في الدنيا.

وقال الحسَنُ: قرَّبَ اللهُ تعالى الآخرةَ مِن الدنيا كقُرْبِ الغَدِ مِن اليوم[2].

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾: أي: لَمَّا كذَّبوه سألوه آيةً، وهو أنْ يُخْرِجَ لهم ناقةً مِن الجبل، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾: أي: مُخْرِجُوها وباعِثُوها.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾: أي: اختباراً وامتحاناً حتى يَظْهَرَ للعباد ما نحن عالِمون بما يكون منهم.

---

(١) في (أ) و(ر): «الحوح».

(٢) لم أقف عليه عن الحسن.

وقيل: أي: تشديداً للتَّعَبُّد عليهم بما يَلْزَمُهم مِن الصَّبر على ضِيقِ الماء والكلأِ بخُروج الناقة لحاجَتِها إلى الكثير منها مع فَصيلِها.

﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾: أي: فانتظِرْهم، وتَبَصَّرْ ما يكون منهم، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ على ارتقابِهم، ولا تَعْجَلْ إلى أنْ يؤمنوا، أو يَهْلِكوا.

وقولُه تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾: أي: خَبِّرْهم ﴿أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: مَقْسومٌ بين القوم وبين الناقة، والقِسْمَةُ ما ذُكِرَ في سورةٍ أخرى: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾: أي: كلُّ نصيبٍ مِن الماء يُحْضِرُه صاحبُه في يومه.

***

(٢٩) ـ ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾: رُوِيَ أنَّ الأمرَ لما طالَ بهم في الناقة، غلَبَ عليهم الشَّقاءُ، فائتَمَرَ تسعةُ نفَرٍ منهم، وهُم المذكورون في قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ [النمل: ٤٨] منهم قُدارُ بنُ سالِف، ائتمَروا بها، فلما أَجْمَعوا على قَتْلِها قال بعضُهم لبعضٍ: أيُّكم يَكْمُنُ للناقة حين تمُرُّ إذا صدَرَتْ عن الماء، فتحاماها القومُ، وكمَنَ لها قُدارُ بنُ سالِفٍ لِيَقْتُلَها، وصاح بها بَقِيَّةُ الرَّهْطِ وهي على الماء، فقتلَها قُدَارُ بنُ سالِفٍ، فكان معنى قولِه: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾: أي: فنبَّهوه على مَجيئِها وقُرْبِها مِن مَكْمَنِه، ودَعَوْه إلى قَتْلِها.

وقيل: لَمَّا ائتمَروا بها قال أحدُهم: أنا أَكْفِيكُمُوها، فلما هَمَّ بها هابَها، فناداه أصحابُه فشَجَّعوه.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾: أي: فتناوَلَ ما دَعَوْه إليها فقتَلَها.

وقيل: رماها رجلٌ منهم فأصابَ عَضَلَةَ ساقِها، ثم صاحَ: دونَكَ يا قُدَارُ، فهي هذه تمُرُّ عليك، فمَرَّتْ بقُدار، فضرَبَ ساقَها الأخرى فصُرِعَتْ لِجَنْبِها، ثم وجَأَ بالسيف في لَبَّتِها حتى فرَغَ منها.

وقيل: عقَرَها قُدارٌ؛ أي: جَرَحَها، فلما صرَعَها مالوا[1] جميعاً عليها فقتَلوها.

وقيل: بل عقَرَها هو وقتَلَها، والعَقْرُ: هو القَتْلُ، قال ﷺ: «مَن عُقِرَ جوادُه» الحديث[2].

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: فسَّرْناه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: أي: صاعِقَةً، فأهلَكَتْهم جميعاً.

﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: أي: فصاروا بعد غَضارَتِهم وحُسْنِهم كيَبْسِ الشَّجَر والنبات الذي يَجْمَعُه صاحبُه ويَحْتَظِرُه لمواشيه؛ أي: يَتَّخِذُ لها حَظِيرةً يَجمَعُها، وذلك مُتَكَسِّرٌ مُتَفَتِّتٌ، وذلك يحتمِلُ معانيَ ثلاثةً:

أحدُها: أنْ يكون صاحِبُ الحَظِيرةِ قد احتَظَرَ لِغَنَمِه، ثم لم يَجْمَعْ فيها الهَشِيمَ مِن النَّبات للغنم لِتَأْكُلَه.

والثاني: أنْ يكون المُحْتَظِرُ اتَّخَذَ الحَظِيرةَ للنبات اليابس.

---

(١) في (ر): «قاموا».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٧٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو، وجابر، وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم، ولفظ جابر: «قالوا: يا رسول الله، أي الجهاد أفضل؟ قال: مَن عُقر جواده، وأُهريق دمه».

والثالثُ: أنْ يَحْتَظِرَ النَّباتَ الرَّطْبَ، فييْبَسَ ويَسْقُطَ ويصيرَ هَشيماً بوَطْءِ الناس والبهائم.

وقرأ الحسَنُ: (المُحْتَظَر) بفتح الظاء[1]، وله وجهان:

أحدُهما: أن يكون المُحْتَظَرُ هو الهَشِيمُ، وأُضِيفَ إلى نفْسِه.

والثاني: أن يكون المُحْتَظَرُ هو الحَظِيرةُ، والهَشِيمُ مُضافٌ إليها.

* * *

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: وقد مَرَّ سِياقُ القصة في سورة الأعراف.

قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾: فسَّرْنا النُّذُرَ بثلاثة أوجهٍ في هذه السورة في قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: أي: سَحاباً حَصَبَهم؛ أي: رماهم بالحِجارة والحَصى.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: أي: لوطاً ومَن آمَنَ به.

﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾: أي: أمَرْناه حتى خرَجَ بهم بِقِطْعٍ مِن الليل، وجاء العذابُ قومَه الصُّبْحَ.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: أي: إنعاماً مِنَّا على لوطٍ وأهلِه.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾: بإنعامنا، فآمَنَ ولم يُكَذِّبْ.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٩٢)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٢).

قال الفرَّاءُ والكسائيُّ: إذا قُلْتَ: (خرَجْتُ بسَحَرٍ) أجْرَيْتَه بجَعْلِه نكرةً، وإذا حذَفْتَ الباءَ لم تُجْرِه[١].

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾: أي: كان خوَّفَهم بأَخْذِنا إيَّاهم إذا أقاموا على كفرهم وتكذيبهم.

وخرَجَ الكلامُ مَخْرَجَ المَرَّةِ الواحدةِ؛ لأنهم لم يَبْقَوا بعد تلك البَطْشَةِ الواحدةِ.

﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾: أي: فشَكُّوا فيما أَنْذَرَهم به، وجادَلوه فيه وجَحَدوه، وقالوا: كيف يَتَهَيَّأُ له إهْلاكُنا وهو واحدٌ مِنَّا؟!

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾: أي: طالَبوه بتسليم أضيافِه إليهم، وهُم الملائكةُ الذين رأوهم على صورة الغِلْمان، وظَنُّوهم مِن البَشَر، وقَصَدوا منهم ما اعتادوه مِن خَبائِثِهم[٢].

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: قيل: فأَعْمَيْناهم؛ رُوِيَ: أنَّ جبريلَ مسَحَ وجوهَهم بجناحِه فأَعْماهم، فجعَلوا يجولون لا يَدْرون كيف يَتوَجَّهون.

وقيل: صُيِّرَتْ أعينُهم كسائر الوجه لا شِقَّ لها؛ كما تَطْمِسُ الرِّيحُ الأعلامَ بالرَّمْلِ والتراب.

وقيل: بل أعماهم مع بقاءِ صُوَرِ أعيُنِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٩).

(٢) في (ر): «خيانتهم».

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: أي: وقيل لهم ذلك.

وقيل: معناه: أَذَقْناهم ذلك؛ كما قال: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: سَيَّرْناهم كذلك.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾: أي: جاءهم صباحاً؛ كما قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١].

﴿بُكْرَةً﴾: أَوَّلَ النَّهارِ حين يَطْلُعُ الفجرُ.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: أي: ثابتٌ مُسْتَقِرٌّ فيهم إلى أنْ هلكوا جميعاً، لم يكن كالشيء الذي يمُرُّ بالشيء فيأخُذُ بَعْضاً ويترُكُ بَعْضاً.

وقيل: أي: يَسْتَقِرُّ بهم إلى أنْ يُوافُوا جهنَّمَ.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: فسَّرْناه.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: فسَّرْناه أيضاً، وهو سِياقُ القصَّةِ في سورة الأعراف وغيرِها.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾: أي: الآياتُ التي أُنْذِروا بها؛ كالضَّفادعِ، والدَّمِ، والطُّوفان، والجرادِ، والقُمَّلِ، والسِّنين، واليدِ، والعصا.

ويَحْتَمِلُ أنْ يكون النُّذُرُ هُمُ الرُّسُلُ، فقد جاءهم يوسُفُ وبنوه إلى أنْ جاء موسى وهارونُ.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾: أي: الأعلامِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ الرُّسل.

ويَحْتَمِلُ أن يكون أرادَ به آلَ فرعونَ، ويَحْتَمِلُ أن يكون أرادَ به كلَّ الأُمَمِ الذين ذكرَهم في هذه السورة.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: أي: عاقَبْناهم مُعاقَبَةَ مَن لا يتهيَّأُ الاعتراضُ عليه، ولا مَنَعَةَ لِعِزِّه وسُلْطانِه ومعاقبِه، قادرٌ على كل شيءٍ، لا يفوتُه هارِبٌ، ولا يُعْجِزُه غالِبٌ.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ﴾: يُخاطِبُ مُشْركي قريشٍ.

﴿مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾: أي: الأُمَمِ الماضية؛ أي: ليسوا كذلك، بل كلُّكم[1] سواءٌ؛ لأنَّ الكلَّ كفارٌ مُكَذِّبون، فإذا شارَكْتُموهم في الجِناية، تُشارِكونهم في العُقوبة.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾: أي: أم تدَّعون أنَّ لكم براءةً مِن الله في الكُتُبِ المُنَزَّلة على أنبيائه بالسَّلامة مِن العُقوبة، وخروجِكم بذلك من الجُمْلَةِ؟!

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾: أي: مُنْتَصِرون مُجْتَمِعون مُمْتَنِعون، فلا ينالُنا أحدٌ بمكروهٍ، ولا يَقْدِرُ علينا.

ووحَّدَ المُنْتَصِرَ لأنه نعتَ به قولَه: ﴿جَمِيعٌ﴾، ولفظُه لفظُ الواحدِ؛ كـ(السَّميع) و(البديع).

(٤٥) ـ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾: فلا ينفعُهم الاجتماعُ.

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾: أي: الأَدْبارَ، وهو اسمُ جِنْسٍ يصلُحُ للجَمْع.

---

(١) في (أ) و(ر): «كلهم».

وحُقِّقَ ذلك يومَ بدرٍ، ودلَّتِ الآيةُ على صدقِ نُبُوَّةِ رسولِ الله ﷺ حيث أَخْبَرَ فكان كما أخبرَ، فدلَّ أنه قال ذلك بوَحْيِ اللهِ تعالى، وهذا كلُّه توبيخٌ، يقولُ لهم: لم تُقاوِموا عبادَ اللهِ، فكيف تُقاوِمون عذابَ اللهِ؟!

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ قيل: معناه: أفأنتم.

وقيل: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أيَّتُها الأُمَّةُ.

وقيل: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطابٌ لقومٍ أَسْلَمَ بعضُهم، وهذا خِطابٌ، ثم قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: على المُغايَبَة، وهو مِن تلوينِ الكلام وأقسامِ البلاغة.

* * *

(٤٦) ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: أي: القيامةُ، فلا نَقْتَصِرُ بعذاب الدنيا، بل نُدِيمُ عليهم العقابَ في العُقْبى.

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾: أي: أعظَمُ وأنكرُ.

﴿وَأَمَرُّ﴾: قيل: أشَدُّ.

وقيل: أمَرُّ مَذاقاً.

وقيل: نزل قولُه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ في أبي جهلٍ، وذلك أنه كان عنده فرَسٌ كُمَيْتٌ[1] يَعْلِفُها كلَّ يومٍ فَرَقاً من ذرةٍ، ويَحْلِفُ باللَّاتِ والعُزَّى لَيَقْتُلَنَّ عليه محمداً، فلما كان يومُ بدرٍ رَكِبَه وجعلَ يُطارِدُ ويقول: نحن اليومَ جميعٌ مُنْتَصِرٌ ممَّن عادانا، فقتَلَه عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ يومَ بدرٍ، وأخبَرَ رسولَ الله ﷺ بذلك، وقال: رأيتُ النَّارَ تَلْتَهِبُ مِن جسَدِه، فقال النبيُّ ﷺ: «ذلك ضَرْبُ الملائكةِ يا عبدَ الله، فإذا كان

---

(١) الكميت: مشتق من الكمتة، وهو لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل ونحوها. انظر: «المحكم» (٦/ ٧٨١).

يومُ القيامةِ وأُدْخِلَ النَّارَ قيل له: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥]»[1].

وعن عمر أنه قال: لَمَّا نزَلَ قولُه: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: كنت لا أدري أيَّ جَمْعٍ يُهْزَمُ، فلما كان يومُ بدرٍ رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يَثِبُ في دِرْعِه، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[2].

***

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾: أي: إنَّ المشركين في ضَلالٍ عن الحقِّ في الدنيا، وفي نيرانٍ تَسْتَعِرُ فيهم في العُقْبى، وهي جَمْعُ سَعيرٍ.

وقيل: هو على مُقابَلَةِ قولِهم: ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾: أي: يُجَرُّون في نارِ جهنَّمَ بعد دخولِهم فيها، تَجُرُّهم الزَّبانِيَةُ.

وقرأ ابن مسعود: (يوم يُسْحَبون إلى النار)[3]، وذلك يكون قَبْلَ الإِدْخال.

---

(١) ذكره مختصراً مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٨٤). وأما قول النبي ﷺ: «ذلك ضرب الملائكة»، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٣٠) مرسلا عن الحسن، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٩٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥٤٠).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣٨٢٩) و(٩١٢١). وقصة قراءة النبي ﷺ لها رواها البخاري (٤٨٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٠١) و«تفسير الطبري» (٢٢/ ١٥٩).

و﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: دِلالةُ نهايةِ الإذلال، وبيانُ أنَّهم لا يُجَرُّون على أَقْفِيَتِهم بل على وُجوهِهم.

وقُرِئَتِ الآيةُ بين يدَيِ الفُضَيْلِ، فبكى حتى خَنَقَتْهُ العَبْرةُ، فقال: واللهِ لو سُحِبوا على الخَزِّ والحريرِ لكان شديداً، فكيف إذا سُحِبوا على النار؟!

﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾: أي: يُقالُ لهم هذا، وسَقَرُ مِن أسماء جهنَّمَ، ولا تُصْرَفُ لأنَّها مؤنثةٌ مَعْرِفَةٌ، وهي مِن سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ؛ أي: أَحْمَتْه.

* * *

(٤٩) ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾: قال أبو هريرةَ: جاء مُشْرِكو قُرَيْشٍ إلى النبي ﷺ يُخاصِمونه في القدَرِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[١].

وقال أنس: سمعتُ عمرَ يَحْلِفُ أنها نزلَتْ في القَدَرِيَّة[٢].

وقال ابن عباس: إنَّ أصحابَ هذه الآيةِ ما كانوا، وليكونُنَّ بعدُ[٣].

وقال كعبُ الأحبارِ: ويلٌ لأهلِ القَدَرِ! إنها لَمَكْتوبةٌ في التوراة: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٧٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (٩٧٣٦)، ومسلم (٢٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦١).

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٤)، وابن الجوزي في «المسلسلات» مرفوعا من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مسلسلا بقوله: (أشهد الله).
ورواه الطبراني في «الكبير» (١١١٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد، وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٧٧)، والخلدي في «الفوائد والزهد» (٤٨)، والسلفي في «الطيوريات» (٢/ ٥٢٨)، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (٧٥٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

﴿ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾ إلى قولِه: ﴿خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾(١)؛ أي: بتقديرٍ سبَقَ في عِلْمِنا وإرادتِنا.

ونُصِبَ: ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾: بتقدير: إنا خلَقْنا كلَّ شيءٍ بقَدَرٍ.

وقيل: يتَّصِلُ بقوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾: لكن عند الوقتِ المقدَّر، ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ والتَّأْخيرُ إليها بما سبَقَ مِن القَدَر.

* * *

(٥٠ ـ ٥٢) ـ ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾: أي: قولةٌ واحدةٌ، وأمْرةٌ(٢) واحدةً؛ أي: وما أَمْرُنا لشيءٍ إذا أَرَدْنا تكوينَه إلا أنْ نقولَ له: كُنْ فيكون.

﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾: منكم، لا يُبْطِئُ ولا يتأخَّرُ ولا يَتَعذَّرُ، فلو أرَدْنا قِيامَ الساعةِ أو أرَدْنا استئصالَكم لكانَ، وإنما التَّأْخيرُ لِتقديرٍ قد سبَقَ.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾: أي: مَن تابعَكم على الكفر والتكذيب مِن هذه الأُمَمِ التي ذكَرْنا ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: أي: مُتَّعِظٍ؛ أي: فيتذكَّر.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾: أي: فعَلَه أشياعُكم هو في الزُّبُرِ؛ أي: في الكُتُب التي عنده، وهي أمُّ الكتاب.

وقيل: في كُتُبِ الحفَظَةِ.

* * *

(٥٣ ـ ٥٥) ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾.

---

(١) رواه عنه مختصرا الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٢٥).

(٢) في (ر) و(ف): «أو مرة».

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: مِن عَمَلٍ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: أي: مكتوبٌ، وكلُّ كبيرٍ كذلكَ؛ ولذلك وحَّدَ النَّعْتَ؛ أي: محفوظٌ لا يُنْسَى، فيُجازَى عليه يومَ القيامة.

وقال أبو العالية: ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: أي: مَحْصِيٌّ ذلك في كتابِ أجَلِه ورِزْقِه واسمِه وشَقِيٍّ وسعيدٍ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾: وهُم على خِلاف المُجرمين.

﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: أي: بساتين.

﴿وَنَهَرٍ﴾: أي: أنهارٍ، نابَ الواحدُ عن الجَمْعِ لأنه جِنْسٌ؛ كما قال: ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

وقيل: أي: في ضِياءٍ وسَعَةٍ؛ لأنَّ الجنَّةَ لا ليلَ فيها. وهو قولُ الأخفشِ والكسائيِّ والفرَّاء(١)، ومنه اشتقاقُ النَّهارِ.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: أي: مَجْلِسِ حَقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ.

وقيل: أي: موضِعٍ حسَنٍ؛ كما يُقالُ: ثوبُ صِدْقٍ.

وقال الأشعريُّ: هو منابرُ مِن الدُّرِّ والياقوتِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ(٢).

وقال الإمام القُشَيريُّ: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مكانِ أهلِ صِدْقٍ، والصادِقُ: مَن يعبُدُ اللهَ لا على مُلاحظَةِ الأعواضِ(٣).

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: وهو قُرْبُ الكرامة، لا قُرْبُ المكانِ والمُقامَة.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١١).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» مرفوعا (٢/ ٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٤)، من قول عبد الله بن بريدة.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥٠١).

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي خلَقَ الإنسان، الرَّحمنِ الذي علَّمَ القرآن، الرَّحيمِ الذي جعلَ جزاءَ الإحسانِ الإحسانَ.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ سُورةَ الرَّحمنِ رَحِمَ اللهُ ضَعْفَه، وأدَّى شُكْرَ ما أنعَمَ اللهُ عليه»[1].

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، ويُقال: مدنيَّةٌ، والأوَّلُ قولُ ابنِ عباسٍ والضَّحَّاكِ، والثاني قولُ مُقاتلِ بنِ حيَّانَ والواقديِّ[2].

وهي ستٌّ وسبعون آيةً، ويُقال: سبعٌ، ويقال: ثمانٍ[3]، الاختلافُ في خمسٍ:

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٦)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٧)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضلئل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٢١).

(٢) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢) عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وجابر، أنها مكية كلها، إلا أن ابن عباس استثنى قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وأن ابن مسعود ومقاتل قالا: هي مدنية كلها.

وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٣) أنها مكية في قول الجمهور من الصحابة والتابعين، سوى نافع بن أبي نعيم، وعطاء، وقتادة، وكريب، وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) بعدها في (ف): «وقيل تسع»، وهو مخالف لباقي النسخ، ولما ذكره الثعلبي في «تفسيره» مطلعَ هذه السورة، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٧) حيث قال: (وهي سبعون وستٌّ =

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾، ﴿وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، ﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾، ﴿يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وإحدى وخمسون.

وحروفُها: ألفٌ وخمسُ مئةٍ وخمسون.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّ تلك خُتِمَتْ باسمٍ مِن أسماءِ الله تعالى، وهذه أيضاً افتُتِحَتْ باسمٍ مِن أسماءِ الله.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في جزاء أهلِ التَّكذيب، وهذه السُّورةُ في تَقْريعِ الجنِّ والإنسِ على التَّكْذيب، قال في تلك: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القمر: ٣]، ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [القمر: ٩]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ [القمر: ١٨]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ [القمر: ٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ [القمر: ٣٣]، ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ [القمر: ٤٢]، وقال في هذه السُّورة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مُكرَّراً، ﴿يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

وقيل: هذه السُّورةُ في ذِكْر الدنيا وأحوالِها، والقيامةِ وأهوالِها، والنارِ ودرَكاتِها، والجنَّةِ ودرجاتِها.

وقيل: هذه السُّورةُ في ذِكْرِ الآلاءِ والنَّعْماءِ، وهي نِعَمُ الدنيا والدِّين، وذِكْرِ يومِ الدِّين، وما فيه للكفار والمؤمنين.

وعن ابن عباسٍ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يكتُبُ في بَدْءِ الإسلام: (باسمِكَ اللَّهُمَّ)، كما كانت قريش تكتُبُ، حتى نزلَتْ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾، فكتَبَ حَوْلاً: (باسمِ اللهِ) حتى نزلَتْ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾، فكان يكتُبُ (بسم الله الرحمن الرحيم)، فقالت قريشٌ: يا محمدُ، كنتَ إلى الآن تعبُدُ إلهاً واحداً، وأنتَ

= بَصْري، وسبعٌ مدنيان ومكي، وثمانٍ كُوفي وشامي).

الآن تعبُدُ إلهين؟! فبَيِّنْ لنا: أنعبُدُ اللهَ أم نعبُدُ الرَّحمنَ؟! فنزلَتْ: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، ثم نزلَتْ هذه السُّورةُ[١].

والمعنى: الرَّحمنُ الذي يكفُرُ به أهلُ مكَّةَ هو الذي علَّمَ محمداً القرآنَ.

وقال الضَّحَّاكُ: قال أهلُ مكَّةَ: ما نعرِفُ الرَّحمنَ إلا صاحِبَ اليَمامةِ[٢]، فنزلَتْ هذه السُّورةُ.

وقال الشَّعبيُّ: قالت اليهودُ لرسول الله ﷺ: إنا لَنراكَ تُكثِرُ ذِكْرَ اللهِ وتُقِلُّ ذِكْرَ الرحمن، فما بالُكَ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه السُّورةَ[٣].

وقال عطاءٌ: لَمَّا نزلَتْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٤].

وعن هشامِ بنِ عُرْوةَ عن أبيه قال: كان أوَّلَ مَن جهَرَ بالقرآن بمكَّةَ بعد رسولِ الله ﷺ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وذلك أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ اجتمَعوا، فقالوا: ما سَمِعَتْ قريشٌ القرآنَ يُجْهَرُ به، فمَن رجلٌ يُسَمِّعُهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا:

---

(١) متنه مركب من خبرين، فإلى قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) مروي عن الشعبي، رواه بنحوه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٥٨)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢١٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٨٩٠).

والقطعة الأخيرة منه رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٤١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٨) عن عطاء، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٨) من غير نسبة، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٨).

إنَّا نخشى عليكَ منهم، وإنَّا نريدُ رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه، فقال: دَعُوني، فإنَّ اللهَ سيمنعُني، ثم قام عند المقام، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رافِعاً بها صوتَه وقريشٌ في أَنْدِيَتِها، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، فتأمَّلوا وقالوا: ما يقولُ ابنُ أُمِّ عبدٍ؟ ثم قاموا إليه، فجعَلوا يضربونه وهو يقرأُ حتى بلَغَ منها إلى ما شاءَ اللهُ تعالى، ثم انصرَفَ إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خَشِينا عليكَ(١).

* * *

(١ ـ ٤) ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: قد ذكَرْنا الأقاويلَ في تفسيرِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في أوَّلِ هذا الكتاب.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: محمداً، وقيل: هذه الأُمَّةَ.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي: آدمَ، وقيل: جِنْسَ الإنسِ.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: أي: الكلامَ الذي يَتبَيَّنُ به ما في قلبه، وما يحتاجُ إليه مِن أُمورِ دُنْياه ودِينه، ويدخُلُ في البيان: الكتابةُ، والإشارةُ، وما يقَعُ به الدِّلالةُ، وهو امتنانٌ منه على العباد بتعليم اللُّغاتِ المُخْتلِفَة، ووجوهِ الكلامِ المُتفرِّقَة.

وقيل: ﴿ٱلْبَيَانَ﴾: إخراجُ شيءٍ عن حيِّزِ الإشْكال(٢) إلى حَيِّزِ التَّجَلِّي.

---

(١) ذكره من الطريق المذكور الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٦). ورواه ابن إسحاق في «السيرة» (ص: ١٨٦)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٣٥) من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه، وهو مرسل من كلا الطريقين.

(٢) في (ر): «الإمكان». والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في كتب الأصول وغيرها. وجاء في «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية» للطوفي (ص: ٦١٤): (من حيز الخفاء)، ولعله شرح لكلمة (الإشكال).

وقيل: هو ما كَشَفَ عن الضَّمير، وأبرَزَ المستورَ.

وقال مُجاهدٌ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: الحلالَ والحرامَ(١).

وقال قتادةُ: يعني: بيانَ الدُّنيا والآخرةِ(٢).

وقال يمانُ بنُ رِئاب: علَّمَه الكتابةَ والخَطَّ والقلَمَ(٣).

وقيل: لَمَّا قال أهلُ مكَّةَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: يعنون: جَبْراً، ويَساراً، وعابِساً، كذَّبَهم اللهُ تعالى، فقال: أنا علَّمْتُه(٤).

وقال ابن كيسان: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: يعني: محمداً ﷺ، ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: يعني: بيانَ ما كان وما يكون؛ لأنه كان يُبِينُ عن الأوَّلين والآخِرين، وعن يوم الدِّين(٥).

وقال الإمام القُشَيريُّ: علَّمَ آدمَ الأسماءَ، وقال له: نَبِّئْ بها الملائكةَ، وعلَّمَ هذه الأُمَّةَ القرآنَ، وقال: صلُّوا لي وناجوني فيها بما علَّمْتُكم.

وقال في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: علَّمَ كلَّ قومٍ لِسانَهم الذي

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٣) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٩).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» (١/ ٤٢٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٨)، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: (أنه كان لهم عبدان من أهل عين التمر، وكانا صيقلين، وكان يُقال لأحدهما يسار، والآخر جبر...). وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤)، وليس فيها ارتباط الحادثة بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٣٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٣٨).

يُخاطَبون به، والبيانُ الذي خَصَّ به الإنسانَ للأغيار، حتى عُلِّموا كيف يُخاطِبون أمثالَهم وأشكالَهم، وأما أهلُ الإيمانِ والمعرفةِ فعلَّمَهم كيف يُخاطِبون مولاهم، وبيانُ العَبْدِ مع الحقِّ مُخْتَلِفٌ، فقومٌ يُخاطِبونه بلسانهم، وقومٌ بقلوبهم، وقومٌ بأنفاسِهم، وقومٌ بدُموعهم، وأنشدَ:

دمـوعُ الفتـى عمـا يُجِـنُّ[1] تُتَرْجِـمُ ... وأنفاسُـه تُبْدِيـن مـا القـومَ يَكْتُـمُ[2]

وقومٌ بحنينِهم وأنينِهم:

قـــل لي بألســـنة التَّنَفْــ ... ـفُسِ كيف أنتَ وكيف حالك[3]

***

(٥) ـ ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾: قيل: هو جَمْعُ حِسابٍ؛ كالشِّهاب والشُّهْبان.

وقيل: هو مصدرٌ؛ كالكُفْران والنُّقْصان.

قيل: القمرُ يقطَعُ بروجَ السَّماءِ في ثمانيةٍ وعشرين يوماً، والشَّمسُ تقطَعُ البُروجَ في ثلاثِ مئةٍ وخمسةٍ وستين يوماً وشيءٍ.

وقال السُّدِّيُّ: عليهما حسابٌ وأجَلٌ كآجالِ الناس، فإذا جاء أجلُهما هلَكا[4]،

---

(١) في (ر): «يحس».

(٢) الشطر الثاني من البيت ليس من (أ) و(ر)، وهو في «لطائف الإشارات» برواية: وأشواقه تبدين ما هو يكتم.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣)، =

فالشَّمسُ تُكَوَّرُ، والقمرُ يُخْسَفُ.

وقال ابن كيسان: يعني بهما: بحسَبِ السِّنونَ والأزمانِ والأعمارِ والآجالِ[١].

وقال يمانُ بنُ رِئاب: يَجْريان بأجَلِ الدُّنيا وفنائِها[٢].

وقيل: بيَّنَ بهذه الآياتِ أصنافَ خَليقَتِه العُلْوِيَّةِ والسُّفْلِيَّةِ التي إنما خَلَقَها لِعِباده، ودَلَّهم بها على وَحْدانِيَّتِه وقُدْرَتِه، فقال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾: أي: بحِسابٍ معلومٍ يَجْريان به، لا يَخْتَلِفُ جَرْيُهما، أخبَرَ أنهما مُسَخَّرانِ مَرْبُوبانِ ليسا بإلَهَينِ مُسْتَحِقَّينِ للعبادة كما يعبُدُهما عبَدَةُ الشمس والقمر، بل المُسْتَحِقُّ للعبادة خالِقُهما ومُسَخِّرُهما.

وقيل: أي: يَجْريان بحسابٍ يُتَوَصَّلُ به[٣] إلى عِلْمٍ كثيرٍ مِن أسباب الدنيا والدِّين، وذلك أحدُ ما علَّمَ اللهُ خَلْقَه مِن البَيان.

* * *

(٦) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾: قيل: النَّجْمُ: النَّبْتُ الذي لا ساقَ له، مأخوذٌ مِن نَجَمَ؛ أي: طلَعَ.

﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: ما له ساقٌ وأغصانٌ، مأخوذٌ مِن الاشتِجار، وهو تداخُلُ الأَغْصانِ بعضِها في بعضٍ.

= والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢٣). ورواه عبد بن حميد وابن المنذر فيما عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩١) عن أبي مالك رضي الله عنه.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢) عن ابن زيد وابن كيسان.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧).

(٣) في (ف): «بهما».

و﴿يَسْجُدَانِ﴾: أي: يَخْضَعانِ لله بالشَّهادة على أنفُسِهما بأنهما مُسَخَّرانِ مَرْبُوبان، ويدُلَّانِ على أُلُوهِيَّةِ خالِقِهما، وعلى وَحْدانِيَّتِه وكَمالِ قُدْرَتِه.

وقيل: أرادَ[١] به نَجْمَ السَّماءِ وشَجَرَ الأرضِ، والنَّجْمُ: زِينَةُ السَّماءِ، والشَّجَرُ: زِينَةُ الأرضِ، فأخبرَ أنَّ النَّوْعَينِ جميعاً لله تعالى ساجدان، وعلى وحدانيَّةِ اللهِ تعالى شاهدان.

وقيل: إنَّ الصَّابِئين يعبُدون النَّجْمَ، وبعضَ الأعاجِمِ عبَدوا الشَّجَرَ؛ كما أنَّ كثيراً مِن المشركين عبَدوا الشَّمْسَ والقمَرَ، فأخبَرَ أنَّ هذه الأشياءَ الأربعةَ ساجِدَةٌ لله تعالى، شاهِدَةٌ على الله تعالى، فلا تسجُدوا لها، واسجُدوا لِمَن خَلَقَها وسَخَّرَها.

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: أي: خلَقَها رَفِيعةً، وأنزَلَ منها البَرَكاتِ والوَحْيَ والكراماتِ.

وقيل: أي: رفَعَ قَدْرَها، وأخرَجَ الخَلْقَ إلى ما يَنْزِلُ عليهم منها.

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: أي: وضَعَ في الأرض الميزانَ الذي يتناصَفون به في مُعاملاتِهم، ويزولُ به التَّنازُعُ الذي هو سبَبُ فسادِهم، مَنَّ به على خَلْقِه إذ هداهم لِصَنْعَتِه، وأَلْهَمَهم الوَزْنَ به، ولولا ذلك لم يَدْروا كيف يَسْتَوْفون الحُقوقَ، وكيف يُوَفُّونها، فكان يقَعُ بينهم التَّظالُمُ والتَّقاطُعُ.

ولا ينبغي أنْ ينظُرَ إلى خِلْقَتِه، بل إلى المَصْلَحَةِ التي لا قِوامَ للدنيا إلا بها، وسببُ ذلك أنَّ الناسَ لَمَّا كانوا مَطْبوعين على الضِّنِّ بأملاكِهم، وكان بعضُهم مُحتاجاً

---

(١) في (ر): «ويجوز أن يريد» بدل: «وقيل: أراد».

إلى بعض فيما يأخُذُه منه ويُعطِيه إياه، وكان التَّنازُعُ غيرَ مأمونٍ عليهم، جعَلَ اللهُ لهم آلةً يَعْلَمُ بها كلٌّ منهم ما يأخُذُ وما يُعْطِي، وأيُّ شيءٍ أجَلُّ مِن هذا؟!

ولهذا ذكَرَه اللهُ في آيةٍ أخرى مَقْروناً بالكتاب، فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧]؛ لأنَّ الكتابَ يَهْدِي النَّاسَ إلى مَصالحِ دِينِهم، والميزانَ يتَضَمَّنُ مَصالِحَ دُنياهم.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾: أي: لِئَلَّا تَطْغَوا في الميزان.

والطُّغْيانُ: هو مُجاوزَةُ الحَدِّ الذي جُعِلَ هو آلةً لذلك، وهو العَدْلُ.

وقال الفَرَّاءُ: هو على النَّهْيِ، يدُلُّ عليه أنه قال بعدَه: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ﴾، وهذا للأمر[1].

وقولُه تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾: قيل: أي: قَوِّمُوا وسَوُّوا.

وقيل: أي: ائتُوا به على القِسْطِ؛ أي: العَدْلِ.

﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾: أي: ولا تُنْقِصوا ما تُوَفُّون به مِن الحُقوق، ولا تزدادوا فيما تَسْتَوْفُون به.

وقال مجاهدٌ وسعيدُ بنُ جبيرٍ: ﴿ٱلْمِيزَانَ ﴾: أُريدَ به العَدْلُ[2]، وعلى هذا (وضَعَ) بمعنى: شَرَعَ وبَيَّنَ، وهو كوَضْعِ كتابٍ، ووَضْعِ رَسْمٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١١٣).

(٢) رواه عن مجاهد الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢). وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨].

وقيل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: لِنُزولِ أرزاقِكم منها في الدنيا، ووضَعَ مِيزانَ وزنِ الأعمال لِتُوزَنَ به أعمالُكم في العُقْبى؛ لِئَلَّا تَطْغَوا في الميزان الموضوع بينكم في الدنيا، فتَظْلِموا النَّاسَ، فتَخِفَّ موازينُكم يومَ القيامةِ.

وقال الحُسينُ بنُ الفَضْل: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: يعني: القرآنَ(١).

وقال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: قال: الإقامةُ باليد، والقِسْطُ بالقلب(٢).

وقال أبو الدَّرْداءِ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: يعني: أَقِيموا اللِّسانَ بالحقِّ(٣).

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: أي: للخَلْقِ، والأنامُ لا واحدَ له مِن لَفْظِه.

قال الخليل: ما على وجهِ الأرضِ مِن جميع الخَلْقِ(٤).

وقال الضَّحَّاكُ: كلُّ شيءٍ يَدِبُّ على وجه الأرض فهو مِن الأنام(٥)، يقولُ: وضَعَها لِمَنافِعِ الخَلْقِ ومَصالِحهم.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾: أي: ما يَتَفَكَّه به الإنسانُ مِن المأكول؛ أي: يَتَعَلَّلُ وراءَ القُوتِ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢).

(٣) انظر: المصدرين السابقين.

(٤) انظر: «العين» (٨/ ٣٨٨).

(٥) رواه عنه ابن المنذر فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٣).

﴿وَٱلنَّخْلُ﴾: جَمْعُ نَخْلَةٍ.

﴿ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾: جَمْعُ كِمٍّ بكسر الكاف.

وقال الحسنُ وقتادةُ: ذاتُ اللِّيفِ(١).

وقال عبدُ الرحمن بنُ زيدٍ: ذاتُ الطَّلْعِ(٢).

وقيل: ذاتُ الغُلُفِ، جَمْعُ غِلاف؛ لأنَّه يَتكَمَّمُ به؛ أي: يَتَغَطَّى، ومنه: (كُمُّ القميصِ)؛ لِتَغْطِيَةِ يدِه، و(الكُمَّةُ): القَلَنْسُوَةُ تُغَطِّي الرَّأسَ، وقد يكون اللِّيفُ يُغَطِّي النَّخْلَةَ، وقد يكون الطَّلْعُ يُغَطِّيها، وقد يكون غِلافُ التَّمْرِ(٣) يُغَطِّيه.

وقيل: خَصَّ النَّخْلةَ بالذِّكْرِ لِعَجيبِ خَلْقِها وشَبَهِها بالإنسان، فَلِيفُها في رأسِها كشَعرِ الإنسان، ولها قلبٌ كقلب الإنسان يموتُ بإخراجِه وبإصابةِ البَرْدِ إيَّاه، وإذا قُطِعَ رأسُها لم تُنبِتُ، ولا تُثْمِرُ إلَّا باللِّقَاحِ، وطَلْعُها تشْبِهُ رائحتُه رائحةَ المَنِيِّ.

وقيل على هذا: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾: تقَعُ على كلِّ الثمار عُموماً، وهذا في النَّخْلَةِ خُصوصاً.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾.

---

(١) رواه عن الحسن الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ١٨١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢).
ورواه عن قتادة الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ١٨١)، وذكره مكي في «الهداية» (١١/ ٧٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢).

(٣) في (ف): «الثمر» بدل: «غلاف التمر».

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الحَبُّ: اسمُ جِنْسٍ يقَعُ على الحِنْطَةِ والشَّعيرِ وكُلِّ حَبٍّ.

﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: قال الفرَّاءُ: هو بَقْلُ الزَّرعِ(١).

وقال أبو سعيدٍ الضَّريرُ: هو ورَقُ الزَّرعِ، ولَفائِفُ الحَبِّ.

وقال قتادةُ والضَّحَّاكُ: هو التِّبْنُ(٢).

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ بالنَّصْبِ عَطْفاً على قولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ بالخفض عطفاً على ﴿ٱلْعَصْفِ﴾، وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على قولِه: ﴿وَٱلْحَبُّ﴾(٣).

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الرِّزْق؛ أي: الزَّرْعُ يكون أوَّلاً عَصْفاً، ثم يصيرُ أُكُلاً إذا سَنْبَلَ.

وقيل: ﴿ٱلْعَصْفِ﴾: للأنعامِ، ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: هو طعامُ الإنسانِ، وهو كما قال: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٣).

(٢) في النسخ الثلاث: «التين»، وأكثر المروي والمأثور على ما أثبته: فقد رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٤)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٣) بلفظ: «التبن».

وذكره عن الضحاك السمرقنديُّ في «تفسيره» (٣/ ٣٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩) بلفظ: «التبن».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٠) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٤) عن سعيد بن جبير والحسن، ووقع في مطبوعيهما: «التين».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

وقيل: هو الريحان المشموم، قال ذلك ابنُ عباسٍ والحسَنِ[١]؛ أي: في الأرض ما يُؤْكَلُ وما يُشَمُّ.

***

(١٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أي: فبِأَيِّ نَعْماءِ ربِّكما مِن هذه النِّعَمِ التي ذكَرْنا مِن تعليم البَيانِ والقرآنِ، ورَفْعِ السماء، ووضع الأرض، وما بيَّنَّا[٢] مِن النِّعَمِ والألوانِ[٣] أيُّها الجنُّ والأنس تَجْحدانِ؟

ودليلُ أنَّ الخِطابَ لهما: ما ذُكِرَ بعده: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾، وسبَقَ ذِكْرُهما أيضاً في عموم قولِه: ﴿لِلْأَنَامِ﴾؛ أي: للخَلْقِ.

وقيل: التَّثْنِيَةُ على مَذاهبِ العربِ في خِطاب الواحد بلفظ الاثنين، وعلى ذلك قولُه: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، ومَرَّتْ هنالك نظائرُ مِن كلام العرب، والأوَّلُ أصَحُّ.

وروى جابرٌ عن النبي ﷺ أنه قرأ سورةَ الرحمنِ ـ أو قُرِئَتْ عنده ـ فقال: «ما لي أَسْمَعُ الجِنَّ أحسنَ جواباً لها منكم؟!»، قالوا: وما ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قال: «ما أتيتُ

---

(١) رواه عن الحسن الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩). وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٦)عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه الريح. وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩).

وذكر مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وابن زيد: كل ريحان في القرآن فهو رزق.

(٢) في (ف): «الميزان وما بينهما» بدل: «الأرض وما بينا».

(٣) في (ر): «ذات الألوان».

على قول الله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلَّا قالتِ الجنُّ: ما مِن شيءٍ مِن آلائِكَ ربَّنا نُكَذِّبُ، فلكَ الحمدُ»[١].

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي: آدمَ.

﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: قال قتادة: أي: مِن طينٍ يابِسٍ يُسْمَعُ له صَلْصَلَةٌ[٢].

﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾: هو الطِّينُ الذي طُبِعَ بالنَّارِ، وهو الخَزَفُ.

وقيل: الصَّلْصالُ: الطِّينُ المُنْتِنُ؛ مِن قولهم: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ؛ أي: أنتَنَ. قالَه[٣] الكلبيُّ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩١)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٣٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٦٦)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٧٩)، وأبو نعيم في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٩٠)، والإسماعيلي في «معجمه» (١/ ٣٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٦) وصححه، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٩٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٩)، والديلمي في «الفردوس» (٦٢٤٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

قال ابن عدي: هذا لا يعرف إلا بهشام بن عمار، ويقال: إن يحيى بن معين كتبه عن هشام بن عمار، وقد سرقه جماعة من الضعفاء، فحدثوا به عن الوليد.

ورواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٨)، والبزار في «مسنده» (٥٨٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٠)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٩٣٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٠١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧).

(٣) في (أ): «قال».

وتَشبيهُه بالفَخَّارِ لِصَوتِه باليَبْسِ، وقيل: لأنه أَجْوَفُ.

قولُه تعالى: ﴿ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: قال الحسنُ: الجانُّ أبو الجنِّ[1]، خُلِقَ مِن لهَبِ النارِ، وآدمُ أبو الإنسِ خُلِقَ مِن صَلْصَالٍ كالفخَّار.

وقال مجاهد: ﴿مَّارِجٍ﴾: مُخْتَلِطٌ أحمرُ وأسودُ وأبيضُ مِن نارٍ[2].

وقال الأخفش: ﴿مِن مَّارِجٍ﴾: مِن خَلْطٍ مِن نارٍ[3].

وقال القُتَبِيُّ: هو لهَبُ النَّارِ، يُقالُ: مرَجَ الشَّيءُ؛ إذا اضطرَبَ ولم يَسْتَقِرَّ[4].

وقال الفَرَّاءُ: المارجُ: نارٌ دون الحِجابِ، منها هذه الصَّواعِقُ[5].

وقال أبو سعيدٍ الضَّريرُ: المارِجُ: لسانُ النارِ[6].

وقال الخليلُ: المارِجُ مِن النَّار: الشُّعْلَةُ[7].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨) عن الكلبي وابن عباس رضي الله عنهما، وحكاه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤) عن عامة المفسرين. وورد في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٣٦)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ١٣٧) دون نسبة.
أما الحسن، فقد ذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢٤): أنه إبليس.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٦) بلفظ: (اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت)، وفي رواية: (والأحمر)، وذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٨).

(٣) وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٣).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٣٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٥).

(٦) ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) انظر: «العين» (٦/ ١٢١).

وأوَّلُ ما خُلِقَ منه الإنسانُ، كان تُراباً، ثم بالماء صار طِيناً، ثم بمُرور الزَّمان صار حَمأً مَسْنوناً، ثم باليَبْسِ صار صَلْصالاً، ثم بشِدَّةِ اليَبْسِ والصَّوْتِ صار كالفخَّارِ.

واختلافُ هذه الأسماءِ لاختلاف الأطوار، وفائدةُ ذِكْرِه هذه الأصولَ تعريفُنا قَدْرَنا لئلا نَعْدُوَ أطوارَنا.

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: أي: فبِأَيِّ نَعْماءِ إلهكُما تَجْحَدانِ: أتخليقَه مِن هذه الأصول، أم تكميلَه وتفضيلَه بالعلوم والعقول؟!

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾: هو ربُّ المَشْرِقين: مَشْرِقِ الشتاءِ، ومَشْرِقِ الصيف، وربُّ مَغْرِبِ الشتاء، وربُّ مَغْرِبِ الصيف، وفي تدبير الفصول قِوامُ العالَمِ ومَصالِحُ العِباد.

وقال محمد بن كعب: مَشْرِقُ الصَّيفِ أطولُ يومٍ في السَّنَةِ، وهو خمسَ عشرةَ ساعةً، ومَشْرِقُ الشتاءِ أقصرُ يومٍ في السَّنَةِ، وهو تسعُ ساعاتٍ، والمَغْرِبان على ذلك، والمشارقُ والمغاربُ: مَشْرِقُ كلِّ يومٍ ومَغْرِبُ كلِّ يومٍ، والمَشْرِقُ والمَغْرِبُ جهةُ الشُّروق وجهةُ الغُروب[١].

***

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: فسَّرْناه.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: أي: أَرْسَلَهما وخَلَّاهما[٢].

---

(١) لم أقف عليه عن محمد بن كعب، وقريب منه قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٩٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٩).

وقيل: خلَطَ طَرَفَيْهِ عند التقائِهما مِن غيرِ أنْ يَخْتَلِطَ جملتُهما.

والبَحْران: بحرُ فارسٍ والرُّومِ، عند الحسن وقتادة(١).

وقيل: بحرُ السَّماءِ والأرضِ يلتقيان كلَّ عامٍ. قاله ابنُ عبَّاسٍ(٢).

وقيل: العَذْبُ والمالِحُ.

***

(٢٠) ـ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: أي: حاجز.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يَخْتَلِطان. قالَه مجاهدٌ(٣).

وقيل: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: على الناس، قالَه قتادةُ(٤).

وقيل: لا يبغي أحدُهما على الآخَرِ بأنْ يَقْلِبَه إلى مِثْلِ حالِه في المُلُوحة أو العُذُوبة.

وقال القَفَّالُ: ذكَرَ بعضَ مَنافِعِ البحرِ وعجائبِه، ودلَّ بذلك على لُطْفِه وقُدْرَتِه، فعَدَّ ثلاثةَ أشياءَ:

أحدُها: قولُه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أي: خَلَّاهما، يُقالُ: هُم في هَرْجٍ ومَرْجٍ؛ أي:

---

(١) رواه عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٠).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٠).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٢١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٨).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) بلفظ: حجز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليبس، واليبس عن الماء، فلا يبغي بعضه على بعض بقوته ولطفه وقدرته.

هُم في فتنةٍ وإمهالٍ، يقول: خلَقَ البَحْرَينِ المِلْحَ والعَذْبَ، وذلك في البحرِ الواحِدِ، بعضُه عَذْبٌ وبعضُه مِلْحٌ، فهُما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾؛ أي: يجتمعان وهما مائعان سائلان، ثم جعَلَ بينهما حاجِزاً؛ قيل: هو الجزائِرُ، وقيل: هو قُدْرَةُ اللهِ تعالى، ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يغلِبُ أحدُهما على الآخر فيُغَيِّره إلى صفةِ نفْسِه، وفيه تنبيهٌ على كمال قُدْرَةِ الله تعالى أنَّه لا يُعْجِزُه ما أرادَ مِن إحياء الموتى وغيرِه.

وقيل في البَرْزَخِ: هو مُدَّةُ ما بين الدنيا والآخرة، فهذه المُدَّةُ تَمْنَعُ الاختلاطَ، فإذا انقَضَتِ الدُّنيا بغى البحران فصارا شيئاً واحداً، وهو معنى قولِه: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، وهذا معنى قولِ عَطاءٍ الخُراسَانِيِّ.

❊ ❊ ❊

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فَسَّرْناه.

ثم ذكَرَ المِنَّةَ الثَّانيةَ، فقال:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾: قرأ نافعٌ وأبو عمرو: ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، والباقون على الفعل الظاهر[1].

﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ والضَّحَّاكُ وقتادةُ: ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾: كِبارُ الدُّرِّ، ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾: صغارُه[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

(٢) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك.

ورواه عن قتادة أيضا عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٤).

وذكره عن الحسن الماتريديُّ في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٧٠)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٥٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٧) إلى الطبري وعبد بن حميد، ولم أجده =

وقيل: المَرْجانُ: نوعٌ مِن الجواهر كالقُضْبان.

يقول: يُخْرِجُ اللهُ لكم مِن الماء لؤلؤاً ومَرْجاناً؛ كما أخرَجَ مِن التُّراب حَبًّا ونباتاً، وأخرَجَ مِن الصَّلْصَالِ إنساناً، وخُصوصاً فإنَّ الماءَ المِلْحَ يُفسدُ ما صار فيه، ثم هو منه يَخْرجُ اللولؤُ والمَرْجان، وهذا مِمَّا لا تُدْرِكُه قُوى البشر، ولا تهتدي لكيفيَّةِ كونِه العقولُ، وإنما هو بقُدْرَةِ الواحدِ القادرِ الذي لا يُعْجِزُه شيءٌ، فكيف يُعْجِزُه بَعْثُ الموتى؟ لولا جَهْلُ المشركين وكفرُهم آلاءَ اللهِ بترك التدبُّرِ فيها.

ثم قولُه: ﴿مِنْهُمَا﴾ مع أنَّ خُروجَ اللُّؤْلُؤِ والمَرْجان يكونُ مِن المِلْحِ دون العَذْبِ؛ لأنَّ العَذْبَ والـمِلْحَ يلتقيان، فيكون العَذْبُ كاللِّقَاحِ للمالح؛ كما يُقال: يَخْرُجُ الولدُ مِن الذَّكَر والأنثى ـ وإنما تَلِدُ الأنثى ـ لهذا.

وقيل: مِن عادة العرب أنَّها تجمَعُ شيئين لأحدهما فِعْلٌ، فتجعَلُ الفعلَ لهما، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وكان النَّاسي صاحِبَ موسى وحدَه، وقولِه تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرُّسُلُ مِن الإنس دون الجنِّ.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فَسَّرْناه.

ثم ذكَرَ النِّعْمَةَ الثالثةَ، فقال:

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: قرأ حمزةُ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ بكسر الشين،

= في «تفسير الطبري».

ومعناها: السُّفُنُ المُبْتَدِئاتُ في الجَرْيِ، والفعلُ لهن، وإنشاءُ الفعلِ(١): ابتداؤُه، وقرأ الباقون: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بفتح الشين، وهو المفعولُ بفعلِ الملَّاحين.

وإنشاؤُها عند مجاهدٍ: رَفْعُ شِراعِها وتسييرُها في البحر(٢).

﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: أي: كالجبال.

أخبرَ أنه خَلَقَ لهم ما اتَّخذوا منه السُّفُنَ التي رَكِبوا بها البحرَ ابتغاءَ فَضْلِ الله، وقَطَعوا بها المسافاتِ البعيدةَ، وعلَّمَهم اتِّخاذَها بأنْ أَلْهَمَهم ذلك، وسَخَّرَ لهم البحرَ على عِظَمِه، وشبَّهَ السُّفُنَ في كِبَرِها بالجبال، وقرَّرَهم بهذه النعم، فقال:

* * *

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

وقولُه تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾: أي: كلُّ مَن على الأرضِ فانٍ مُنْقَطِعٌ عنهم البقاءُ والحياةُ.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾: أي: المُسْتَحِقُّ للإجلال والتَّعظيمِ مِن خَلْقِه، والمُسْتَحِقُّ للإكرامِ منهم إيَّاه بطاعتِه وعبادته.

وقيل: هو موصوفٌ بالجَلالِ القائمِ بذاته، وبالإكرام منه لأوليائه.

وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجِلَّ المؤمنين، ويُكْرِمَ المُطِيعين.

---

(١) في (أ): «الله».

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٠)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٢٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٥٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٩).

وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجِلَّه العبادُ بطاعتِه، فيُكْرِمَهم برحمته.

وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجِلَّ قَدْرَ العِبادِ بتوحيده، وأهلٌ أنْ يُكْرِموه؛ أي: يُنَزِّهوه عمَّا لا يَلِيقُ بجلاله.

ومعنى: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُ ربِّكَ؛ كقولِهم: هذا وَجْهُ الأمرِ، ووَجْهُ الصَّوابِ، ووَجْهُ التَّدْبير.

وقيل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: أي: كلُّ عمَلٍ يُتَقَرَّبُ به إليه، ويُبْتَغَى به وَجْهُه؛ أي: رضاه؛ كما قال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ [الليل: ٢٠]؛ أي: يَهْلِكُ الجنُّ والإنسُ ولا يَبْقى لهم إلَّا ما توجَّهوا به إليه.

***

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ووجهُ النِّعْمَةِ: التَّسْوِيَةُ بين الخَلْقِ في الفَناء والهَلَكةِ، والدِّلالةُ على ما يَبْقى لهم نَفْعُه في الآخرة.

قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هو مَفْزِعُ السائلين، ومَقْصِدُ الرَّاغبين، ومَلْجَأُ البائِسين(١).

فإنْ قالوا: إنَّ كثيراً مِن المُعَطِّلَةِ وغيرِهم لا يعتقدونه، فلا يسألونه.

قلنا: معناه: هو المُسْتَحِقُّ أنْ يَسْأَلوه وإنْ ضلَّ قومٌ عنه؛ لأنَّهم إذا سأَلوا أحداً سأَلوه به؛ لأنه هو القادِرُ على ذلك، واللهُ تعالى هو القادِرُ على كلِّ شيءٍ على الحقيقة، وكان ذلك سؤالَه في الحاصِلِ، ولأنَّه تعريفٌ أنَّ الكُلَّ لا غِنى بهم عنه،

---

(١) في (ر): «التائبين».

ولأنَّ المُرادَ هُم أهلُ المعرفة به، فهذا عامٌّ أُرِيدَ به الخُصوصُ.

وقال ابن عباس: أهلُ السَّماواتِ يسألونه المغفرةَ، وأهلُ الأرضِ يسألونه الرِّزْقَ والمغفرة(١)، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يُحيي ويُميتُ ويُعيدُ، ويُغيثُ ويُطْعِمُ جائعاً، ويَفُكُّ أسيراً، ويُجِيبُ داعياً، ويُولِدُ مولوداً، ويُعْدِمُ موجوداً(٢).

وقال قتادة: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني: لا يَسْتَغْني عنه أهلُ السماوات والأرض(٣).

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يُرَبِّي صغيراً، ويُفْنِي كبيراً، ويَفُكُّ أسيراً.

ورُوِيَ أنَّ أحبارَ اليهود قالوا: إنَّ اللهَ تعالى لا يَفْعَلُ يومَ السَّبْتِ شيئاً، هو في استراحةٍ، فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وأنزَلَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٤).

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٥). ورواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٩) عن أبي صالح.

(٢) لم أجده هكذا، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٠٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩١): رواه الطبراني من طريقين، ورجال هذه ثقات.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٢)، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٥).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٩٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٧٣)، =

وسُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، فقال: «مِن شأنِه أنْ يَغْفِرَ ذَنْباً، ويَكْشِفَ كَرْباً، ويُعِزَّ قوماً، ويُذِلَّ قوماً، ويَرْفَعَ قوماً، ويَضَعَ آخَرين»[(١)].

وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ: مِن شأنِه أنْ يُجِيبَ داعياً، ويَفُكَّ عانياً، ويُعْطِيَ سائلاً[(٢)].

وقال الحسنُ: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: كلٌّ إليه فقيرٌ يسألُه ويَتَضَرَّعُ إليه بحاجته، ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾: يَقْضِي به في خَلْقِه، يُغْني فقيراً، ويُفْقِرُ غَنِيًّا، ويُعافِي مُبْتَلًى، ويَبْتَلِي مُعافًى، ويَصْنَعُ في خَلْقِه ما يشاءُ[(٣)].

= والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤).

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٣١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٨١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤) من حديث عبد الله الأزدي رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، والبزار في «مسنده» (٤١٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٢٩)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٧٨) بصيغة الجزم موقوفاً عليه.

قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٨) عن الرواية المرفوعة: هذا حديث لا يصح، قال ابن عدي: عبد الرحمن بن يحيى يحدث بالمناكير، قال الدارقطني: وقد روي موقوفاً، وهو الصواب.

ورواه البزار في «مسنده» (٦١٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٣) عن مجاهد.

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٩٩٩)، والقاسم بن موسى الأشيب في «جزئه» (٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٨).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨).

وقال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: في الدنيا، الاختبارُ بالأمرِ والنَّهْي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وفي الآخرة الجزاءُ والحساب، والثَّوابُ والعِقاب[1].

وقيل: هو في سَوْق المقاديرِ التي سبقَتْ في عِلْمِه إلى مَواقيتِها.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مِن هذه النِّعَمِ.

وقولُه تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: سنُحاسِبُكم[2]. وكذلك قُطْرُبٌ.

وقال الضَّحَّاكُ: هذا وعيدٌ، واللهُ تعالى لا يَشْغَلُه شأنٌ عن شأنٍ.

والحاصِلُ: أنه استعارةٌ بليغةٌ، فإنَّ الواحدَ إذا قُصِدَ لأمرٍ مُهِمٍّ يُمْضِيه[3] لا محالةَ، ويُتِمُّه مِن غير نُقْصانٍ، يقولُ: أتفرَّغُ لذلك الأمرِ، فخاطَبَ اللهُ تعالى بذلك عِبادَه فيما[4] يتفاهَمونه، يعلمون أنَّه مِن المُهِمِّ الذي لا يُتْرَكُ، ومِن المفعول الذي لا يُغْفَلُ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٤٧).

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٤٨٧٨) بصيغة الجزم.

وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢٧) قوله: وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ. وبنحوه ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٧)،

(٣) في (أ): «يصيبه».

(٤) في (أ): «وهم».

يقول: سنُحاسِبُكم بَعْدَ طُولِ الإمهال على ما كان منكم مِن الأعمال، ونَجْزِيكم على ذلك على كل حالٍ.

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: أي: الجِنُّ والإنسُ، سُمِّيا بذلك لأنَّ الثِّقْلَ ما له وَزْنٌ وقَدْرٌ، ولهما زيادةُ قَدْرٍ على غيرهما لِمَا خُصُّوا بالعقل والتَّمييز، وتحميلِ الأمانةِ والتَّكْليف.

وقيل: لأنَّهما حِمْلانِ على الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: أي: أَحْمالَها.

وقولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثَّقَلَينِ: كتابَ اللهِ، وعترتي»[1]: إشارةٌ منه إلى قَدْرِهما ووَزْنِهما.

وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: جميعاً، ثم قال: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: تثنيةٌ؛ لأنَّهما جَمْعانِ، فصارا كقوله: ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

* * *

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١١١٠٤)، وابنُ أبي عاصم في «السنة» (١٥٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٢٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي الراوي عن أبي سعيد. وله شاهد من حديث زيد بن أرقم عند مسلم (٢٤٠٨)، والنسائي (٨١٧٥)، بلفظ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتابُ الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، وفيه التصريح بأن المراد من قوله ﷺ: «وعترتي» هو وجوب مراعاتهم ومحبتهم، واجتناب ما يسوؤهم، والاحتراز عما يؤذيهم، وأما ما ورد مما يفهم منه وجوب الاقتداء بهم، والأخذ بأقوالهم والعمل بها، مثل قوله: «لن تضلوا بعدهما»، أو: «لن تضلوا إن اتبعتموهما»، فأسانيده ضعيفة لا يصلح الاحتجاج بها كما جاء في حاشية «المسند».

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: حين تُحاسَبانِ بالآلاءِ.

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: إنْ قَدَرْتُم أنْ تَجُوزوا أطرافَ السماوات والأرض فتَفُوتوا ربَّكم ولا يَقْدِرَ عليكم.

﴿فَٱنفُذُوا۟﴾: أي: فافْعَلوا ذلك.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: أي: لا تَقْدِرون على ذلك إلَّا بقُدْرَةٍ يُعْطِيكُمُوها اللهُ تعالى على ذلك، ولا يُعْطِيكم، وهذا في مُحاسَبَةِ يومِ القيامة.

وقيل: أي: يُقالُ لهم ذلك يومئذٍ.

وقيل: بل خاطَبَهم اللهُ اليومَ أنَّكم كذلكَ يومئذٍ.

وقيل: خاطبَهم للحال إنْ قَدَرْتُم أنْ تَفْعَلوا ذلك في الدنيا، فلا تُؤْخَذوا بالموت، ولا تُبْعَثوا للحساب والجزاء يومَ القيامة، فافْعَلوا، ولنْ تَقْدِروا على ذلك، وهو أمرُ إعجازٍ.

وقيل: ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: أي: حيثما ذهبتُم فأنتم في سُلْطانِ اللهِ، فيأْخُذُكم بالموت.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: فسَّرْناه.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: أي: على مَن أشرَكَ منكما وكذَّبَ.

﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ ومُجاهدٌ وقتادةُ: أي: لهَبٌ[1].

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿شِواظٌ﴾ بكسر الشين، والباقون بضمها، وهما لغتان[١].

وقال الأخفش: الشُّواظُ: هي النَّارُ التي تتأجَّجُ[٢] ولا دُخانَ لها.

﴿وَنُحَاسٌ﴾: قيل: هو المعروف الذي يُتَّخَذُ منه الأواني؛ أي: كأنَّ النُّحاسَ يُذابُ ويُصَبُّ على رؤوسِهم.

وقيل: هو الدُّخان.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو: ﴿ونحاسٍ﴾ بالخَفْضِ عطفاً على قولِه: ﴿مِّن نَّارٍ﴾، والباقون بالرفع عطفاً على قوله: ﴿شواظ﴾[٣].

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: أي: فلا تَمْتَنِعان عن ذلك بمانِعٍ يمنَعُكُما مِن عذاب الله تعالى.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: والتَّحْذيرُ نِعْمَةٌ لِيَحْذَرَ به، فيقَعَ الأمنُ منه.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: أي: انصَدَعَتْ للانتقاضِ يومَ القيامةِ.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾: أي: مُحْمَرَّةً على لون الوَرْدِ حينَ تغيضُ البحارُ في نار جهنَّمَ، ويرتفِعُ نارُها، فتَقَعُ في السماء، فتذيبُها فتصيرُ مُحْمَرَّةً وتَصِيرُ كالدِّهانِ ـ جَمْعُ دُهْن ـ حين ذابَتْ ورَقَّتْ.

وقيل: الدِّهانُ إذا صُبَّ بعضُها على بعضٍ يَتَلَوَّنُ ألواناً، فكذلك السَّماءُ حينئذٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

(٢) في (ف): «تخرج».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

وقيل: إنَّ عَصِيرَ الزَّيْتِ يتغيَّرُ في الساعة ألواناً.

وقال الحسَنُ: كصَبِيبِ الدُّهْنِ[١] إذا صبَبْتَه ورأيتَ فيه ألواناً.

وقال الفرَّاءُ وثَعْلَبٌ والقُتَبِيُّ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: أي: كالفَرَسِ الوَرْدَةِ؛ لأنَّها تكونُ في الرَّبيع صَفْراء، فإذا اشتَدَّ البَرْدُ كانت حمراءَ، فإذا كانتْ بعد ذلك صارت غَبْراء[٢].

وروى عمرو[٣] عن الحسَنِ: السَّماءُ أوَّلَ ما تَنْشَقُّ تَحْمَرُّ، ثم تَخْضَرُّ، ثم تتلوَّنُ ألواناً، فشبَّهَها بالأدهانِ.

وقال الكسائيُّ والفرَّاءُ وقُطْرُبٌ: الدِّهانُ: الأديمُ الأحمرُ[٤]، وجَمْعُه (أَدْهِنَةٌ) و(دُهْنٌ).

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾: لِيُعْرَفَ أنَّه مِن أهلِ الجنَّة أم مِن أهل

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٧) عن الحسين بن الفضل.
ورواه عن الحسن الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٥) بلفظ: كالدهن. وذكر عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٧٦) قوله: تلون ألوانا.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٣٩)، وزاد الفراء: فشبه تلوّن السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه.

(٣) في (أ) و(ف): «عمر». والمثبت من (ر)، ولعله عمرو بن عبيد فإن له رواية عن الحسن في التفسير، لكن لم أقف على الخبر.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧).

النَّار، بل يُعْرَفُ بهيئتِه، فلا يُسْـأَلون على[1] هذا الوجه، بل يُسْـأَلون سـؤالَ المُحاسَـبَةِ تَقْرِيعاً لهـم وتَوْبِيخاً.

وقال مجاهدٌ: يَعْرِفُونَهم بسِيماهم، فلا يُسْأَلون[2].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: لا يُسْأَلون: هل عَمِلْتُم كذا وكذا؟ بل يُسْأَلون: لِمَ عَمِلْتُم كذا وكذا[3]؟ وهو التَّوفيقُ بين قولِه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٢]، وبين هذه الآيةِ.

وقيل: يُسْأَلون للمُحاسَبة، ثم يُخْتَمُ على أفواهم فلا يُسْأَلون، وتشهَدُ عليهم جوارحُهم.

وقيل: هي مواقفُ، يُسْأَلون في بعضِها، ولا يُسْأَلون في بعضها.

وقيل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ﴾: أي: عن ذَنْبِ الإنسان، ﴿إِنسٌ﴾: غيرَه، ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾: غيرَه، بل هو المحاسَبُ عليه، والمسؤولُ عنه، والمُجازَى به.

وعلى هذا تكون الكنايةُ في ﴿ذَنۢبِهِۦ﴾ راجعةٌ إلى الإنسان المذكور في أوَّلِ السُّورَةِ، وهو قولُه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾.

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٣)، بلفظ: لا يسأل الملائكة عن المجرم يُعرفون بسيماهم.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠).

وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٣٩٣٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٦٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٤).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾: سوادِ الوُجوهِ، وزُرْقَةِ العُيونِ.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى﴾: جَمْعُ ناصِيَةٍ، وهو شَعْرُ مُقَدَّمِ الرأس، وأصلُه(١): الاتِّصالُ؛ قال الشَّاعِرُ:

قِـــيٌّ تُنَاصِيهـــا بِـــلَادٌ قِـــيُّ(٢)

أي: يتَّصِلُ بها.

﴿وَٱلْأَقْدَامِ﴾: جَمْعُ قَدَمٍ، يقولُ: إنَّ الملائكةَ إذا أُمِروا بأَخْذِ المجرمين؛ أي: المشركين، لا يحتاجُون إلى أنْ يَسْأَلوا عنهم، بل يَعْرِفونهم بعلاماتِهم، فيأخُذونهم بنواصيهم وأقدامِهم، ويَسْحَبونهم إلى النار.

* * *

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: قيل: أي: يُقالُ لهم حينئذٍ: هذه جهنَّمُ التي كنتم تُكَذِّبون بها.

---

(١) في (ر): «وهو».

(٢) الرجز للعجاج، وقبله:

وبلـــدةٍ نِياطُهـــا نَطِـــيُّ.

انظر: «ديوانه» رواية الأصمعي (١/ ٤٩٥)، ونسبه إليه الخليل في «العين» (٥/ ٢٣٧)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٣٣)، وأبو علي القالي في «البارع» (ص: ٥٢١)، وأبو بكر الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣٩٠)، والجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٤٧٠)، وهو من غير نسبة في «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٧٥). والقِيُّ: القفر الذي لا أنيس له، وتناصيها: تواصلها.

وقيل: هذا خطابٌ مِن الله تعالى في الدنيا لِنَبِيِّه ﷺ: هذه جهنَّمُ التي يُكَذِّبُ بها قومُكَ مِن قُرَيْشٍ.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾: أي: بين النَّارِ التي ذابَتِ السَّماواتُ مِن حَرِّها، وبين ماءٍ حارٍّ قد انتهى حَرُّه، فهو في غايَةِ الحَرارَةِ.

وقيل: تكون النَّارُ طعامَهم، والحميمُ شرابَهم، و﴿يَطُوفُونَ﴾ في معنى: يَتَرَدَّدُون؛ أي: يَسْتَغِيثُون إذا جاعوا يَسْأَلون الطَّعامَ، فإذا طَعِموا النَّارَ استغاثوا فاسْتَسْقَوا فيُسْقَوْنَ الحميمَ.

والـ ﴿ءَانٍ﴾: صَرْفُه: (أَنَى يَأْنِي)؛ أي: حانَ يَحِينُ، وبَلَغَ أَنَاه؛ أي: أَدْرَكَ وانتهى مُنْتَهاه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية [الحديد: ١٦]، وقال: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: وفي الآية التَّمْييزُ بين الكافر والمؤمن، والإخبارُ عن ذلك اليوم لِيَنْتَبِهوا[(١)].

وقال كعبُ الأحبارِ: ﴿ءَانٍ﴾ وادٍ مِن أودِيَةِ جهنَّمَ يُجْمَعُ فيه صَديدُ أهلِ جهنَّمَ، ثم يُنْطَلَقُ بهم وهُم في الأَغْلال، فيُغْمَسون في ذلك الوادي حتى تَنْخَلِعَ أَوْصالُهم، ثم يُخْرَجون منها وقد أَحْدَثَ اللهُ تعالى لهم خَلْقاً جديداً فيُلْقَون في النار، فذلك قولُه تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[(٢)].

---

(١) في (ف): «لينتهوا».

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٨).

وقال مُقاتِلٌ: يَطُوفون بين حَمِيمٍ شَوْطاً، وبين جهنَّمَ شَوْطاً، لا يَسْتَرِيحون، يُطافُ بهم في ألوان العذاب، وذلك قولُه: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: يعني: مِن الزَّقُّومِ والحَمِيم، فيُنْطَلَقُ بهم مَرَّةً إلى الجَحِيمِ، ومَرَّةً إلى الحَمِيمِ، ثمَّ إلى منازِلِهم مِن جهنَّمَ، وكذلك في هذه الآية(١).

وقال السُّدِّيُّ في قولِه: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾: يُجْمَعُ بين ناصِيَةِ الكافرِ وقَدَمَيْهِ مِن وراء ظَهْرِه، فيُشَدُّ وَثاقُه(٢).

وقال الضَّحَّاكُ: يُجْمَعُ بين ناصِيَةِ الكافر(٣) وقَدَمَيْهِ في النَّارِ، فيُكْسَرُ صُلْبُه حتى تَلْحَقَ ناصِيَتُه بعَقِبَيْهِ(٤)، هذا جزاءُ المجرمين.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.

ثم ذكَرَ جزاءَ الذين يُخالِفونهم، وهُمُ الخائِفون مِن المؤمنين، فقال:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾: أي: ولِمَنْ تـرَكَ المعاصِيَ خوفاً مِن مَقامِه بين يدي الله تعالى للعَرْضِ والحسابِ والسُّؤالِ.

وأُضِيفَ المقامُ إلى الله تعالى، وإنما هو مَقامُ العَبْدِ بين يدي الله تعالى؛ كما أُضِيفَ الأجلُ إلى الله تعالى في قولِه: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، وهو أجَلُ العبدِ، حتى قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤]؛ لأنَّ التَّأْجيلَ مِن اللهِ للعبد، وكذلك

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٠١).

(٢) ذكره عنه ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٤٩٩) بمعناه.

(٣) في (أ): «ناصيته».

(٤) رواه عنه مختصراً هناد في «الزهد» (٢٦٨) بلفظ: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره. وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥١).

المَقامُ للعبد، لكنْ لِمُحاسبةِ الله تعالى، وهو كقولِه تعالى: ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ٢]، وقولِه تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]؛ لأنَّ اللهَ تعالى شرَعَه للعبد، وقولِه: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧]، وقولِه: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]؛ لأنَّ اللهَ تعالى سَنَّهُ لهم، وعلى هذا قولُه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٣]، وقولُه: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال الأعمش: يعني: ولِمَن عَلِمَ أنَّ اللهَ تعالى قائِمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كسَبَتْ، فأطاعَ اللهَ تعالى ولم يَعْصِهِ[١].

﴿جَنَّتَانِ﴾: أي: بُسْتانان.

قيل: إحداهُما داخِلَ قَصْرِه، والأخرى خارجَ قَصْرِه، وهذا لكلِّ خائفٍ، وطُبِعَ الإنسانُ على اشتهاءِ مِثْلِه.

وقيل: هما جنَّةُ النَّعيمِ وجنَّةُ عَدْنٍ لجميع أهل الجنَّةِ.

قولُه تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، وجَنَّةُ المأوى، فهي بجُمْلَتِها أربعُ جِنانٍ لكلِّ أَهْلِها، وفي كُلِّ جَنَّةٍ مِن الجِنان ما لا يُحْصَى[٢]، وهي كأَرْبَعِ بلادٍ كِبارٍ فيها مَحَالُّ، وفي المَحَالِّ مَنازِلُ.

وقالوا: بأنَّ أهلَ عَصْرِ النَّبيِّ ﷺ كانوا على قِسْمَين، وكذا أهلُ الدُّنيا في كلِّ عَصْرٍ:

أهلُ الأَمْصارِ: وهُمُ اعتادوا الجِنانَ المُلْتَفَّةَ، والمياهَ الجارِيَةَ، والمَنازِلَ المُتَلازِقَةَ، والسُّرُرَ الموضوعةَ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ف): «يخفى».

وأهلُ البَوادي: هُمُ اعتادوا البَرارِيَ(١) الواسعةَ، والعُيونَ المُمْتَلِئَةَ، والخِيامَ المَنْصُوبَةَ، والخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ.

فكلٌّ يَشْتاقُ إلى ما اعتاد، ويأنَسُ بما أَلِفَه، فجعَلَ اللهُ الجَنَّتَينِ الأُولَيينِ على مُعْتادِ أهل الأمصار، والأُخرَيَينِ على مُعْتَادِ أهلِ البَوادي(٢)، ووعَدَ الكُلَّ للكُلِّ(٣)؛ لِيَسْتَنْزِهَ كلُّ واحدٍ بما يَروقُه، ويترَوَّحُ فيما يَشوقُه، ويتبيَّنُ ذلك بالتَّأَمُّلِ في المذكور في كلِّ نوعٍ.

وقال الحسنُ: أتى رجلٌ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ما هما؟ فقال ﷺ: «هي مئةُ درجةٍ مِن فِضَّةٍ كلُّها، دُورُها وقُصورُها وأبوابُها وأغلاقها، ومِن دونهما مئةُ درجةٍ مِن ذهَبٍ كلُّها، دُورُها وقُصورها وأبوابها وبُيوتها وأغلاقها وسُرُرها»(٤).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿جَنَّتَانِ﴾: بُسْتانان، كلُّ بُسْتانٍ منهما مَسِيرةُ مئةِ سنَةٍ، في وسَطِ كلِّ بُسْتانٍ دارٌ مِن نُورٍ(٥).

---

(١) في (ف): «البوادي».

(٢) في (ر): «البراري».

(٣) في (أ): «الكل».

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ٧١) عن سليم بن عامر الخبائري مرسلا قال ﷺ: «الجنة مئة درجة، فأولها درجة من فضة، أرضها فضة، ومساكنها فضة، وآنيتها فضة، وترابها مسك، والثانية أرضها ذهب، ومساكنها ذهب، وترابها مسك» الحديث.
وروى البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «جنَّتان من فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وما فيهما، وجنَّتان من ذَهَبٍ، آنِيَتُهُما وما فيهما...» الحديث.

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٠٢) عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «مسيرة خمس مئة عام». =

وقال أبو موسى الأشعريُّ: جَنَّتانِ مِن ذهبٍ للسَّابِقين، وجنَّتانِ مِن فِضَّةٍ للتَّابِعين(١).

وقال مُقاتِلٌ: ﴿جَنَّتَانِ﴾: يعني: جنَّةَ عَدْنٍ، وجنَّةَ النَّعيمِ، وهما للشُّهَداءِ والصِّدِّيقين(٢).

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿جَنَّتَانِ﴾: يتلَقَّى كلَّ مؤمنٍ ملَكٌ، فيأخُذُ بيده فيَنْتَهي به إلى قَصْرٍ مِن فضَّةٍ مُشَرَّفٍ بالذهب(٣)، حولَه جِنانٌ وأنهارٌ، بين كلِّ شُرْفتَينِ غُلامٌ يُنادي: مَرْحباً بسَيِّدنا ومولانا، فيُدْخِلُه القَصْرَ فيُرِيه ما أعدَّ اللهُ تعالى له، ثم ينطلِقُ إلى قصرٍ مِن ذهبٍ مُشَرَّفٍ باللُّؤْلُؤِ، حوله جِنانٌ وأنهارٌ، بين كُلِّ شُرْفَتَينِ غُلامٌ يُنادي: مرحباً بسيِّدنا ومولانا، فيُدْخِلُه القصرَ فيُرِيه ما أعدَّ اللهُ له، ثم ينتهي به إلى قصرٍ مِن ياقوتٍ مُشرَّفٍ بالزَّبَرْجَدِ، حولَه أنهارٌ وجنَّاتٌ، بين كلِّ شُرْفَتَينِ غُلامٌ يُنادي: مرحباً بسيِّدنا ومولانا، فيُدْخِلُه القصرَ ويُرِيه ما أعدَّ اللهُ له، ثم يقول له الملَكُ: يا وليَّ اللهِ، كلُّ هذا لكَ، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤]، فقيل للضَّحَّاكِ: كم بين أقصاها وأدناها؟ قال: كما بين بَلْخَ ومَكَّةَ(٤).

= وذكره مرفوعا أيضا بلفظ المصنف مكي في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٩).

(١) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٨١٤)، والدينوري في «المجالسة» (١٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢١٨)، وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا. ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٣٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٠٢).

(٣) قوله: «مشرف بالذهب»، لعل المراد أن شُرَفه ـ جمع شُرفة ـ من الذهب، قال في «القاموس»: شرَّف فلان بيته: جعل له شُرَفاً.

(٤) رواه عنه مطولًا أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٤٣).

(٤٧ ـ ٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: ﴿ذَوَاتَآ﴾: تَثْنِيَةُ (ذاتٍ)، وهما نعتُ قولِه: ﴿جَنَّتَانِ﴾.

﴿أَفْنَانٍ﴾: قال مُجاهِدٌ: أي: أغصانٍ[١]؛ جَمْعُ (فَنَنٍ)، وهي صِفَةٌ لها بالالتفاف[٢].

وقال الضَّحَّاكُ: أي: ذواتا ألوانٍ مِن الفواكه[٣]، وهي جَمْعُ (فَنٍّ).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: أي: لا تَنْقَطِعانِ.

قال الحسنُ: تَجْرِيانِ بالماءِ الزُّلالِ، أحدُهما: التَّسْنِيمُ، والأخرى: السَّلْسَبِيلُ[٤].

وقال عَطِيَّةُ: مِن ماءٍ غيرِ آسِنٍ، ومِن خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبين[٥].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤١). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٤)، والبغوي في «تفسيره». (٧/ ٤٥٢).
وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦) عن مجاهد، وعكرمة، وعطية، والكلبي.

(٢) في (أ) و(ر): «بالالتفات».

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٠)، وهناد في «الزهد» (٤٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥٢).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٣).

وقال مُرَّةُ الهَمْدَانِيُّ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: مِثْلَ الدُّنيا أَضْعافاً مُضاعَفَةً، حصباؤُهُما الياقوتُ الأحمرُ والزَّبَرْجَدُ الأخضرُ، وتُرابُهُما: الكافورُ، وحَمأَتُهما المِسْكُ الأَذْفَرُ، وحافَّتاهُما الزَّعْفَرَانُ(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: تَجْرِيانِ بالكرامة على أهل الجنة والزِّيادةِ(٢).

وقال أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: في الجنَّةِ عَيْنَانِ تَجْرِيانِ لِمَن كانت له في الدنيا عينان بالبُكاءِ والدُّموعِ تجريان(٣).

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: أي: ضَرْبانِ مُتَشاكِلانِ؛ كَتَشاكُلِ الذَّكَرِ والأنثى، وذلك كالرَّطْبِ واليابسِ مِن العِنَبِ والزَّبيبِ، وكالتِّينِ الرَّطْبِ واليابسِ، وكذا سائِرُ الأنواعِ لا يَقْصُرُ يابِسُه عن رَطْبِه في الفَضْلِ والطِّيبِ.

وقيل: هو تفضيلُ هاتَينِ الجنَّتَينِ عن الأُخرَيَينِ، فإنه قال هاهنا: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وقال هناك: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، فثَنَّى هاهنا وعَمَّمَ، وأفرَدَ هناك وخَصَّصَ.

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٨٥) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٣).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: نصبٌ على الحال، وهو لِمَن سبَقَ ذِكْرُه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾، وذاك فَرْدٌ في اللَّفْظِ جَمْعٌ في المعنى؛ لأنه جِنْسٌ.

والاتِّكاءُ: الاستنادُ للتَّكَرُّمِ والتَّنَعُّمِ، وذلك على السَّريرِ.

﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾: جَمْعُ فِراشٍ.

﴿بَطَآئِنُهَا﴾: جَمْـعُ بِطانَـةٍ، وهـي الصَّفِيحَةُ[1] الدَّاخِلَـةُ المُقابِلَـةُ للظِّهارةِ، وهي الصَّفِيحَـةُ الخارِجةُ.

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: قيل: هو مِن (اسْتَفْعَل) مِن البَرِيقِ، وهو الإضاءةُ.

وقيل: مِن البُرْقَةِ، وهي اجتماعُ ألوانٍ، وجُعِلَ اسماً، فأُعْرِبَ بإعرابه وأُجْرِيَ مَجْراه.

وقال الفرَّاءُ وجماعةٌ: هو الدِّيباجُ الغَلِيظُ[2]، وأصلُه فارسيَّةٌ: (إِسْتَبر)، فعُرِّبَ.

وقـال الأخفـشُ: المتاعُ الصِّينـيُّ[3] الذي فـي صَفاقَةِ الدِّيبـاج، وخِفَّـةِ الفِرنْدِ، يُسَمَّى إِسْـتَبْرَقاً[4].

---

(١) في (ف): «الصفحة» في الموضعين.

(٢) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١١٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٢) عن سالم بن عبد الله، وعكرمة.

(٣) في (أ): «الصبيء».

(٤) لم أقف عليه عن الأخفش، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٥)، لكن فيه: (يسمّى المتاع الصيني الذي ليس له صفاقة الديباج ولا خفّة الفرند إستبرقا)، وكذا نقله الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٢)، لكن فيه: (العرقة) بدل: (الفرند).

وقيل: إنَّ قولَه: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: يدُلُّ على أنَّ البَطائِنَ إِسْتَبْرَقٌ، والظَّهائِرَ سُنْدُسٌ.

وقال مُرَّةُ الهَمْدانيُّ: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: وهو الخَزُّ المُوشَّى، وليس في الأرض أحدٌ يَعْرِفُ ما الظَّهائِرُ(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: هذه البَطائِنُ، فما الظَّهَائِرُ(٢)؟! أي: فمَن يَعْرِفُ ذلك؟!

وقولُه تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: أي: قريبٌ.

قال ﷺ: «أَصْلُها الذَّهَبُ، وفَرْعُها الدُّرُّ، وطَلْعُها كَثَدْيِ الأبكارِ، أَلْيَنُ مِن الزُّبدِ، وأحلى مِن العَسَلِ، كلَّما أُخِذَ منها شيءٌ عادَ، يَنالُها القاعِدُ والقائِمُ والنَّائِمُ»(٣).

وقال قتادة: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: يعني: ثمارُها قريبةٌ لا يَردُّ أيديَهم عنها شَوْكٌ ولا بُعْدٌ(٤).

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٣٢) من غير نسبة.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٣) عن هبيرة، وسعيد بن جبير.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠) عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٦) عن ابن جبير، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦) عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن جبير.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً. ورواه في «الكبير» (٦١٧٦) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٩ ـ ٩٠) عن رواية أبي هريرة: فيه سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف، وعن رواية سلمان: فيه محمد بن عدي عن سلمان، ولم أعرفه، وجماعة ضعفاء وثقوا.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٤).

وقال الحسن: إنْ شاؤُوا أَتَوْها، وإنْ شاؤُوا أَتَتْهُم وهُم جُلُوسٌ ونِيامٌ، فيَتَناولونه على فُرُشِهم[(١)].

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: أي: في الفُرُشِ.

قيل: أي: في الجِنانِ التي تَشْتَمِلُ عليها الجَنَّتانِ زوجاتٌ قد قَصَرْنَ عُيونَهُنَّ على أزواجهنَّ فلا يُرِدْنَ غيرَهم، وهذا مِن أَفْضَلِ خِصالِ النِّساءِ، وأَبْلَغُ وَصْفٍ لها في حُبِّها زوجَها، وهي أشهى ما يكونُ إلى الزَّوجِ، ووَحَّدَ الطَّرْفَ لأنَّه في الأصل مَصْدَرٌ، وقد طرَفَتْ عينُه طَرْفاً.

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: لِمَن قصَرَ يدَه عن الحرامِ والشُّبْهَةِ، وبصَرَه عن الحرامِ والرِّيبَةِ.

وقال: إذا قَصَرْنَ[(٢)] طَرْفَهُنَّ عن غيرِكَ، فأولى بالعبد أنْ يَقْصُرَ طَرْفَه عن المَحْظورات، بل عن المكنونات[(٣)]، إذا كان يرجو لقاءَ ربِّه إلى أنْ يَلْقاه[(٤)].

قولُه تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يُدْمِهِنَّ بالنِّكاح[(٥)]، وأُرِيدَ به الافتضاضُ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٣٤).

(٢) في (ف): «قصرت».

(٣) في (أ): «المكونات».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٢).

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٧)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٩).

وقرأ الكسائيُّ هاهنا: ﴿لَمْ يَطْمُثْهُنَّ﴾ بضم الميم، وقرأ الثَّانيةَ بكسرها، والباقون قرؤوهما بالكسر(١).

وذَكَرَ في «ديوان الأدب»: (طمَثَ يَطْمِثُ) بكسر الميم؛ أي: بالافتضاض، وبضمِّها: الحيضُ(٢)، وامرأةٌ طامِثٌ؛ أي: حائِضٌ.

قولُه تعالى: ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾: أي: قَبْلَ الأزواجِ ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾: قال ضَمْرَةُ بنُ حبيبٍ: إنما نفى الجانَّ؛ لأنَّ للمؤمنين منهم أزواجاً مِن الحُورِ العين(٣).

وقيل: هُنَّ الحُورُ العِينُ المخلوقاتُ في الجنة لم يَتَبَدَّلْنَ ولم يُمْسَسْنَ.

وقال الحسن: هُنَّ المؤمناتُ مِن نساء الدنيا(٤)، ومعناه: لم يَطْمِثْهُنَّ بعد النَّشْأَةِ الثانيةِ أحدٌ.

وقيل: هُنَّ نساءُ الإنسِ ونساءُ الجِنِّ؛ أي: ليس لِإِنْسِيَّةٍ بعد النَّشْأَةِ الثانية إِنْسٌ، والجِنِّيَّةِ جانٌّ.

وقيل: هو على التَّبْعيدِ؛ أي: لم يَمَسَّهُنَّ ماسٌّ.

وقال أبو عُبَيدٍ: هو مُطْلَقُ المَسِّ، يُقالُ: هذه ناقَةٌ صَعْبَةٌ لم يَطْمِثْها حَبَلٌ.

وقيل على هذا: لم يَمْسَسْهُنَّ إنسٌ برِيبَةٍ ولا جانٌّ بآفَةٍ.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ١٠٢).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٦٢) (ط: دار التفسير)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٩٦).

(٤) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٦).

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾: قيل: كأَنَّهُنَّ في صَفائِهِنَّ كالياقوت الذي يُرى السِّلْكُ الذي فيه مِن ورائِه، فكذلك يُرى مُخُّ ساقِهِنَّ مِن وراء أجسامِهِنَّ، وكالمَرْجانِ في اللَّطافةِ.

وقيل: في اللَّونِ؛ لأنَّ المَرْجانَ صِغارُ اللُّؤْلُؤِ، وهُنَّ بِيْضٌ مُتَلأْلِئةٌ.

وقيل: هي في الحُمْرَةِ كالياقوتِ، وفي البَياضِ كاللُّؤْلُؤِ.

***

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾: أي: ما جزاءُ مَن أَحْسَنَ إلَّا أنْ يُحْسَنَ إليه، استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ، وإحسانُهم خوفُهم مقامَ ربِّهم، والإحسانُ إليهم إكرامُهم بنَعيمِ الجنة جزاءً على خوفِهم.

وقال مُقاتلُ بنُ حيَّان: هل جزاءُ العمَلِ الصَّالِحِ إلا الثَّوابُ في الجنة(١).

وقال السُّدِّيُّ: هل جزاءُ الذين أطاعُوه في الدنيا إلا الكرامةُ في الآخرةِ(٢)؟!

وقال ابنُ عبَّاسٍ: هل جزاءُ مَن عَمِلَ في الدُّنيا حُسْناً، وقال: (لا إلهَ إلَّا اللهُ) إلا الجنَّةُ في الآخرة(٣)؟!

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ط: التفسير (٩/ ١٩٢)، والواحدي في «٢١/ ١٩٢».

(٣) رواه عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٤). =

وقيل: الإحسانُ الأوَّلُ مِن الله تعالى أيضاً.

وقال أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: قال النَّبيُّ ﷺ: معناه: «هل جزاءُ مَن أنعَمْنا عليه بالتَّوحيدِ إلا الجنَّةُ؟!»(١).

وفي روايةٍ: قال ﷺ: «معناه: إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: هل جزاءُ مَن أَنْعَمْتُ عليه بمعرفتي إلَّا أنْ أُسْكِنَه في جَنَّتي وحَظِيرَةِ قُدْسي»(٢).

وقُرِئَتْ هذه الآيةُ بين يَدَيِ الجُنَيدِ، فقال: سبقَتِ العِنايَةُ في البداية، وظهَرَتِ الولايةُ في النِّهاية(٣).

وذُكرتْ أقاويلُ على القول الأوَّلِ:

قال الحسنُ: الإحسانُ أنْ يَعُمَّ ولا يَخُصَّ، فيكون كالمَطَرِ والرِّيحِ والشَّمسِ(٤).

وقال سفيان: الإحسانُ أنْ تُحْسِنَ إلى مَن أساءَ إليكَ، فأمَّا الإحسانُ إلى المُحْسِنِ فنَقْدُ السُّوقِ، خُذْ مِنِّي وهاتِ(٥).

= وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٥).

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٧)، والديلمي في «الفردوس» (٤/ ٣٣٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢) من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما. وفيه بشر بن عبيد وهو منكر الحديث. ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنه باختلاف يسير في الألفاظ، وقال: تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفي، وهو منكر.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣١٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٧)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٥٩٩).

وقال الفُضَيلُ: الإحسانُ أنْ تَنْصِفَ ولا تَنْتَصِفَ[١].

وقال السُّدِّيُّ: الإحسانُ تَرْكُ رُؤْيَةِ الإحسانِ.

وقال الجُنَيدُ: الإحسانُ نِسْيانُ الإحسانِ.

* * *

(٦١) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: يعني: بابتداءِ الإحسانِ أم بانتهاء الإحسانِ؟

وقال الإمامُ القُشَيْرِيُّ: يجوزُ أنْ يكونَ الإحسانانِ مِن الله تعالى، وأنْ يكونا مِن العبد، وأنْ يكونَ الأوَّلُ مِن الله تعالى، والثاني مِن العبد، وأنَّ الأوَّلَ مِن العبد، والثانيَ مِن الله تعالى.

فأما رجوعُهما إلى الله تعالى يعني: هل جزاءُ مَن أَحْسَنَّا إليه في الابتداء إلَّا أنْ نُحْسِنَ إليه في الانتهاء؟! وهل جزاءُ مَن فاتَحْناهُ باللُّطْفِ إلَّا أنْ نُرَبِّيَ ذلك بالفَضْلِ والعَطْفِ؟

وأما رجوعُهما إلى العبد، فعلى معنى: هل جزاءُ مَن آمَنَ بنا إلا أنْ يَثْبُتَ في المستقبل على إيمانِه؟ وهل جزاءُ مَن عقَدَ معنا عَقْدَ الوفاءِ إلَّا أنْ لا نَنْقُضَه بالجَفاءِ؟ وهل جزاءُ مَن فَنِيَ عن نفْسِه إلا أنْ يَبْقَى بنا؟

وأمَّا رجوعُ الأوَّلِ إلى الله تعالى والثاني إلى العبد، فعلى معنى: هل جزاءُ مَن أَحْسَنَّا إليه بالنِّعْمَةِ إلَّا أنْ يُحْسِنَ لنا بالخِدْمَةِ؟ وهل جزاءُ مَن أَحْسَنَّا إليه بالوَلاءِ إلَّا أنْ يُحْسِنَ لنا بالوفاء؟

وأمَّا رجوعُ الأوَّلِ إلى العبد والثاني إلى الله تعالى، فعلى معنى: هل جزاءُ مَن

(١) ذكره القشيري في «رسالته» (٢/ ٣٨١) عن الحارث المحاسبي.

أحسَنَ إلينا مِن حيث الطَّاعةُ إلَّا أنْ نُحْسِنَ إليه مِن حيث القَبولُ والثَّوابُ؟ وهل جزاءُ مَن أحسَنَ إلينا مِن حيث الخِدْمَةُ إلَّا أنْ نُحْسِنَ إليه مِن حيث النِّعْمَةُ؟

وهل جزاءُ مَن بعُدَ عن نفْسِه إلا أنْ نُقَرِّبَه مِنَّا؟ وهل جزاءُ مَن رفَعَ لنا خَطْوَةً إلَّا أنْ نُكافِئَه بكلِّ خَطْوَةٍ ألفَ خَطْوَةٍ؟ وهل جزاءُ مَن حَفِظَ لنا طَرْفَه إلَّا أنْ نُكْرِمَه بلقائِنا[١]؟

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: أي: ومِن دون الجنَّتَينِ اللَّتَين وَعَدْناهما للخائفين، وعلى قول مَن جعَلَ تلك للسابقين وهاتين للتابعين، فـ(دُونَ) بمعنى: الأدنى، ومَن جعَلَ الجِنانَ الأربعَ كلَّ الجِنانِ لكلِّ أهلِ الجنَّةِ، فـ(دُونَ) بمعنى (غير)؛ أي: وسوى الجنَّتَينِ المذكورتين جنَّتانِ أُخرَيان.

وأهلُ التَّفْسيرِ يختلفون في تلك:

قال ابن عبَّاسٍ: تانِكَ للمُقَرَّبين، وهاتان لأصحاب اليمين[٢].

وقال أبو معاذٍ والكسائيُّ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: أي: غيرَهما[٣]، لا أنَّهما دُونَ الأُولَيَينِ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

(٢) ذكره عنه الحليمي في «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٧٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٥٩) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) ذكره عن أبي معاذ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٩٣). وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٦) عن الكسائي قوله: أمامهما وقبلهما.

وقال الضَّحَّاكُ: الجنَّتانِ الأُولَيانِ مِن ذهبٍ وفضَّةٍ، والأُخْرَيَانِ مِن ياقوتٍ وزُمُرُّدٍ، وهُما أفضلُ مِن الأُولَيَينِ[1].

* * *

(٦٣ ـ ٦٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: خَضْراوان قد علاهُما سَوادٌ مِن الرِّيِّ[2].

وقال الخليلُ: الدُّهْمَةُ: السَّوادُ[3].

وقال القُتَبِيُّ: سوداوان[4].

وقال مجاهدٌ: مُسْوادَّتان[5]، والخُضْرَةُ إذا اشتَدَّتْ ضرَبَتْ إلى السَّوادِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: أي: فوَّارَتانِ، كلَّما رُفِعَ شيءٌ فارَ آخَرُ، وليستا جارِيَتَينِ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧).

(٢) رواه عنه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٣١)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٨٠).

(٣) انظر: «العين» (٤/ ٣١).

(٤) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٤٢).

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٨٢).

وقال ابن عباس: فيَّاضَتانِ[١]، والنَّضْخُ أكثَرُ مِن النَّضْحِ؛ لأنَّ النَّضْحَ كالرَّشِّ، والنَّضْخ فوقه.

و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: بالتشديد للمُبالَغَةِ والكَثْرَةِ.

وقال ابن عباس: تَنْضَخانِ بالخير والبَرَكة على أهل الجنة[٢].

وقال ابن مسعود: تَنْضَخانِ على أولياء الله تعالى بالمِسْكِ والكافور[٣].

وقال أنسٌ: بالمسكِ والعَنْبَرِ؛ كما يُنْضَخُ بالمطر على دُورِ أهل الدنيا[٤].

وقال الخليلُ: النَّضْخُ: اللَّطْخُ بما يَبْقَى له أَثَرٌ[٥].

* * *

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٨١)، وعلقه البخاري (٤/ ١١٦) بصيغة الجزم.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٦) عن الكلبي، وقتادة، ومقاتل، والضحاك.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٥) عن ابن عباس وابن مسعود وأنس.

(٤) رواه عنه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠٣). وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧).

(٥) انظر: «العين» (٣/ ١٠٦).

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: الرُّمَّانُ ليس مِن الفاكهة(١)، وهو يُقَوِّي مذهبَ أبي حنيفةَ أنَّ الرُّطَبَ والعِنَبَ والرُّمانَ ليس بفاكهةٍ، والعطفُ بالواو يدُلُّ على التَّغايُرِ.

وقال أبو يوسُفَ ومحمَّدٌ: هذا يدُلُّ على التَّفْضِيلِ(٢)؛ كما في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: نخلُ الجنَّةِ جُذوعُها مِن فضة، وأغصانُها مِن ذهب، وأوراقُها مِن زُمُرُّدٍ، وسَعَفُها كِسْوَةٌ لأهل الجنة، ورُطَبُها كالدِّلاءِ أشدُّ بياضاً مِن اللَّبَن، وأَلْيَنُ مِن الزُّبْد، وأحلى مِن العسل، ليس له عَجَمٌ(٣).

* * *

(٦٩ - ٧٠) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾: أي: في الجِنانِ الأربَعِ.

﴿خَيۡرَٰتٌ﴾: قال الزَّجَّاجُ: أصلُه: (خَيِّراتٌ) بالتشديد، فخُفِّفَ(٤)؛ كما في الهَيِّن واللَّيِّن.

﴿حِسَانٞ﴾: أي: خَيِّراتُ الأخلاقِ والسِّيَر، حِسانُ الهَيْئاتِ والصُّوَر.

وقال جريرُ بنُ عبدِ الله: ﴿خَيۡرَٰتٌ﴾: مُخْتاراتٌ(٥).

---

(١) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «المبسوط» لمحمد بن الحسن (٣/ ٢٩٠)، و«التجريد» للقدوري (١٢/ ٦٤٥٩).

(٣) رواه عنه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٨٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١)،

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٠٤).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٢) من غير نسبة.

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ زيدٍ: لا دَفِراتٌ ولا بَخِراتٌ[١].

وقال أسامةُ بنُ زيدٍ: لا مُتَطَلِّعاتٌ، ولا مُتَشَوِّفاتٌ، ولا طَمَّاحاتٌ[٢].

وقال حسانُ بنُ عَطِيَّةَ: لا ذَرِباتٌ، لا يَغَرْنَ، ولا يُؤْذِينَ[٣].

***

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿حُورٌ﴾: جَمْعُ حَوْراء، وهي شِديدةُ بياضِ العَينِ، وشديدُ سَوادِها.

وقال قتادة: بِيضُ الألوانِ، صُفرُ الحُلِيِّ، خُضْرُ الثِّياب، يَقُلْنَ: نحن الرَّاضِياتُ فلا نَسْخَطُ، ونحن الخالِداتُ فلا نَبِيدُ، ونحن النَّاعِماتُ فلا نَبْأَسُ، طوبى لِمَن كان لنا وكُنَّا له[٤].

---

(١) ورد هذا ضمن خبر رواه ابن المبارك في «الرقائق» (٢٣٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١٧) موقوفاً على ابن مسعود ـ وله حكم المرفوع ـ: «لكل مؤمن خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، تدخل عليه كل يوم من ربه تحفة وكرامة وهدية له، لم تكن قبل ذلك، لا بخرات، ولا دفرات، ولا مرحات، ولا طماحات، ولا يَغَرْن، ولا يُغْرْن، حور عين كأنهن بيض مكنون». وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٢) عن ابن زيد قوله: الحور العين.

(٢) رواه عنه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٣٠). وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥) من غير نسبة.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٣٩) عن الأوزاعي.

(٤) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥) عن قتادة عن عقبة بن عبد الغفار نحوه. وهو قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٦٨)، و«الأوسط» (٣١٤١)، عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٨): وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف.

=

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنَّ الحُورَ إذا قُلْنَ هذا، قالت المؤمناتُ: نحن المُصَلِّياتُ وما صَلَّيْتُنَّ، ونحن المُتَوَضِّئاتُ وما تَوَضَّأْتُنَّ، ونحن المُتَصَدِّقاتُ وما تَصَدَّقْتُنَّ، ونحن الصَّائماتُ وما صُمْتُنَّ، فتَغْلِبُهُنَّ واللهِ(١).

قولُه تعالى: ﴿مَقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾: أي: مَحْبوساتٌ في الحجال، قاله ابن عباس وأبو العالية ومحمد بن كعب والضحاك والحسن.

وقيل: هو كَخِيامِ الدُّنيا، والخيمةُ: بيتٌ مِن الثِّيابِ على الأعمدة والأوتاد، وقد قُلْنا: إنَّها لأهل البوادي.

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ على هَيْئَةِ البيت(٢).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: بيوتُ اللُّؤْلُؤِ(٣).

= وروى ابن المبارك في «الزهد» (١٤٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٧١)، والإمام أحمد (١٣٤٣)، والترمذي (٢٥٦٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٢)، والبزار في «مسنده» (٧٠٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٨)، وتمام في «فوائده» (٣٧٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٧٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٥٦) نحوه عن علي رضي الله عنه مرفوعاً.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، والمتهم به عبد الرحمن بن إسحاق، وهو أبو شيبة الواسطي، قال أحمد: ليس بشيء، منكر الحديث، وقال يحيى: متروك.

وروى نحوه أبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٨) من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً.

(١) ذكره عنها الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥)، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٥).

(٢) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال أيضاً: الخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ، فَرْسَخٌ في فَرْسَخٍ، لها أربعةُ آلافِ بابٍ، مِصْراعٌ مِن ذهبٍ، ومِصْرَاعٍ مِن فضةٍ[1].

وقال أبو موسى الأشعريُّ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ طولُها في السماء سِتُّون مِيلاً، في كلِّ زاويةٍ منها أهلٌ للمؤمن لا يراهم الآخرون[2].

وقيل: هذه الخِيامُ مِن دُرٍّ وياقوتٍ تُضْرَبُ على شُطوطِ أنهارِ هذه الجِنانِ.

وقال مُسْلِمٌ البَطِينُ: لكلِّ خَيْرَةٍ منهن خَيْمَةٌ، ولكلِّ خيمةٍ أربعُ مئةِ بابٍ[3]، يدخُلُ عليها مِقْدارَ كلِّ يومٍ مِن أيام الدنيا تُحْفَةٌ وكرامةٌ مِن الله عزَّ وجلَّ لا تَنْقَطِعُ أبداً[4].

وقال محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ: يُرى ظاهِرُها مِن باطنها، وباطِنُها مِن ظاهِرِها[5].

* * *

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧١). وقوله: «ومصراع من فضة» زيادة من (أ)، وليست في مصادر التخريج.

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «أربعون باباً».

(٤) روى نحوه مختصراً ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١٧)، موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٨٨٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٩٠٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٣٧)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٠٦) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها» الحديث.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٦١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٠) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وروي من طرق مرفوعة أخرى.

(٧٣ ـ ٧٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾: أي: مُسْتَنِدين في خِيامِهم على فُرُشٍ، وهو قولُ أبي عُبيدةَ[١]، و﴿رَفْرَفٍ﴾: جَمْعُ رَفْرَفَةٍ؛ ولذلك قال: ﴿خُضْرٍ﴾.

وقال الخليل: الرَّفْرَفُ: كِسْرُ الخِباءِ، وهو أيضاً ضَرْبٌ مِن الثيابِ يُبْسَطُ[٢].

وقال نِفْطُوَيْهِ: هو كلُّ ما فضَلَ فثُنِيَ.

وقيل: هو الفِراشُ المُرْتَفِعُ، ورَفْرَفَ الطَّائِرُ: إذا حرَّكَ جناحَيْهِ ورَفَعَهما.

وقال ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ والضَّحَّاكُ: هي المَحابِسُ، والمَحْبِسُ: ما يُبْسَطُ على البِساطِ[٣].

وقال الحسن: هي المرافِقُ[٤].

وقيل: الوسائدُ.

وقولُه تعالى: ﴿خُضْرٍ﴾: نَعْتُها.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦)، وذكره عنه ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٣)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٢٥٥).

(٣) رواه عنهم الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٤)، ورواه عن قتادة أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١١٢)، وعن الضحاك ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٧٦).

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٦).

وقولُه: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾: جَمْعُ عَبْقَرِيَّةٍ، وهي الطِّنْفِسَةُ، ولذلك قال: ﴿حِسَانٍ﴾.

وقال الفرَّاءُ: هي الطَّنافِسُ الثِّخانُ[1].

وقال أبو عُبَيدةَ وقُطْرُبٌ: يُقال لكلِّ بِساطٍ حسَنٍ: عَبْقَرِيٌّ[2]، و(عَبْقَر): بَلَدٌ يُنْسَجُ به الأنماطُ، واسمُ ما يُنْسَجُ به: عَبْقَرِيٌّ، وكذا ما كان مِن جِنْسِه وإنْ نُسِجَ في غيره.

وذكَرَ ذلك لأنهم تعارفوه بساطاً جَيِّداً، فخُوطِبوا على ما تعارفوا.

وقال أبو سعيدٍ الضَّريرُ: كلُّ حسَنٍ يُتَعَجَّبُ منه فهو عَبْقَرِيٌّ، قال النبيُّ ﷺ: «فلم أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْري فَرِيَّه»[3].

وقيل: العَبْقَرِيُّ: الوَشْيُ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ والحسَنُ وقتادةُ وابنُ زيدٍ: هي الطَّنافِسُ[4]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦].

وقال أبو خيرة[5]: هي الطَّنافِسُ الجِيادُ العِتاقُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٠).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦)، وذكره عنه الماتريديُّ في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٨٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٦) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد.
ورواه عن الحسن ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٧٣)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٢٢). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٧) عن الحسن بلفظ: الدرانيك، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٣) عنه أنها الطنافس المخملية، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٩) أنها الوسائد.

(٥) في (أ) و(ر): «حيرة».

وقال مُجاهِدٌ: العَبْقَرِيُّ: الدِّيباجُ[١].

وقيل: (عَبْقَر) بلَدٌ مِن بلاد الجنِّ، وقال لَبيدُ بنُ ربيعة:

ومَــن كان مِــن أخوالِهِــم وبَنِيهِــمُ ... كُهُــولٌ وشُــبَّانٌ كجِنَّــةِ عَبْقَــرِ[٢]

وعَبْقَرِيٌّ: منسوبٌ إليه.

وقال ذو الرُّمَّة:

حتــى كأن ريــاض القُــفِّ ألبَسَــها ... مِــن وَشْيِ عَبْقَــرَ تَجْلِيــلٌ وتَنْجِيــدُ[٣]

ومَن تكلَّفَ وقرأ: (عَبَاقِرِيّ) بالياء[٤] ـ لِيَصِحَّ وَصْفُها بالحِسان جَمْعاً ـ لم يَنْفَعْه

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٧).

(٢) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ٤٦)، ومطلعه هكذا: «ومن فاد من إخوانهم».

(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (ص: ١٣٦٦). قال شارحه: القف: ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً في ارتفاعه. والتنجيد: التزيين. ومنه: نجد فلان بيته؛ إذا زينه، فشبه الزهر بوشي عبقر.

(٤) ذكر القراءة الزجاج في «معاني القرآن» ولم ينسبها، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٣٠٥) عن النبي ﷺ وعثمان ونصر بن علي والجحدري وأبي الجلد ومالك بن دينار وأبي طعمة وابن محيصن وزهير الفرقبي، وعزاها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٧) إلى عثمان بن عفان وعاصم الجحدري وابن محيصن بفتح الياء من غير تنوين، وإلى الضحاك وأبي العالية وأبي عمران مجرورة بالتنوين.

ورواها حفص بن عمر في «جزء قراءات النبي» (١١٤)، والبزار في «مسنده ـ كشف الأستار» (٣/ ٩٢) عن أبي بكرة رضي الله عنه يرفعه.

ورواها القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٣) عن أبي طعمة بتنوين الجر، وقال: وهذا الحرف يروى مرفوعاً، والمحدثون يحدثونه بالإجراء، ولا أدري أمحفوظ هو أم لا، إلا أنه في العربية على ترك الإجراء.

قال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٧): وذكر عن النبي ﷺ خبر غير محفوظ، ولا صحيح السند: =

ذلك؛ لأنَّ المكانَ يَصيرُ جَمْعاً، فأمَّا المنسوبُ إليه فيبقى واحداً كـ«الجَوَالِقِيِّ»، إلَّا أنْ يُقْرَأَ: (عَبَاقِرٍ) بدون الياء، فيصيرُ جَمْعاً، ولا ضَرورةَ إليه، فإنا قلنا: إنَّ العَبْقَرِيَّ جَمْعٌ، وواحدتُها: عَبْقَرِيَّةٌ.

* * *

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: قال القُتَبِيُّ: إنَّ اللهَ تعالى عدَّدَ في هذه السُّورةِ نَعْماءَه على عِبادِه، ثم أتبَعَ ذِكْرَ كلِّ نِعْمَةٍ بهذا الكلام تقريراً وتذكيراً، وجعلَه فاصلاً بين كلِّ نِعْمَتَينِ لِيُفَهِّمَهم النِّعَمَ، وهو كقولِكَ لِمَن أحسَنْتَ إليه دَهْرَكَ وتابَعَتْ لديه أياديكَ، وهو في جميع ذلك يَكْفُرُكَ ولا يَشْكُرُكَ: ألم تكن فقيراً فأغنيتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن ضالًّا فهَدَيْتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن عُرْياناً فكسوتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن خَامِلاً فرَفَعْتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! وما أشبَه هذا، ومِثْلِ تكرارِ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[(١)].

وقولُه تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: قال الحسن: أي: تقَدَّسَ[(٢)].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: تعالى[(٣)].

وقال الضَّحَّاكُ: تَعَظَّمَ[(٤)].

= «على رفارف خضر وعباقري» بالألف والإجراء.

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٥١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٤٠٠). وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٨) قوله: ذو العظمة والكبرياء.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠).

وقال الحُسينُ بنُ الفَضْلِ: تباركَ اللهُ في ذاتِه، وبارك فيمَن شاءَ مِن خَلْقِه[1].

واللهُ المُوَفِّقُ للسَّدادِ، وعلى فَضْلِه الاعتمادُ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

* * *

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الَّذي أوعدَ أصحابَ المشأمةِ بالنِّيران، الرَّحمنِ الَّذي وعدَ أصحابَ الميمنةِ بالجنان، الرَّحيمِ الَّذي بشَّر المقرَّبين برَوْحٍ ورَيحان.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ الواقعةِ لم يُكْتَبْ مِنَ الغافلِيْن»[١].

وروى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ قرأَ سُورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلةٍ لم تصبْهُ فاقةٌ أبدًا»، وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يأمرُ بناتِه حتَّى يقرأنها كلَّ ليلةٍ[٢].

---

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣١). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٠). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤): قد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:

أحدهما: الانقطاع، كما ذكره الدارقطني وابن أبي حاتم في «علله» نقلًا عن أبيه.

والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.

والثالث: ضعف رواته، كما ذكره ابن الجوزي.

والرابع: الاضطراب، فمنهم من يقول: أبو طيبة بالطاء المهملة بعدها ياء آخر الحروف كما ذكره =

وهي مكيَّةٌ غيرَ قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣]، وقوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]، فإنَّهما نزلَتا في سفرِه إلى المدينة.

وهي سِتٌّ وتسعون آية، وقيل: سبع، وقيل: تسع.

وكلماتُها ثلاثُ مئةٍ وتسعٌ وخمسونَ كلمةً، وحروفُها ألفٌ وسبعُ مئة واثنا عشر حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّه ختمَ تلكَ السُّورةَ بما يعطي المؤمنين من الكرامة، وبدأ بهذه السُّورة بذِكْرِ ذلك اليوم، وهو يوم القيامة.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في ذِكْرِ أهلِ الجنَّة والنَّار، وهم المؤمنون والكفَّار.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: أي: واذكرْ إذا قامتِ القيامةُ،والواقعةُ مِن أسماء القيامة.

قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: أي: ليس لوقوعِها كذبٌ، مصدرٌ على وزن الفاعِلَة، كالجاثية والطَّاغية، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥ ـ ٦].

وقيل: ﴿إِذَا﴾ زائدة، وتقديرُه: وقعَتِ الواقعةُ، كقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، و﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وهو بيانُ قربِها.

= الدارقطني، ومنهم من يقول بظاء معجمه بعدها باء موحدة، ومنهم من يقول: أبو فاطمة كما ذكرهما البيهقي، ومنهم من يقول: شجاع، ومنهم من يقول: عن أبي شجاع، وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا.

﴿خَافِضَةٌ﴾: أي: هي خافضةٌ قومًا كانوا أعزَّة في الدُّنيا، فجعلَهم في أسفلِ السَّافلِيْن.

﴿رَّافِعَةٌ﴾: أي: هي رافعةٌ قومًا كانوا أذلَّةً في الدُّنيا، فتجعلُهم في أعلى علِّيِّين.

وقيل: الواقعةُ: صيحةُ القيامةِ، وهي ﴿خَافِضَةٌ﴾؛ أي: مخفوضةٌ تُسْمِعُ الأدنى، ﴿رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: مرفوعةٌ تُسْمِعُ الأقصى؛ أي: تعمُّ الجميع.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله:

﴿خَافِضَةٌ﴾ لأهلِ الشِّقاق ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لأهل الوِفاق.

﴿خَافِضَةٌ﴾ لأهل الدَّعاوي ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لأهل المعاني.

﴿خَافِضَةٌ﴾ للنُّفوسِ ﴿رَّافِعَةٌ﴾ للقلوب.

﴿خَافِضَةٌ﴾ لأهل الشَّهوة ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لأهل الصَّفوة.

﴿خَافِضَةٌ﴾ لمن جحد ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لمن وحَّد[١].

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: قال ابنُ عبَّاس ومجاهدٌ وقتادةُ: أي: زُلْزِلَتْ زِلزالًا[٢].

والرَّجُّ: التَّحريكُ باضْطِرابٍ؛ أي: يكون الخفضُ والرَّفع إذا رُجَّتِ[٣] الأرضُ وزُلْزِلَتْ، فلم يبقَ عليها بِناءٌ، أو يكون وقوع الواقعة حينئذ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥١٧).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٢).

(٣) في (أ) و(ف): «حركت».

قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ وأبو صالحٍ والسُّدِّيُّ: أي: فُتِّتَتْ فتًّا، وصارَتْ كالدَّقيقِ المَبْسُوسِ ـ أي: المبلول ـ والسَّوِيق كذلك(١).

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾: أي: غبارًا يدخل في الكوَّة مِن شُعاع الشَّمس، ﴿مُّنۢبَثًّا﴾؛ أي: متفرِّقًا، وذلك ممَّا لا يمكنُ أنْ يُحَسَّ أو يُمَسَّ باليد.

وقال الخليلُ: هو غبارٌ ساطعٌ في الهواءِ كأنَّه دخانٌ(٢).

وقال القتبيُّ: الهباءُ المنبثُّ: ما يسطعُ مِن سنابكِ الخيل(٣).

ثمَّ مِن آثارِ القيامةِ في الجبالِ: النَّسْفُ أوَّلًا، ثمَّ الدَّكُّ، ثمَّ تصير كثيبًا مهيلًا، ثمَّ هباءً منبثًّا، ثمَّ كالعِهْنِ المنفوشِ(٤)، ثمَّ تمرُّ مَرَّ السَّحاب.

فإذا أثَّرَ في الجبالِ الصُّمِّ الشَّواهِقِ هذا، وليس لها خطابٌ وعتابٌ(٥)، فكيفَ حالُ الضُّعفاءِ الذين لهم الخطابُ، ولهم الثَّواب والعقاب؟

وقرأ إبراهيمُ النَّخعي رحمَه الله: (منبتًّا) بتاءٍ معجمة فوقها بنقطتين(٦)، ومعناه: منقطعًا.

* * *

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٤/ ٨٩ و٩٧).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٤٥)، والسنابك: جمع سنبك، وهو طرف مقدم الحافر. انظر: «الصحاح» (مادة: سبك).

(٤) في (ر): «كالفراش المبثوث».

(٥) في (ر): «ولا عقاب».

(٦) وهي قراءة شاذة، ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٩).

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: أي: أصنافًا ثلاثة.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: أحدُ الأصنافِ الثَّلاثة هؤلاء ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ أصحابُ الميمنةِ، ويُذْكَرُ هذا للتَّعجيب مِن حالهم؛ أي: ما أعظمَ شأنِهم! وهو كقولك: زيد، وما زيدٌ!

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: هم الصِّنفُ الثَّاني ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: تهويلٌ بحالِهم، وهؤلاء أهلُ النَّار، والأوَّلون أهلُ الجنَّة.

و﴿الْمَيْمَنَةِ﴾: مِن اليُمْنِ، و﴿الْمَشْأَمَةِ﴾: مِن الشُّؤمِ، أولئكَ في يُمْنِ الإيمانِ والطَّاعةِ، وهؤلاء في شُؤْمِ الكُفْرِ والمعصية.

وقيل: هو مِن اليمين التي هي اليد اليُمنى، و﴿الْمَشْأَمَةِ﴾: هي اليُسرى، واليَمنُ عن يمينِ القِبْلَةِ، والشَّأمُ عن يسارِها، فأولئك أصحابُ اليمين، وهؤلاء أصحابُ الشِّمال، ولذلك سُمُّوا في هذه السُّورة.

واختلف في معناه؛ قيل: كان أولئك عن يمين آدمَ في أخذِ الميثاقِ، وهم نورٌ، وهؤلاءِ عن شمالِه وهم ظُلْمَة.

وقيل: أولئك يُعْطَون كُتُبُهم[1] في القيامةِ بأيمانِهم، وهؤلاءِ عن شمائِلِهم.

وقيل: أولئك يُسَارُ بهم عن يمين الطَّريق إلى الجنَّة، وهؤلاء يُسَارُ بهم عن

---

(١) في (أ): «كتابهم».

الشِّمال إلى النَّارِ عندَ مَفرَقِ الطَّريق، وامتيازِ[1] الفريقُ مِنَ الفريقِ[2]؛ قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

***

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: هم الصِّنْفُ الثَّالثُ، وهم أشرافُ أصحابِ الميمنةِ، وعُظماءُ أهلِ الجنَّةِ.

ومعنى التَّكرير: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: السَّابقون في الدُّنيا إلى الإيمان والطَّاعة هم السَّابقون في الآخرة إلى الجنَّة والكرامة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: على كرامةِ اللهِ تعالى وتخصيصه، وهو قُرْبُ المنزلَةِ لا المنزلِ، وقُرْبُ المكانةِ لا المكان.

***

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قال الخليل: أي: جماعة عظيمة[3].

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾: أي: مِن السَّابِقِيْن.

عددٌ كثيرٌ مِنَ الماضِيْنَ؛ لأنَّ الأنبياءَ المتقدِّمِيْن لكثرتهم كَثُرَ السَّابقون إلى الإيمان بهم وإجابة دعوتهم، فزادوا على عدد السَّابقين مِن هذه الأمَّة إلى التَّصديق لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

---

(١) في (ر): «وامتاز».

(٢) «من الفريق» ليس في (أ).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٨/ ٢١٦).

ورُوِيَ أنَّه لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ شَقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، فنزلَ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[1].

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: لَمَّا نزلَ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ ما زالَ رسولُ الله ﷺ يراجِعُ ربَّهُ حتَّى نزل: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، فجعل السَّابقين مِن هذه الأمَّة كالسَّابقين مِن الأممِ الماضيةِ في العدد.

وقيل: بل قوله: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ في حقِّ هذه الأمَّة، و﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: جماعةٌ مِن السَّابِقِيْن الأوَّلِيْن مِن هذه الأمَّة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: يلحقون بهم بالسَّبق إلى الطَّاعات، فأمَّا ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ فهما في حقِّ أصحاب اليمين، وهم كثير من الأوَّلين والآخرين.

وتكلَّموا في السَّابقين:

قال أبو موسى الأشعري وغيره: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: المهاجرون الأوَّلون، ومَن صلَّى إلى القِبْلَتَيْن، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾: هم التَّابعون لهم ممَّن لم تتقدَّم هجرتُهم[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٠٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): رواه أحمد من حديث محمد بياع الملاء عن أبيه، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. انتهى. قلت: أما محمد بياع الملاء فهو أبو عمرو، محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة، روى له النسائي، وذكره ابن حبان في «الثقات». انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٥/ ٦٠٩).
وأبوه عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة، قال عنه الذهبي: تابعي ما روى عنه إلا ابنه محمد، مجهول. انظر: «المغني في الضعفاء» (٣٥٥٧)، و«ديوان الضعفاء» (٢٤٤٠) كلاهما للذهبي.

(٢) قول أبي موسى في السابقين رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ورواه (٢٢/ ٢٩٠) عن ابن سيرين في تفسير هذه الآية.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: السَّابقون إلى الهجرة هم السَّابقون في الآخرة[١].

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: إلى الغزو والجهاد[٢].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الصَّلوات الخمس.

وقال عكرمةُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الإسلام.

وقال محمَّد بن كعب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: إلى كل خير[٣].

وقال محمَّد بن كعب أيضًا في قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: هم الذين كانوا على عهد رسولِ اللهِ ﷺ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: هم الذين قال فيهم: «أتدرون من إخواني» الحديث.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، ولم يقلْ: المتقرِّبون؛ ليُعلمَ أنَّهم وجدوا ذلك بتقريبِ اللهِ تعالى إيَّاهم، لا بتقريبِهم بأنفسِهم[٤].

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: ﴿سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ، ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾؛ أي: منسوجة متداخلة بعضُها في بعضٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ: مَرمولةٍ بالذَّهب.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩).

(٣) ذكر الأخبار الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥١٨).

وقال عكرمةُ: مشبَّكةٍ بالدُّرِّ والياقوت.

وقال ابنُ عبَّاس في روايةٍ: مصفوفةٍ.

وقال قتادة: المرمولةُ أوثر الأسِرَّة[١].

وقال الخليل: الموضونةُ بالسُّيور والدُّرِّ والجوهر ألينُ وأوطأُ مِن المعمول مِن الخشبِ ونحوه[٢].

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾: نصب على الحال ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ كذلك.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهدٌ رحمَه الله: أي: مُتواجِهِيْنَ، لا ينظرُ بعضُهم إلى قفا بعض[٣].

* * *

(١٧) ـ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: في الخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ روى يزيدُ الرَّقاشيُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأطفالُ خَدمُ أهلِ الجنَّةِ»[٤].

---

(١) في (أ) و(ر): «أوثق الأسرة». وروى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٧/ ٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٤) عن مجاهد. ورواه ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٨٥).

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٢٢٥)، وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (٢٠٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٠٩٠) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

ورواه البزار في «مسنده» (٧٤٦٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٥٥)، من طريق علي بن زيد عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٩٦)، من طريق مقاتل بن سليمان عن قتادة عن أنس =

وعن سلمان قال: أطفالُ المشركين خدمُ أهلِ الجنَّةِ(١).

وقال الحسنُ رحمه الله: لم يكن لهم حسنات يُجْزَونَ بها، ولا سيِّئات يُعاقَبونَ عليها، فوُضِعوا هذه المواضع(٢).

وتوقَّف أبو حنيفة رحمه الله في الأطفال، قال: لأنَّ الثَّوابَ بفضْلِ اللهِ وبوعدِه، لا بالفعلِ، ولا نصَّ فيهم(٣).

وقيل: هم خدمٌ خُلِقوا في الجنَّةِ على صورة الغِلمان، وهم للخِدمةِ لا غير، والحورُ العين للخدمةِ والمتعةِ.

﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: قال الفرَّاء؛ أي: على سِنٍّ واحدٍ لا يتغيَّرون(٤). وهو قول الحسن أيضًا(٥).

وقيل: خالدون في الجنَّة مع أهلِها. وهو قول مجاهد رحمه الله(٦).

= رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة»، وقال: لم يروه عن قتادة إلا مقاتل. قلت: يزيد الرقاشي وعلي بن زيد ضعيفان، ومقاتل بن سليمان قال عنه ابن حجر في «التقريب»: كذبوه وهجروه. ورواه البزار في «مسنده» (٤٥١٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٤٥)، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا.
والحديثان ضعفهما ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢٤٦).

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧٩)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ١٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٩) إلى عبد بن حميد.

(٣) انظر: «الكسب» لمحمد بن الحسن (ص: ٥٤)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٣/ ٢٩٢)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/ ١٩١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٢).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٥).

وقال نفطويه: قال قومٌ: هم الـمُقَرَّطونَ مِنَ القِرْطِ[1].

وقيل: مُسوَّرون، مِن السِّوار.

وقيل: مُقلَّدون، مِن القِلادَة.

وقيل: مُحلَّون، مِن الحِلْية، وأنشدني مَن أثِقُ به:

ومخلَّداتٌ باللُّجَيْنِ كأنَّما أعجازُهُنَّ أقَاوِزُ الكُثْبانِ[2]

قال: ويُقالُ للحِلْيةِ: الخَلَدَةُ.

وقيل: المُخلَّدُ: المُحلَّى باللُّؤلؤِ؛ لأنَّه يبقى على حسنِه أكثر ممَّا يبقى غيرُه.

***

(١٨) ـ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ الواسعُ الرَّأس لا خُرطومَ له.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾: والإبريقُ: هو الَّذي له عُروةٌ وخُرطوم. قاله قتادةُ ومقاتلٌ[3]، وكذا قال أهل اللُّغة.

وقال في موضع آخر: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: لها بياضُ الفضَّة وصفاءُ القوارير.

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٥) دون نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤) عن سعيد بن جبير.

(٢) البيت لبعض شعراء بني حمير كما في «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٦٥) واستشهد به الطبري على أن معنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: مسورون بلغة حمير. وكذا ذكره شاهداً على أن المعنى مسورون ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٨٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧١)، واستشهد به ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤) على أن المعنى مقرطون.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) عن قتادة، وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢١٧).

قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ﴾: وهو القَدَحُ إذا كان فيه شرابٌ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾؛ أي: مِن خمرٍ جاريةٍ، كالماءِ المعين، وهو الظَّاهر الجاري.

وقيل: هو فَعِيلٌ بمعنى: الإمعان، وهو الإسراعُ، وأُرِيدَ به: سرعة الجري.

وقيل: هو مفعولٌ مِن العين؛ أي: تراه العيون ظاهرة.

أخبرَ أنَّ خمرَ الآخرة ليسَتْ كخمرِ الدُّنيا تُستَخرجُ بتكلُّف وعلاجٍ وتكون في أوعية، بل هي جارية كثيرة، كما قال: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥].

***

(١٩) ـ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾؛ أي: لا ينالُهم بشربِها صُداعٌ كما ينالُهم ذلك مِن خمرِ الدُّنيا.

﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصمٌ(١) بكسر الزَّاي، ومعناه: لا تفنَى خمورُهم، يقال: أَنْزَفَ القومُ: إذا فنيَ زادُهم.

وقرأ الباقون بفتح الزَّاي(٢)، ومعناه: لا تذهبُ عقولُهم، يُقال: نَزَفَ الرَّجل: إذا ذهبَ عقلُه، وإذا ذهبَ دمُه.

فنفى بهذا جميعَ عيوبِ خمرِ الدُّنيا: مِن عُدْمِ العَقلِ بها بالسُّكْرِ، وذهابِ المال، ونفادِ الشَّرابِ.

---

(١) في (أ) و(ر): «وعاصم في رواية أبي بكر»، والمثبت هو الموافق لما في «السبعة» و«التيسير» و«النشر».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧)، و«النشر» (٢/ ٣٥٧).

وقال الأخفش: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾؛ أي: لا يسكرون(١).

وقيل في قوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾: أي: لا يفرَّقون بما ينفد مِن شرابهم، وقد تَصَدَّعَ القومُ؛ أي: تفرَّقوا، وصدَّعَهم كذا؛ أي: فرَّقَهم.

* * *

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ وَحُورٌ عِينٞ﴾.

ثمَّ ذكرَ اتِّساعَهم في الفاكهةِ فقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ يحتمل: وفاكهةٍ كثيرة يتخيَّرون منها ما شاؤوا لكثرَتِها.

ويحتمل: وفاكهة مِن الفواكه التي يتخيَّرونها؛ أي: فاكهةٍ متخيَّرةٍ تُتخيَّر كلُّها(٢).

ثمَّ ذَكرَ اللَّحمَ الذي هو سيِّد الإدام، وكانت العربُ يتوسَّعون بلحمان(٣) الإبل، ويعزُّ عندهم لحمُ الطُّيور، ويسمعون بها عندَ الملوكِ، فوُعِدوا بها، فقيل:

﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾: أي: ممَّا هو شهيٌّ(٤) عندَهم.

وقيل: ممَّا يشتهونَه مِن جملةِ الأجناسِ التي(٥) يعطيهمُ اللهُ في الجنَّة، وإنْ كانَ كلُّها مشتهًى لفضلِه وحسنِه.

وقيل: ﴿مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾؛ أي: يأكلون عن شهوةٍ، لا عن جوعٍ ولا عن سآمةٍ.

---

(١) لم أقف عليه عن الأخفش، وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٣) وغيرهما.

(٢) في (ر) و(ف): «يتخير أكلها»، والمثبت من (أ)، والمعنى عليه والله أعلم: فاكهة متخيرة لأجلهم مرضية كلها عندهم.

(٣) في (ر): «بلحم».

(٤) في (ر): «أشهى».

(٥) في (ر): «من جملة أجناسه أي» وفي (ف): «من جملة أجناسه التي».

ثمَّ وصفَ الأزواجَ فقالَ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿وحورٍ عينٍ﴾ خفضًا[١]؛ ليتَّفق إعراب الكلمات المذكورة بعضِها على إثرِ بعضٍ، ويكون خفضُه على الجوارِ كما في قولِهم: جحرُ ضبٍّ خربٍ، و: ماءُ شنٍّ باردٍ، أو على إضمارِ فعلٍ آخر يلائمُه، وهو: ويُكْرَمُونَ بحورٍ عينٍ.

وكذا قالوا في قولِه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٍ﴾؛ لأنَّه قَلَّ ما يُطافُ بها، وإنْ تُصُوِّرَ فيهما، ولا يكون ذلك في حورٍ عينٍ، ولا وجهَ إلَّا ما قلْنا.

والحورُ: جمع حَوراء، وهي الشَّديدةُ بياضِ العين، والشَّديدةُ سوادِها.

والعِينُ: جمع عَيناء، وهي الواسعةُ العينِ، الحسنةُ العين.

***

(٢٣ ـ ٢٦) ـ ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾.

﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾: أي: المصون.

قالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: يا رسولَ اللهِ، أخبرْني عن قولِ اللهِ تعالى: ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ فقال: «كصفاءِ الدُّرِّ في الأصدافِ قبلَ أنْ تمسَّهُ الأيدي»[٢].

قالوا: وذلك قبلَ أن يقع عليه الغُبارُ أحسنُ ما يكون في بياضِ لونِه وصفائِه ونورِه.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: أي: في الدُّنيا مِن الصَّالحات، فما جزاءُ الإحسانِ إلَّا الإحسان.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: أي: باطلًا مِن القول، لا فائدةَ في سماعِه، وهو ما ليسَ بكذبٍ ولا فحشٍ، لكنَّه كلامٌ لا معنى له.

﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: أي: ما يؤثِّمهم من الكلام، وهو الكذبُ والفحشُ.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾: وهو استثناءٌ منقطعٌ بمعنى: لكن؛ أي: لكن يسمعونَ قولَ بعضِهم لبعضٍ سلامًا سلامًا؛ أي: سلمْتَ سلامًا؛ أي: سلامةً، أو لقيْتَ تحيَّةً وسلامًا.

وقيل: هو سلامُ الملائكةِ.

وقيل: ﴿سَلَامًا﴾: نعتٌ لقولِه: ﴿قِيلًا﴾؛ أي: قولًا صوابًا سالمًا عن اللَّغو والتَّأثيم.

قال الأخفش: ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾؛ أي: ولا يفعلون تأثيمًا؛ أي: ما يؤثِّمُهم، فالأوَّل للقولِ، والثَّاني للفعل، ويُضْمَرُ فيه، وهو كقولِ مَن يقول: أكلْتُ خبزًا ولبنًا؛ أي: أكلْتُ خبزًا وشربْتُ لبنًا(١).

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: ثم ذكر التابعين للسابقين فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.

﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: أي: ماذا أُعِدَّ لهم مِنَ الخيرِ؟ وهي لفظةُ تعظيمٍ وتفخيمٍ، كقولكَ: زيدٌ، وما زيدٌ؟

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: أي: نَبْق، وكانوا يستلذُّونَه ويروقُهم شجرُه، وقد ذكرَ اللهُ تعالى سدرةَ المنتهى ورفعَ شأنَها.

---

(١) ذكر نحوه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٩)، وحكاه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٥) عن بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة.

وقوله تعالى: ﴿مَّخْضُودٍ﴾؛ أي: مقطوع الشَّوك.

وقال الخليل: الخَضْدُ: نَزْعُ الشَّوكِ مِن الشَّجرِ[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد والضَّحَّاك: لا شوكَ فيه[٢]، ومعناه: أنَّه خُلِقَ بلا شوك، لا أنَّه نُزِعَ عنه بعدَ أنْ كانَ فيه.

وقيل: الخَضْدُ: عطفُ العُودِ اللَّين، ومعناه: أنَّه قد انثنى مِن كثرةِ حملِه.

وقيل: الخَضْدُ: الكسرُ بلا إبانةٍ، وقد خضدْتُه فانخَضَد.

فقيل على هذا[٣]: هو مُوَقَّرٌ يكادُ ينكسِرُ مِن ثِقَلِ حملِهِ.

ورُويَ: أنَّه لَمَّا نزلَ: ﴿فِي سِدْرٍ﴾ قال أهلُ الطَّائفِ: هو مِثْلُ سِدْرِنا، فنزل: ﴿مَّخْضُودٍ﴾[٤].

***

(٢٩) ـ ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾: قال عليٌّ وابنُ عبَّاس وأبو سعيدٍ وقَسامة بن زهير والحسن والضَّحَّاك وقتادة وسعيد بن جبير وعطاء: هو الموز[٥].

وقال زيد بن أسلم: اللهُ أعلمُ به، إلَّا أنَّ أهلَ اليمنِ يُسمُّون الموزَ: الطَّلح[٦].

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٤/ ١٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٦ ـ٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة وأبي الأحوص والسفر بن نسير وقسامة بن زهير.

(٣) في (ر) و(ف): «وقيل فعلى هذا».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٠ ـ ٣١٢) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعطاء وقسامة وقتادة.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٢).

وقال أهلُ اللُّغةِ: الطَّلحُ شجرٌ عظيمٌ كثيرُ الشَّوك. هذا لفظ أبي عبيدة(١).

وقال الزَّجَّاج: هو شجرُ أمِّ غَيْلان(٢).

و﴿مَّنضُودٍ﴾: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ.

قيل: قِنْو الموز منضودٌ بعضُه على بعضٍ.

وقيل: أرادَ إنَّ ثمرَه كثيرٌ مِن أوَّلِه إلى آخرِه.

وقيل: المنضودُ: المتراكمُ، فإنْ أُرِيْدَ به الموزُ فهو ثمرٌ، وفضلُه على موزِ الدُّنيا في الجنَّة كفضلِ سائرِ الثِّمارِ، وإنْ أُرِيْدَ به الطَّلح الذي لا يُؤْكَلُ منه شيءٌ في الدُّنيا فقد يكون مِن أشجار الجنَّة على ما يخلقُه اللهُ تعالى عليه مِن الحسن والخضرة والطَّراوة والنُّضرة.

وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قالَ: هو زينةُ الجنَّة، وقد يكون في بساتين الدُّنيا ما يكون للنُّزهة والزِّينة دون الأكلِ(٣).

وعن مجاهد قال: كان لأهلِ الطَّائف وادٍ مُعْجِبٌ، فيه الطَّلح والسِّدر، فقالوا: ليت لنا في الجنة مثلَ هذا الوادي، فنزلَتْ هذه الآية(٤). وقد قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، فذكَرَ لكلِّ قومٍ ما يعجبُهم.

وعن عتبة بن عبدٍ(٥) السُّلَمي قال: كنْتُ جالسًا مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابيٌّ

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٢).

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٤).

(٤) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٧٧) عن عطاء ومجاهد، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٢) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي.

(٥) في (أ) و(ر): «عبد الله»، وفي (ف): «عبد الرحمن»، والمثبت من مصادر التخريج.

فقال: يا رسول الله، أسمَعُكَ تذكرُ في الجنَّة شجرةً لا أعلم شجرةً أكثرَ شوكًا منها! يعني الطَّلح، فقال رسول الله ﷺ: «فإنَّ اللهَ تعالى يفعلُ مكانَ كلِّ شوكةٍ منها ثمرةً فيها سبعون لونًا من الطَّعام، لا يشبهُ لونُ الواحدِ منها لونَ الآخر»[1].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يقول: هو في معنى: وطلع منضود، فقد قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]، وهو ثمر النَّخل[2].

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: أي: دائمٍ لا تنسخُه الشَّمس، وفي الخبر: «إنَّ في الجنَّةِ شجرةً، يسيرُ الرَّاكِبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يقطعُها، اقرؤوا إنْ شئِتُم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»[3].

وقال نضر بن شُميل: أي: لا ينقصُ كما ينقص ظلُّ الدُّنيا.

وقال الرَّبيع بن أنس: أي: ظلِّ العرش[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: أي: مَصْبوب.

وقال سفيان: أي: يجري في غيرِ أُخدودٍ[5].

---

(١) رواه ابن أبي داود في «البعث» (٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٣٠)، وفي «مسند الشاميين» (٤٩٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٣)، وأبو نعيم الأصفهاني في «صفة الجنة» (٣٤٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٩)، وابن الأنباري في «المصاحف» كما في «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٧).

(٣) رواه البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٨).

وقيل: أي: مَصبوب على الخمرِ لِيُشرَبَ بالـمِزاج.

وقيل: ينصَبُّ مِن ساقِ العرش.

وقيل: ينصَبُّ مِن مكانٍ بعيدٍ؛ أي[١]: عالٍ فيُسْمَعُ خريرُه، ويُرَى صفاؤُه، وهو أصفى ما يكون، وأعجب في مَرأى العيون.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكِنَانيُّ: إنَّ الماءَ يخرجُ مِن العُيونِ، فيتسنَّم، ثمَّ ينصَبُّ عليهم انصبابًا.

* * *

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾: كما تنقطعُ فواكهُ الدُّنيا في الشِّتاء، وفي أوقاتٍ مخصوصةٍ.

﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾: بِبُعْدِ مُتناوَلٍ أو شوكٍ يؤذي كما يكون في الدُّنيا.

وقيل: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ لا تنقطع بأخذِها، بل ينبتُ مكانَها مثلُها.

وقال قتادة: ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾؛ أي: لا يمنعُهم شوكٌ ولا بُعدٌ[٢].

وقال القتبيُّ: ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾؛ أي: لا يحظرُ عليها بِحظارٍ، كما يحظرُ على بساتينِ الدُّنيا[٣].

وقيل: فيه دليلٌ على أنَّه لا نومَ في الجنَّةِ؛ لأنَّهم لو ناموا صاروا ممنوعين عن الفواكهِ حالَ نومِهم.

---

(١) «بعيد أي» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٨).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٤٩).

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: جمع فِراشٍ؛ أي: بعضُها فوقَ بعضٍ، عاليةٍ طويلة؛ كما يُقال: هذا بناء مرفوع.

قال أبو أمامة الباهليُّ: لو طُرِحَ فراشٌ مِن أعلاها إلى أسفلِها لم يستقرَّ إلَّا بعدَ سبعين خريفًا(١).

وقيل: أرادَ بالفِراشِ: النِّساء، فإنَّ المرأةَ فِراشُ الرَّجلِ لأنَّه يستفرشُها.

وقيل: كلُّ واحدٍ مِن الزَّوجَيْنِ فراشٌ للآخرِ كما هو لباسٌ له؛ قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾؛ أي: مرتفِعاتِ الأقدار، ودليلُ أنَّ المرادَ ذلك أنَّه قال بعدَه: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾.

وقيل: الفُرُش على ظاهرِها، و﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ يرجعُ إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾. قاله أبو عبيدة(٢).

وقيل: ذِكْرُ الفُرُشِ ذِكْرٌ لهنَّ؛ لأنَّهنَّ يتكِئْنَ مع الرَّجالِ عليها.

وقال الأخفشُ: أضمرَهُنَّ، ولم يذكرْهُنَّ قبلَ ذلِكَ(٣).

* * *

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٨٢)، وهناد في «الزهد» (٧٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩).

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٤٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٠): رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو ضعيف.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٢).

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾.

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾: أي: ابتدأْنا خلقَهُنَّ في الجنَّةِ، ولم يولَدْنَ في الدُّنيا، ولم ينتقلْنَ مِن طفولةٍ إلى ما فوقَها.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾: أي: خلقناهُنَّ على البكارةِ، وهذا على قولِ مَن يقولُ: الحورُ العينُ غيرُ نساءِ الدُّنيا، فأمَّا على قولِ مَن يقول: إنَّهنَّ المؤمنات، فمعناه: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ النَّشأةَ الثَّانية في الآخرةِ، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ بعدَما كُنَّ ثيباتٍ.

قال الحسنُ: هي العجوزُ الكبيرةُ يحوِّلُها اللهُ شابَّةً[١].

وقال مجاهدٌ: دخلَتْ عجوزٌ مِن بني عامرٍ على عائشةَ رضي الله عنها، ودخلَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «ما هذه العجوزُ يا عائشة؟»، فقالَت: إحدى خالاتي يا رسول الله، قال: «أَمَا إنَّ الجنَّةَ لا تدخلُها عجوزٌ»، قال: فأخذَ العجوزَ ما أخذَها، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى ينشئُهُنَّ خَلقًا غيرَ خلقِهِنَّ»[٢].

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل» (٢٤١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٠) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً بنحو الحديث الآتي.

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩)، وهو مرسل أيضاً. وروي الحديث من طريق أخرى متصلاً، فقد رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها، وهذا إسناد متصل لكن مسعدة ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩). قلت: ومسعدة هذا قال عنه الذهبي في «الميزان»: (هالك، كذبه أبو داود، وقال أحمد: حرقنا حديثه منذ دهر)، وقد رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٤) عن عبدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلا، وعبدة هو ابن سليمان الكلابي، وهو ثقة ثبت كما في «التقريب»، فهذا وإن كان مرسلاً لكن رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

وعن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «هُنَّ اللَّاتي كُنَّ في دارِ[١] الدُّنيا عجائزَ عُمْشًا رُمْصًا»[٢].

وقال الحسنُ: مَن كان مِن ذكورِ أولادِ المشركين فإنَّ اللهَ تعالى ينشِئُهم ويجعلُهم خدمَ أهلِ الجنَّة، ومَن كان مِن الإناثِ فإنَّ اللهَ ينشئُهنَّ حُورًا عينًا أزواجًا لأهل الجنَّة، ومَن كان مِن أولادِ المسلمين فإنَّه يبعثُه على الحالةِ الَّتي ماتَ عليها، فيكونون مع آبائِهم وأمَّهاتهم، وأمَّا العجائزُ فإنَّ اللهَ تعالى ينشئُهُنَّ[٣].

***

(٣٧) ـ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾.

قوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾: والعُرُبُ: جمعُ عَرُوْبٍ، وهنَّ المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ.

وقال الكسائيُّ: العُرُبُ: المتحبِّباتُ، ذواتُ الغُنْجِ واللَّعِبِ والضَّحكِ[٤].

وقال قطربٌ: العَرُوبُ: العاشقةُ لزوجِها[٥].

وقيل: المداعِبة.

وقال أبو سعيدٍ الضَّرير: الملاعِبة.

وقال الخليلُ: أي: الضَّحَّاكةُ الطَّيبةُ النَّفس[٦].

---

(١) «دار» من (أ) و(ف).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦)، وقال: حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الطبري نحوه في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وابن بريدة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧) عن مجاهد وعكرمة ويحيى.

(٦) انظر: «العين» للخليل (٢/ ١٢٨).

وقال أبو معاذٍ: هي الَّتي تكلِّم زوجَها بما ينشِّطه في المباشرة.

هذه أقاويل أئمَّةُ اللُّغة، وقد جاء عن أهل التَّفسير نحو ذلك.

قال الضَّحَّاك: ﴿عُرُبًا﴾: متعشِّقاتٍ لأزواجهنَّ(١).

وقال السُّدِّيّ رحمه الله: حَسناتِ التَّبعُّل لأزواجهنَّ(٢).

وقال نضر بن شُميل: راضياتٌ مرضيَّات.

وقال عطاء وعكرمة والرَّبيع: غَنِجات(٣).

وقال يمان بن رئاب: طاهراتٌ مِن الأدناس.

وقال محمد بن كعب: متطيِّبات.

وقال أبو عبيدة: غير فواحش، وأنشدوا:

وفـي الحُـدُوجِ عَـروْبٌ غَيْرُ فاحشـةٍ ... ريَّا الرَّوادفِ يَعْشَـى دونَهـا البَصَرُ(٤)

قوله تعالى: ﴿أَتْرَابًا﴾: أي: على ميلادٍ واحدٍ، جمعُ تِرْبٍ، وهي اللِّدَةُ.

وفي بعض الرِّوايات: الرِّجالُ والنِّساءُ على سنِّ ثلاثٍ وثلاثينَ سنة(٥). وهو عند انتهاءِ الشَّبابِ واجتماعِ العقل.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩) عن تميم بن حذلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤) عن عكرمة وابن بريدة.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥١)، والبيت للبيد. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٦).

(٥) حديث حسن رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢٥٤٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب، وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة، مرسلًا ولم يسندوه.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿أَتۡرَابٗا﴾: مستوياتٍ[١] على سنٍّ واحدٍ[٢].

***

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾: قال الفرَّاء: أي: هذا كلُّه لأصحاب اليمين، وهم الذين يَلُون السَّابقين[٣].

وقيل: ﴿أَتۡرَابٗا ۝٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾؛ أي: هذه النِّساء على ميلادِ الرِّجال.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي: أصحابُ اليمين جماعةٌ عظيمة في الآخرة من الأممِ المتقدِّمة.

﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: أي: جماعةٌ عظيمة في الآخرة منهم مِن هذه الأمَّة.

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنَّة»، فكبَّر أصحابُه، ثمَّ قال: «إنِّي لأرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّةِ»، فكبَّرَ أصحابُه[٤]، ثمَّ قال: «إنِّي لأرجو أنْ تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنَّة»، ثمَّ قال: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ الآيات[٥].

وروى عروةُ بنُ رُوَيْمٍ اللَّخمِيُّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ حين أُنْزِلَ عليه صَدْرُ سُورة

---

(١) في (ف): «مسنونات».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٦).

(٤) «ثم قال إني لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة فكبر أصحابه» ليس في (ف).

(٥) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤٠٤)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٤٠١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٣٣٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٢١) وصححه. وأصله عند البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) دون ذكر الآية.

الواقعة، قرأه على مَن حضرَه مِن المهاجرين والأنصار، حتَّى إذا بلغَ: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِين) تكلَّم عمرُ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ اللهِ، ثلَّةٌ مِن الأَوَّلِيْنَ، وقليلٌ منَّا! حتَّى إذا أنزلَ اللهُ تعالى بقيَّةَ السُّورة، وجعلَه: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ دعا رسولُ اللهِ ﷺ عمرَ رضي الله عنه فقال: «يا ابن الخطَّاب، قد أنزلَ اللهُ تعالى فيما قلْتَ، فجعل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾»، فقالَ عمرُ رضي الله عنه: رضيْنا عنِ اللهِ تعالى، ونصدِّقُ نبيَّنا، ثمَّ قال ﷺ: «مِن آدمَ إليَّ ثُلَّةٌ، ومنِّي ثُلَّةٌ، ولن نستكملَ ثلتَّنا[1] حتَّى نستعين بِرِعاءِ الإبلِ السُّودان ممَّن يقولُ منهم: لا إله إلَّا الله»[2].

* * *

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: وهم الصِّنْفُ الثَّالثُ مِنَ الأزواجِ الثَّلاثةِ.

﴿فِى سَمُومٍ﴾: هي الرِّيحُ الحارَّةُ الَّتي تدخلُ في مسامِّ البدنِ، وهي خروقُه، ومنه: السُّمُّ؛ لأنَّه يسري في المسامِّ.

﴿وَحَمِيمٍ﴾: الحميمُ: الماءُ الحارُّ الَّذي اشتدَّ حرُّه، يعني: إذا نالَهم حرُّ النَّارِ، وأحرقَ أكبادَهُم وأجسادَهُم، فزعوا منه إلى الماءِ، فإذا هو شديدُ الحرارةِ قد انتهى غليانُه، فلا يصلُ إلى رَوحٍ ولا إلى بردٍ، بل مِن حرٍّ إلى ما هو أشدُّ منه.

---

(١) في جميع النسخ: «ولا تتم ثلة»، والمثبت من المصادر، وستأتي.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٩) من طريق عروة بن رويم عن جابر رضي الله عنه. قال ابن كثير عند هذه الآية: في إسناده نظر.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨) إلى ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلًا.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: مِن دُخانٍ أسودَ شديدِ السَّواد[1]. وكذا قال أبو مالك ومجاهد وقتادة وابن زيد[2].

﴿لَّا بَارِدٍ﴾: كَبْردِ ظِلالِ الشَّمس فيُتروَّحَ به ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: فيه خيرٌ يُنْتَفعُ به، وهو كقوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٢٨ ـ ٣١]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال أبو سعيد الضَّرير: ﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾: من ظلمة، ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: الكريمُ: ما كُرِّمَ على غيرِه لانتفاعِه به.

وقال قتادة رحمه الله: لا باردِ المنزلِ، ولا كريمِ المنظر[3].

وقال ابن جريج: لا باردِ المنظرِ، ولا كريمِ المدخل[4].

وقال ابن بريدة[5]: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال: جبلٌ في جهنَّم يُدعى يحموم، يستغيثُ إلى ظلِّه أهلُ النَّارِ، فإذا أُذِنَ لهم أنْ يأتوه لم يجدوه باردًا ولا كريمًا، فكان ما لقوا فيه مِن العذابِ أشدَّ ممَّا كانوا فيه.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧) وزاد عليهم عكرمة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٦)، وفيه: (لا بارد المدخل)، بدل «لا بارد المنظر».

(٥) في (أ): «يزيد» وهو محرف عن (زيد) كما سيأتي، فقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٨٦) (طبعة دار التفسير)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢) عن ابن زيد. وجاء في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢١٣) (طبعة دار إحياء التراث العربي)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ٣٥٢): ابن بريدة، وجاء في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٦): (وقال ابن بريدة وابن زيد أيضاً في كتاب الثعلبي...) وذكره.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝٤٥ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾: أي: إنَّ هؤلاء كانوا قبلَ أنْ يصيروا إلى ما صاروا إليه متنعِّمين في خلافِ ما أحلَّ اللهُ لهم، قد أطلقوا أنفسَهم يعملون ما يشتهون، ولا يُكدُّون أنفسَهم في عبادةِ اللهِ تعالى والعملِ بطاعتِه، ولا ينزعون عمَّا حظرَه اللهُ عليهم.

وقال ابن عبَّاس: ﴿مُتْرَفِينَ﴾: منعَّمين[١]. والتَّرفُّه: النِّعمة.

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي: يقيمون ويديمون على الإثمِ العظيمِ، وهو الشِّركُ. قاله قتادة والضَّحَّاك والكلبيُّ وابن زيد والحسن[٢].

وقال مجاهدٌ: هو الذَّنب العظيم[٣]. وهو قول قطرب والخليل[٤].

وقد بلغَ الغلامُ الحِنْثَ؛ أي: حدَّ البلوغِ، الذي يأثم بما فعلَه مِن الذَّنب.

وقال الشَّعبيُّ: هو اليمين الغموس[٥].

وقيل: يُسمَّى الشِّركُ حِنْثًا لأنَّه نقضُ اليمين التي حلفوا بها، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢].

وقيل: هو إثمهم بيمينهم الكاذبة: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) عن الضحاك وقتادة وابن زيد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩). ولم يفرق الطبري بين هذا القول وبين ما سبقه من قول قتادة والضحاك وابن زيد، فقد قدم للجميع بقوله: يعني على الذنب العظيم وهو الشرك بالله.

(٤) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٢٠٦).

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٤٥٧)، و«البسيط» (٢١/ ٢٤٢).

(٤٧ ـ ٥٤) ـ ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾.

﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾: أي: كانوا ينكرون البعثَ بعدَ الموتِ، استفهامٌ بمعنى النَّفي.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾: أي: الأمـم المتقدِّمـة، وهـذه الأمَّـة ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾ قيـل: أي: فـي الدُّنيا.

وقيل: أي: في القبور. وهذا قول الحسن[1].

﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾: عندَ اللهِ، وهو يوم القيامة، و﴿إِلَىٰ﴾ غاية على هذا.

وقيل: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾: لمحشورون يومَ القيامة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى اللَّام أو بمعنى (في) على هذا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾: بدل ما يأكلُه أهل الجنَّة مِن الفواكه ولحوم الطير.

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾: أي: مِن شجر الزَّقوم، وهي جمعُ شجرةٍ، فلذلك أنَّث.

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾: أي: على الأكل، وقيل: أي: على الزَّقُّوم ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾؛ أي: الماء الحار، إذا جاعوا فاستطعمُوا أُطعِموا الزَّقُّوم، وإذا عطشوا فاستسقَوا سُقوا الحميم.

* * *

(٥٥) ـ ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٩/ ٤٩٨) دون نسبة.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾: قرأ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ بضمِّ الشِّين، والباقون بفتحها[١]، وهما للمصدر هاهنا.

و﴿شُرْبَ﴾ بنصب الباء لنزعِ الخافض الكاف[٢]؛ أي: كشربِ الهيم.

وهي جمعُ الأَهْيَم والهَيْماء مِن الإبل، وهي التي أخذَها الهُيَام، وهو داءٌ مِن العطشِ، يَشربُ فلا يَروَى، ولا يزالُ يشربُ حتَّى يتلف.

وقال الفرَّاء والكسائيُّ رحمهما الله: هي الرَّمْلُ[٣]. وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما كذلك[٤].

وقال ابن عيينة: هي الرَّمل، أَلَا ترى أنَّك تصبُّ عليه الماءَ فلا ترى أثرَه[٥].

وقال قائلون: شجرُ الزَّقُّوم: ثمرُها كرؤوسِ الشَّياطين، مملوءةٌ مِن السُّمِّ، فإذا أكلوها استغاثوا، فيُغاثون بماء كالمهلِ.

وقال مقاتلٌ: الزَّقُّومُ: شجرٌ نابتٌ في أصل الجحيم، فإذا طُرِحوا فيها هووا فيها أربعين خريفًا حتَّى يأتوها، فيأكلون منها، فتمتلِئ بطونُهم، ثمَّ تصعدُ بهم النَّارُ إلى أعلاها، ثمَّ يهوون إلى الشَّجرة، ثمَّ تصعدُ بهم، فهذا دأْبُهم ودأْبُها.

وقال جابرُ بنُ عبدِ اللهِ: يُلقَى على أهل النَّار الجوع، فينادون ألفَ سنةٍ: واجُوعاه،

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

(٢) «الكاف» ليس في (أ)، «الخافض» ليس في (ف).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٨).

(٤) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٩٥). وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٣) دون نسبة. فقال: «ويقال: إن الهيم: الرمل، بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماءَ».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٤).

ثمَّ يُنطلَقُ بهم إلى الزَّقُّوم، فإذا أكلوه غَصُّوا به، فيُنَادُون ألفَ سنةٍ: واعطشاه، ثمَّ يُنْطَلَقُ بهم إلى الحميم، فذلك قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾؛ أي: على الجوعِ(١).

ويُقال: على الأكل.

وقال السُّدِّيُّ: بلغني أنَّ أهلَ النَّارِ إذا أكلوا الزَّقُّوم غصُّوا، فذكروا أنَّهم كانوا في الدُّنيا إذا أكلوا فغَصُّوا سوَّغوه بالماء، فيُنْطَلَقَ بهم إلى الحميم ليشربوا، فإذا رفعَ أحدُهم الماءَ إلى فيه سقطَ لحمُه في الإناءِ، ثمَّ يعيدُه اللهُ تعالى(٢).

***

(٥٦ ـ ٥٩) ـ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٥٦ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: أي: طعامُهم وشرابُهم يومَ الجزاء والحساب.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾: وأنتم بهذا مقرُّون ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾؛ أي: فَهلَّا تصدِّقون بالبعث بعدَ الموت، وهو كابتداء الإنشاء، وهذا خطابٌ لمشركي مكَّة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: أي: أخبروني عمَّا تُلقون مِن المنيِّ في أرحام نسائِكم.

---

(١) لم أقف عليه على جابر، لكن روي معناه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، فالمرفوع رواه الترمذي (٢٥٨٦) ولفظه: «يلقى على أهل النار الجوع فيَعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغَصَص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم..» الحديث. وقد تقدم بتمامه مع تخريجه وبيان حاله عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٢) لم أقف عليه. وانظر حديث أبي الدرداء السابق.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾: أي: تجعلونَه[1] إنسانًا، وقيل: أأنتم تصوِّرُونه.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: وإذا كانَ اللهُ قادرًا على أنْ ينقلَ المنيَّ إلى هذه الصُّورة العجيبة فهو قادرٌ على إحيائِه بعدَ موتِه.

* * *

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: بعدَ أنْ خلقناكم مِنَ النُّطفةِ.

قال مجاهدٌ: قدَّرنا بالتَّعجيل والتَّأخير[2]؛ أي: نعجِّلُ بعضًا ونؤخِّرُ بعضًا، على ما علمْنا وأرَدْنا لا يُعْتَرَضُ علينا فيه.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: أي: لا يفوتُنا أحدٌ، ولا يغلبنا أحدٌ أنْ نبدِّلَ أمثالَكم.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: الأعمارَ إلى الموتِ، فمنكم مَن يعيشُ إلى أنْ يبلغَ الهرمَ، ومنكم مَن يموتُ شابًّا وصبيًّا وصغيرًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: عاجزين على أنْ نهلِكَكم ونأتِ بخلقٍ خيرٍ[3] منكم وأطوعَ[4].

وقال السُّدِّيُّ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: في حواصلِ طيرٍ سُودٍ، تكون ببرَهوت كأنَّها الخطاطيف[5].

---

(١) في (أ): «تخلقونه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٥).

(٣) في (ر): «وأن نخلق خيرًا».

(٤) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٤ ـ ٤٥٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٥) عن سعيد بن المسيب.

وبرهوتُ وادٍ باليمنِ.

وقال الحسنُ رحمَه الله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: بمغلوبِيْنَ على أنْ نخلُقَ خَلقًا سواكم[١].

نظيرُه: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦].

وقيل: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾؛ أي: نُفنيكم، ونأتِيَ بقومٍ آخرين، وناسٍ مثلِكم مِن جنسكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نبتدئكم، ونبدِّل خلقَكم، وننقل صوَركم عمَّا أنتم عليه الآن إلى صورةٍ غيرها أنتم غيرُ عالمين بها، حتَّى نمسخَكم قردةً وخنازير، وممَّا شئنا ممَّا نعلمه نحن ولا تعلمونه أنتم؛ لأنَّ مَن قدرَ على أنْ يخلقَ مِن المنيِّ إنسانًا فينتقلَ المنيُّ إلى صورةِ الإنسان قدرَ على أنْ يخلقَ مثلَه أو ينقلَ صورَتَه إلى غيرها.

وقيل: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ تمامُ الكلام؛ أي: لا يفوتنا أحدٌ، ولا يسبقنا إذا أردنا إماتته ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ هذا متَّصلٌ بقوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾؛ أي: لنبدِّل بعدكم أمثالكم؛ أي: بعد إماتتكم قرنًا بعد قرنٍ[٢] إلى انقضاء الدُّنيا ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ بعد فناء الدُّنيا في الآخرة؛ أي: يبعثكم بعدَ الموت خَلْقًا جديدًا فيما لا تعلمون من الصُّور والهيئات[٣]؛ لأنَّ السُّعداء يُبعَثون على أحسنِ الصُّور، والأشقياء على أقبحِها، وهم لا يعلمون بذلك اليوم.

* * *

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٤٤) دون نسبة، وذكر الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٤٨) عن الحسن قال: (نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم).

(٢) في (أ): «آخرين إلى وقت» بدل: «بعد قرن».

(٣) في (ر): «والصفات».

(٦٢ ـ ٦٤) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾: قال مقاتلٌ رحمَه الله: أي: الخلقَ الأوَّل، وهو خلقُ آدم، لا تسأَلُ أحدًا مِنَ النَّاس إلَّا أنبأكَ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ مِن ترابٍ[1].

وقال مقاتل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾: أنَّ اللهَ خلقَكم نطفةً، ثمَّ علقةً، ثمَّ مضغةً[2].

قال الحسنُ رحمه الله: ولقد علمْتُم أنَّا خلقناكم ولم تكونوا شيئًا، ثم جعلناكم لحمًا ودمًا وعظمًا وروحًا[3].

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فهَلَّا تتأمَّلون فيه، فتعلَموا وتتَّعظوا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: حاجَّهم بأمرٍ آخرَ فقال: أخبروني عمَّا تحرثون مِن أراضيكم، فتطرحون فيها البَذْر.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: أي: تنبتونه وتجعلونه[4] زرعًا يكون فيه الحبُّ والسُّنبل.

﴿أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ﴾: أي: أم نحن نفعلُ ذلك؛ أي: أنتم مقرُّون لو جهدْتُم وجهدَ جميعُ العالم لم يتهيَّأْ لكم ولهم إنباتُ ذلك وإخراجُه، فقد علمْتُم أنَّ اللهَ تعالى يفعلُ ذلك، ومَن قدرَ على هذا كيف أحلْتُم قدرَتَه على إخراجِ الموتى مِن الأرضِ أحياءً بعدَ أنْ صاروا رَميمًا.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧) عن قتادة.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٢٢).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢) دون نسبة.

(٤) في (أ): «وتخلقونه».

(٦٥ ـ ٦٧) ـ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾؛ أي: هشيمًا بآفَةٍ، فلا يُنتَفعُ به في مَطعَمٍ.

وقال مرَّةُ الهمذاني: أي: تبنًا[1] لا قمحَ فيه[2].

والحَطْمُ: الكَسْرُ، والحُطَامُ: ما كسَرَتْهُ الأرجُلُ.

﴿فَظَلْتُمْ﴾: أي: فَظَلْتُم النَّهارَ كلَّهُ، أُسقِطَتْ إحداهُما تخفيفًا، كما يُقال: أَحَسْتُ بالشَّيء؛ أي: أحسسْتُ به.

﴿تَفَكَّهُونَ﴾: قال الخليلُ: أي: تتعجَّبون[3].

وقال قطرب: أي: تندمون. وهو قول الحسن وقتادة[4].

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: أي: يقولون: إنَّا لمعذَّبون، والغرامُ: اللُّزوم، والـمُغرَم: الذي أُلزِمَ العذاب.

وقيل: المُغـرَمُ: الـذي ذهبَ مالُـه بغيرِ عِـوضٍ[5]. وهو غـرام: مـا أنفقوا ولم يحصلـوا منه على شـيءٍ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: أي: لم يصبْنا ذلك عقوبةً على جُرْمِنا، بل هو بحرمانِنا وعدم جدِّنا.

---

(١) في (ر): «نبتاً».

(٢) في (أ): «لا حب قمح فيه»، والمثبت موافق لما ذكره الثعلبي عن مرة الهمداني في «تفسيره» (٩/ ٢١٥).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٣٨١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٠).

(٥) بعدها في (أ): «منه».

يقول اللهُ تعالى: لم أفعلْ هذا بكلِّ زروعِكُم، بل أُنبتُها بعدما كانت باليةً في الأرض، فلا تُنكروا قدرتي على إخراجِكُم مِن الأرضِ بعدَ بلائِكُم فيها.

وروى أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه مَرَّ بأرضٍ للأنصارِ فقال: «ما يمنعُكُم مِنَ الحَرْثِ؟»، قالوا: الجُدُوْبَةُ، قال: «فلا تفعلوا؛ فإنَّ الله تعالى قال: أنا الزَّارع، إنْ شئْتُ زرعْتُ بالماءِ، وإنْ شئْتُ زرعْتُ[1] بالرِّيحِ، وإنْ شئْتُ زرعْتُ بالبَذْرِ»، ثمَّ تلا هذه الآية[2].

***

(٦٨ ـ ٧٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾: ثمَّ حاجَّهم بحجَّة أخرى فقال: أخبروني عن الماءِ الذي تشربونه لتُحيوا به أنفسَكم، وتُسكِّنوا به عطشَكم ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾؛ أي: السَّحاب، وقيل: هو السَّحابُ الأبيض.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾: وأنتم معترفون بعجزكم عن إنزالِه منه، وبقدرتي عليه.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: أي: مِلْحًا مرًّا، لا تنتفعون به في شُرْبٍ[3] ولا زرعٍ ولا غرسٍ.

وقال الأخفشُ: والأُجاجُ: أشدُّ الماءِ مُلوحة[4].

---

(١) «زرعت» ليس في (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٣) ولم أجده مسنداً.

(٣) في (أ): «مشرب».

(٤) وذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٢٩)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٢).

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾: أي: فَهلَّا تشكرون لي بإخلاصِ العبادةِ، فَلِمَ تنكرون قدرتي على إحياء الموتى؟

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: وهذه محاجَّة أخرى في تقريرِهم بنعمِه وتنبهيهم على قدرَتِه.

يقول: أخبروني عن النَّار الَّتي تورونَ تُظهِرونها بالقَدْحِ مِن الشَّجرِ الرَّطْبِ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾؛ أي: خلقْتُم الشَّجرة الَّتي تستخرجونَ منها النَّار ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾؛ أي: الخالقون.

وقد وَرَى الزَّنْدُ ـ أي: خرجَتْ نارُه ـ وَرْيًا، وأَوْراها القادِحُ يُوْرِي إيراءً؛ أي: أخرجَها.

وشجرُ النَّارِ كانت معروفةً عندهم، وكانوا يقولون: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ(١).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ما مِن شجرٍ ولا عودٍ إلَّا وفيه النَّار، سوى العُنَّاب، فإنَّ عودَه لا نارَ فيه؛ قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠](٢).

---

(١) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١٣٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، و«المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وفيه: المرخ والعفار: هما شجرتان من أسرع الشجر خروج نار، والاستمجاد: الاستكثار من المجد، وهو كثرة الشرف، ومعناه: أنهما أخذا الفضل وذهبا بالمجد. يضرب في تفضيل بعض القوم على بعض إذا كانوا كلهم ذوي خير، ولبعضهم مزية وتقدُّم ليس للآخرين.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثعلبي في «تفسيره» =

(٧٣) ـ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾؛ أي: تذكِّركم نارَ جهنَّم فتتَّقونها، فإن من آذاهُ أكلُ الطَّعامِ الحارِّ، وعجزَ عن طولِ الـمُكْثِ في الحمَّام الذي اتَّخذَه للاسترواحِ والاستطهارِ لِمَا أنَّه سُخِّنَ بالنَّار، كيفَ يصبرُ على طولِ الـمُكْثِ في عينِ النَّارِ.

﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضَّحَّاك: أي: المسافرين[1].

وقد أقوى؛ أي: نزلَ القِيَّ، وهو القَفْرُ، وأَقْوَتِ الدَّارُ؛ أي: خَلَتْ عن أهلِها.

ومعناه: يتمتَّعونَ بها اصطلاءً مِن البرد، واستضاءةً مِن الظُّلمة، وإنضاجًا للطَّعام، وتجفيفًا للثِّياب، واستئناسًا بنورِها بلقاء الأصحاب.

وقدَّمَ التَّذكرة على المتاع لأنَّه أهمُّ، وقد غفلَ النَّاسُ عنها.

وإنَّما خصَّ المسافرين بالذِّكْرِ مع أنَّ المقيمين متمتِّعون بها أيضًا؛ لأنَّ حاجةَ المسافر إليها أمسُّ[2]، فدخلَ المقيمُ فيها بطريقِ الأولى.

وقيل: هو مِن بابِ الاكتفاءِ بذكْرِ أحدِ الشَّيئين والمرادُ كلاهما، وهو كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحرَّ والبردَ، فاكتفى بذِكْرِ أحدهما.

= (٨/ ١٣٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩)، عن للحكماء، وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٣٤) للكلبي. فلعله مما روي عن الكلبي عن ابن عباس.

والعناب: شجر شائك من الفصيلة السدريَّة، يبلغ ارتفاعه ستَّة أمتار ويُطلق العنَّاب على ثمره أيضًا، وهو أحمر حُلو لذيذ الطَّعم على شكل ثمرة النَّبق. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: عنب).

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٦).

(٢) في (أ): «أمس به».

وقيل: ﴿لِّلۡمُقۡوِينَ﴾: المُقْوِي: ذو القوَّة؛ أي: للمطيقين ذلك مِن المسافرين والمقيمين، فكانَ الاسمُ للكلِّ على هذا.

* * *

(٧٤ ـ ٧٧) ـ ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾: أي: فنزِّهِ اللهَ يا محمَّدُ عمَّا أضافَه المشركون إليه مِن الأندادِ، ومِن العَجْزِ عن إحياء الموتى يومَ المعادِ، بذِكْرِكَ إيَّاه باسم العظيم[1]، وكلُّ أسمائِه عظيمة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: قال الفرَّاء: (لا): نفيٌ؛ أي: ليس الأمرُ كما تقولونَ، ثمَّ قال: ﴿أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[2].

وقال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهد: وهو قسمٌ بنزولِ القرآن نجومًا، كلُّ نجمٍ في أمرٍ وحادثةٍ في سنينَ كثيرة[3].

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: أي: إنه لقسم عظيمٌ؛ لأنَّ الـمُقْسَم به عَظيمٌ، لو تَعلَمون ذلك لانتفعْتُم به، هذا مُضمَر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾: أقسمَ بالقرآنِ على القرآنِ أنَّه كريمٌ.

وقال قتادة، ومجاهدٌ في رواية: (مواقع النجوم): مغاربُها، أقسمَ اللهُ بها لِعِظم منافعِها للعباد في مصالح العالم المتعلِّقة بها[4].

---

(١) في (ف): «بالاسم الأعظم»، وفي (أ): «بالاسم العظيم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

وقال الحسنُ رحمَه الله: (مواقع النجوم): مساقطُها إذا انتثرَتْ لقيام السَّاعة تعظيمًا لذلك اليوم، وتنبيهًا على قدرة الله تعالى، وتذكيرًا بذلك اليوم(١).

وقيل: (مواقع النجوم): مواقعُ نفعِها منَّا بالاهتداء بها في ظلمات البرِّ والبحر، ومعرفةِ مقادير السَّاعات في اللَّيل والنَّهار، وأوقات النُّجعة وأنواء الأمطار، مِن قولهم: لهذا عندي موقع.

وفي قراءة حمزة والكسائيُّ: ﴿بموقعِ النُّجومِ﴾(٢)، وهو يؤدِّي عن الجمع في مثله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾: أي: عندَ اللهِ؛ لأنَّه كلامُه ووحيُه، وكريمٌ على رسولِه؛ لأنَّه مِن عندِ ربِّه، وكريمٌ على المؤمنين؛ لأنَّ فيه شفاءَهم وهداهم وبشارتهم، وكريمٌ في نفسِه؛ لأنَّه كثيرُ الخيرِ، شريفٌ جليلٌ نافعٌ معجِزٌ، ومِن حقِّه أنْ يُكْرَمَ ويُعظَّمَ ويُستفادَ ويُغتَنَمَ ويُعمَلَ به ويُعْلَمَ.

وقال ابنُ حبيبٍ: الكريمُ مِن العبادِ: الصَّفوح المساهل، والقرآنُ كريمٌ لغلبَةِ يُسْرِه على عُسْرِه.

***

(٧٨ ـ ٧٩) ـ ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾.

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾: أي: كتابٍ عندَ الله تعالى مَصُونٍ ومخزونٍ عن أنْ ينالَه ما ينالُ كُتبَ العِباد من الأذى والقَذَر والقذَى، وهذا الكتابُ المكنونُ هو اللَّوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢] وهو أمُّ الكتاب؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ [الزخرف: ٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

وقيل: ﴿مَّكۡنُونٖ﴾: مخزونٍ عن البشرِ، لا يعلَمُهُ اللهُ تعالى إلَّا لملائكتِه، ثمَّ أَطْلَعَ اللهُ عليه مَن شاءَ مِن رسلِه.

وقيل: ﴿مَّكۡنُونٖ﴾: لا يصلُ إليه مِن الملائكةِ إلَّا مَن أذنَ اللهُ له في المصيرِ إلى موضعِه، وقالوا: إنَّ إسرافيلَ هو الموكَّل بذلك.

قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾: قيل: هو صفةُ الكتابِ الذي عندَ الله؛ أي: لا يمسُّه إلَّا ملائكتُه المطهَّرون مِن أدناسِ الخطايا.

وقيل: هو صفةُ القرآن؛ أي: لا يُنزلُه إلَّا الملائكة المطهَّرون، ولا يصل إليه في الإنزالِ الشَّياطينُ النَّجسون[1].

وقال قتادةُ: لا يمسُّ القرآنَ عندَ اللهِ تعالى إلَّا المطهَّرون مِن الملائكةِ، فأمَّا عندكم فيمسُّه المشرك والمنافق[2].

وقيل: هو على الحُكم؛ أي: ولا ينبغي أنْ يمسَّه إلَّا المطهَّرون مِنَ الأحداث والجنابة والحيض والنِّفاس.

وفي كتاب النَّبيِّ ﷺ لِعَمرِو بنِ حزمٍ إلى أهل اليمن: «لا يمسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ»[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «المنجسون».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٦).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٩)، ومن طريقه أبو داود في «المراسيل» (٩٣) عن عبد الله بنِ أبي بكرِ بن حَزْمٍ: (أنَّ في الكتاب الذي كَتَبَه رسولُ اللهِ ﷺ لعَمْرِو بنِ حَزْمٍ...) فذكره، وأخرجه أبو داود في «المراسيل» (٩٢) (٩٤) من طرق أخرى مرسلا وقال: روي هذا الحديث مسنداً ولا يصح.
وهو جزء من كتاب كتبه الرسول ﷺ إلى أقيال اليمن، ورواه بطوله موصولاً ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٤٤٧) وصححه، عن أبي بكرِ بن محمدِ بن عَمْرِو بن حَزْمٍ، =

وعن علقمة والأسود قالا: أتينا سلمانَ لنقرأَ عليه وقد جاءَ مِنَ الغائط، فقلْنا له: توضَّأْ لنقرأَ عليك، فقال: اقرؤوا؛ فإنِّي لسْتُ أمسُّه، إنَّه لا يمسُّه إلَّا المطهَّرون[١].

وقال الكلبيُّ رحمَه اللهُ: لا يقرؤُه إلَّا الموحِّدون[٢].

وقال الفرَّاءُ: لا يجدُ طعمَه ونفعَه إلَّا مَن آمنَ به[٣].

= عن أبيه، عن جدِّه: أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمنِ بكتابٍ فيه الفرائضُ والسُّنن والدِّيَات، وبَعَث به مع عمرو بن حزم، فقُرِئَتْ على أهلِ اليمن، وهذه نُسختُها...) الحديث. وفيه سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث. وقد أخطأ بعض الرواة فسماه سليمان بن داود، ينظر تفصيل ذلك في «الجوهر النقي» لابن التركماني (٤/ ٨٩).

قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٢/ ٤٧١): وكتابُ عمرو بن حَزْمٍ هذا قد تَلقَّاه العلماءُ بالقَبولِ والعملِ وهو عندهم أشهرُ وأظهرُ من الإسنادِ الواحدِ المتَّصل.

وقال في «التمهيد» (١٧/ ٣٩٧): والدليل على صحة كتاب عمرو بن حزم تلقي جمهور العلماء له بالقبول ولم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا الطاهر على وضوء.

قلت: وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٢١٧)، و«الصغير» (١١٦٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٦): رجاله موثقون. وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/ ١٣١): إسناده لا بأس به، وذكر الأثرم أن أحمد احتج به.

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٢٥)، والدارقطني في «سننه» (٤٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥١)، وابن حزم في «المحلى» (١/ ٨٣)، جميعهم عن علقمة وحده. وروي من طريق علقمة والأسود مختصراً بلفظ: أن سلمان قرأ عليهما بعد الحدث. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٠١)، والدارقطني في «سننه» (٤٤٦). ورواه الدارقطني أيضاً من طريق آخر وقال: كلها صحاح.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٩)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٠).

وقال الحسينُ بنُ الفضل: أي: لا يعرفُ تفسيرَه وتأويلَه إلَّا مَن طهَّره اللهُ تعالى مِن الشِّركِ والنِّفاقِ(١).

وقال أبو بكر الورَّاقُ: لا يوفَّقُ للعملِ به إلَّا السُّعداء(٢).

* * *

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: هو مُنزَّلٌ مِن مالكِ الخلائقِ أجمعين.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾: أي: أفبهذا القرآن أنتم كافرون، مدافعون الإيمان به بالعلل الكاذبة مِن غير بيانٍ ولا برهانٍ، بل إلفًا للعادةِ، وإعراضًا عن النَّظر.

والادِّهان: اللِّين والمصانعة.

وقال قطرب: المُدْهِنُ: المصانع(٣).

وقال أبو سعيد: المُدْهِنُ: ذو الوجهَيْن.

وقال الأصمُّ: المُدْهنُ: الذي لا يفعلُ ما يحقُّ عليه، ويدفعُه بالعللِ، طلبًا لمرضاةِ جارٍ أو قريبٍ أو نحو ذلك.

والخطاب لمشركي العرب، ولا يَبعُد أنْ يكون فيهم مَن يجاهر بالكفر، ومنهم مَن يداهن ويعلِّل.

يقول: أفبهذا القرآنِ مع وضوحِ إعجازِه واشتمالِه على أنباءِ الغيبِ تداهنون المؤمنين، وتؤخِّرون الإيمان؟ عجبًا لكم ولِمَا تفعلون! استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٩).

(٣) في (ف): «الصانع الحاذق الرقيق اليدين».

(٨٢) ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: وتجعلونَ ما رزقَكُم اللهُ مِن العلمِ الذي أنزلَه إليكم في القرآنِ تكذيبًا لربوبيَّته وقدرتِهِ على البعثِ بعدَ الموتِ، هذا معنى قولِ الحسن، فإنَّه قال: خسرَ قومٌ لا يكون حظُّهم مِن كتابِ اللهِ تعالى إلَّا التَّكذيب(١).

وتقديرُه: وتجعلون حظَّكم مِن القرآنِ التَّكذيبَ.

وقيل: معناه: وتجعلون شكري على رزقي إيَّاكم تكذيبَكم بقدرتي على مثلِ ما رُزِقْتموه.

وقال الفرَّاءُ: هو كقولك: جعلْتَ زيارتي إيَّاكَ أنَّك استخففْتَ بي، وتقديرُ قولِه: ﴿رِزْقَكُمْ﴾؛ أي: رزقي إيَّاكم، والشُّكرُ مضمَرٌ(٢).

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يومًا وقد مُطِروا مِن ليلتِهم: «يقولُ اللهُ تعالى: أصبحَ مِن عبادي مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكبِ، وكافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكبِ، أمَّا مَن قالَ: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه، فذلكَ مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأمَّا مَن قال: مُطِرنا بِنَوءِ كذا، فذلكَ كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب»(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٠). وقوله: «الشكر مضمر» ليس من كلام الفراء، ولا يظهر له وجه، ولعل ذكره هنا سهو أو سبق نظر، فإن الظاهر أن يذكر عقب القول السابق: «وتجعلون شكري على رزقي إيَّاكم...».

(٣) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)، من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه. وجاء في (أ): «بالكواكب» في المواضع الأربعة السابقة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: نزلَتِ الآية في هذا: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾؛ أي: شكرَكُم، فيقولون: مُطِرْنا بنوء كذا(١).

ورُويَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ في بعضِ أسفارِه، فعطشَ أصحابُه، واحتاجوا إلى الماءِ، وذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ فقال: «أرأيْتُم إنْ دعوْتُ فسُقِيْتُم فلعلَّكُم تقولون: سُقِيْنا بِنَوءِ كذا»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما هذا بحينِ الأنواءِ، فصلَّى ركعتَيْنِ ودعا ربَّه، فهاجَتْ ريحٌ، ثمَّ هاجَتْ سحابةٌ، ومُطروا حتَّى سالَت الأوديةُ، وملؤوا الأسقيةَ، ثمَّ ركبَ رسولُ اللهِ ﷺ، فمرَّ برجلٍ يغرِفُ بقدحٍ له، وهو يقول: سُقِيْنا بِنَوْءِ كذا، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية(٢).

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: سمعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لو حبسَ اللهُ القَطْرَ عن أمَّتي عشر سنين، ثمَّ أنزلَ الماءَ، لأصبحَتْ طائفةٌ منهم يقولون: سُقِيْنا بِنَوْءِ كذا»(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٥) مرفوعًا، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلاَّ من حديث إسرائيل، ورواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليٍّ نحوه ولم يرفعه.

قلت: ونزول الآية في هذا السبب رواه مسلم (٧٣) عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ - حتى بلغ - ﴿رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢١)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٦) بلا إسناد.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٠٤٢)، والنسائي (١٥٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٣٠)، إلا أنه في رواية أحمد وابن حبان: «سبع سنين»، وفي رواية النسائي: «خمس سنين»، ورواه بلفظ: «عشر سنين» الدارمي في «سننه» (٢٨٠٤).

(٨٣ ـ ٨٦) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾: أي: فهلَّا إذا بلغَتِ النَّفس ـ أي: الرُّوحُ ـ الحلقومَ ترجعونها.

ذكرَ ﴿فَلَوْلَآ﴾ مرَّتين، ثمَّ قال: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾، فكانَ جوابًا لهما، كما في قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾، ثمَّ قالَ: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الفتح: ٢٥]، فكان جوابًا لهما.

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾: خطابٌ للَّذين حضروا مَن يموتُ.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾: لأنَّ قربَكُم بمسافةٍ، وقربُ اللهِ لا بمسافةٍ.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: أي: غيرَ محاسَبين.

وقيل: أي: غير مَجْزيِّين، وهو مفعولٌ مِن الدِّين، وهو الجزاءُ والحسابُ أيضًا.

وقيل: أي: غير مَقهورِيْن مملوكين، وقد دانه؛ أي: قهرَه، وقال: ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي: مُلْكِه وسُلْطانِه.

* * *

(٨٧ ـ ٨٩) ـ ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾: أي: ترجعونَ النَّفسَ ـ أي: الرُّوح ـ إلى البدنِ، فلا تخرجُ ولا يموتُ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: وتقديرُ الآيات: وإنْ كانَ الأمرُ على ما يتوهَّمون مِنْ أنَّ النَّاسَ يموتون بانقضاءِ أعمارِهم، لا بأنْ يميتَهُم اللهُ تعالى فينقُلَهم إلى دارِ الجزاءِ، ويبعثَهم للحسابِ، فهلَّا إذا بلغَتْ نفسُ أحدِكُم الحلقومَ عندَ شِدَّةِ النَّزْعِ وأنتم حينئذٍ

حضورٌ له تنظرونَ إليه وتشاهدون حالَه، لا تردُّونَ[١] روحَه في جسدِه، مع عِزَّةِ فَقْدِهِ عليكم، وحرصِكُم على بقائِه، فإذا كنتم على ذلك غيرَ قادرين فاستدِلُّوا به على أنَّ خروجَ روحِه بإخراجِ اللهِ تعالى إيَّاها، وأنَّه إنَّما يفعلُه ليبعَثَه يومَ الحسابِ، ويجازيَه بالثَّواب والعِقاب.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: أي: فأمَّا إنْ كانَ الَّذي تقبضُ الملائكةُ روحَه مِن السَّابقين المقرَّبين ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: فلَهُ رَوحٌ وريحان.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿فَرَوْحٌ﴾؛ أي: راحةٌ في القبر، ﴿وَرَيْحَانٌ﴾؛ أي: رزقٌ في الجنَّة[٢].

وقال أبو العالية: ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ عندَ الموتِ، يُؤتَى به مِنَ الجنَّةِ، فيشمُّه ثمَّ يموت[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: ريحانٌ: أصلُه رَيِّحَان بتشديد الياء، لأنَّه مِن الرَّوح[٤]، وخُفِّفَ للزِّيادة الَّتي لحقتْهُ مِن الألف والنُّون[٥].

وقال عطاءٌ: الرَّوح: الفرجُ مِن غُموم الدُّنيا، والرَّيحانُ: الرِّزقُ في الجنَّة.

---

(١) قوله: «لا تردون» كذا في النسخ، ولعل المعنى على حذف «لا»، لأن الكلام صدر بـ«هلا»، فالمعنى: (فهلا إذا كان كذا وكذا تردون)، ولا لزوم لـ(لا) بل هي تقلب المعنى.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٧) عن مجاهد، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٨).

(٤) قوله: «من الروح» كذا في النسخ، والذي في «معاني القرآن» للزجاج وغيره: «رَيْوِحان» على وزن: فيعلان. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٧٠٥)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ١٤٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٢٦)، و«التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٢٠٦)، وغيرها.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٧ ـ ١١٨).

وقال أبو بكر الورَّاق: الرَّوحُ: النَّجاةُ مِن النَّارِ، والرَّيحانُ: دخولُ دارِ القَرار[1].

وقال الجُنيدُ رحمَه اللهُ: الرَّوح لقلوبِهم، والرَّيحانُ لنفوسِهم[2].

وقيل: كلاهما في الجنَّة؛ قال تعالى خبرًا عنهم أنَّهم يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] فهو الرَّوح، وقال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] فهو الرَّيحان.

وقيل: الرَّوحُ: الرَّحمةُ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، والرَّيحانُ: التَّحيَّةُ، والتَّحيَّةُ بالرَّيحانُ معهودةٌ بينَ الخليقةِ.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: للمقرَّبين أيضًا.

* * *

(٩٠ ـ ٩٢) ـ ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: هذا الذي تُقْبَضُ روحُهُ.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: أي: فسلامةٌ لكَ وسرورٌ وخيرٌ منهم يا محمَّد؛ أي: إنَّك تُسَرُّ لِمَا تراهُ مِن ثوابِهم في الجنَّةِ.

وقيل: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾؛ أي: أنتَ سالمٌ مِن الاغتمامِ[3] لهم، فقد نجَوا.

وقيل: معناه: فإنهم يسلِّمونَ عليك ويصلُّون، وأنا مبلِّغٌ إليك سلامَهم يا محمَّد.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٦٧)، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٥٢٨) بلا نسبة. وعزاه السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣) إلى للسلامي.

(٣) في (ر): «الاهتمام».

وقيل: معناه: فيُقالُ لهذا المقبوضِ عند الموت: فسلامٌ لَكَ إنَّك مِن أصحاب اليمين؛ أي: سلامةٌ لكَ ممَّا تَخاف.

وقيل؛ أي: فسلامٌ عليك، وهو سلامُ الملائكةِ عليه حينئذٍ.

وقيل: هو بشارةٌ له بالسَّلامِ مِن الملائكةِ في الجنَّة، وسلامِ اللهِ فيها بلا واسطةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: وهمُ الصِّنفُ الثَّالثُ، وهم أصحاب المشأمة، وهم الَّذين قيل لهم في هذه السُّورة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١].

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: أي: فرزقُه الَّذي يُعَدُّ له(١) وطعامُه الَّذي يُعطاهُ مِن حَميمٍ، وهو الماءُ الحارُّ الَّذي فسَّرناه.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: أي: إدخالٌ فيها.

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لقاءَهُ»، فأنشأ القومُ يبكون، فقال: «ما يبكيْكُم؟»، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، ما منَّا أحدٌ إلَّا وهو يبغضُ الموتَ، فقال: «إنِّي لسْتُ ذلك أعني، ولكن يقولُ اللهُ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فهذا في الدُّنيا، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، فإذا بُشِّرَ بذلكَ أحبَّ لقاءَ اللهِ، واللهُ تعالى للقائِهِ أحَبُّ، فما يسرُّهُ أنَّ له الدُّنيا بما فيها وأنَّه يُرَدُّ إليها، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الآية، فإذا بُشِّرَ بالنَّار أبغضَ لقاءَ اللهِ، واللهُ للقائِهِ أبغضُ»(٢).

---

(١) في (ر) و(ف): «أعده له».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٢٨٣) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل سمع =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: أي: هذا الَّذي أخبرْتُكُم به مِن أوَّلِ هذه السُّورة، وهو في بيان أحوالهم في الآخرة، إلى آخرها وهو في بيان حال[1] خروجِهم من الدُّنيا = هو الحقُّ الَّذي لا باطلَ فيه، وهو اليقينُ من الخبر الَّذي لا شكَّ فيه، فثقْ به يا محمَّد.

و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافةُ الشَّيءِ إلى نفسِه، كقولِ الشَّاعر:

ولــو أَقْـوَتْ عليْـكَ دِيـارُ عَبْـسٍ ... عَرَفْـتَ الـدَّارَ عِرْفـانَ اليقــينِ[2]

وقال الأخفشُ: هو إضافةُ الشَّيء إلى صفتِه، كقولهم: صلاة الأولى، وبارحةَ الأولى، ومسجد الجامع[3].

وقيل: بل[4] هو كقولهم: نفس الحائط؛ أي: النَّفس الَّتي هي الحائط.

* * *

= النبي ﷺ. وصحح إسناده البوصيري في «الإتحاف» (٢/ ٢٩٧).

(١) «حال» من (أ) و(ف).

(٢) ذكره الفراء فقال: أنشدني بعضهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٦)، والبيت بلا نسبة أيضاً في: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٨١)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٤)، وقال فيه: «وقال: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فأضاف الى اليقين، كما قال ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي: ذلك دين الملة القيمة، وذلك حق الأمر اليقين. وأما: هذا رجل السوء، فلا يكون فيه: هذا الرجل السوء، كما يكون في (الحق اليقين)؛ لأن (السوء) ليس بـ(الرجل) واليقين هو الحق». فهذا كلامه، والذي يظهر من كلام القرطبي أنه خلاف ما نسبه إليه المؤلف، فإن نسب ما قال المؤلف للكوفيين، وما قاله الأخفش للبصريين. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٣٤)، وذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢).

(٤) «بل» من (ف).

(٩٦) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي: إنَّ مَن صَدَّقَكَ صار إلى ما أُعِدَّ له، وكذا مَن كَذَّبَكَ صار إلى ما أُعِدَّ له، وقد بيَّنَّا لك ذلك كلَّه، فلا يشقَّنَّ عليك ما يفعلونه، فافزَعْ أنت إلى تنزيه ربِّك عمَّا أضافه إليك المكذِّبون الضَّالُّون، واجعل تنزيهَكَ إيَّاه تسميَتَكَ له بأسمائه الحسنى التي علَّمَكَها، فاذكرْهُ بها معتقدًا حقائقَها، فإنَّ اللهَ هو ربُّك؛ أي: القيِّم بمصالحك، العظيم في سلطانِه، الذي يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ.

وقيل: المراد بالتَّسبيح: الصَّلاة.

ورُوي أنَّه لَمَّا نزلَتْ هذه الآية قال النَّبيُّ ﷺ: «اجعلوها في ركوعِكُم: سبحان ربِّي العظيم»، ولَمَّا نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال: «اجعلوها في سجودِكُم: سبحان ربِّي الأعلى»[١].

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الَّذي يسبِّحُ له ما في السَّماوات والأرض وهو العزيز الحكيم الرَّحمنِ الَّذي وعدَ المصدِّقين والمتصدِّقين بالمضاعفة والأجر الكريم، الرحيمِ الَّذي بيده الفضلُ يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ الحديد كُتِبَ مِن الَّذين آمنوا باللهِ ورُسُلِه، أولئك هم الصِّدِّيقون والشُّهداء عند ربِّهم»(١).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي تسعٌ وعشرون آية، وقيل: ثمان وعشرون، والاختلاف في قوله: ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وهي خمسُ مئة وثلاثٌ وسبعون كلمة، وألفان وأربعُ مئة وسبعون حرفًا(٢).

وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّهما في التَّسبيح.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣١). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (أ) و(ف): «وتسعون حرفا». وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤١): كلمها خمس مئة وأربع وأربعون كلمة، وحروفها ألفان وأربع مئة وستَّة وسبعون حرفا.

وانتظامُ السُّورتَيْن: أنَّ تلك السُّورة في ذِكْرِ السَّابقين وأصحابِ اليمين والمكذِّبين الضَّالين، وهذه السُّورة في حثِّ السَّابقين وأصحاب اليمين على جهاد المكذِّبين الضَّالين، والإنفاق فيه على المجاهدين.

وافتُتِحَتِ السُّورة بذِكْرِ أنَّ جميعَ مَن في السَّماوات والأرض وما فيهما مُلْكُه، وهو سبحانَه غنيٌّ عنهم، وإنَّما أمرَ بجهادِ الكفَّار لا لعجزِه عن إهلاكِهم، لكن امتحانًا لهم ليتميَّز صادقُهم من كاذبهم.

* * *

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: يحتمِلُ أنَّه أرادَ أنَّ جميعَ ما في السَّماوات والأرض[١] مِن أصنافِ الخلائقِ ـ حيوانِه ومواتِه، ونامِيه وجمادِه، وجواهرِه وأعراضِه = دليلٌ على اللهِ تعالى وحدَه، وعلى أنَّه عزيزٌ حكيمٌ، مالكٌ لأصنافِ الخلائقِ كلِّها، قادرٌ على إحياءِ مَوتاها وإماتةِ أحيائِها، وعلى كلِّ شيءٍ يريدُه، فهي بما فيها من آثار الصَّنعة وشواهِدِ الحدوث تنزِّهُهُ ـ جلَّ جلالُه ـ عمَّا يضيفُه إليه المشركون مِن الشُّركاء والأنداد، ويحرِّفون مِن صفاته أهلُ الإلحاد، ويشهدُ بأنَّه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: المنيعُ بسلطانِه وجلالِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المصيبُ في أقوالِه وأفعالِه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: صلَّى لله ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مِن الملائكةِ والشَّمس والقمرِ والنُّجوم، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: مِن الجبال والأنهار والأشجارِ والطَّير والدَّوابِ، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: مِن الرِّياح والسَّحاب، وما فيه روحٌ

(١) في (ر): «وما فيها ملكه».

ومـا لا روحَ فيـه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيـع بالنِّقمة ممَّن يشـاء[١]، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فـي أمره[٢].

وقال ابن كيسان: التَّسبيحُ: التَّحميدُ والتَّقديسُ مِن الخلقِ لله تعالى، وهو على وجهَيْن:

أحدهمـا: عبادتُـه وتعظيمُـه بمـا هـو أهلُه مِـن قولٍ وعمـلٍ ممَّن هـو مِن أهلِ الاختيار.

والآخرُ: أنَّ الله تعالى فطرَ الخلقَ على فطرةٍ تشهدُ لخالقِها أنَّه لا شريكَ له في خلقِها، وأنَّه ليس كمثلِها.

فكلُّ شيءٍ ـ على هذا ـ لله تعالى يسبِّح، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ أي: يشهدُ أنَّه لا شريكَ له، ونظيرُه قولُه: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

* * *

(٢) ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: خزائنُ السَّماوات والأرض مِن المطرِ والنَّبات وغير ذلك، ﴿يُحْىِۦ﴾ عندَ البعث، ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدُّنيا[٣].

وقال ابن كيسان: أي: هو مليكُهُما، لا خالقَ لهما سواه، يحيى الميِّت من النُّطفة والأرضِ والأشجارِ بعد موتها، ويميْتُ الحيَّ منها.

---

(١) في (ر) و(ف): «بالنعمة ممن يشاء»، وفي «تنوير المقباس»: (بالنقمة لمن لا يؤمن به).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٦).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٦).

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: يحيي بالطَّاعة ويميْتُ بالمعصيةِ.

وقال مقاتل بن حيان: يحيي بالفضلِ، ويميْتُ بالعدلِ.

وقال أبو بكر الورَّاق: يحيي بالعلم، ويميْتُ بالجهل.

وقال قتادة: يحيي بالإيمان والطَّاعة، ويميْتُ بالكفر والمعصية[١].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من هذا وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾.

***

(٣) ـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: السَّابق قبل كلِّ شيءٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: الباقي بعد كلِّ شيء، ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ لوضوح الدَّلائل على وجودِه، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ فلا يُرَى في دار التَّكليف.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفَى عليه شيءٌ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: قبلَ كلِّ شيءٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: بعدَ كلِّ شيءٍ، ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾: الغالبُ على كلِّ شيءٍ، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: العالمُ بكلِّ شيءٍ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ يعني: سواءٌ عليه الظَّاهر والباطن[٢].

وقال الضَّحَّاك رحمَه اللهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾: الذي أوَّلُ الأوائل، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: الذي آخرُ الأواخر، ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾: الذي أظهرُ الظَّواهر، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: الذي أبطنُ البواطن[٣].

وقال ابن كيسان: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: قبلَ كلِّ كائنٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾: بعدَ كلِّ كائنٍ،

---

(١) لم أقف على هذه الآثار.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٧)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨).

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: الـذي أظهـرَ لخلقِـه أنَّـه الخالقُ مِـن غيـرِ أنْ يجاهروه، وظهـرَ عليهم بالقـدرةِ بحكـم ما يشـاءُ فيهـم، فلا يمتنعـون من تدبيـره فيهـم، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: الخبيرُ بـكلِّ خلـقٍ منهـم، وبـكلِّ ما يعملـون فـي ظاهرهـم وباطنهم.

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بلا تأويلِ أحدٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بلا تأخير أحدٍ، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلا إظهارِ أحدٍ، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بلا إبطانِ أحدٍ[1].

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بلا ابتداءٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بلا انتهاءٍ، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلا اختفاءٍ، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بلا احتواء.

وقال سعيد بن المسيَّب رحمه الله: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالقدرة، قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالقدرة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالقـدرة؛ قـال تـعـالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الآيـة [الأنعام: ٦٥]، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالقدرة؛ قال تعالى: ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال سفيان[2]: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالخلق، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالرِّزق، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالإحياء، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالإماتة[3].

وقال عليُّ بنُ موسى الرِّضا: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ ببرِّه[4] إذ عرَّفك توحيدَه، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بوجوده إذ عرّفك التَّوبة، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بكرمه إذ وفَّقك للسُّجود له، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بستره إذ عصيتَه فسترَ عليك[5].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨) عن مقاتل بن حيان.

(٢) في (أ) و(ف): «شقيق».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «بسره».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨) عن السدي.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بلا ابتداء، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بلا انتهاء، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلا اقتراب، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بلا احتجاب.

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالأزليَّة، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالأبديَّة، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأحديَّة، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالصمديَّة.

وقال محمد بن عليٍّ التِّرمذيُّ رحمه الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالتَّأليف، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالتَّكليف، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالتَّصريف، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالتَّعريف[١].

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالعناية، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالهداية[٢]، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالرِّعاية، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالولاية.

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالإعلام، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالإلزام[٣]، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالإنعام، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالإكرام.

وقال عبدُ العزيز بن يحيى رحمه الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ لم يزلْ قبلَ الأشياء لا عن ابتداءٍ في الأزل، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بعدَ الأشياء لا إلى انتهاءٍ في أبد، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ المتجلِّي للعقول بما دلَّ على نفسِه من أصنافِ خلقِه، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ الَّذي لا تدركُه الأبصارُ لتعاليه في ذاته[٤].

وقال بسَّام بن عبد الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالتَّكوين، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالتَّلقين، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالتَّبيين، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالتَّزيين.

---

(١) ذكر هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) في (ف): «بالنهاية».

(٣) في (ر): «بالإكرام».

(٤) لم أقف عليه، ولعبد العزيز بن يحيى قول آخر في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٢٨).

بيان التَّكوين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وبيان التَّلقين في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وبيان التَّبيين في قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦]، وبيان التَّزيين في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧][1].

وقيل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ الذي لا تسبقُه[2] الأدوار، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الَّذي لا تلحقه الأطوار، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ الَّذي لا تخفى عليه الأسرار، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ الَّذي لا تدركُه الأبصار.

وقيل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ الَّذي يستحقُّ الوصف بالقِدم، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الَّذي يستحيلُ عليه الوصف بالعَدم، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالعلوِّ والرِّفعة، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ بالعلم والحكمة.

وقيل: ﴿ٱلۡأَوَّلُ﴾ فلا افتتاحَ لوجودِه، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ فلا انقطاعَ لثبوتِه، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فلا خفاءَ لجلالِ عزِّه، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ فلا سبيلَ إلى إدراكِه.

وقيل: مَن كانَ الغالبُ على قلبِه اسمَه الأوَّلَ كانت فكرتُه في سابقتِه بماذا سمَّاه مولاه، وما الذي جرى له في سابق حكمِه، أأسعدَه أم أشقاهُ؟

ومَن كان الغالبُ على قلبِه اسمَه الآخِرَ كانت فكرتُه في أنَّه بماذا يُختَم له حاله، وإلى ماذا يصير مآلُه، أعلى التَّوحيد يخرجُ مِن دنياه، أم في النَّار الكبرى غدًا مثواه؟

وَمن كان الغالبُ على قلبِه اسمَه الظَّاهرَ فاشتغالُه بشكرِ ما يجري في الحالِ مِن توفيقِ الإحسانِ، وتحقيقِ الإيمانِ، وجميلِ الكفاية، وحسنِ الرِّعاية.

ومَن كان الغالبُ على قلبِه اسمَه الباطنَ كانت فكرتُه في استبهامِ أمرِه عليه، فليس يدري أفضلٌ ما يعاملُه به ربُّه، أم مكرٌ يستدرجُه به ربُّه؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٩) بلا نسبة.

(٢) في (أ): «يسعه».

وقيل: ﴿الْأَوَّلُ﴾ علِمَ ما يفعلُه عبادُه فلم يمنعْه علمُه من تعريفهم، ﴿وَالْآخِرُ﴾ رأى ما عملوا فلم يمنعْه مِن غفرانِهم، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ ليسَ يخفَى عليه شيءٌ مِن شأنِهم، وليسَ يدعُ شيئًا من إحسانِهم، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ يعلمُ ما ليسَ لهم به علمٌ مِن خسرانِهم ونقصانِهم، فيدفعُ عنهم فنونَ محنِهم وأحزانِهم.

***

(٤ ـ ٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: فسَّرناه في (سورة الأعراف).

﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: فسَّرناه في (سورة سبأ).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: أي: عالمٌ بكم، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوالِكم وأفعالِكم وأقوالِكم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: وهو على مجازاتِكُم على وفقِ عملِكُم قديرٌ.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فسَّرنا هذا كلَّه مرَّات.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: فسَّرناه في (سورة آل عمران) وغيرها.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بخفيَّات الصُّدور، ومَن قدرَ على هذه الأشياءِ، وعلم بالأشياءِ، فلن يعجزَهُ[1] إهلاكُ مَن كفرَ به، فلا تتوهَّموا معاشرَ المسلمين أنَّ

(١) في (أ): «فلم يعجز»، وفي (ر): «لم يعجزه».

إمهالَ الكفَّارِ لعجزٍ، وأنَّ أمري إيَّاكم بجهادهم لحاجةٍ، لكنْ لأبتليَكم به، وأعوضَكم عليه النَّعيم المقيم الذي خلقْتُكُم له وخلقْتُه لكم، وهو وجهُ انتظامِ هذا بما بعدَه.

* * *

(٧) ـ ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾: أي: أوضحْتُ الدَّلائل على أنَّه لا يستحقُّ العبادةَ غيري، فاعبدوني وآمنوا بي، وصدِّقوا رسولي فيما يخبرُكُم به عنِّي، وهذا في حقِّ المؤمنين أمرٌ بالدَّوام على إيمانهم، وفي حقِّ الكفَّار أمرٌ بابتدائِه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛ أي: مِن المالِ الَّذي هو لله، وقد أعطاكُم بعدما كان عند غيركم، وقد جعلكم فيه خلفاء عن الماضين، فأنفقوا في جهادِ أعداءِ اللهِ مالَ اللهِ، مع الجهادِ بأنفسِكُم الَّتي هي لله.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ في سبيلِه بأمرِه طلبًا لمرضاتِه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾؛ أي: ثواب عظيم في الآخرة.

* * *

(٨) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: قرأ أبو عَمرو: ﴿وقد أُخِذَ﴾ بالضَّم ﴿ميثاقُكُم﴾ بالرَّفع، على ما لم يُسمَّ فاعله، وقرأ الباقون: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ على الفعل الظَّاهر[1].

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨).

وهذا الكلامُ خرجَ مخرجَ الاستبطاءِ والإخبارِ بزوال المانع؛ أي: أيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإيمانِ باللهِ، وقد أقيمَتْ البراهينُ على ما تُؤمَرون به سمعًا وعقلًا:

أمَّا العقلُ: ما دلَّ دلائلُ العقلِ على صدقِ الرَّسول في دعوى النُّبوَّة، بما أظهرَه اللهُ تعالى على يدِه من المعجزات التي هي خارجةٌ عن قِوى البشر، وذلك أخذُ الميثاقِ منهم به.

وأمَّا السَّمع: فهو ما يدعوهم إليه الرَّسول من الإيمان بمَن هو ربُّهم، دونَ مَن هو مربوبٌ مثلُهم.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم ممَّنْ همُّكُم التَّصديق بما يقومُ البرهان على صحَّتِه، فقد قام ذلك سمعًا وعقلًا.

وهذا إذا جُعل هذا خطابًا للمشركين.

وإنْ جُعل خطابًا للمؤمنين فمعناه: أيُّ سببٍ يزيلُكُم عن الإيمانِ والرَّسولُ بينَ أظهرِكُم يدعوكُم إلى الثَّبات عليه، وقد أَخذ هو عليه ميثاقَكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: موقنين بشرائطِ الإيمان، وهو كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ...﴾ الآية [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠١].

وعلى التَّأويل الأوَّل: أَخْذُ الميثاقِ مِنَ اللهِ تعالى على عبادِه، وهو ميثاقُ الخِلْقَةِ.

وقيل: هو أخذُ ميثاقِ الذُّرِّيَّةِ.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم

مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾: أخبرَ بأنَّ الرَّسول إنَّما لزمَتْ دعوته لِمَا أيَّده اللهُ تعالى به مِن المعجزات التي أظهرها على يديه تخليصًا للنَّاسِ من ظلماتِ الكُفْرِ إلى نورِ الإيمانِ.

ويحتملُ أنْ تكون الآياتُ آياتِ القرآنِ، وهو لإعجازِه مِنَ المعجزاتِ أيضًا.

﴿ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: لرأفتِه ورحمتِه لم يُخلْكُم فيما تَعبَّدَكم به من مواصلةِ الحُجج.

وقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: أي: وأيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإنفاقِ مِن أموالِكُم في سبيلِه وقد علمتم أنَّ هذه الأموال تزولُ عن أيديكم إلى غيركم كما زالَتْ عن غيركم إليكم فصرْتُم مستخلَفِيْن فيها، ثمَّ هكذا يكون قرنًا بعدَ قرنٍ إلى أنْ تصيرَ لا مالِكَ لها مِنَ البشر[١]، ويرِثُها اللهُ تعالى وهو خير الوارثين؛ أي: لا يبقى لها مَن يدَّعيها، ويخلص مضافًا إلى الله تعالى؛ أي: كيفَ تبخلونَ بأموالٍ هذه حالُها، وبإنفاقِها في سبيل الله يكون لكم في الآخرة منالها[٢].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ قال زيد بن أسلم وقتادة رحمهما الله: أي: قبل فتح مكَّة[٣].

وقال عامر: أي: فتح الحديبية[٤].

---

(١) «من البشر» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «مثالها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩٣).

(٤) المصدر السابق.

وهاهنا اختصارٌ، وتقديرُه: ومَنْ أنفقَ وقاتلَ بعدَ الفتحِ، وهذا كما في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]، وإنَّما صحَّ ذلك لوضوح المراد، يقولُ: لا يستوي في الفضْلِ مَن أنفقَ في سبيلِ اللهِ وجاهدَ أعداءَ اللهِ قبلَ فتحِ مكَّة ومَن فعلَ ذلكَ بعدُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾: أي: مِن بعدِ الفتح[١] ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ لعزَّة الإسلام وأهلِه، وشدَّة الحاجة إلى مَن ينصرُه؛ أي: فبادِروا إلى تحصيلِ هذه الفضيلةِ.

قال الكلبيُّ رحمه الله: نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾؛ يعني: أبا بكرٍ وأصحابَه ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾[٢].

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: فكلَّ واحدٍ مِن هذين الفريقَيْن له وعدُ الجنَّة؛ لأنَّهم جميعًا مطيعون لله، عاملون بأمرِه، لكنَّ الدَّرجات في الجنَّة متفاوتة.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: بأعمالِكم ومقاديرِها؛ أي: ويجازي كُلًّا على وفقِ عملِه.

* * *

(١١) - ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: مَن ذا الَّذي ينفقُ في سبيلِ الله إنفاقًا حسنًا، مضمونًا بدلُه على الله بالأضعافِ الكثيرة بوعدِه الصَّادقِ والكائنِ لا محالةَ، وهو قوله:

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾: قرأ ابن كثير: ﴿فيضعِّفُه له﴾ بالتَّشديد لِلْعين ورفع الفاء، ومثله

(١) في (ر): «فتح مكة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٣٢).

ابن عامر لكن بنصب الفاء، وقرأ عاصم: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالألف ونصب الفاء، ومثله الباقون إلَّا أنَّهم رفعوا الفاء(١).

والمضاعفةُ والتَّضعيف واحدٌ، وهو الزِّيادة على الشَّيء مثلَه أو زيادة.

والنَّصب على أنَّه جوابُ الاستفهام بالفاء، والرَّفع على العطف على ﴿يُقْرِضُ﴾.

والقرض الحسنُ يكون بمعانٍ: بالإخلاصِ، وبطيبِ النَّفسِ باختيارِ الأعزِّ الأنفَسِ مِن مالِه للإنفاقِ، وبالإخفاءِ، وبقَبول المنَّةِ مِن الله تعالى بالأمر به، وبخوفِ الرَّدِّ، وبرجاءِ القَبول، وبترك الاعتماد عليه، وبترك ملاحظة العِوَضِ، وغير ذلك.

والأضعافُ الكثيرةُ ما ذُكِرَ في قولِه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾: أي: ثوابٌ خطير(٢).

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتْ في أبي الدَّحداح(٣). وقد ذكرنا قصَّته في سورة البقرة.

***

(١٢) ـ ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

(٢) في (ف): «عظيم».

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٧).

وقد رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٤١٧)، والبزار في «مسنده» (٢٠٣٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠١)، كلهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾: أي: يحصلُ هذا الأجرُ الكريمُ إليهم يومَ القيامة، وهو يوم يسعى للمؤمنين من الرِّجال والنِّساء نورٌ مِن بين أيديهم إلى الجنَّة وبأيمانهم.

قيل: لأنَّ اليمين طريقُ الجنَّة.

وقيل: بأيمانهم؛ أي: تكونُ كتبُهم التي يُعطونها بأيمانهم فيها نورٌ، ثمَّ إذا توجَّهوا إلى الجنَّة صارَ بينَ أيديهم.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: أي: يُقال لهم: لكم البُشرى اليوم ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: الخلاص عن كلِّ مرهوبٍ، والظَّفرُ بكلِّ محبوب.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو النُّور يكون على الصِّراط[1].

وقيل: في عَرْصَةِ القيامة، ولا نورَ هناك إلَّا نورُ الإيمان والطَّاعة، وكلٌّ يُعطى نورًا على قدر عملِه.

* * *

(١٣) ـ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي: ويكون هذا للمؤمنين في اليوم الَّذي يتوجَّه المؤمنون والمنافقون جميعًا من القبور إلى حيث أُمِروا، وللمؤمنين نورٌ، والمنافقون يمشون في نورِهم تَبعًا لهم[2]، فيُسرِعُ المؤمنون

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٣٩٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣١٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٧٩).

(٢) «لهم» ليس في (أ).

بقوَّة إيمانِهم، فيتباعدُ المنافقون عنهم بالتَّخلُّف، فينقطع نورُهم عنهم، فيقولون:

﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾: أي: انتظرونا نأخذْ حظًّا من نورِكُم.

﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾: قال بعضُهم: تقول لهم الملائكةُ.

وقال بعضُهم: يقول ذلك المؤمنون: ارجعوا خلفَكُم.

﴿فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾: أي: فاطلبوا لأنفسِكُم نورًا ثَمَّ، فإنَّا حملناه مِن ثَمَّ[1]، فيظنُّ المنافقون أنَّهم أخذوا النُّور مِن موضعٍ هناك، ولا يعلمون أنَّهم يريدون أنَّا حملنا هذا النُّور مِن الدُّنيا بالإيمانِ والطَّاعة، ويريدون بقولهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ التَّوبيخَ دون التَّحقيق للأمر بالرُّجوع، فيلتفِتُ المنافقون نظرًا[2] إلى موضع النُّور في زعمِهم.

﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ﴾ قيل: أي: جُعل بينَ الفريقَيْن حائط، وقيل: هو حاجز، وقيل: هو الأعراف.

﴿لَّهُۥ بَابُۢ﴾ قيل: هو بابٌ حقيقةً، وقيل: طريق[3].

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾: أي: مما يلي المؤمنين الجنَّة.

﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾: أي: ومما يلي المنافقين النَّار.

* * *

(١٤) - ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمۡ﴾: أي: ينادي المنافقون المؤمنين: ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ في الدُّنيا في

---

(١) في (ف): «ثمة» في الموضعين.

(٢) في (ر): «ينظر»، وليست في (أ).

(٣) «قيل هو باب حقيقة. وقيل طريق» ليس في (أ).

المنازلِ والمساجدِ، نصلِّي كما تصلُّون، ونصوم كما تصومون.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: كنتُم معنا في الظَّاهر دون الباطن ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل[1]: أهلكْتُم، وقيل: أثمْتُم.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: أي: انتظرْتُم بالنَّبيِّ ﷺ وبالمؤمنين الدَّوائر، كما قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

وقيل: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾؛ أي: دافعْتُم الأنام[2] بالإيمان بالله ورسوله على الإخلاص.

وقيل: أخَّرْتُم التَّوبة.

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: قيل: أي: شككْتُم في البعث، وقيل: أي: في حقيقة[3] الإسلام.

وقيل: حملكم شؤمُ العصيان وتأخيرُ التَّوبة إلى أنْ شككْتُم في اللهِ وكفرْتُم بعدَ الإسلام.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾: أي: اغتررْتُم بأمانيِّكم الكاذبةِ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: أي: بالموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ وقد كانَ غرَّكُم الشَّيطانُ الغَرورُ بالله، بأنْ أطمعَكُم في النَّجاةِ والدَّرجات، كما أخبرَ اللهُ عن بعضِهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ الآية [الكهف: ٣٦]، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ الآية [فصلت: ٥٠].

***

(١٥) - ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

---

(١) «قيل» من (ف).

(٢) في (أ): «رافعتم الأيام».

(٣) في (ر): «حقية».

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾: أي: لا تكون، لا أنْ تُعطوا فلا يُؤخَذ، لكن لا يُؤخَذ لِمَا أنَّه لا يكون.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ معلنين.

﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: مصيرُكم ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾؛ أي: أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ النَّار.

وقيل: إعطاء النُّور في الابتداءِ، وسلبُه في الانتهاء، هو جزاءُ نفاقِهم، وتحقيقُ قوله الله تعالى فيهم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ أي: يجازيهم بمثله.

* * *

(١٦) ـ ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: ألم يَحِنْ، وقد أَنَى يأني إنًى.

قيل: هو خطابٌ للَّذين آمنوا مِن أهل الكتاب بكتابِهم ورسولِهم، يقول: ألم يأنِ لهم أنْ تخشعَ قلوبُهم؛ أي: تلينَ لذكر اللهِ؛ أي: لوعظِ الله.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: القرآن على محمَّدٍ ﷺ

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ في العهدِ الأوَّل ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾؛ أي: الزَّمان بينَهم وبينَ نبيِّهم.

وقيل: أي: وقتُ الجزاء.

وقيل: أي: مجيءُ القيامة.

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: غلظَتْ ويبسَتْ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله تعالى.

وقوله تعالى في أوَّل الآية: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليس للإيمان المطلَقِ الصَّحيح، بل إيمانهم بكتابهم ونبيِّهم لا غير، وعلى هذا ما ذَكَرَ في آخر السُّورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

وهو معنى قول الكلبيِّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ في العلانية ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾(١).

ولها وجوهٌ ذكرَها المفسرون:

قال مقاتلٌ: كان المنافقون لا تَرِقُّ قلوبُهم لذكرِ اللهِ والقرآن، فقسَتْ قلوبُهم فلم تَلِنْ(٢)، إلَّا قليلٌ منها أخلصوا بعدَ نفاقِهم(٣).

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه: مَلَّ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ مَلَّةً، فقالوا: يا رسولَ الله، لو قصصْتَ علينا قصَّةً، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فقالوا: يا رسول الله، لو ذكَّرْتَنا ووعظْتَنا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٧).

(٢) في (ر) و(ف): «يكن».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٤١).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٠).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٨) عن عون بن عبد الله، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨) عن القاسم.

رواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وحسنه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٦٣٤).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ الله تعالى استبطأَ قلوبَ المؤمنين، فعاتبَهم على رأسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً مِن نزولِ القرآن، فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ الآية[١].

وقال ابن مسعود: ما كان بينَ إسلامِنا وبينَ أنْ عوتِبْنا بهذه الآيةِ إلَّا أربعُ سنينٍ، فجعل المؤمنون يعاتب بعضُهم بعضًا[٢].

وقال الحسنُ: أَمَا واللهِ لقد استبطأهم وإنَّهم خيُر أهلِ الأرضِ وأحبُّهم إليه، وقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقلَّ مما تقرؤون، فانظروا في طول ما قرأتم منه، وما ظهرَ فيكم من القسوة[٣]، ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ لِمَا أُعْطوا مِن النِّعَم وأُلْبِسوا مِن العافية.

وروي أنَّه كان في جماعةٍ منهم مزاحٌ، فعُوتبوا عليه، فبكَوا، وأَعْتَبوا ربّهم[٤].

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ: كانوا بمكَّة مجدِّيْنَ، فلمَّا هاجروا أصابوا النِّعمة، ففتروا عمَّا كانوا فيه، فقسَتْ قلوبُهم، فينبغي للمؤمنين أن يزدادوا يقينًا وإخلاصًا وخشوعًا في صحبة الكتاب[٥].

وقال ابن كيسان: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هذا لبعض المؤمنين، فقد وصف الله تعالى قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، وقال: ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [هود: ٢٣]، وكان فيهم مقصِّرون، فاستعتبهم الله بهذه الآية.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٧).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٧٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨) عن مقاتل بن حيان، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد. وقوله: «وأعتبوا ربهم»؛ أي: أعطوه العتبى، تقولُ: اسْتَعْتَبَه فأَعتبَه؛ أي: استرضاه فأرضاه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤١)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٩٢).

ورُوِيَ أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قُرِئ بينَ يديهِ هذه الآية وعندَه قومٌ مِن اليمنِ، فبكوا بكاءً شديدًا، فنظرَ إليهم أبو بكر فقال: هكذا كنَّا حتَّى قسَتِ القلوبُ[١].

وكان فضيلُ بنُ عياض مِن أبناءِ الدُّنيا وأهلِ الدَّعارة كما قيل، فمرَّ ذات يومٍ برجلٍ فقرأ هذه الآية، فقال: بلى آن، وجاوز الحدَّ، وكان ذلك سببَ توبتِهِ[٢].

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾: قال ابن عبَّاس: يعني: يُلِيْنُ القلوبَ بعدَ قساوتِها[٣]. وهو وجهُ النَّظم.

وقيل: هو يُحيي الأرضَ بعد موتِها، فيُحيي الخلقَ بعدَ موتِهم، فيجزي كلًّا بعملِه، ولا يسوِّي بينَ الخاشعِ والقاسي.

وقيل: هو تعريفُ الكفَّارِ إحياءَ الخلْقِ بعدَ الموت.

وقيل: هو حثُّ أهلِ الكتاب على تدبُّر القرآنِ لتحيا قلوبُهم.

﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾: أي: ليتدبَّروا فيعرفوا.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٢٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٠٠)، لكن دون تعيين الآيات التي قرئت عليهم.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٣٥)، والقشيري في «الرسالة» (ص: ٢٥). وانظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٤٧)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٢٣/ ٢٨١ ـ ٢٨٦)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٤٢٣).

(٣) رواه ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧)، وهو في «الزهد» لابن المبارك (٢٦١)، لكن عن صالح المري.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾: قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر بتخفيفِ الصَّاد، وهو من التَّصديق، وقرأ الباقون بتشديد الصَّاد، وهو من التَّصدُّق بإدغام التَّاء في الصَّاد(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: عطَفَ الفعلَ على الاسمِ لأنَّ تقديرَه: إنَّ الَّذين تَصَدَّقوا ـ أو: صَدَّقوا ـ اللهَ ورسولَه، وأقرضوا الله قرضًا حسنًا.

وعلى قراءة التَّشديد الصَّدقة على الفرائض، والإقراض على النَّوافل.

وقيل: القرضُ في كلِّ فعلٍ حسنٍ؛ قال الشَّاعرُ:

وإذا جوزيْتَ قرضًا فاجْزِه إنَّما يَجْزِي الفتى ليسَ الجمل(٢)

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: فسَّرناه في هذه السُّورة.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾: إنْ جُعِلَ هذا في أهل الكتاب كما مرَّ في الآية الأولى فمعناه: أولئك المبالِغون في الصِّدْقِ صدَّقوا بالكتاب الأوَّل والرَّسول الأوَّل، وبهذا الكتاب وبهذا

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨). قال ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٧٠١): وحجة من خفَّف هي أنَّ التَّخفيف في قوله: ﴿المصَدِّقين﴾ أعم من التشديد، ألا ترى أن ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ بالتشديد مقصورةٌ على الصدقة، و﴿المصَدِّقين﴾ بالتَّخفيف يعم التَّصديق والصَّدقة؛ لأن الصَّدقة من الإيمان، فهو أوجب في باب المدح.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة. انظر: «ديوانه» (ص: ٩١).

الرَّسول، ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: يومَ القيامةِ، من قوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإنْ حُمِلَ على كلِّ مؤمنٍ فهو مِنَ الصِّدِّيقين أيضًا بصدقِ[1] ظاهرِه وباطنِه وقولِه وعملِه، وهو مِن شهداء الآخرة أيضًا؛ لأنَّه مِن هذه الأمَّة، وقد قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ وقفٌ وبعده ابتداء: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾؛ أي: الشهداء في سبيل الله لهم يوم القيامة أجرهم ونورهم.

وقيل: هما موصولان، والشَّهادة صفةُ الكلِّ.

قال الحسنُ رحمَه الله: ما سأَلَ اللهَ عبدٌ الشَّهادة مخلصًا مِن قلبِه فماتَ على فراشِهِ إلَّا كان شهيدًا، ثمَّ تلا هذه الآية[2].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: هم الذين خالفوا الأوَّلين في الصِّفة، فخالفوهم في الجزاء.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

---

(١) في (أ): «لصدق».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وروى معناه مسلم (١٩٠٩) عن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

وبمعناه رواه أيضاً مسلم (١٩٠٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقًا، أعطيها، ولو لم تصبه».

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾: وهو في الحثِّ على الجهادِ بالنَّفس والمالِ كما تقدَّمَ، فإنَّ التَّقاعدَ عنه لا يكون إلَّا لحبِّ الحياة الدُّنيا.

وقيل: هي في خطابِ المشركين المكذِّبين رسولَ اللهِ ﷺ ميلًا منهم إلى بقاء الرِّئاسة لهم على أتباعهم، وتعزُّزًا بهم، وتكثُّرًا بأموالِهم، وتفاخُرًا بأحوالهم، فبيَّنَ أنَّ ذلك كلَّه لعبٌ ولهوٌ لا حقيقةَ له.

وقيل: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعبِ الصِّبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ كتكاثر الدِّهْقان.

وقيل: هذه أحوالٌ مترادفةٌ للإنسان إلى أربعين سنة، كلُّ صفةٍ لثمانِ سنين، ﴿لَعِبٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَلَهْوٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَزِينَةٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَتَفَاخُرٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ ثمان سنين.

فإنْ تأمَّلَ وتنبَّه وصلح عند كمال عقلِه وتزوَّد لمعاده، وإلَّا فقد خسر خسرانًا مبينًا، وضلَّ ضلالًا بعيدًا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: أي: مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: راقَ الزُّرَّاع، جمع كافر، وهو الزَّارع، سُمِّيَ به لأنَّه يَكْفُرُ البذرَ في الأرض؛ أي: يَسترُه.

وقيل: خصَّ الكفَّارَ لأنَّهم ينكرون الآخرةَ، فلا يعرفون إلَّا العاجلة، فهم بها أعلقُ، وهي لهم أَرْوَقُ.

﴿نَبَاتُهُۥ﴾: أي: النَّبات الحاصل بالغيث ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: هشيمًا متكسِّرًا، هذه عاقبة الدُّنيا لأهلِها، ومثال أحوالها.

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لمن رغبَ في الحياة الدُّنيا فشغلَه ذلك عن الآخرة.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾: لمن تزوَّد منها للآخرة.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: لمن يركَنُ إليها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: متعةٌ يَتمتَّع بها، ويَهلَكُ المغترُّ بها.

* * *

(٢١) ـ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾: إذا علمْتُم حالةَ الدُّنيا، فلا تركَنوا إليها، وإذا أُخبِرْتم أنَّ الآخرة لمن له المغفرة، فبادروا إلى طلبِها بفعلِ ما وُعْدَتِ المغفرةَ عليه.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وإلى طلبِ جنَّة عرضُها؛ أي: سعتُها كسعَةِ السَّماء والأرض.

قال الحسنُ: أي: كسعةِ جميعِ السَّماوات والأرضِ[1] كلِّها إذا بُسِطَتْ كلُّ واحدةٍ إلى صاحبتِها[2].

وقيل: هذا عرضُها، ولا شكَّ أنَّ طولَها أزيدُ منها هاهنا[3].

---

(١) في (ف): «وجميع الأرض».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٢). وانظر التعليق الآتي.

(٣) تقدم هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾

وقيل: هو وصفٌ لها بغايةِ ما يُتوهَّمُ مِن السَّعةِ؛ تقريرًا لذلك في أفهامِهم، وتكثيرًا في أوهامِهم، وبسطًا مِن أملِهم ومرامِهم.

﴿أُعِدَّتْ﴾: أي: هُيِّئَتْ هذه الجنَّة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: جميعهم ولم يفرِّقوا بينَهم كاليهود والنصارى.

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾: أي: عطاءُ هذه الجنَّةِ بفضلٍ مِن اللهِ تعالى ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون كما أَخبر ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: وهذا مِن الحثِّ على الجهادِ أيضًا كما مرَّ.

يقول: ما أصابَكُم مِن مصيبةٍ في الأرضِ مِن الجدْبِ ونقصانِ الثَّمرِ وذهابِ الأموال، وفي أنفسِكُم بالموتِ والأسقامِ، إلَّا وهو ممَّا قضى اللهُ به، وأثبتَه عندَه في كتابٍ.

قيل: هو اللَّوح المحفوظ.

قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾؛ أي: من[1] قبلِ خلقِ الأرض والأنفس.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: سهلٌ لا يَتعذَّرُ على اللهِ شيءٌ، ولا يردُّ هذا القضاءَ حيلةُ محتالٍ، ولا تحرُّزُ متحرِّزٍ، فلا تتخلَّفوا عن الجهاد.

[آل عمران: ١٣٣] عن ابن عباس والحسن، وانظر تخريجه ثمة.

(١) «من» من (ر).

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: أي: فعلْتُ ذلك وأخبرْتُكم به لكي لا تحزنوا على ما فاتكم.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: ولأنْ لا تُسَرُّوا على ما أعطاكم، ولا يحملَكُم الحزنُ على الفائتِ على الشَّكوى مِن الله تعالى، ولا الفرحُ بالنِّعمة على الاستكثارِ منها فتقعوا في الطُّغيان.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: الذي يتعظَّم على الفقراء ويفخر بالنَّعماء.

* * *

(٢٤) - ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: جمعَ بعدَ التَّوحيد؛ لأنَّ ذاك عامٌّ معنًى بدخول ﴿كُلَّ﴾ عليه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: أي: عن الجهادِ والإنفاقِ في سبيل الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنه وعن كلِّ خلقِه ﴿الْحَمِيدُ﴾: الـمُستَحِقُّ للحمد؛ أي: ليس أمرُه بالجهاد والإنفاقِ لحاجةٍ، بل للابتلاءِ، ولإكرامِ العبدِ بحسنِ الجزاء.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ رضي الله عنه: كتبَ اللهُ قبلَ أنْ يخلقَ الخلقَ والأرضَ ما يصيبُ النَّاسَ فيها مِن خيرٍ وشرٍّ؛ امتحانًا منه لهم، ليعلموا بتغيُّرِ الأحوالِ وتعاقُبِ المحنة والمنحة أنَّها غيُر دائمةٍ، فلا تحزنوا على ما فاتَكُم مِن حظٍّ، ولا تفرحوا بما آتاكم مِن فائدةٍ، فمَن لم يعلمْ أنَّ كلَّ شيء يُعطاه يُرْتَجعُ، وأنَّ كلَّ حزنٍ يصيبُه زائلٌ، فذلك مختالٌ فخورٌ، واللهُ لا يحبُّ المختالَ الفخور(١).

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: لَأنْ ألحسَ جمرةً أحرقَتْ ما أحرقَتْ

---

(١) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٥).

وأبقَتْ ما أبقَتْ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أقولَ لشيءٍ كان: ليتَهُ لم يكنْ، أو لشيء لم يكن: ليتَهُ كان[١].

وقال قتيبة بن سعيد: دخلْتُ بعضَ أحياءِ العرب، فإذا أنا بفضاءٍ في الأرض مملوءٍ من جِيَف الإبل الموتى بحيث لا أحصي عددَهم، فسألْتُ عجوزًا: لِمَنْ كانَتْ هذه الإبل؟ فأشارَتْ إلى شيخٍ على تلٍّ يغزلُ الصُّوفَ، فقلْتُ: يا شيخُ، ألكَ كانَتْ هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي، قلْتُ: فما أصابها؟ قالَ: ارتجعها الَّذي أعطاها، قلْتُ: وهل قلْتَ فيه شيئًا؟ قال: نعم:

لا والَّـذي أنـا عبـدٌ مِـن خلائقِـهِ والمرءُ في الدَّهْرِ نصبَ الرُّزْءِ والمحِنِ
مـا سَـرَّني أنَّ إبْلِـي فـي مَبارِكِهـا وما جـرى مِن قضـاءِ اللهِ لـم يَكُنِ[٢]

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ ابتداءً، ونزلَتْ في شأنِ اليهودِ، يكتمون بيانَ صفةِ محمَّدٍ ﷺ في التَّوراةِ، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: قومَهم بذلك مخافةَ أنْ تذهبَ مأكلتهم من[٣] السَّفلةِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يُعْرِضْ عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن العبادِ ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ في أفعالِه[٤].

وقال الحسنُ رحمه الله: اليهودُ بخلوا بحقِّ الله تعالى في أموالِهم، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بذلك: أهلَ دينِهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن اللهِ ورسولِه فيما دعاهم إليه، فإنَّ اللهَ

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٣١)، وأبو داود في «الزهد» (١٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٧١)، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٩٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٧٣).

(٣) في (أ): «في».

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٢).

غنيٌّ عن عبادِه لم يكلِّفْهم لحاجته إليهم، حميد عندَ خلقِه فيما يعطيهم مِن نِعمِه[١].

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ رضي الله عنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بالعلمِ، لا يعلِّمونه النَّاس، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بذلك[٢].

وقال عبد الله بن المبارك: لا تبخلوا بالعلمِ، فإنَّه مَن بخلَ بعلمِه ابْتُلِيَ بثلاثٍ: بذهابِ كُتبِهِ، أو سقمٍ في جسدِه، أو يغلبُه السُّلطان[٣].

* * *

(٢٥) ـ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: أي: بالشَّرائع الواضحة.

﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: الكتب، فيها بيانُ أصول الشَّرع.

﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾: أي: وآلةَ التَّعامل الَّتي يقع بها التَّناصف.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ في معاملاتهم ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: بالعدل، وفي ذلك تمامُ المصالحِ، فالكتاب لمصالح الدِّين، والميزانُ لمصالح الدُّنيا.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٥١٠) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره أيضًا عن عطاء ومجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥١).

(٣) في (أ): «أو يبتليه بالسلطان»، وفي (ف): «أو ببلية سلطان». والخبر رواه ابن المقرئ في «معجمه» (٥٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٥)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٥٨٦)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٢١).

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾؛ أي: وخلقْتُ الحديدَ آلةً للقتالِ، وإقامةً للسِّياسةِ؛ ليكفَّ به المجاوز لقسطِه عن ظلمِه.

وقيل: أنزلَ اللهُ تعالى مع آدمَ عليه السلام العَلَاةَ والكَلْبَتانِ[1] والـمِطْرَقة.

والمنافع في الحديد سوى إمكان القتال به: أنَّه لا بُدَّ منه في كلِّ شيءٍ مِن الصِّناعات حتَّى صناعةِ الحديد، وذلك قوله تعالى:

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: وهو القتال ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: وهو ما قلْنا، وهو مُتَّصلٌ بما مرَّ مِن الحثِّ على الجهاد.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾: وليُظهِرَ اللهُ للعبادِ مَن ينصرُ دينَ اللهِ تعالى للقتال عنه.

وقيل: ليَعلمَ أولياءُ اللهِ.

وقيل: ليعلمَ اللهُ موجودًا ما علمَهُ في الأزلِ أنَّه يُوْجَدُ.

قوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: أي: تصديقًا بما وُعِدَ[2] عليه بالغيب.

وقيل: بغيبةِ مَن يراه؛ أي: يفعله عن إخلاص، لا كالمنافق يفعلُه إذا رآه النَّاس، ولا يفعلُه إذا غابَ عنهم.

والواو في: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ إمَّا أنْ تُجعَلَ مُقحَمةً، أو يزاد في آخرِه: وليعلمَ اللهُ ذلك فعَل ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أي: ﴿قَوِيٌّ﴾ على مُجازاةِ مَن أخلصَ منهم ومَن نافقَ، ﴿عَزِيزٌ﴾: منيعٌ لا يُغالَب ولا يعارَض فيما يريدُه مِن ذلك.

---

(١) العلاة: السندان الذي يضرب عليه الحداد حديده، والكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى.

(٢) في (ر): «وجد».

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: وهذا تفصيلُ بعضِ الإجمال، وشرحُ هذا التَّفصيل في (سورة الأنعام) في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣] الآيات.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾؛ أي: وجعلْنا بعضَهم أنبياء، وبعضَهم أممًا يتلون الكتاب.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾: أي: فاهتدى بعضُهم، وثبتَ على دينه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطَّاعة.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾: أي: أتبعنا مَن بعدَهم واحدًا بعدَ واحدٍ مِن الرُّسل.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أتيْنا به بعدَهم.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾: أي: أعطيْناه وأوحيْنا إليه.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: آمنوا به وصدَّقوه من أمَّتِه.

﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾: قيل: أي: أمروا في الإنجيل بالصَّفح والإعراض عن مكافأة النَّاس على الأذى، وقيل لهم: مَن لطمَ خدَّك الأيسر فولِّهِ خدَّكَ الأيمن، ومَن أرادَ

أنْ يسلبَ رداءَك فأعطِه قميصَك، ولم يكنْ قِصاصٌ على جنايةٍ في نفسٍ أو طرفٍ، فاتَّبَعوا هذه الأوامر، وأطاعوا الله، وكانوا متوادِّيْن متراحِمِيْن متعاطِفِيْن.

وقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾: ليس هذا بعطفٍ على ما مضى، بل هو استئنافٌ، ومعناه: ابتدعوا رهبانيَّة ولزومَ صوامعَ، وتشديدًا على أنفسِهم.

﴿مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: ما أوحيْنا عليهم تلك الرَّهبانيَّة.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَـآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن؛ أي: لكن كنَّا أمرناهم بأنْ يبتغوا رضوانَ اللهِ.

وقيل: أي: ما ابتدعوها إلَّا مبتغين بذلك رضوان الله.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: أي: ما حفظوا تلك الرَّهبانية حقَّ حفظِها، وما ثبتوا عليها، بل تنصَّرَ كثيرٌ منهم، وتركوا الحقَّ، وثبتَ بعضُهم على الحقِّ.

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: أي: الَّذين ثبتوا على الإيمان والحقِّ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله.

ففيه دليلٌ على أنَّ الشُّروع في نفلِ العبادة ملزِمٌ، فإنَّ مَن شرعَ فيما ليس عليه ثمَّ تركَه استحقَّ اسمَ الفسقِ والوعيد.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنْتُ رديفَ رسولِ اللهِ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا ابن أمِّ عبدٍ، هل تدري مِنْ أينَ اتَّخذَتْ بنو إسرائيل الرَّهبانيَّة؟»، قلْتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «ظهرت عليهم الجبابرة بعدَ عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله عزَّ وجلَّ، فغضِبَ أهلُ الإيمانِ فقاتلوهم، فهُزِمَ أهلُ الإيمانِ ثلاثَ مرَّاتٍ، فلم يبقَ منهم إلَّا القليل، فقالوا: إنْ ظهرَ علينا هؤلاء أفنَونا، ولم يبقَ للدِّين أحدٌ يدعو إليه، فتعالَوا حتَّى نتفرَّق في الأرضِ إلى أنْ يبعثَ اللهُ النَّبيَّ الَّذي وعدَنا

عيسى ـ يعنون: محمَّدًا ﷺ ـ فتفرَّقوا في الجبال، وأحدثوا بها رهبانيَّةً، فمنهم مَنْ تمسَّكَ بدينِه، ومنهم مَنْ كفرَ»، ثمَّ تلا هذه الآيات: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «يا ابنَ أمِّ عبدٍ، هل تدري ما رهبانيَّةُ أمَّتي؟»، قلْتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «الهجرةُ والجهادُ والصَّلاةُ والصَّومُ والحجُّ والعمرةُ والتَّكبيرُ على التِّلاع»[1].

***

(٢٨) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ﴾: أي: يا أيَّها الَّذين آمنوا بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمَّدٍ، وهذا عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[2].

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: قال ابنُ عبَّاس: أي: أجرَيْنِ بإيمانِكُم بمحمَّدٍ وبِمَن تقدَّمَ مِن الرُّسلِ[3]، والكِفْلُ: الحَظُّ.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: أي: يومَ القيامةِ يسعى بينَ أيديهِم إلى الجنَّةِ.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبَكُم السَّالفةَ قبلَ الإيمانِ بمحمَّدٍ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقيل: يجعل لكم نورًا في الدُّنيا باتِّباع القرآنِ تمشونَ به في النَّاس، تدعونهم إلى الإسلامِ، وتكونون رؤساءَ أئمَّةً في الإسلام، ولا تفوتُكُم[4] تلك الرِّئاسة الَّتي كنْتُم تخافون فوتها.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) بلا إسناد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٥).

(٤) في (أ): «يغرنكم».

وروى أبو موسى الأشعريُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ثلاثةٌ يُؤتَونَ أجرَهُم مرَّتين: رجلٌ آمنَ بالكتابِ الأوَّل والكتاب الآخِر، ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فأدَّبَها وأحسنَ أدبَها ثُمَّ أعتقَها وتزوَّجَها، وعبدٌ مملوكٌ أحسنَ عبادةَ ربِّه وأطاع سيِّدَه»(١).

وقال الكلبيُّ رحمَه اللهُ: هؤلاء أربعةٌ وعشرون رجلًا، قدِموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكَّة، لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وكانوا على دين الأنبياء فأسلموا، فقال لهم أبو جهل لعنه الله: بئس القوم أنتم والوفد لقومكم، فردُّوا عليه: وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقِّ، فجعلَ الله لهم أجرين؛ أجرًا بكتابهم الأوَّل، وأجرًا بإيمانهم بمحمَّد ﷺ.

فلمَّا بلغَ ذلك عبدَ الله بن سلام وأصحابَه قالوا: نحن أيضًا أهل الكتاب، أفليس لنا أجران مثلَ ما لهم(٢)؟ قالوا: بلى، فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: نحن أفضلُ منكم، لنا أجران ولكم أجر واحد، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(٣).

يقول: أطيعوا الله ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمَّد ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني: أجرين، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الآية.

وكتبَ عمرُ رضي الله عنه إلى أسقفٍ يسأله عن الكفل عندهم في كتابهم، فكتب: هو عندنا ثلاث مئة وخمسون ضعفًا، فقال عمر: الله أكبر، لقد فضَّلنا اللهُ عليكم بكفلٍ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

(٢) في (أ): «أفليس لنا أجر مثل أجرهم».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٠).

(٤) لم أقف عليه.

(٢٩) - ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: (لا) جحدٌ، قُدِّمَ عن موضعِه فأُعِيدَ بعدَه في موضعه: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾، فصار تقديرُه: ليعلمَ أهلُ الكتاب.

قيل: إنَّ أهل الكتاب كانوا يفضِّلون أنفسَهم على سائر أهل الأديان بسبب الكتاب، فأعلم الله هؤلاء الذين خاطبهم بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾: إنَّكم إذا آمنتم بمحمَّد آتاكم الله في الآخرة ضعفَ ما يؤتي المؤمنين بموسى وعيسى إذا ماتوا قبل تبديل ذلك الدِّين الحقِّ بالنَّصرانيَّة واليهوديَّة، ولم يدركوا محمَّدًا ﷺ فيؤمنون به، ليعلم أهل الكتاب أنَّ مَن اجتمع له الإيمان بالكتابين أفضلُ عند الله ممَّن انفرد بالإيمان بكتابٍ واحدٍ.

ويكون تقديرُه: يؤتِكُم كفلَيْنِ مِن رحمتِه ليعلمَ أهلُ الكتابِ أنَّه لا قدرةَ لهم على شيءٍ من فضلِ اللهِ تعالى حتَّى يخصُّوا أنفسَهم بذلك، ويفضِّلُوا أنفسَهم على غيرهم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لَمَّا نزل في النَّصارى الذين أسلموا: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، شقَّ ذلك على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله، إن كان القوم أدركوا الكتاب الأوَّل والكتاب الآخِر، ولم ندركه، أفلهم أجران، ولنا أجر واحد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

يقول: إنَّ الأجرين لهم لا لأنَّهم أفضُل منكم، ولكن فضل منِّي، وأوتي فضلي مَن أشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٩).

سُورَةُ المُجَادلَةِ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله سامعِ البثِّ والشَّكوى، الرَّحمنِ عالمِ السِّرِّ والنَّجوى، الرحيمِ شارعِ البِرِّ والتقوى.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ كان يومَ القيامة مِن حزب الله»[2].

وهذه السُّورة مدنيَّة إلَّا قولَه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ الآية، فإنَّ هذه الآية مكيَّة.

وهي عشرون آيةً وأربعُ آيات وأربع مئة وخمس وأربعون كلمة، وألفٌ وتسعُ مئة وخمسة عشر حرفًا.

وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّهما جميعًا بذكر الثَّناء على الله بفضلِه على عباده.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورة في أمر المؤمنين بجهاد الكافرين، والإنفاقِ

---

(١) في (ر): «قد سمع».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٥٨). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

على المجاهدين، وهذه السُّورة في تخفيف الأحكام على المؤمنين، وتشديد الوعيد على الكفَّار والمنافقين.

***

(١) ـ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: قال مقاتلٌ رحمه الله: هي خولة بنت ثعلبة بن قيس بن مالك بن حرام بن الخزرج من بني عمرو بن عوف، امرأة أوس بن الصَّامت بن قيس بن أصرم الأنصاري، كانت تحتَه، وكانت حسنة الجسم، فرأها أوسٌ ساجدةً في صلاتها، فنظر إلى عجزها فأعجبَتْه، فلمَّا انصرفَتْ من الصَّلاة أرادها فأبَتْ عليه، فغضب عليها، وقال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، فأتَتِ النَّبيَّ ﷺ، فشكَتْ إليه زوجَها، وقالَتْ: هل من شيءٍ يجمعُني وإيَّاه؟ وكان الإيلاءُ والظِّهار من طلاق الجاهليَّة، وكان شيخًا كبيرًا محتاجًا ذا عيالٍ، فأتَتْ امرأتُه إلى النَّبيِّ ﷺ فطلبَتِ الرُّخصةَ[١].

وفي روايةٍ قالت: إنَّ أوسًا تزوَّجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فيَّ، فلمَّا كبر سنِّي، وضعفَتْ حيلتي[٢]، جعلني عليه كأمِّه، فقال لها رسول الله ﷺ: «أخشى أنَّكِ قد حَرُمْتِ عليه»[٣].

وفي رواية قال: «أنتِ كما قال».

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٥٧).

(٢) «حيلتي» من (ف).

(٣) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ ـ ٢٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، عن أبي العالية.

وفي رواية قال: «لم أؤمر فيك بشيء»(١).

فعادَتْ إلى مثل قولها مرارًا، وقالت: إنَّ لي صِبيةً صغارًا، إنْ ضممْتُهم إليَّ جاعوا، وإنْ ضممْتُهم إليه ضاعوا، وقالت: اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليك ما لقيْتُ من زوجي(٢).

وفي رواية محمَّد بن كعبٍ القُرظيِّ: كان هذا أوَّل ظهار في الإسلام، فلمَّا قال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي؛ ندمَ على ذلك، وقال لها: ما أُراك إلَّا حرمْتِ عليَّ، وإنِّي لأستحيي أن آتيَ رسول الله ﷺ وأسأله عن هذا، فائتِه، فقالت: إنَّ أوسَ بن الصَّامت أبو ولدي، وابن عمِّي، وأَحَبُّ النَّاس إليَّ، ظاهر منِّي، وما ذكر طلاقًا. فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «ما أراكِ إلَّا وقد حرمْتِ عليه»، قالت: لا تقلْ ذلك يا رسول الله، فأعادَتْ عليه مرارًا قولها، ثم قالت: اللَّهم أشكو إليك وحشتي، وفراق زوجي، ووَجْدي به، فأنزل الله تعالى هذه الآيات(٣).

وفي رواية ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قالت: يا رسول الله، لَمَّا كبرَ سنِّي، ورقَّ عظمي، واقتربَ أجلي، وبادَ أهلي، ظاهرَ منِّي(٤).

---

(١) قطعة من خبر طويل رواه البزار (١٥١٣ ـ كشف)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديث منكر كما قال البزار عقبه. ورواه مطولاً أيضاً الطبري (٢٢/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) من طريق آخر عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف بعض رواته ومنهم عطية العوفي الراوي عن ابن عباس.

(٢) روى نحو هذه القصة الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٣١٩)، وأبو داود (٢٢١٤)، والطبراني في «الكبير» (٦١٦)، من حديث خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥١).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥)، وورد نحوه ضمن حديث عائشة الآتي.

وقالت عروة: كان امرأً به لممٌ، فإذا اشتدَّ لممُه ظاهرَ من امرأتِه[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّها قالَتْ: تبارك الَّذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ، إنِّي لأسمَعُ كلامَ خولةَ بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضُه، وهي تشتكي زوجَها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكلَ شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرَتْ سنِّي، وانقطعَ ولدي، ظاهر منِّي، اللَّهم إنِّي أشكو إليك، قالَتْ: فما برحَتْ حتَّى نزل جبريلُ صلوات الله عليه بهذه الآيات[٢].

واختلفت الرِّويات[٣] في اسمها ونسبها:

قيل: خولة بنت ثعلبة.

وقيل: خولة بنت خويلد.

وقيل: خولة بنت الصَّامت.

وقال أبو العالية: خولة بنت دليج[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٢٢١٩) عن هشام بن عروة، و(٢٢٢٠) عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح.
قال الخطابي في «معالم السنن» (٣/ ٢٥٣): معنى اللَّمم هاهنا: الإلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان إليهن، يدلُّ على ذلك قوله في هذا الحديث من الرواية الأولى: (كنت امرأً أصيب من النساء ما لا يصيب غيري)، وليس معنى اللمم هاهنا: الخبل والجنون، ولو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يكن يلزمه شيء من كفارة ولا غيرها، والله أعلم.

(٢) رواه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢٠٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦). وعلقه البخاري قبل حديث (٧٣٨٦).

(٣) في (ف): «الرواة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦). وفيه: «خويلة بنت دليج».

وقال الشَّعبي: أمُّ خولة معاذة(١).

وقيل: جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾؛ أي: قد سمع اللهُ كلامَ المرأة التي تخاصمُك في زوجها؛ أي: فيما تريد أن لا تحرمَ على زوجها، كقوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]؛ أي: فيما يريد من ألَّا ينزلَ بهم العذاب.

كانت تقول: انظر في شأني يا رسول الله، انظر في شأني، جعلني الله فداك.

﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الوجدَ الذي في قلبِها بسبب هذه الحادثة.

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾: أي: تراجعكما الكلامَ، خطابٌ للرَّسول ﷺ ولتلك المرأة؛ أي: لا يخفى على الله شيءٌ من ذلك، وإن كان على السِّرار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: لا يخفى عليه من شيء من المسموعات والمرئيَّات.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لَمَّا صدَقَتْ في شكواها إلى الله تعالى، وأيسَتْ من كشفِ ضرِّها من غير الله، أنزلَ الله تعالى في شأنها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾.

تضرَّعَتْ إلى الله تعالى، ورفعَتْ قصَّتها إلى الله، وبثَّتْ غُصَّتها بينَ يَدَي الله تعالى، فنظر الله إليها وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾.

وصارَتْ واقعتُها فَرَجًا ورُخْصةً للمسلمين في مسألة الظِّهار إلى يوم القيامة؛ ليعلمَ العالمون أنَّ أحدًا لا يخسر على الله تعالى(٢).

---

(١) في (أ) و(ر): «أم خولة بنت معاذة»، والخبر رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٣)، ولفظه: (المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت ثعلبة وأمها معاذة التي أنزل الله فيها: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣]).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥٤٨).

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾: قرأ عاصمٌ برفع الياء وتخفيف الظَّاء من المظاهرة، وقرأ عبد الله بن كثير وأبو عَمرو ونافع: ﴿يَظَّهَّرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الألف، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ: ﴿يَظَّاهَرون﴾ بتشديد الظاء وزيادة الألف بفتح الياء[1]، وهي لغاتٌ في معنًى واحد؛ أي: الذين يقولون لزوجاتهم، يقول الواحد منهم لامرأتِه: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، فيشبِّهها بظهرِ أمِّه في التَّحريم.

﴿مِنكُم﴾؛ أي: من جماعتكم أيُّها المؤمنون.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾: أي: لسن[2] أمَّهاتٍ لكم، ولا يَصرْنَ أمَّهاتٍ لكم بهذا القول.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾: أي: ما أمُّ الرَّجل إلَّا التي ولدته.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾: أي: المظاهرون يقولون كلامًا ينكره الشَّرع ولا يرضى به، و(زورًا)؛ أي: كذبًا وباطلًا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: أي: عن ذنوبِ عباده إذا تابوا منها.

﴿غَفُورٌ﴾: يسترُها عليهم بعد التَّوبة، فلا يفضحُهم بها، ولا يعاقبُهم عليها.

* * *

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨).

(٢) في جميع النسخ: «ليس»، والصواب المثبت.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾: أي: منكوحاتهم الحرائرِ والإماء.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾: اختُلِفَ في معنى العَود منها؛ لتعلُّق وجوب الكفَّارة به:

قال قتادة رحمه الله: هو العزمُ على غشيانها(١).

وقال ابن عبَّاس: هو أن يريد جماعها(٢).

وقال الزُّهري وطاوسٌ رحمهما الله: هو أن يطأَها(٣).

وقال الشَّافعيُّ: هو أن يمسكها بعد الظِّهار، ولا يحرِّمها للحال بطلاقٍ بائنٍ(٤).

وقيل: هو أن يظاهرَ في الإسلام بعدما كانوا يظاهرون في الجاهليَّة. وهو قول طاوس، فعنده يجب بنفس التكلُّم(٥) بكلمة الظِّهار، ولا يسقطُ شيءٌ، ولا يحتاج إلى قرينةٍ للوجوب(٦).

وقال داود بن عليٍّ الأصفهاني(٧): هو تكرار كلمة الظِّهار، فلا تجب بدونه عنده(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٨).

(٢) رواه بمعناه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦٨) عن طاوس، وذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٣٢).

(٤) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٢٩٦)، و«أحكام القرآن للشافعي» للبيهقي (١/ ٢٣٤).

(٥) في (ر): «ومعناه تجب بنفس الكلام».

(٦) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٥) بلفظ: (إذا تكلم الرجل بالظهار المنكر والزور فقد وجبت عليه الكفارة حنث أم لم يحنث).

(٧) في (ف): «الأصبهاني».

(٨) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٨٤)، وانظر: «المحلى» لابن حزم (٩/ ١٩٣) فقد نصر هذا القول، وقال: (روي عن بكير بن الأشج، ويحيى بن زياد الفراء، وقد روي نحوه عن عطاء). =

وقال: هو المفهوم من الكلمة ظاهرًا.

واحتجَّ الشَّافعي رحمه الله بأنْ قال: العودُ للشَّيء ليس هو إعادةً، بل ذلك عودٌ فيه، أو عودٌ إليه، بل العودُ له: إبطالُ الحكمِ والإتيانُ بما يضادُّه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ أي: لخالفوا النَّهي، والظِّهارُ سببُ الفراق، والعودُ له: إمساكُها، الذي يضادُّه.

وقال أصحابُنا رحمهم الله: العودُ هو العزم على جماعِها، فمتى عزمَ على ذلك لم يحلَّ له حتى يكفِّر، ولو ماتَتْ هي بعدَ مدَّة قبل أن يكفِّر سقطَتْ عنه الكفَّارة؛ لفوْتِ العزمِ على جماعِها.

قال الشَّافعيُّ رحمه الله: إنَّ العودَ للشَّيء الإتيانُ بما يضادُّه، لكن ليس حكم الظِّهار تركَ المرأة وفراقَها ليكون ضدُّه إمساكَها، بل حكمُه الامتناعُ عن وطئِها، فضدُّه العزمُ على وطئها.

وقد رُوي عن سلمة بن صخرٍ أنَّه جاء إلى النَّبيِّ ﷺ وقال: يا رسول الله، إنِّي

= واستدلَّ له بالحديث الذي رواه أبو داود (٢٢٢٠) من طريق هشام بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها الذي فيه ذكر أن المظاهر كان به لمم، وقد تقدم قريباً، قال: هذا يقتضي التَّكرارَ ولا بدَّ، ولا يَصحُّ في الظِّهارِ إلَّا هذا الخبرُ وحده، إلَّا خبرًا نذكرُه بعدَ هذا إنْ شاءَ الله عز وجل، وكلُّ ما عدا ذلك فساقطٌ: إمَّا مرسلٌ، وإمَّا مِن روايةِ مَن لا خيرَ فيه.

وقد رد القول بالتكرار ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٩٢) فقال: (فأما القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعًا لا يصح عن بكير، وإنما يشبه أن يكون من جهالة داود وأشياعه، وقد رويت قصص المتظاهرين وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر لعود القول منهم، وأيضاً فإن المعنى ينقضه لأن الله تعالى وصفه بأنه منكر من القول وزور فكيف يقال له: إذا أعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك الكفارة، وهذا لا يعقل، ألا ترى أن كل سبب يوجب الكفارة لا تشترط فيه الإعادة من قتل ووطء في صوم ونحوه).

ظاهرْتُ من امرأتي، ثم رأيتُها في ليلةٍ قمراءَ عليها خلخالان، فأعجبتْني فواقعْتُها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «استغفرِ اللهَ، ولا تعدْ حتَّى تكفِّر»[1].

فثبَتَ بالعودِ المذكور في هذا الحديث أنَّ المرادَ به في الآية هذا.

وقوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾؛ أي: فعليه إعتاق رقبة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾؛ أي: يتلاقيا بالجماع، وتحرم الدَّواعي أيضًا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: أي: هذا شيء تُؤمرون به، والله خبير بأعمالكم، وفَّيتم به أو خالفتم.

***

(٤) ـ ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾: أي: فمن لم يملكْ ما يشتري به رقبةً ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾؛ أي: فعليه صيام شهرين متواصلين.

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ فسَّرناه.

﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصِّيام بمرض أو نحوه ﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗا﴾؛ أي: فعليه

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٢٣)، والترمذي (١١٩٩)، والنسائي (٣٤٥٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، بإبهام الرجل الذي ظاهر. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

ورواه أبو داود (٢٢٢٢)، والنسائي (٣٤٥٨) و(٣٤٥٩) عن عكرمة مرسلاً، وقال النسائي: المرسل أولى بالصواب من المسند.

ورواه بنحوه أبو داود (٢٢١٣)، الترمذي (١٢٠٠)، وابن ماجه (٢٠٦٢) من حديث سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه.

أن يطعم ستِّين مسكينًا، كلَّ مسكين نصفَ صاعٍ من حنطة، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر.

﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: هذا البيان لتصدِّقوا اللهَ ورسولَه، وتقبلوا هذا الأمر منه.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي: هذه الأحكام معالم شرائع الله فاحفظوها.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: أي: وللذين لا يقبلون أحكام الشَّرع ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: وجيع دائم في النَّار في الآخرة.

وعن أبي العالية قال: لَمَّا قال له: «اعتق رقبة»، قال: ما عندي رقبة، قال: «فصم شهرين متتابعين»، فقال: إنْ لم آكلْ في النَّهار ثلاثَ أكلاتٍ[1] خشيْتُ أنْ يعشوَ بصري، قال: «فأَطْعِم ستِّين مسكينًا»، قال: فأعنِّي يا رسول الله، فأعانه رسول الله ﷺ[2].

وعن عكرمة: قال: يا نبيَّ الله، والله ما أجدُ رقبةً، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ما أنا بزائدك»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: ٤]، قال: واللهِ يا نبيَّ اللهِ ما أطيق الصَّوم، إنِّي إذا لم آكل في اليوم كذا وكذا أكلةً لقيْتُ ولقيْتُ، فجعلَ يشكو له، فقال: «ما أنا بزائدك»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[3].

* * *

---

(١) في (ف): «مرات».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، وقال: مرسل لكن له شواهد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٢).

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: يخالفونه ويتعدَّون حدود الله.

﴿كُبِتُوا۟﴾: قال قتادة رحمه الله: أُخزوا[١].

وقيل: أُذِلُّوا، وقيل: صُرِعوا، وقيل: قُهِروا.

﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: كما فُعِلَ بالكفَّار الماضين بسبب المخالفة والمعاداة للنَّبيِّين.

وقال الفرَّاء: ﴿كُبِتُوا۟﴾: أغيظوا وأحزنوا.

وقال أبو[٢] سعيد: كُبُّوا على وجوهِهم[٣].

وقال الخليل: صُرِعوا[٤].

وقال أبو عبيدة[٥]: أُهلكوا[٦].

وقال أبو عبيدة: ﴿كُبِتُوا۟﴾: هو في الأصل: كبدوا؛ أي: ضربوا على أكبادهم[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٦).

(٢) «أبو» ليس في (ف).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٣٤٢).

(٥) في (أ) و(ف): «عبيد».

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥٥).

(٧) ذكره عن أبي عبيدة ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٥)، وعزاه ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١١٠) لأهل النظر.

ومعنى الكلمة: يُكبتون، لكن ذكر بصيغة الماضي تقريبًا للمخبَر عنه، كما يُقال: بلغْنا المنزلَ وأتاك[1] الجبل، ونحو ذلك.

وهذا بشارةٌ للمؤمنين بنصرهم وإهلاك الكافرين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: وقد أوضحْنا الأدلَّة والعلامات على ذلك بما اقتصَصْنا من وقائعنا بالماضيين.

وقيل: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ في القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ فيها حدود الله تعالى وأحكامه، فالزموها ولا تتعدَّوها.

وقيل: ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يكبَتُ هؤلاء يوم بدر. وقيل: يوم الخندق[2].

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: قيل: ولجاحدي هذه الآيات. وقيل: لكفَّار كلِّ عصر.

* * *

(٦) - ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: أي: يعذِّبُهم هذا العذاب يومَ يُنشرهم من قبورهم جميعًا الرِّجال والنِّساء. وقيل: الأوَّلين والآخرين.

وقيل: المحادِّين اللهَ ورسولَه في هذا العصر، وفي الأعصار الخالية.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾؛ أي: فيخبرهم بما عملوا من محادَّة الله ورسوله.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: أي: حفظَه اللهُ، يعني: صغيرَ أعمالهم وكبيرَها، ودقيقَها وجليلها؛ ليجازيهم بها.

---

(١) في (أ) و(ف): «وأتاك».

(٢) «وقيل يوم الخندق» ليس في (أ).

﴿وَنَسُوهُ﴾: أي: ونسُوا هم[١] ذلك لجحودهم بالبعث والحساب.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أحصى اللهُ أعمالَهم الخبيثة، ﴿وَنَسُوهُ﴾؛ أي: تركوه استخفافًا به لم يحافظوا إحصاء الله وحفظه[٢].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: لا يخفَى عليه شيءٌ، فهو شاهدٌ عليه ليجزيَهم بها، وهذا وعيد شديد.

* * *

(٧) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يعني: ألم تعلم علمًا يقومُ مَقامَ العِيان، استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد علمْتَ أنَّ اللهَ يعلمُ ما في السَّماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: أي: هو سامعٌ نجواهم، ولا يغيب ذلك عنه.

﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾: أي: ولا نجوى خمسة، وهو تناجيهم ومسارَّتُهم ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يستمعُ نجواهم.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾: أي: ولا أقلَّ من ذلك، وهو نجوى اثنين ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ من خمسة.

---

(١) في النسخ: «ونسوهم»، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٦١).

وقرأ يعقوب: ﴿ولا أكثرُ﴾ بالرَّفع(١)، وعلى هذا: ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ﴾ يكون رفعًا أيضًا، وتقديرُه: ولا يكون أدنى.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾: أي: علمًا وسماعًا، لا مكانًا، فإنَّ الله تعالى يتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقيل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾: هي الرُّوح والقلب والنَّفس، ﴿وَلَا خَمۡسَةٍ﴾: هي الحواسُّ الخمس، ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾: هو القلبُ وحدَه، ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ من ذلك: هي الأعضاء السَّبعة(٢)؛ أي: ما تكون أنت في شيء إلَّا أنا شاهدُك، وعالمٌ بظاهرك وباطنِك.

﴿أَيۡنَ مَا كَانُواۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾: أي: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾: قيل: هذه الآية متَّصلة بالتي بعدها، على ما نبيِّن بعد هذا إن شاء الله تعالى.

وقيل: نزلَتْ في صفوان ورجلين من ثقيف، وقد بيَّنَّا القصَّة في (سورة حم السجدة).

* * *

(٨) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

---

(١) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).

(٢) بعدها في (ف): «التي جوارح العبادة». ولعل المراد بالأعضاء السبعة: الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان، وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾: أي: ألم ترَ يا محمَّد إلى الذين نُهوا عن النَّجوى[1]، أكثر المفسِّرين على أنَّهم اليهود.

روي عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ اليهود دخلوا على النَّبيِّ ﷺ، فقالوا: السَّام عليك، ففطنَتْ لهم عائشة فقالَتْ: عليكم السَّام واللَّعنة يا إخوة القردة والخنازير، فقال: «مَهْ يا عائشة، إنِّي لم أُبعَثْ فحَّاشًا، وإنَّ اللهَ لا يحبُّ الفُحْشَ ولا التَّفحُّش»، قالت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألم تسمعي أنِّي رددْتُ عليهم فقلْتُ: وعليكم، وإنَّما نُجابُ عليهم ولا يجابون علينا»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨][2].

وقيل: كان المنافقون يتناجون بينَهم، وينظرون إلى الرَّجل من المسلمين؛ ليظنَّ أنَّ مناجاتهم في أمرِه، وأنَّهم قد أَخبروا رسول الله ﷺ عنه بسوء.

وقيل: كان المنافقون واليهود إذا رأوا رجلًا قد غزا له حميمٌ في بعض السَّرايا تناجى الاثنان منهم، ونظروا إلى المسلم ليقعَ في قلبه أنَّ صاحبه الغازيَ قد قُتِل أو أُسِر، وكذلك كانوا يفعلون إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ وأصحابه، يتناجون[3] فيظنُّ المسلم أنَّه قد بلغَهم فيه شيءٌ، فلمَّا طالَ ذلك على المسلمين شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرَهم ألَّا يتناجوا فيما بينهم دون المسلمين، فلم ينتهوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: كانوا يتناجون حيث يشاهدهم المؤمنون بسوءِ التَّدبير على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) «أي ألم تر يا محمد إلى الذين نهوا عن النجوى» ليس في (ف).

(٢) روى نحوه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥)، دون سبب النزول، وروى نحوه مع سبب النزول النسائي (١١٥٠٧).

(٣) «وأصحابه يتناجون» ليس في (أ) و(ف).

وأصحابه، فنُهوا عنه، فلم ينتهوا، فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: فيخالفونه ويأتون بما نُهوا عنه.

﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾: أي: فيما بينهم ﴿بِالْإِثْمِ﴾؛ أي: بما يؤثمُهم من إدخال الغمِّ على المؤمنين.

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: أي: الظُّلم ومجاوزة الحقِّ.

﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾: أي: بمعصيتِهم الرَّسولَ ومخالفتِهم إيَّاه وتدبيرهم فيه، كما دبَّروا في قتله حين خرج إليهم مستعيناً بهم في حَمالة، على ما بيَّناه في (سورة المائدة) عند قوله: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: لأنَّ اللهَ تعالى حيَّاه بالسَّلام، وهؤلاء حيَّوه بالسَّام وهو الموت، فكأنَّهم قالوا: الموتُ عليك.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: أي: هلَّا يعذِّبُنا بتحيَّتنا هذه له إنْ كان رسولًا.

وقيل: أرادوا أنَّه يقول لنا(١): «عليكم»، فيدعو علينا بالموت، فَلِمَ لا يُستجابُ دعاؤُه فينا إنْ كان نبيًّا، فأجابَهم اللهُ تعالى عن هذا فقال:

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: إن لم يجازهم على إيذائهم رسولَه في الدُّنيا ولم يهلكْهم بدعاءِ الرَّسول عليهم عاجلًا، فقد أعددْنا لهم جهنَّم، وهي حسبُهم، فلا عذابَ أشدُّ من عذابهم بها.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

* * *

---

(١) في (ر): «لهم».

(٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾: وهذا نهيٌ للمؤمنين عن الاقتداءِ باليهود والمنافقين بالتَّناجي.

﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾: وهذا أمرٌ بالتَّناجي فيما يؤُول إلى الطَّاعة وترك المعصية، ونفعِ المسلمين ودفع الضَّرر عن المؤمنين، وهو كما قال: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ الآية [النساء: ١١٤].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: أي: للحسابِ، فيجازيكم بما تتناجون به من خيرٍ أو شرٍّ.

* * *

(١٠) ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: أي: يأمر الشيطان بذلك ليُدخل به غمًّا في قلوب المسلمين من الوجهِ الذي قلْنا.

وقال الحسنُ: كان الرَّجل يأتي إلى رسول الله ﷺ فيستخليهِ لحاجةٍ، فكان الشَّيطان يوقع في قلوب المسلمين الخوف أنَّ هذا إنَّما خلا برسول الله ﷺ لينقصكم عنده[1].

وفي حديث عبد الرَّحمن بن زيدٍ رحمه الله: وكان الشَّيطان يأتي القوم فيقول

(١) في (أ): «ليبغضكم عنده»، وفي (ر): «لينعتكم عنده».

لهم: إنَّما يتناجَون في أمورٍ حضرَتْ، وجموعٍ قد جُمِعَتْ لكم وأشياء، فنزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الآية(١).

﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: إنَّما يضرُّهم بما أذن الله فيه أن يكون ضارًّا لهم، فأمَّا الشَّيطانُ فلا يقدر لهم على ضرٍّ بنفسِه، وكذلك هؤلاء المتناجون من اليهود والمنافقين.

وقيل: ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلَّا بتخلية اللهِ إيَّاه، ولو شاءَ لأهلكَه وقطعَ ضررَه، إلَّا أنَّه خلَّاه امتحانًا للعباد.

وقيل: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعلمِ الله؛ يعني: ما ينال المؤمن من الحزن والكراهة فذلك بعلم الله تعالى، وسيجزيه الله تعالى بذلك.

وقيل: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما كان من مناجاة بعضِهم رسولَ الله ﷺ في انتقاصِ المؤمنين لا يضرُّهم ذلك، ولا يعتقدُ رسولُ الله ﷺ فيهم نقصًا إلَّا بإذن الله تعالى؛ أي: إلَّا بأن يُعْلمَه الله تعالى به إن كان، ويأذنَ له في قَبوله، وهو ضررُ إقامة الحدود والتَّعزير والغرامة.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فلا تهتمُّوا بما يقول هؤلاء المتناجون.

* * *

(١١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ﴾ قرأ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٤).

عاصم: ﴿فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ جمعًا، والباقون: ﴿في الـمَجْلِسِ﴾ على الواحد[1].

قال مجاهد وقتادة والضَّحَّاك وابن زيد: هو مجلس النَّبيِّ ﷺ[2]. وهو متَّصل بما قبله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الآية.

ذمَّهم بترك احترامِه، وأمَرَ المسلمين بأن يستعملوا في مجلسه ما يعود إلى تبجيله وإعظامه، وإلى معاملة أهل مجلسه بالمجاملة، وبما يدلُّ على سَعَةِ النَّفس وطيب الخلق عند المزاحمة، قال: ﴿وإذا قيل لكم تفسحوا في المجلس﴾؛ أي: توسَّعوا، والفُسحة: الوسعة[3]، والفسيحُ: الواسع.

﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: أي: وسِّعوا المكان لمن حضرَ بعدكم يوسِّعِ اللهُ لكم منازلكم في الجنَّة.

وقيل: أي: يوسِّعْ أخلاقكم.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾: أي: وإذا قيل لكم: ارتفعوا، أو قوموا للتَّوسعة على مَن بَعُدَ موضعُه عن النَّبيِّ ﷺ، فارتفعوا ولا تتثاقلوا.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بضم الشين فيهما، وقرأ الباقون بالكسر فيهما[4]، وهما لغتان، كما في قوله: ﴿يَعۡرِشُونَ﴾، و﴿يَعۡكُفُونَ﴾[5].

---

(١) «الباقون في المجلس على الواحد» ليس في (أ). انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

(٣) في (ر): «والتفسيح التوسع».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩).

(٥) قرأ: ﴿يعرشون﴾ بالضم أبو بكر عن عاصمٍ وابنُ عامر، والباقون بالكسر.

وقرأ: ﴿يعكفون﴾ بالكسر حمزة والكسائي، والباقون بالضم. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣).

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾: أي: يرفعِ الله درجاتِ مَن فعَل ذلك في الجنَّة، وإنَّما ذكر الإيمان والعلم في هذا لأن التَّفسُّح والنُّشوز لمن جاء بعد التَّمكُّن والطُّمأنينة، واحتمالُ هذا التَّعب إنَّما يكون ممَّن يتوفَّر حظُّه من الإيمان والعلم؛ لأنَّه يفعل ذلك تعظيمًا لأخيه المؤمن، وتعطُّفًا عليه، وإشراكًا له في الخير والاستماع من رسول الله ﷺ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: من التَّفسُّح والنُّشوز للإخوة من المؤمنين فيثيبُكم عليه.

وقيل في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا﴾: أي: ارتفعوا منه في بيتِه وقوموا وارجعوا؛ فإنَّه له حاجة، وكان كلُّ واحدٍ منهم يحبُّ أن يكون آخرَهم عهدًا بالنَّبيِّ ﷺ، فأُمِروا بالتَّخفيف، وعلى هذا يكون قوله: ﴿تَفَسَّحُوا﴾ ما دام يحدِّث، و﴿انشُزُوا﴾ إذا فرغ من الكلام.

وقيل: إذا قال النَّبيُّ ﷺ لبعضكم: ﴿انشُزُوا﴾؛ أي: ارتفعوا في المجلس؛ أي: اقتربوا منِّي إكرامًا، فلا تباعَدوا واقتربوا قَبولًا لكرامته، فإنَّه لا يقرِّبُ إلَّا الأفاضل في الإيمان والعلم، ولا يُنزلُ كلَّ إنسانٍ إلَّا منزلةَ استحقاقِه بعلمِه[١] وإيمانِه، وذلك معنى وصل الإيمان والعلم بهذا الكلام؛ لأنَّ معناه: إذا رفعَ رسولُ الله ﷺ أحدَكم فليرتفعْ؛ فإنَّه إنَّما يفعل ذلك بأمر الله تعالى بيانًا لدرجة علمِه وإيمانِه.

وقيل: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ في مجلس رسول الله ﷺ بعد سماع العلم: ﴿انشُزُوا﴾ وارتفعوا لغزوٍ أو خيرٍ آخر[٢]، فبادِروا، ولا تتثاقلوا اعتلالًا بالضِّنِّ بمجلس رسول الله ﷺ؛ فإنَّ العلم والإيمان يوجب المسارعةَ إلى الائتمار.

---

(١) في (أ): «بعمله».

(٢) «آخر» من (أ) و(ف).

وقيل: الخطاب لقومٍ من أهل الشَّرف سبقوا إلى مجلس رسول الله ﷺ، ثمَّ يحضر الفقراء، فكرهوا أن يزاحموهم، فنُدبوا إلى التَّوسعة لهم، وأُخبروا أنَّ الرِّفعة بالعلم والإيمان، لا بالشَّرف والمال.

ومَن قرأ: ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ فهي للمجالس المختلفة؛ من مجلس الذِّكر والوعظ، ومجلس القتال، ومجلس الصَّلاة؛ أي: تفسَّحوا في أيِّ مجلسٍ كان من ذلك.

وقيل: أريد به مجلس كلِّ واحدٍ في نفسه، وهم في مجلس واحد، أو مسجد واحد.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلت الآيةُ في ثابت بن قيس بن شماس؛ أقبلَ نحوَ رسول الله ﷺ يتخطَّى رقاب النَّاس، والمجلسُ غاصٌّ بأهله، وهو يقول: توسَّعوا وتفسَّحوا، وكان في أذنه وَقرٌ، وأحبَّ أن يدنوَ من رسول الله ﷺ، حتى انتهى إلى رجلٍ أمامَ النَّبيِّ ﷺ، فلم يفسح له، فذكر أمَّه، فنزل في الرَّجل الذي لم يفسح له هذه الآية، فندم الرَّجل وندم ثابت[1].

وقال مقاتلُ بن حيَّان: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في الصُّفَّة في مكانٍ ضيِّقٍ، وكان يكرمُ أهلَ بدرٍ من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدرٍ يومئذ وقد سُبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النَّبيِّ ﷺ، فقالوا: السَّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فردَّ النَّبيُّ ﷺ عليهم، ثم سلَّموا على القوم بعد ذلك، فردُّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينظرون إلى أن يوسِّعوا لهم، وعرف النَّبيُّ ﷺ ما يحملِهم على القيام، فلم يُفسَح لهم، فشقَّ ذلك على النَّبيِّ ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار

---

(١) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٦).

من غير أهل بدر: «قمْ يا فلان، وأنت يا فلان، وأنت يا فلان فقُم»، حتى أقام عدَّةً من النَّاس، فشقَّ ذلك على مَن أُقيم من مجلسِه، وعرف النَّبيُّ ﷺ الكراهةَ في وجوهِهم، فقال المنافقون لأصحاب النَّبيِّ ﷺ: ألسْتُم تزعمون أنَّ صاحبكم هذا ـ يعنون النَّبيَّ ﷺ ـ يعدلُ بين النَّاس؟ قالوا: بلى، قال المنافقون: والله ما رأيناه عدلَ على هؤلاء، قومٌ أَخذُوا مجالسَهم، وأحبُّوا القُرْبَ من نبيِّهم، فأقامَهم وأجلسَ مَن أبطأ عنه مكانَهم. وكان ذلك يومَ الجمعة، فقال النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك: «رحمَ الله رجلًا تفسَّح لأخيه»، فكانوا يقومون بعدَ ذلك سِراعًا، وتفسَّح القوم لإخوانهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وقال الحسنُ: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قاتلَ المشركين وصفَّ أصحابَه للقتال، تشاحُّوا في الصَّفِّ الأوَّل؛ ليكونوا في أوَّل القوم، فكان الرَّجل منهم يجيء إلى الصَّفِّ الأوَّل فيقول لإخوانه: توسَّعوا لنلقى العدوَّ ونُصيبَ الشَّهادة، فلا يوسِّعون له رغبةً منهم في الجهاد والشَّهادة أن يصيبوها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقال الحكم بن عتيبة في قوله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ قال: يرفع الله العالمَ على الذي لا يَعلم سبعين درجةً، الله أعلم بما بينَ كلِّ درجتين، وإنَّ العالم يستغفرُ له كلُّ شيءٍ حتَّى الحوت في البحر، والطَّير في جو السماء[3].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٩).

(٣) لم أجده عن الحكم، لكن روي معناه مرفوعاً، فقد روى أبو داود (٣٦٤١ ـ ٣٦٤٢)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨)، وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ فيه: «وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء...»، وفيه: «إن العلماء ورثة الأنبياء...»، الحديث.

(١٢) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾، ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى أرادَ أن يقطعَ المنافقين عن مناجاة النَّبيِّ ﷺ، فيزول ما كان الشَّيطانُ يحزنُ به المؤمنين منها، بأن يعظِّمَ المؤمنون رسولَ الله ﷺ، فلا يناجوه إلَّا في مهمٍّ من أمور الدِّين، فأوجبَ على مَن أرادَ منهم مناجاته تقديمَ صدقة، فقال: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: إذا أردْتُم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ﴾ قبل مناجاتكم إيَّاه ﴿صَدَقَةً﴾.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: في دينِكم لِمَا تنالونه من الثَّواب.

﴿وَأَطْهَرُ﴾: لكم من الذُّنوب، ويكون كتقديم الوضوء على الصَّلاة.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ﴾: ما تتصدَّقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يكلِّفكم شططًا، فناجوه في المهمِّ من أمر الدِّين من غير تقديم صدقة.

* * *

(١٣) - ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ﴾؛ أي: أشقَّ عليكم أن تقدِّموا طهرةً بين يدي مناجاتكم رسولَ الله ﷺ.

والإشفاق كالخوف من المكروه، فيحتمل[١] أن يكونوا أشفقوا[٢] مِن أن يقصِّروا في تقديم الصَّدقة في بعض حوائجهم التي يحتاجون فيها إلى مناجاته

(١) في (ر) و(ف): «ويحتمل».

(٢) في (أ): «أن تكونوا أشفقتم».

فيأثمـوا، أو تكثـر حوائجهـم فلا يمكنهـم رفع كثير منها إليـه إذا لم يجـدوا ما يقدِّموا لـه، وخافـوا ذلـك على بعضِهـم، فرحمَهـم الله تعالى وخفَّـف عنهم.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي: خفَّف عنكم وأزال عنكم هذا الفرض.

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أي: دوموا عليهما ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في سائر الأوامر والنَّواهي.

وحقيقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في هذه المواضع: أزالَ عنكم المؤاخَذة بترك تقديم الصَّدقة على المناجاة، كزوال المؤاخذة بالذَّنب على التَّائب عنه.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا وعد ووعيد.

وقيل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فلا تتناجَوا بالإثم والعدوان ومعصية الرَّسول وتناجوا بالبر والتقوى.

قال الكلبيُّ: ما كانت إلَّا ساعةً من نهارٍ حتَّى نُسِخَتْ(١).

وقال مقاتل بن حيَّان: كانت عشرَ ليالٍ ثمَّ نُسِخَتْ(٢).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: هذه آيةٌ من كتاب الله تعالى ما عملَ بها أحدٌ من قبلي ولا بعدي، وكان لي دينار، فبعتُه بعشر دراهم، وتصدَّقْتُ بها، وسألْتُ رسول الله ﷺ عشرَ مسائلَ، فأجابني عنها، قلْتُ: يا رسول الله، ما الوفاء(٣)؟ قال: «التَّوحيدُ وشهادةُ أن لا إله إلَّا الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ [البقرة: ٤٠]»، قلْتُ: وما الفساد؟ فقال: «الكفر والشِّرك بالله تعالى»، قلْتُ: وما الحقُّ؟ قالَ: «الإسلام والقرآن والولاية إذا

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٧٨) عن الكلبي وقتادة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٢).

(٣) في (ر): «الصلاح».

انتهَتْ إليك»، قلْتُ: وما الحيلة؟ قال: «ترك الحيلة»، قلْتُ: وما عَلَيَّ؟ قال: «طاعة الله وطاعة رسوله»، قلْتُ: كيف أدعو الله؟ قال: «بالصِّدقِ واليقين»، قلْتُ: وماذا أسأل الله تعالى، قال: «العافية»، قلْتُ: وما أصنع لنجاة نفسي؟ قال: «كُلْ حلالًا، وقُلْ صِدقًا»، قلْتُ: وما السُّرور؟ قال: «الجنَّة»، قلْتُ: وما الرَّاحة؟ قال: «لقاء الله تعالى»، فلمَّا فرغْتُ منها نزل نسخُها(١).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان لعليٍّ رضي الله عنه ثلاثٌ، لو كانت لي واحدةٌ منهنَّ كانت أحبَّ إليَّ من حمر النَّعم: تزويجَه(٢) فاطمة، وإعطاء الرَّاية يوم خيبر، وآية النَّجوى(٣).

***

---

(١) ذكره بلا إسناد: أبو البركات النسفي في «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٥٠)، والسيوطي في «معترك الأقران» (٣/ ٣٦٠)، ورواه مختصرًا دون ذكر الأسئلة أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٤)، وصححه.

ولفظ الحاكم: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ الآية، قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي ﷺ، فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ، قدمت بين يدي نجواي درهمًا، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ الآية».

(٢) في النسخ: «تزوج»، والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٢). ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٩٩) بلفظ: «لقد أوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: زوَّجه ابنته فولدت له، وسد الأبواب إلا بابه، وأعطاه الحربة يوم خيبر».

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾: هم المنافقون، ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾: هم اليهود.

﴿مَّا هُم﴾: أي: المنافقون ﴿مِّنكُمْ﴾ مسلمين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: من اليهود، لا يؤمنون بكتاب.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ للمؤمنين إذا لقُوهم أنَّهم منهم، ولليهود إذا لقوهم أنَّهم منهم.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبون؛ لأنَّهم لا يعتقدون إسلامًا ولا يهوديَّة، وهذا نهاية الخبث وسوءِ الدِّيانة.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أي: في النَّار ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بذلك استحقُّوها.

* * *

(١٦) ـ ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يجتهدون في صدِّ النَّاس عن طاعة الله والإيمان به والجهاد في سبيله بالأراجيف ووجوه التَّخويف، فإذا ظهر ذلك منهم فعوتبوا حلفوا كاذبين أنَّهم ما فعلوا ذلك، يدفعون بها عن أنفسهم ما يتوجَّه عليهم من عقوبات الدُّنيا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: في الدُّنيا والآخرة، وهو ما قال: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١].

وقال السُّدِّيُّ رحمه الله: نزلَتْ في عبد الله بن نَبتل المنافق من بني عَمرو بن

عوف، كان يأتي رسولَ الله ﷺ فيجلسُ معه، ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ جالسٌ ذات يوم في حجرة من الحجرات قال: «يَطْلعُ عليكم من هذه الحجرة الآن رجلٌ قلبُه قلبُ جبَّار، وينظر بعيني شيطان»، فأتى عبد الله بن نبتل، فمُنع من أن يدخل من الباب، فصعد فوق الحجرة، فاطَّلع على النَّبيِّ ﷺ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أنت الذي تسبُّني وفلان وفلان»، فحلف بالله ما فعل، وحلف النَّبيُّ ﷺ لقد قلْتَ[١]، ثمَّ انطلق فجاء بهم، فحلفوا له ما سبُّوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

***

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «فعلت».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٣).

وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٤٧) (٢٤٠٧) (٣٢٧٧)، والبزار في «مسنده» (٥٠١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢): رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح.

ولفظ الإمام أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرته فقال لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلمَّا رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب، فجاء بهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: يحلفون كاذبين ليدفعوا القتلَ عن أنفسِهم وأولادِهم والاستغنامَ عن[1] أموالهم، ولن تغني عنهم أموالهم وأولادهم يوم القيامة شيئًا إذا دخلوا النَّار.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: أي: دخول النَّار[2] يوم يحشرهم الله تعالى من قبورهم فيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ يوم القيامة: ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا أنَّهم ليسوا بمنافقين.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: ويظنُّون في الدُّنيا أنَّهم على صوابٍ من دينِهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في الدُّنيا[3].

قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: غلب فاستولى عليهم ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فهم يرتكبون المعاصيَ غير ذاكرين اللهَ، ومقامَهم بين يديه، ومحاسبتَه إيَّاهم عليها.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: المتحزِّبون له، المتعصِّبون لأوليائه، المنقادون حيث يقودهم.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: الهالكون المغبونون.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

---

(١) في (أ): «فاستغنام» بدل: «والاستغنام عن».

(٢) في (ف): «دخولهم النار»، وليست في (ر).

(٣) «في الدنيا» من (أ).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: أي: يخالفون، وقيل: يعادُون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾: لا أذلَّ منهم؛ أي: إلى الذُّلِّ يصير أمرهم: بالسَّبي والقتل في الدُّنيا، وعذاب النَّار في الآخرة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: أي: في اللَّوح المحفوظ، وقيل: أي: قضى وقدَّر.

﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾: لأنَّ العاقبة المحمودة لهم في الدُّنيا والآخرة، وهم المنصورون بالحجَّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿قَوِىٌّ﴾: لا يُغلَب ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يمانع(١).

وروي أنَّ المسلمين لَمَّا رأوا ما يُفتَح عليهم من القرى قالوا: واللهِ ليفتحَنَّ اللهُ علينا الرُّوم وفارس، فقال المنافقون: هيهات، الرُّومُ وفارس ليست كهذه القرى. فنزلَتْ هذه الآية(٢).

* * *

(٢٢) ـ ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: مَن خالفَ وعادى الله ورسوله ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾: يرجع إلى ﴿مَنْ﴾، وهو بمعنى الجمع لأنَّه جنس ﴿ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾:

---

(١) في (أ): «﴿قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ولا يمانع».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤) دون نسبة.

﴿لَا تَجِدُ﴾: إخبارٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: ولو وجدتهم على غير هذا فليسوا بمؤمنين؛ لأنَّ شرطَ الإيمانِ بالله محبَّة اللهِ، وتحقيقُ محبَّة الله بمعاداة أعدائه.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ كأبي عبيدة بن الجراح، قَتَلَ أباه يومَ أحدٍ، وهو عبد الله بن الجرَّاح ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ كأبي بكر الصِّدِّيق، دعاه ابنُه يوم بدر إلى البِراز، فقال: يا رسول الله، دعني أكنْ في الرَّعْلة[1] الأولى، فقال له رسولُ الله ﷺ: «متِّعنا بنفسِكَ يا أبا بكر، أمَا تعلمُ أنَّك عندي بمنزلة سمعي وبصري» ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ كمصعب بن عمير، قتلَ أخاه يوم أحد عبيد بن عمير ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ كعمر وحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث؛ قتلَ عمرُ خالَه العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وقتل عليٌّ وحمزة وعبيدة بن الحارث عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[2].

وروي أنَّ رسول الله ﷺ شربَ الماءَ، فقال عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ: يا رسول الله، أبقِ فَضلةً من شرابِكَ، قال: «وما تصنع به؟»، قال: أسقي بها[3] أبي لعلَّ الله تعالى يطهِّرُ بها قلبَه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فَضلةٌ مِن شراب رسول الله ﷺ جئْتُكَ بها لتشربَها لعلَّ اللهَ يطهِّرُ قلبَك، فقال أبوه: هلَّا جئْتَني ببول أمِّك، فرجعَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذنْ لي في قتل أبي، فقال رسول الله ﷺ: «بل ترفُقُ به وتحسِنُ إليه»[4].

---

(١) الرعلة: القطعة من الخيل والفرسان. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: رعل). أو الجماعة المتقدمة من الخيل. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (١/ ٣٦٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٥) والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٦٣)، من طريق مقاتل بن حيّان، عن مرّة الهمذاني، عن عبد الله بن مسعود. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٨) من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٣) في (أ): «أبتغي بها»، وفي (ر): «أشفي به».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤) عن السدي.

وقال ابن جريج: حُدِّثْتُ أنَّ أبا قُحافةَ سَبَّ النَّبيَّ ﷺ، فصكَّهُ أبو بكر رضي الله عنه صَكَّةً سقطَ منها، ثمَّ ذكرَ ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «أوفعلتَه؟»، قال: نعم، قال: «فلا تعدْ إليه»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «واللهِ لو كان السَّيفُ قريبًا منِّي لقتلتُه»، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: أي: أثبتَه فرسخَ فيها حتَّى استبصروا فيه، فهجروا له الأوطان، ونابذوا العشائر والخلان.

﴿وَأَيَّدَهُم﴾؛ أي: قوَّاهم ﴿بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾؛ أي: بكتابٍ أنزلَه فيه حياةٌ لهم.

وقيل: أي: ببرهانٍ منه ونورٍ وهدًى.

وقيل: أي: نصرهم جبريلُ على كثيرٍ ممَّن حاربَهم.

﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ﴾: أي: في الآخرة ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: رضي عنهم بقَبول أعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾؛ أي: بما أعطاهم من الثَّواب على أعمالهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾: المتحزِّبون لنصر دينِه، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الفائزون بكلِّ محبوبٍ، الآمنون من كلِّ مرهوب.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٤).
قال الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٧): الأكثرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وإخباره أهل مكة بمسير النبي ﷺ إليهم لما أراد فتح مكة، وتلك القصة معروفة، وهذا قول مقاتل واختيار الفراء والزجاج.

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله مُخزي الفاسقين والكفَّار، الرحمنِ مُعلِي المهاجرين والأنصار، الرحيمِ مُميِّزِ أصحاب الجنَّة من أصحاب النَّار.

روى أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سورةَ الحشرِ لم يبقَ جنَّة ولا نارٌ ولا عرشٌ ولا كرسيٌّ ولا الحُجُب ولا السَّماوات السَّبع ولا الأرضون السَّبع ولا الهواء ولا الرِّيح ولا الطَّير والنُّجوم والشَّجر والجبال والشَّمس والقمر ولا الملائكة إلَّا صلَّوا عليه واستغفروا له، فإنْ هو ماتَ يوم تلاها أو ليلة تلاها ماتَ شهيدًا»(١).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي أربع وعشرون آية، وأربعُ مئة وخمس وأربعون كلمة، وألفٌ وتسعُ مئة وخمسة عشر حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأول هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك السُّورة في ذكر حزب الله، وأوَّلَ هذه في تسبيح كلِّ الخلق لله(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٦٩). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «في تسبيح كل الخلائق».

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك أوَّلها في تخفيف الأحكام على المؤمنين، وأوَّل هذه في التَّشديد في الدُّنيا والآخرة على الكافرين.

وبقيَّة تلك في ذكر المخلصين والمنافقين، وبقيَّة هذه في ذكر تقسيم المخلصين وذكر أحوال المنافقين.

وختمُ تلك في مدح أولياء الله تعالى، وختمُ هذه في بيان أسماء الله تعالى.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: هو على ما فسَّرناه في أوَّل (سورة الحديد).

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: هذا بيانُ قصَّة بني النَّضير وإجلائهم.

ذكرَ أصحابُ المغازي: أنَّ عَمرو بن أميَّة قتلَ رجلين من المشركين من بني عامر بن صعصعة كان وادعَهما رسول الله ﷺ وهو لا يعلم، فلمَّا أخبرَ رسولَ الله ﷺ بذلك قال: «بئسما صنعْتَ، قد كان لهما منَّا أمان»، قال: ما شعرْتُ، فأرسلَ عامرُ بن الطُّفيل إلى رسول الله ﷺ يلتمس منه ديتَهما، فخرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النَّضير ـ وكانوا حلفاء لبني عامر ـ يستعين بهم في ديتهما، فتآمر بنو النَّضير في اغتياله، وكان قاعدًا في نفرٍ من أصحابه تحت ظلِّ جدارٍ، فأراد اليهود أن يطرحوا عليه صخرةً،

فعلم بذلك رسولُ الله ﷺ، وتوجَّه إلى المدينة من غير أن يخبرهم بذلك، ونهضَ كأنَّه يريد حاجةً، فلمَّا أبطأ عليهم تبعوه فلم يلحقوه إلَّا بالمدينة، فأخبرهم بذلك.

ودعا محمَّدَ بن مسلمة وقال: «اذهب إلى يهود بني النَّضير، وقل لهم: اخرجوا من بلدي»، فأبوا واستعدُّوا له، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يومًا، وأرسل لهم المنافقون: إنَّا معكم إنْ قُوتِلْتُم، وعلينا لكم النَّصر، فلم يمكِّنهم رسول الله ﷺ من القتال[١] في دورهم وحصونهم، وأمر بالأدنى فالأدنى من دورهم وحصونهم أنْ تُهدَم، وبالنَّخيل أن تُقطَع وتُحرَّق، وألقى الله في قلوبهم الرُّعب.

وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم ممَّا يليهم[٢]، والمسلمون يخربون ممَّا يليهم، حتى وقعَ الصُّلح، وأجلاهم رسولُ الله ﷺ على أن يحملوا من أموالهم ما استقلَّت الإبل، حتَّى كان الرَّجل يهدمُ بابَ دارِه ليُحمل على بعيره.

فمنهم مَن خرج إلى خيبر، ومنهم مَن خرج إلى الشَّام وإلى أذرعات، وحملوا النِّساء والصِّبيان والأموال سوى السِّلاح، وشقُّوا سوق المدينة في ستِّ مئة بعير متزيِّنين، يضربون بالدُّفوف والمزامير، يُظهرون[٣] التَّجلُّد، وقبضَ رسولُ الله ﷺ أموالهم وسلاحهم[٤].

وقيل: لَمَّا دخل رسول الله ﷺ المدينة صالحَ بني النَّضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلهم ولا يقاتلوا معه، فلمَّا غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين قالت

---

(١) في (ر): «بالقتال» بدل: «من القتال».

(٢) بعدها في (ر): «بأيديهم».

(٣) في (ر): «وأهل المدينة يظهرون».

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٣)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢٣٤).

بنو النَّضير: إنَّه والله للنَّبي الذي سمعنا به، ووجدنا نعته في التَّوراة، لا يردُّ له راية، فلمَّا غزا رسول الله ﷺ من قابلٍ أحداً وهُزم المسلمون ارتابوا، وأظهروا العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، ونقضوا العهد.

فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا من اليهود إلى مكَّة، فأتوا قريشًا، فحالفوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمَّد ﷺ، ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه لعنهم الله إلى المدينة، ونزل جبريل صلوات الله عليه على النَّبيِّ ﷺ وأخبره بذلك، وأمرَه الله تعالى بقتل كعب بن الأشرف، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «أمرني الله تعالى بقتل كعب بن الأشرف فاقتلوه».

وانتدبَ قومٌ فيهم محمَّد بن مسلمة، فذهبوا وقتلوه ليلًا، وله قصَّة، فأصبح رسول الله ﷺ وأمر النَّاس بالمسير إلى بني النَّضير، فجاء وحاصروهم في رواية إحدى وعشرين ليلة(١).

وقال محمَّد بن إسحاق: جلاء بني النَّضير كان مرجعَ النَّبيِّ ﷺ من أُحُد، وكان فتحُ بني قريظة مرجعَه من الأحزاب، وبينهما سنتان.

وأجلاهم رسول الله ﷺ على أن يحمل كلُّ ثلاثةِ أهلِ أبياتٍ على بعيرٍ واحد ما شاؤوا، وما تركوا فلرسول الله ﷺ وأصحابه، فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: سلَّط رسولَه عليه السلام والمؤمنين على إخراجهم ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: قيل: إنَّ النَّاس يُحشرون في الآخرة إلى أرض الشَّام، فكان حشر اليهود إليها الآن أوَّل الحشر.

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣١٧)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢١٤). وقصة قتل كعب بن الأشرف عند البخاري (٤٠٣٧).

وقيل: هم أوَّل مَن حُشَر وأُخرج من جزيرة العرب.

وقال مرَّة الهمداني: كان أوَّلُ الحشر من المدينة، والحشرُ الثَّاني من خيبر إلى أريحا وأذرعات على يدي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه[١].

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾: ما كنتم تظنُّون أيُّها المسلمون ﴿أَن يَخْرُجُوا﴾؛ أي: أن يضطرَّ هؤلاء إلى الخروج؛ لمنَعَتهم وعِدَّتهم وكثرةِ حلفائهم وأعوانهم.

﴿وَظَنُّوا﴾: أي: هؤلاء اليهود ﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: تمنعهم وتدفع عنهم حصونهم من رسول الله ﷺ وأولياءِ الله.

﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾: أي: أتاهم عذاب الله، أو أتاهم الله بعذابه من حيث لم يتوهَّموا.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: أي: الخوفَ من النَّبيِّ ﷺ أن يأخذَهم، فيقتلَهم ويسبيَ ذراريهم ويَغنم أموالهم.

وقيل: قذفُ الرُّعب كان بسبب قتل كعب بن الأشرف، وكانوا لا يقدِّرون ذلك في أنفسهم ولا يصوِّرونه.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾: قرأ أبو عَمرو: ﴿يُخَرِّبونَ﴾ بالتَّشديد، والباقون بالتَّخفيف[٢].

قيل: هما لغتان، كما يقال: أمهلَ ومهَّل، وأخبر وخبَّر.

وقيل: التَّخريب: الهدم، والإخراب: تركه لا ساكن فيه والانتقالُ عنه، قاله الفرَّاء، وحكاه عن أبي عمرو[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩).

(٣) انظر: «معاني القراء» للفراء (٣/ ١٤٣)، وليس فيه أنه عن أبي عمرو.

ومعنى الآية عند بعضهم: أنَّ اليهود كانوا ينقضون ما أعجبهم من أبنية دورِهم، وخشبِها من الأبواب والعُمُد ونحوها ليحملوه معهم، فكان هذا تخريبًا منهم بأيديهم، وكان المؤمنون يخربون الأوَّل فالأوَّل، ليتمكَّنوا من مواضع الحرب، هو معنى قول الزُّهري وابن إسحاق والواقدي وابن زيد(١).

وقال عكرمة: كانت بيوتهم مزخرفةً، فحسدوا أن يسكنها المسلمون، فجعلوا يخربونها من داخل، والمؤمنون من خارج(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾: أي: تأمَّلوا يا أولي البصائر ما نزلَ بهؤلاء، والسَّببَ الذي استحقُّوا به ذلك، فاحذروا أن تفعلوا مثلَ فعلهم فتُعاقبوا بمثل عقوبتهم.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: ولولا أنْ قضى الله وكتبَ في أمِّ الكتاب وأَخبر أنَّه سيُجليهم عن ديارهم لِمَا علمَ أنَّ منهم مَن يؤمنُ أو يلدُ مؤمنًا ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بأن يأمرَكم بقتلهم وأسرهم واسترقاقهم.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ الذي هو لا أشدَّ منه، فليس تأخير العذاب عنهم للعجز، لكنَّ العذاب مُعَدٌّ لهم في الآخرة بأشدِّ ما يكون.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٨٥) عن الزهري، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) عن الزهري وابن زيد.

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٠).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: هـذه العـذابُ بأنَّهـم خالفـوا اللهَ وعـادَوه، ورسـولَه أيضًا.

﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: هي سُنَّته في جميع الكفرة.

* * *

(٥) ـ ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: قال ابن عبَّاس وقتادة: هي كلُّ نخلةٍ لينةٍ سوى العجوةِ(١).

وقال سفيان: هي كرام النَّخل(٢).

وأصلها الواو، وواحدها: اللَّوْن(٣).

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾: لم تقطعوها.

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: فذلك بإطلاق الله تعالى، لم يمنعْكُم عنه ولم يحرِّمْه عليكم.

﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: ولإخزاء اليهود ـ أي: إذلالهم وغيظهم ـ أذِن بذلك.

وقال الواقديُّ: كان رسول الله ﷺ قد استعمل على قطعِ نخيلهم أبا ليلى المازنيَّ وعبد الله بن سلام، وكان أبو ليلى يقطع العجوة، وكان ابن سلام يقطع اللَّون، فقال لهم بنو النَّضير: أنتم مسلمون، ما يحلُّ لكم قطع النَّخيل.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والزهري ويزيد بن رومان. ولعل الأحسن في عبارة المصنف حذف «هي» أو «لينة»، كما يظهر من الأخبار المذكورة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠٩).

(٣) كذا قال، وفي كتب اللغة العكس؛ أي: اللون جمع واحدته لينة. انظر: «الصحاح» و«النهاية» و«القاموس» (مادة: لون).

فاختلف أصحابُ رسول الله ﷺ؛ فقال بعضهم: نقطع، وبعضهم: لا نقطع، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: ألوان النخيل سوى العجوة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ قال: العجوة ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يقول: يغيظهم ما قطع من النخيل[1].

وقال مقاتل: كان النَّبيُّ ﷺ أمَر بقطع النَّخيل وتحريقها إلَّا ضربًا منها يُقال لها: العجوة، شديدَ الصُّفرة، يُرى نواه من اللِّحاء، من أجود التَّمر، يغيب فيه الضِّرس، النَّخلةُ منها أحبُّ إليهم من وَصيف، فجزع أعداء الله عند القطع، فقالوا: يا محمَّد، أوجدْتَ فيما أُنزل عليك الفساد في الأرض أو الصَّلاح؟ فأكثروا فيه القول، وأكثرَ المسلمون ندامةً[2] على قطعهم خشية أن يكون فسادًا، فأنزل الله تعالى الآية[3]، واستصوبَ ذلك كلَّه منهم لحسن نيَّتهم في ذلك، فمَن ترَكَ العجوة وهي أجود التَّمر فلتبقى للمسلمين، ومَن قطعها فلزيادة غيظ على الكافرين.

* * *

(٦) ـ ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: أي: ما غنمْتُم. والفيءُ: الغنيمةُ تفيء إلى المسلمين؛ أي: ترجع.

﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من هؤلاء اليهود.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: فلم يكن ذلك بإيجافِ خيلٍ أو ركاب

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٨١).

(٢) في «تفسير مقاتل»: «ووجد المسلمون ذمامة».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٧٧).

منكم على ذلك. والإيجافُ: تعدية الوجيف، وقد وجفَ البعيرُ يَجِفُ وَجِيفًا؛ أي: سارَ بتحرُّكٍ واضطرابٍ، وأوجفَه راكبُه.

ومعناه: فما أزعجْتُم عليه خيلًا ولا ركابًا، ولا أزعجتُم إليه شيئًا من ذلك؛ أي: لم يحصل ذلك بسعيكم وعملكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أشار إلى أنَّ اللهَ تعالى يسلِّط رسلَه عليهم، بأن ألقى رعبَه في قلوبِهم، فهابُوه وأذعنوا للجلاء وتركِ الأموال، فجرى سلطان الرَّسول عليهم بتسليط الله تعالى، وذلك سُنَّته في رسله الماضين، كان يسلِّطهم على مَن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: من هذا وغيره.

وقال الواقديُّ: كانت أموال بني النَّضير للنَّبيِّ ﷺ خاصَّة، لم يخمسها[1]، أعطى منها المهاجرين، ولم يعطِ منها الأنصار، إلَّا رجلين محتاجَين: سهل بن حنيف وأبا دجانة، ونفَّل سعد بن معاذ سيف بن أبي الحُقَيق، وكان سيفًا له ذكرٌ عندهم.

وقال عمر رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: ألا تخمِّسُ يا رسولَ الله ما أصبْتَ من بني النَّضير كما خمَّسْتَ ما أصبْتَ مِن بدر؟ فقال ﷺ: «لا أجعلُ شيئًا جعلَه الله لي دون المؤمنين»، لقوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾[2].

* * *

(٧) ـ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

(١) في (ر): «يقسمها».

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩).

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾: قيل: هي فَدَك وبنو النَّضير وبنو قريظةَ وخيبر.

﴿فَلِلَّهِ﴾: أي: فهي للهِ، يأمركم فيها بما أحبَّ.

وقال الزُّهريُّ: كانت بنو النَّضير للنَّبيِّ ﷺ خالصةً لم يفتحوها عنوةً، ولكن افتتحوها على صلحٍ، فقسمَها بين المهاجرين[1].

﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؛ يعني: قرابةَ رسول الله ﷺ ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وقال عمر رضي الله عنه: كان لرسول الله ﷺ ثلاثُ صفايا: بنو النضير وفدكٌ وخيبرُ؛ فأمَّا بنو النَّضير فكانت حبسًا لنوائبه، وأمَّا فَدَكٌ فكانت لابن السَّبيل، وأمَّا خيبرُ فجزَّأها ثلاثة أجزاء، فقسم جزأين بين المسلمين، وحبَسَ جزءًا للنَّفقة، فما فضلَ عن أهلِه ردَّه على فقراء المسلمين[2].

وعلى هذا القول: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ موصولٌ بالأوَّل، وإن لم يكن فيه واو العطف، كما يقال: هذا المال لزيد لعمرو ولبكر.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هذا مبتدأ، وهو في غنائم كلِّ قرية تفتح وتُؤخَذ بقوَّة الغزاة[3]، وفي الآيةِ بيانُ مصرفِ خُمسِها.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٩٦٧).

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وهو اختيار ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٢١٤) قال: (قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وهذا كلامٌ مُبتدَأٌ غيرُ الأولِ لمستحِقٍّ غيرِ الأولِ...) إلى آخر ما قال، واستحسنه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٠).

وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ﴾: هو للتَّبرُّك باسمه، وقيل: سهم الله تعالى يصرف إلى أسلحة الغزاة.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: له خمس الخمس.

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وقد سقط سهمهم بإجماع الصَّحابة.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: هم مصارف الخمس، وأربعة أخماسها للغانمين، ولم يذكره في هذه الآية، وقد ذُكِرَ مثل ذلك في (سورة الأنفال)، وهو قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، وإذا بيَّنَ مصرف الخمس تعيَّنَ الباقي للغانمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١] فلمَّا بيَّنَ نصيبَ الأمِّ تعيَّنَ الباقي للأب، فكذا هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: أي: متداولًا؛ أي: تولَّى اللهُ قسمةَ ذلك لئلَّا يختصَّ بأخذه الأغنياء يتداولونه بينهم دون الفقراء ومصارف الخمس.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: أي: وما أعطاكم من الغنيمة فاقبلوه ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾؛ أي: عن أخذه ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما والحسن رحمه الله: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: هو الغُلول(١).

وقيل: هو عامٌّ في كلِّ ما أتى به النَّبيُّ ﷺ من الأحكام: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾؛ أي: ما أتاكم به، كما قال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]؛ أي: ائتنا بغذائنا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٢٢) عن الحسن. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن ابن عبَّاس وابن مسعود والحسن أنَّهم حملوا على[١] هذا العموم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ﴾: لمن عصاه، ولا اتَّقاه.

* * *

(٨) ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾: قيل: هو معطوف[٣] على الأوَّل بغيرِ واوٍ، وقد مرَّ أنَّه جائز.

وقيل: تقديره: كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم ويكونَ للفقراء المهاجرين.

وقيل: هو ترجمة عن قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ دليلٌ لأصحابنا في أنَّ الكفَّار يملكون أموال المسلمين بالاستيلاء عليها، فإنَّ الله تعالى سمَّى المهاجرين فقراء ـ مع أنَّه كانت لهم ديارٌ وأموالٌ ـ بعدما أُخرجوا من ديارهم وأموالهم واستولَى عليها الكفَّار.

---

(١) «وابن مسعود والحسن أنهم حملوا على» ليس في (أ).

(٢) رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥)، ولفظ البخاري: عن علقمة قال: لعن عبد الله الواشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله، وفي كتاب الله؟ قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته، قال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾.

(٣) في (أ): «عطف».

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يطلبون بهجرتهم فضلًا من الله وثوابَ الآخرة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: رضًا عنهم، فلا يؤاخذُهم بالتَّقصير.

وقيل: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: غنيمةً في الدُّنيا ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: في العُقبى.

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: أي: ينصرون دين الله، ويُعِينون رسول الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: المحقِّقون أقوالَهم بأفعالهم.

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قيل: هو عطف على قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ في استحقاق الغنيمة.

وقيل: هو مبتدأ، وتقديرُه: الفيء لكذا وللمهاجرين، والأنصار لا يحسدونهم على هذا الاستحقاق، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾؛ أي: اتَّخذوا المدينة مسكنًا، نزلها الأنصار قبل المهاجرين.

﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ أي: وتبوَّؤوا الإيمان بالمدينة.

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: آمنوا قبل هجرة النَّبيّ ﷺ وأصحابه إليهم، فقد روي: قَلَّتْ دار بالمدينة إلَّا كان الإسلام دخلَها قبلَ قدوم النَّبيِّ ﷺ، وكانوا قد صلَّوا صلاة الجمعة قبلَ قدومهم.

ومعنى قوله: (تبوءوا الإيمان)؛ أي: تمكَّنوا منه، واستقرُّوا فيه كما يستقرُّ

الإنسانُ في المكان إذا تبوَّأَهُ، ومعنى: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: من قبل قدومِهم، لا من قبل إيمانهم.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾: من أهل مكَّة وغيرهم، ومن محبَّتهم إيَّاهم أن نزلوا لهم عن نسائهم، وشاطروهم في أموالهم ومساكنهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾: ولا يجدُ الأنصارُ في قلوبهم حسدًا ممَّا أوتيَ المهاجرون من الفيء.

والحاجة: الشرك، والحسدُ في القلب يعمل عملَها في الجسد.

وقيل: أي: احتياجًا إليه حتى يحملَهم ذلك على الضِّنِّ به.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: يختارون على أنفسهم المهاجرين ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؛ أي: فقر وحاجة.

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا غَنِم بني النَّضير دعا ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس فقال: «ادعُ لي قومك»، قال: الخزرجُ يا رسول الله؟ قال: «الأنصار كلَّها»، فدعا له الأوس والخزرج، فتكلَّم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالَهم إيَّاهم في منازلهم وأموالهم، ثم قال: «إنْ أحببْتُم قسمْتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النَّضير، فكان المهاجرون على ما هم عليه من السُّكنى في مساكنكم وأموالكم[1]، وإن أحببْتُم أعطيْتُهم وخرجوا من دورِكُم».

فتكلَّم سعدُ بن عبادة وسعدُ بن معاذ رضي الله عنهما فقالوا: يا رسول الله، بل يُقسَم بين المهاجرين، ويكونون في دورنا، فنادَتِ الأنصارُ: رضيْنا وسلَّمنا يا رسول الله،

---

(١) في (أ) و(ر): «مساكنهم وأموالهم».

فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم ارحمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ»، فأعطى رسولُ اللهِ ﷺ المهاجرين، ولم يعطِ الأنصارَ، إلَّا ما أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: أي: ومَن وقاه اللهُ بخلَ نفسِه، فلم يَضَنَّ بعَرَضِ الدُّنيا وبذَلَهُ لأولياءِ الله تعالى ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ جمع مع إفراد قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾؛ لأنَّه جنسٌ، فكان واحدًا لفظًا جمعًا معنى.

وقيل: في قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: لم يقلْ: (ومَن يتق)؛ تنبيهًا على أنَّ هذا أمرٌ لا يتأتَّى بالتَّكلُّف[2].

وقيل: الشُّحُّ: اجتماعُ البخل والحرص والشَّره.

وقيل: هو أن لا يكون فيه نفعٌ لأحدٍ، من قولهم: زَندٌ شَحاحٌ: إذا كان لا يُوْرِي نارًا.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: مَن أعطى في النَّائبة وقَرَى الضَّيفَ فقد وُقي شُحَّ نفسِه.

وعن أبي المتوكِّل النَّاجي: أنَّ رجلًا من المسلمين غَبَرَ[3] ثلاثةَ أيَّامٍ صائمًا، يمسي فلا يجدُ ما يفطر عليه فيصبح صائمًا، حتى فطنَ به رجلٌ من الأنصار، يُقال له: ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس، فقال لأهله: إنِّي أجيء الليلة بضيفٍ، فإذا وضعْتُم طعامَكم فلْيَقُمْ أحدُكم إلى السِّراج كأنَّه يصلِحُه فلْيُطفئْه، ثم اضربوا بأيديكم إلى الطَّعام كأنَّكم تأكلون، فلا تأكلوا، حتَّى يشبعَ ضيفُنا، فلمَّا أمسى ذهبَ به، فوضعوا

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٢٠) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.

(٢) في (ر) و(ف): «بالتكليف».

(٣) غبر: بقي. انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: غبر).

طعامَهم، فقامت امرأتُه إلى السِّراج كأنَّها تصلحُه فأطفأته، وجعلوا يضربون بأيديهم إلى الطَّعام كأنهم يأكلون ولا يأكلون، فلمَّا أصبحَ ثابتٌ غدا إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال له نبيُّ الله: «لقد عجِبَ اللهُ البارحةَ من صنيعكم»؛ أي: رضي غاية الرِّضا، ونزل فيهم هذه الآية[1].

وقال أنس: أُهدي لبعض الصَّحابة رأسُ شاةٍ مشويٍّ، وكان مجهودًا، فوجَّهَ به إلى جارٍ له، فتداوَلَتْهُ تسعة أنفسٍ، ثم عاد إلى الأوَّل، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾[2].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: هم التَّابعون بإحسان.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾: أي: الصَّحابةِ ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لسَبْق زمانهم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (١١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٦) إلى مسدد في «مسنده» وابن المنذر.
وروى البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) نحو هذه القصة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بإبهام الرجل المضيف.
قال ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١١٩): (زعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس، وقد أورد ذلك ابن بشكوال من طريق أبي جعفر بن النحاس بسند له عن أبي المتوكل الناجي مرسلًا، ورواه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» ولكن سياقه يشعر بأنها قصة أخرى)، ثم قال: (وهذا لا يمنع التعدد في الصنيع مع الضيف وفي نزول الآية).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢١٥).

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: أي: حقدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: الصَّحابةِ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: قال قتادة: إنما أُمرتم أن تستغفروا لأصحاب محمَّد، ولم تُؤمَروا بسبِّهم(١).

قالوا: علمَ اللهُ تعالى أنَّه يقعُ بين الصَّحابة أشياءُ، ثم يُذكَر ذلك لمن بعدهم، وربَّما يقعُ في قلوبِ بعضِهم كراهةَ(٢) بعض ذلك، فتتغيَّرُ عليهم قلوبُهم، فأمر الله تعالى بالاستغفار لهم، ونبَّههم على أن ذلك ممَّا يرجى عفو الله عنه، ويجبُ على مَن بعدَهم حُسنُ الاعتقاد فيهم، وحسنُ الدُّعاء لهم.

وقيل لسعيد بن المسيِّب: ما تقولُ في عثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزُّبير؟ قال: أقول ما قوَّلنيه الله تعالى، وتلا هذه الآية(٣).

وسمعَ ابنُ عمرَ رجلًا يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، وقال: هؤلاء المهاجرون أفيهم أنت؟ قال: لا، ثمَّ تلا عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ الآية، وقال: هؤلاء الأنصار أفيهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثمَّ قال: أمِن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: ليس من هؤلاء مَن يسبُّ هؤلاء(٤).

وكان عمر رضي الله عنه يجعلُ الفيء لكلِّ هؤلاء الأصناف، ويجعل بعضها معطوفًا على البعض؛ روي عن مالك بن أوسِ بن الحَدَثَان قال: قرأ عمرُ رضي الله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآية، وقال: هذه لهؤلاء، ثمَّ قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١٠٥).

(٢) في (ف): «كراهية».

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٣١)، والزمخشري في «الفائق» (٣/ ٢٣٥).

(٤) رواه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١١٣).

﴿مِن شَيْءٍ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، ثم قال: هذه استوعبَتِ المسلمين عامَّة، فلئِنْ عشْتُ ليأتينَّ الرَّاعي وهو بِسَرْوِ حِمْيَرَ نصيبَهُ منها، لم يعرق فيه جبينُه[1].

وبهذه الآيات أيضًا احتجَّ في وضع الخراج في سواد العراق، وترك قسمَتها بين الغانمين، وإنْ كان بلال وأصحابه يجادلونه في ذلك، وقال لهم: إنِّي وجدْتُ في كتاب الله تعالى ما يغنيني عن موافقتكم، وقرأ هذه الآيات، وجعلها خراجيَّة؛ ليصل ذلك إلى جميع المسلمين قرنًا بعد قرن[2].

***

(١١) ـ ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾: هو ما ذكرنا من قول عبد الله بن أبيٍّ المنافق وأصحابه لعنهم الله لبني النَّضير: لئن أُخرجتم عن أرضكم لنخرجنَّ معكم، ولا نفترق في سفر ولا حضر.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾: أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا﴾ سألَنا ذلك ﴿أَبَدًا﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٠)، وأبو عبيد في «الأموال» (٥٢٦)، وابن زنجويه في «الأموال» (٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٦). وبنحوه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/ ٢٨٢)، و«الاستذكار» لابن عبد البر (٧/ ٣٨).

وعَدُوهم الموافقةَ على الجلاء إنْ رأوا الصَّواب لأنفسهم في ذلك بترك[١] قتالهم المسلمين.

﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾: أي: وإنْ رأيْتُم الصَّواب لأنفسكم في قتال محمَّدٍ وأصحابه ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾؛ أي: لنعيننَّكم على قتاله.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: أي: في هذا الوعد.

* * *

(١٢) - ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾: بل يَثبتون في أوطانهم، ويُظهرون للمؤمنين أنهم معهم.

﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾: بل يخذلونهم.

﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: أي: لينهزمُنَّ فلا يقومون للمؤمنين.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: وهذا دلالة على صدقِ رسول الله ﷺ في دعوى النُّبوَّة؛ فإنَّه أخبرَ عمَّا لم يكن بعدُ فخرجَ على ما أخبرَ، فعُلِمَ أنَّه بالله علِم ذلك، أُخرج[٢] بنو النضير فلم يخرجوا معهم، وقُوتل بنو قريظة فلم ينصروهم.

ثم قوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ وهذا إخبارٌ عمَّا لم يكن أنَّه لو كان كيف كان يكون، كما في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١].

---

(١) في (أ) و(ر): «ترك».

(٢) في (ر): «ثم أخرجوا».

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾: أي: إنَّكم يا معشرَ المخلِصين في قلوب المنافقين أهيَبُ مِن الله تعالى، فكيف يثبتون لكم؟

وهذا تثبيتٌ من الله تعالى للمؤمنين، وبشارةٌ من الله تعالى بانهزامِ هؤلاء المنافقين لو قاتلوهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لسوءِ تمييزهم، ولو ميَّزوا الأمور بعقولهم لعلموا أنَّ الله تعالى أحقُّ بأنْ يُهاب.

قوله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾: أي: هؤلاء المنافقون والكفَّار وإن كانوا مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالحيطان والأسوار والدُّروب والأبواب؛ لجبنهم، يقدِّرون أنَّها تمنعُهم منكم، كما توهَّم بنو النَّضير أنَّ حصونَهم مانعتُهم من الله.

﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: أي: أو من خلفِ حيطان، جمع جدار، يستترون بها، يرمونكم بِنَبْلٍ أو حجارةٍ.

وهذا تقويةٌ من الله تعالى للمؤمنين، وبيانٌ أنَّ هؤلاء ليسوا كالمشركين الذين قاتلوكم ببدر مُصْحرين(١)، وقد نصركم الله على أولئك، فكيف بهؤلاء؟

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: قيل: أي: إذا لم يكن يَلْقَوا العدوَّ وصفوا أنفسهم بالشِّدة؛ أي: بأسهُم عند أنفسِهم شديد.

---

(١) مصحرين: بارزين في الصحراء. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: صحر).

وقال مجاهد: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ بالكلام بالوعيد: لنفعلنَّ كذا، ولنفعلنَّ كذا[١].

وقيل: معناه: عداوتُهم بعضَهم بعضًا فيما بينَهم شديدةٌ، كما يُقال: ألقى اللهُ بأسَهم بينَهم، وهذا تهويلٌ من الله لأمرِهم؛ لأنَّهم إذا كانوا متعادِين حرَّض بعضُهم على هلاكِ بعضٍ، فلم يتعاونوا على غيرهم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: مجتمعين على رأيٍ واحد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾؛ أي: ضمائرهم مختلفة؛ لاختلافِ أهوائهم وأهواء المنافقين، فلا يبالِي المنافقون بهلاكِ الكفَّار، ولا الكفَّارُ بهلاك المنافقين[٢].

وقيل: قلوب المنافقين شتَّى لأنَّه ليس لهم دينٌ جامع.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: أي: لا يستعملون عقولَهم في التَّوحيد والنُّبوة، فيتَّفقون على دينٍ واحد.

وقيل: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه حظُّهم ممَّا فيه نقصهم.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: أي: مَثَلُ هؤلاء في خيبة ظنونهم وجلائهم عن أوطانهم كمثل الذين من قبلهم قريبًا منهم، وهم يهود بني قينقاع، وقد مرَّت قصَّتهم في (سورة آل عمران)، كذا فسَّره ابن عبَّاس والواقديُّ ومحمَّد بن إسحاق[٣].

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٨)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٨٨).

(٢) في (أ) و(ف): «فلا يبالي المنافق بهلاك الكتابي ولا الكتابي بهلاك المنافق».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٣٨٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٥).

﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: يعني: بنو النَّضير ذاقوا وبال بغيهم على النَّبيِّ ﷺ، والتَّكثُّر بجمعهم وأموالهم.

وقال مجاهد: هم الذين قُتلوا ببدر[1].

وقيل: أي: مَثَل هؤلاء في الاعتماد على المنافقين والاغترارِ بهم كمَثَل مشركي قريش في اغترارهم بالشَّيطان إذ قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨].

وقيل: أي: مَثَل هؤلاء كمَثَل الأمم الذين من قبلهم، كذَّبوا أنبياءَهم، وتمرَّدوا على ربِّهم، ممَّن كان قريبًا إهلاكُ الله إيَّاهم لم يَبْعدْ عنهم. هذا معنى قول الحسن.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

و﴿قَرِيبًا﴾ صلةُ ﴿ذَاقُوا۟﴾ على هذا القول، وهو قربُ الزَّمان من هؤلاء على الأقاويل المتقدمة.

ومعنى: ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: قاسوا ضرر معصيتهم.

وقيل: الآية في شأن بني قريظة، وتشبيهِ حالهم ببني النَّضير.

قال الكلبيُّ رحمه الله: لَمَّا سار أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ في الأحزاب غدر بنو قريظة بنبيِّ اللهِ، ونقضوا العهد، فلمَّا هُزِمَ الأحزابُ أمرَ الله نبيَّه بقتال بني قريظة، فأرسل المنافقون إليهم وقالوا: إنْ أرادَ محمَّدٌ أن يخرجَكم كما أخرج بني النَّضير فلا تخرجوا، فوالله إنْ أخرجْتُم لنخرجنَّ معكم، وإنْ قوتلْتُم لننصرنَّكم، فغرَّهم ذلك، ولزموا حصنهم، وقاتلوا رسول الله ﷺ قريبًا من شهرٍ، ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي: في قلوب المنافقين فلم ينصروهم، فلمَّا رأى اليهودُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٠)، ولفظه: «كفار قريش».

ذلك وأيسوا من نصر المنافقين نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم بقتل مُقاتلتهم وسبي ذراريهم، وقسم أموالهم بين المهاجرين والأنصار، فقال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ﴾ وهم بنو النَّضير؛ لأنَّه كان بينَ الأمرين سنتان، وكانوا جميعًا بالمدينة[1].

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: قيل: معناه: وكمثل الشَّيطان، كما قلنا في قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾: إنَّ معناه: وللفقراء.

وفي قراءة عبد الله: (أو كَمَثَلِ الشَّيطانِ)[2].

وقيل: معناه: ذاقوا وبال أمرهم كمثل الشَّيطان.

وقيل: معناه: اغترار هؤلاء بالمنافقين كاغترار الإنسان بالشَّيطان.

﴿إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾: قيل: هو للجنس، والمراد منه كلُّ كافر.

﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: وهو كقوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال مجاهدٌ رحمه الله: هي عامَّة للنَّاس[3].

---

(١) ذكر نحوه مختصرًا الماوردي في «تفسيره» (٩/ ٥٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤) دون نسبة.

(٢) لم أجدها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٤).

وقيل: هو إنسان بعينه، واختلفت الرِّوايات فيه:

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان هذا الإنسان راهبًا في بني إسرائيل يعبدُ الله تعالى، ويُحْسِن عبادَتَه، وكان يُؤتَى من كلِّ أرضٍ فيُسألَ عن الفقه، وكان عالمًا، وإنَّ ثلاثة إخوةٍ كانت لهم أختٌ حسناء من أحسن النَّاس[1]، وإنَّهم أرادوا أن يسافروا، وكبر عليهم أن يذَروها[2] ضائعة، فجعلوا يأتمرون ما يفعلون، فقال أحدهم: أنا أدلُّكم على مَن تتركونها عنده، فقالوا: مَن؟ قال: راهبُ بني إسرائيل، إن ماتَتْ قام عليها، وإن عاشَتْ حفظها حتَّى ترجعوا إليه، فعمدوا إليه، فقالوا: إنَّا نريد السَّفر، ولن نجدَ أحدًا أوثقَ في أنفسِنا ولا أحفظَ لها منك؛ لِمَا جعل الله عندك، فإن رأيْتَ ذلك خلَّفْنا[3] أختنا عندك، فإنها ضائعة شديدة الوجع، فإن ماتَتْ فقم عليها، وإن عاشَتْ فأصلح إليها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله، وإنهم انطلقوا، فقام عليها فداواها حتى برأت، وعاد إليها حسنها، وإنَّه اطَّلع عليها فوجدها متصنِّعة، فلم يزل به الشَّيطان يزيِّن له حتى واقعَها، فحملَتْ، ثم ندَّمه الشَّيطان، فزيَّن له قتلَها، وقال: إنْ لم تفعل افتضحْتَ وعُرف شبهُك[4] فلم يكن لك معذرةٌ، فلم يزلْ به حتى قتلَها، فلمَّا قدمَ إخوتها سألوه: ما فعلَتْ فلانة؟ قال: ماتَتْ فدفنتُها، قالوا: قد أحسنْتَ، فجعلوا يرون في المنام يُخبَرون أنَّ الرَّاهب قد قتلَها، وأنَّها تحت شجرة كذا وكذا، وأنَّهم عمدوا إلى الشَّجرة فوجدوها قد قُتلَتْ، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال الشَّيطان: أنا الذي زيَّنْتُ لك الزِّنى، وزيَّنْتُ لك قتلَها بعد الزِّنى، فهل لك أن أنجيَك

---

(١) في (ف): «النساء».

(٢) في (أ): «يضعوها».

(٣) في (ر): «جعلنا».

(٤) في (أ): «شأنك». وفي مصادر التخريج: «شبهك في الولد».

فتطيعَني؟ فقال: نعم، قال: فاسجد لي سجدةً واحدة، فسجدَ له، ثم قُتِلَ كافرًا، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ الآية(١).

وعن طاوس: أنَّ امرأةً جُنَّتْ، فجيء بها إليه فداواها(٢).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية: أنَّ الإخوة كانوا أربعة، وذكَر الدَّفن في رملٍ، وصلَبه الملك، وسجد للشَّيطان بالإشارة على الصَّليب(٣).

وفي رواية مقاتل بن حيَّان: دفنها في صومعته، وظهر بعض ثيابها في موضع دفنها، واستخرجوها(٤).

وفي رواية وهب: هو برصيصا، وعَبَد الله أربعَ مئة سنة، والحادثة في بنت الملك، وقد جُنَّتْ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّه عابد في غارٍ، عبد أربعين سنة، والحادثة في جارية لها سبعة إخوة(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٨)، وروى الحاكم في «المستدرك» (٣٨٠١) نحوه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصححه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٤).

(٣) لم أجده.

(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٧٦): «وكذا روي عن ابن عباس، وطاوس، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك. واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٢) عن ابن مسعود، لكن فيه اختلاف عما ذكره هنا، فلفظه: (قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع كلامك، فقتلها ثم دفنها؛ قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم؛ فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا...). وباقيه شبيه بخبر ابن عباس.

(١٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: يا أيُّها الذين آمنوا بالله وجميع رسله ولم يفرِّقوا بينهم تفريقَ اليهود بين هؤلاء ونحوهم، ولم يكفروا كفرَ هؤلاء المنافقين، اتَّقوا الله في أوامره فلا تخالفوها، وفي نواهيه فلا ترتكبوها.

﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾: أي: ولينظرْ كلُّ واحد منكم ما قدَّم ليوم القيامة.

سمَّاه غدًا لأنَّه مستقبلٌ ولأنَّه قريب، والعرب تقول: إن غدًا لناظره قريبٌ.

وقال قتادة: ما زال ربكم يقرِّبُ السَّاعة حتى جعلها كغد.

وقال ابن زيد: أمس: الدُّنيا؛ ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس: ٢٤]، وغدٌ: الآخرة؛ ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: التَّكرير للتَّأكيد.

وقيل: الأوَّل لما قلنا، والثَّاني: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: لا تنظروا ما قدمتم لغد.

وقيل: الثَّاني: واتَّقوا أن تعتمدوا على أن تتَّقوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾.

---

(١) رواهما عن قتادة وابن زيد: الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٧).

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾: ومنهم هؤلاء اليهود والمنافقون، تركوا توحيد الله وطاعته.

﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾: أي: خذلهم وأذهلهم عن صلاح أنفسهم.

وقيل: أي: أنزل بهم من العذاب ما شغلهم عن كلِّ شيء، كالرجل يقول: أنا بحيث لا أذكر نفسي.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ حتَّى يعملوا في فكاكها.

وقيل: هم هؤلاء اليهود والمنافقون.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾: أي: الخارجون عن طاعة الله.

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾: وهم هؤلاء.

﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾: وهم المخلصون.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾: النَّاجون النَّائلون كل خير.

* * *

(٢١) ـ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾: قيل: أي: لو خوطب بهذا القرآن الجبالُ ـ وهي ممَّن يحتمل الخطاب ـ لانقادَتْ لمواعظِه، وأشفقَتْ من الوعيد المذكور فيه، فهؤلاء الكفار أسوء حالًا من الجماد الذي لا يعقل، وأقسى قلوبًا من الصَّخر.

وقيل: هو تمثيل لقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

وقيل: أي: لو وضع الله في الجبال الفهم، وأنزل عليها هذا القرآن، لخشع وتصدَّع من هيبة ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢].

وقال الحسن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ فكلَّفناه ما كلَّفناكم من الطَّاعة، وجعلنا له من الثَّواب ما جعلناه لكم عليها، وحذَّرناه من المعصية ما حذَّرناكم، وجعلنا له من العقاب ما جعلناه لكم عليها = لرأيت ذلك الجبل ذليلًا بما كلَّفه الله تعالى وحمَّله من طاعته، متصدِّعًا من خشية الله[1].

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: أي: نبيِّنها[2] ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غابَ عن حسِّ العباد وما شاهدوه.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: فسَّرناهما في أوَّل الكتاب في (التَّسمية).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾: الذي لا يزول ملكُه.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطَّاهر عن كلِّ عيب ونقص.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: المنزَّه عن كلِّ ذمٍّ، والمسلِّم لعباده، والمسلَّم على عباده.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الشَّاهد بوحدانيته لنفسه، المصدِّق على عبده إيمانَه، المعطي الأمان لأوليائه.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «أي نبينها» من (أ).

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الشَّهيد الأمين.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيعُ الغالبُ المعِزُّ الشَّديدُ البطش، الذي لا يوجَد مثله.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: القهَّار ذو الجبروت، الجابرُ كسورَ العباد.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: ذو الكبرياء الجليل العظيم المتعظِّم عن أن يظلمَ عباده.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيهًا لله عمَّا يصفُه به المشركون.

* * *

(٢٤) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾: المقدِّر.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: الموجِد.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: المؤلِّف الخالق للنَّفس[1] من ترابٍ، الباريءُ من النُّطفة في أصلاب الآباء، المصوِّر في أرحام الأمَّهات.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الدَّالة على الصِّفات العُلى.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: فسَّرناه في أوَّل (سورة الحديد).

وختم السُّورة بهذه الأسماء ليعتقدَ المؤمنون معانيها تحقيقًا لإيمانهم، وخلافًا لأعدائهم.

والله الموفِّق والمعين

* * *

سُورَةُ المُمتَحنَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي نهانا عن موالاة الكافرين، الرحمنِ الذي لم ينهنا عن برِّ غير المحاربين، الرحيمِ الذي وعد على الاستغفار مغفرةً للمؤمنين(1).

روي عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ الممتحنةَ كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاءَ يومَ القيامة»(2).

وهي مدنيَّة.

وهي ثلاث عشرة آية. وثلاثَ مئةٍ وثمانٍ وأربعون كلمة، وألفٌ وخمسُ مئة وثمانيةَ عشر حرفًا.

وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة في مَدْحِ مَن مَدَحَ اللهَ تعالى ونزَّهه، وافتتاحَ هذه في ذمِّ مَن أساءَ القول في الله بغير ما يليق به وصفه.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في عقوبات الكافرين، وذكرِ درجات المؤمنين،

---

(1) في (أ) و(ر): «المؤمنين».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (9/ 290)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 281). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (4/ 344): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: 296).

والتَّمييز بين المخلصين والمنافقين، وهذه في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وذكرِ المهاجرات إلى دار الإسلام والمسلمين.

* * *

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: نزلَتْ في حاطب بن أبي بلتعة ومكاتبته قريشًا بما كان من عَزْمِ رسول الله ﷺ على غزوهم، وكان يعمِّي في ذلك حتى يفاجئهم، فكتب إليهم حاطبُ يخبرهم بعزم رسول الله ﷺ إتيانهم، وكان قصدُه بذلك أن يتَّخذَ عندهم يدًا؛ ليَحْموا بذلك أقرباءَه بمكَّة، إذ كان حاطبٌ من أهل اليمن من الأزد، فكان له حِلْفٌ بمكَّة في بني أسد بن عبد العزَّى رهط الزُّبير بن العوَّام.

فقدمَتْ من مكَّة امرأة يقال لها: سارة، مولاة أبي عَمرو بن صيفيٍّ بن هاشمِ بن عبد مناف، قدمت المدينة، فلمَّا رآها النَّبيُّ ﷺ قال لها: «أمهاجرةً جئْتِ يا سارة؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟»، قالت: كنتم الأهل والموالي والأصل، وقد ذهب مواليَّ واحتجْتُ فجئْتُكم، قال: «فأين أنتِ من شباب أهل مكَّة؟»، وكانت مغنِّية نائحة، قالت: ما طُلِبَ منِّي شيءٌ بعد وقعة بدر، فحثَّ النَّبيُّ ﷺ بني عبد المطَّلب، فحملوها وكسَوها، وأعطَوها نفقة، فخرجَتْ إلى مكَّة.

فأتاها حاطب، وقال لها: أعطيْكِ عشرةَ دنانير وبُردًا على أن تبلِغي هذا الكتاب

إلى أهل مكَّة، فقالت: نعم، فأتاها بالكتاب. وفيه: إنَّ رسول الله ﷺ يريد أن يأتيَكم، فخذوا حذركم.

فأَطْلعَ اللهُ نبيَّه على ذلك، فدعا عليًّا والزُّبير بن العوَّام وأبا مَرثد الغنوي، وفي رواية: عليًّا والزُّبير فحسب، وفي رواية معهما المقداد، وفي رواية: عليًّا وعمَّار بن ياسر.

وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ، فخذوه منها»، فلحقوها، فأنكرَتِ الكتاب[1]، فأرادوا تفتشيها، فلمَّا رأت الجدَّ منهم أخرجَتْه من عقاصها.

وفي رواية: من حِجرها.

وفي رواية: شهرَ عليٌّ رضي الله عنه سيفَه وقال: واللهِ ما كذبَ رسولُ الله ﷺ[2]، ولا كذبْتُ، لتخرجِنَّ الكتابَ أو لأضربَنَّ عنقَكِ.

فأخرجَتْه من عقاصها، فجاؤوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟»، فقال: لا تعجلْ عليَّ يا رسول الله، فوالله ما ارتددْتُ بعدما أسلمْتُ، ولكنِّي كنْتُ امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكلُّ مَن معك من المهاجرين لهم قرابات بمكَّة يحمون قراباتهم وأهليهم، ولم يكن لي قرابةٌ أحمي بها أهلي وقرابتي، وقد عرفْتُ أنَّ ذلك لن يغنيَ عنهم شيئًا.

فقال عمر رضي الله عنه: ائذَنْ لي يا رسولَ الله أضربْ عنق هذا المنافق.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «مهلًا يا عمرُ، وما يدريك لعلَّ اللهَ قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئْتُم فقد غفرْتُ لكم».

---

(١) «الكتاب» من (أ).

(٢) في (ف): «والله ما كذبت».

وأنزل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1].

وفيه دليلٌ على أنَّ الكبيرة لا تسلُبُ اسمَ الإيمان.

يقول: لا تتَّخذوا المشركين الذين هم أعدائي وأعداؤكم أولياء تنصروهم وينصرونكم.

والعدوُّ جمعٌ، كما في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤].

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: أي: تلقون مودَّتكم إليهم.

قال الكسائيُّ والأخفش والفرَّاء: ألقَيتُ كذا وبكذا، لغتان فصيحتان[2].

قال أبو تمَّام فيها:

وأروعَ لا يُلقـي المقاليـدَ لامـرئٍ   وكلُّ امـرئٍ يُلقـي لـه بالمقالِـدِ[3]

و﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ صلة قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: كيف تتولَّونهم وهم كفروا بما جاءكم من عند الله من الدِّين الحقِّ وعادَوكم عليه.

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: للمعاداة من أوطانكم.

﴿أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: أي: من أجلِ أنكم آمنتم بربِّكم؛ أي: كيف ترجُون استصلاحهم وقد تأكَّدتْ بينكم العداوة وظهرَت آثارها.

---

(١) روى خبر حاطب بن أبي بلتعة عامة كتب التفسير والحديث بألفاظ متقاربة، ورواه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٣/ ١٤٧).

(٣) انظر: «ديوان أبي تمام» (ص: ٥٩).

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾: هذا متَّصل بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾.

يقول: إن كنتم إنَّما خرجتم من أوطانكم، وهاجرتم إلى حيث أمرتُكم؛ لتجاهدوا أعدائي في سبيلي وإقامة ديني، ولتبتغوا مرضاتي بطاعتي = فلا تفعلوا هذا؛ فإنَّه لا يليق بهذا.

وقد علم الله تعالى أنَّهم خرجوا لذلك، ولكنَّ المعنى: أنَّ هذا يوجِبُ تركَ موالاتهم، فاتركوا ذلك.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: تخفون ذلك.

﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾: أي: أعلم ما أخفيْتُم، والباء زائدة.

وقيل: أنا أعلم منكم بما أخفيتُم وبما أعلنتم؛ لأنَّكم قد تنسون بعضه، وقد تجهلونه، وأنا لا أنسى ولا أجهل.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾: أي: اتِّخاذَهم أولياء ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عدلَ عن وسطِ طريق الحقِّ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَعْدَى عدوِّكَ نفسُك التي بين جنبَيْكَ»[1]، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السَّلام: عادِ نفسَكَ، فليسَ لي في المملكة منازِعٌ غيرَها.

---

(١) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣٢) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
ورواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٨): أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين.

فمَن عادى نفسَه فقد قام بحقِّ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من دقائق التَّصنُّع وخفيَّات الرِّياء ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من التَّزيُّن للنَّاس.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من الاستسرار بالزَّلَّة، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من البرِّ والطَّاعة.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من الخيانة، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من الأمانة.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من الغلِّ والغش، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من النُّصح.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من ارتكاب المحظورات، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من الأمر بالمعروف.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من ترك الحشمة منِّي وقلَّة المبالاة باطِّلاعي، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من تعليم النَّاس ووعظهم[1].

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾: أي: يصادفوكم ويأخذوكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾؛ أي: يُظهروا العداوة التي يضمرونها، ولا يرعوا لكم ما تقربَّتم به إليهم من إلقاء المودَّة.

﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: أي: يمدُّوا أيديهم بالعقوبة، وألسنتَهم بالشَّتيمة.

﴿وَوَدُّواْ﴾؛ أي: ويودُّوا، إنْ عُطف على ﴿يَكُونُواْ﴾ و﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥٧٠ ـ ٥٧١).

ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ﴾... ﴿وَوَدُّواْ﴾: تمنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: أن تكفروا أنتم أيضًا.

وعطفُ الماضي على المستقبل جائز؛ لأنَّ إخراج الأوَّل بلفظ الماضي هنا جائز: إن يثقفوكم كانوا لكم أعداءً؛ لأنَّ الماضي المعلَّق بالشرط مستقبلٌ معنًى.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾: الذين هم أقرب أرحامكم، وأولى مَن اعتضدتم به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وإنما ينفع يومئذ الإيمان والعمل الصالح؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عَمرو مضمومةَ الياء مخفَّفةً، وقرأ عاصم بفتح الياء مخفَّفة، وقرأ ابن عامر بضم الياء مشدَّدة مفتوحة الصَّاد، وقرأ حمزة والكسائي مشدَّدة مكسورة الصَّاد[1].

والمخفَّف من الفَصْل، وهو الأصل، والمشدَّد من التَّفصيل، وهو للتَّكثير والتَّكرير، والفتح على ما لم يُسمَّ فاعلُه، والكسر على الفعل الظَّاهر، والفاعل هو الله تعالى.

والتَّفصيل: التَّفريق؛ أي: يفرِّق بين الأرحام ويميِّز، فيصير المؤمنون إلى الجنَّة، والكفَّار إلى النَّار، والفصل كذلك.

وقال الضَّحَّاك: هو الحكم هاهنا، أن يحكم بينكم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: من الخير والشَّرِّ، وهذا وعدٌ ووعيدٌ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٤) - ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قرأ عاصم: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضمِّ الألف، والباقون بكسرها[1]، وهما لغتان، ومعناهما واحد، وهو القدوة.

﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: يقول: إنَّ إبراهيم كان أباكم، وبه نلتُم الشَّرف والفخر على مَن سواكم، ولكم اقتداء حسنٌ به وبالذين على دينه.

قال ابن زيد: وهم سائر الأنبياء[2].

وقيل: مَن تابعه من المؤمنين من قومه. وهو قول الضَّحَّاك[3].

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: الأصنام.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي: أنكرنا أن تكونوا على حقٍّ.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾: أي: ظهر، ولم يقل: (وبدت) لتقدُّم الفعل مع الحائل. والعداوةُ ظاهرةٌ، والبغضاءُ باطنة؛ فإنَّ العداوة ما يتَّصل بالتَّعدي، والبغضاء ما يتمكَّن في القلب.

﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: أي: هذه العداوة قائمة بيننا إلى أن تؤمنوا.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: قيل: لم يكن بينهم وبين قومهم الكفَّارِ مودَّةً إلَّا ما قال إبراهيم لأبيه أزر: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾؛ أي: لأسألنَّ الله تعالى أن يغفر لك ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٦٦).

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٨٤)، دون نسبة.

مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ﴾؛ أي: وليس مغفرتُك بيدي، ثم بيَّن أنَّه لم يكن ذلك الاستغفارُ لأبيه عن موالاة الكافر، ولكن لِما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤] وقد شرحناها ثمَّة على الوجه.

وقيل: الاستثناء من قوله: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة إلَّا في هذا، فإنَّه لا أسوة لكم في هذا، كما قال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ الآية [التوبة: ١١٣].

وقيل: هو استثناء منقطع، وتقريره: لكن قولُ إبراهيم لأبيه: (لأستغفرنَّ لك) كان لموعدةٍ وعدَها إياه[١]، فظنَّ أنَّه قد أنجزها، فلمَّا تبيَّن له إصرارُه على الشِّرك تبرَّأ منه، ولا يحلُّ لكم أن تستغفروا للمشركين مع علمكم بشركهم، ولا يجوز لكم أن توالوهم.

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾: قال الضَّحَّاك: هذا قول إبراهيم ومَن معه[٢].

وقيل: هو تعليم الله عباده أن يقولوه؛ يعني: أظهِروا لهم العداوة، ولا يهولنَّكم كثرة عددهم.

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾؛ أي: اعتمدنا.

﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾: أي: رجعنا بالاعتراف عن ذنوبنا.

﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: أي: المرجع في الآخرة.

---

(١) في (ر): «أبوه».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣) بلا نسبة، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: لا تُظْهِرْ عدوَّنا[1] علينا فيُفتَتَنَ بنا الكفَّار، فيرَوا أنَّهم على حقٍّ، ونحن على باطل.

وقيل: اصرف عنا شدائد الدُّنيا، ولا تُنزل بنا ما يشمِتْ بنا الكفَّار، فيظنُّوا أنَّه إنَّما نالنا ذلك بسوءِ منزلتنا عندك، فيكون ذلك فتنة لهم من هذا الوجه. وهذا معنى قول مجاهد وقتادة وعكرمة.

وقال الضَّحَّاك: أي: لا تسلِّط علينا عدوَّنا، فيفتنوننا عن ديننا[2].

وعلى هذا الفتنة مصدر بمعنى المفعول.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: هذا ظاهر[3].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: التَّكرير للتَّأكيد والتَّقرير؛ لأنَّ الأوَّل في التَّبرُّؤ عن الكفَّار، والثَّانيَ في التَّقرب بهذه الدَّعوات.

ولأنَّ الأوَّل حثٌّ على الاقتداء بهم، والثَّانيَ بيانٌ أن هذا النَّفعَ يقع ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

ولأنَّ الأوَّل نزل في وقتٍ، والثَّانيَ في وقتٍ آخر، فلم يكن تكرارًا كتكرار القصص، والأمرِ بإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة في سُورٍ وآيات.

ثم قوله: ﴿لَكُمْ﴾، مع قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ لا يتنافيان؛ لوجهين:

---

(١) في (ر): «لا يظهر أعداؤنا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد.

(٣) «هذا ظاهر» ليس في (أ).

أحدهما: أنَّ معناه: لكم أسوةٌ، وهذه الأسوة حسنةٌ لمن كان منكم يرجو الله.

والثَّاني: أنَّ تقديرَه: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان منكم يرجو الله واليوم الآخر؛ أي: يرجو الله أن يثيبَه به، فيدخلَه الجنَّة يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن الاقتداء بهم، ووالى الكفَّار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ أي: غنيٌّ عنه وعن نصرته وعن معونته، بل هو وليُّ دينه وناصر حزبه.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: هو المستحقُّ للحمد.

* * *

(٧) ـ ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾: أطمعَهم ـ مع الأمر بمعاداتهم ـ في تحوُّل الحال إلى خلافه، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من أهل مكَّة من قراباتكم ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يوفِّقهم للإيمان.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: فإنَّ الله على ذلك وعلى كلِّ شيء قدير، وهو رحيم بعباده، غفور لِمَا سلَفَ من كفرهم إذا أسلموا.

وفي هذا تأكيدٌ لِما أمرهم به من ترك موالاتهم ما داموا كفَّارًا، وتعريفٌ لهم أنَّهم إذا فعلوا ذلك بالغوا في جهادهم، فأدَّى ذلك إلى إيمانهم الموجِب لودادهم، وقد كان هذا بأن فُتحَتْ مكَّة على أيديهم، وأسلم كثيرٌ منهم.

و(عسى) من الله تعالى واجب.

وقوله: ﴿أَن يَجْعَلَ﴾ دليلٌ على خلقِ اللهِ أفعالَ العباد، ظاهرَها وباطنَها.

وقال مقاتل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ يعني: أبا سفيان

والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام، وأبو سفيان صارت ابنته أمُّ حبيبة زوجة رسول الله ﷺ، وهو صهر رسول الله ﷺ(١).

* * *

(٨) ـ ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: عرَّفهم اللهُ أنَّه ليس برُّ الرَّجل قرينَه الذي لم يقاتله على الدِّين ممَّا دخل فيما نهاهم عنه من موالاة المشركين.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾: بالقول، وحسن المعاشرة، والصِّلة بالمال، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تعدلوا؛ لأنَّهم إذا لم يُخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا برٌّ منهم، فالعدل معهم أن تبرُّوهم أنتم أيضًا.

وقيل: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ من القسط، وهو الحظُّ؛ أي: تجعلوا لهم حظًّا من أموالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: الذين يجعلون لجيرانهم وقراباتهم حظًّا من طعامهم وما كان لهم.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّها نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وكانت أمُّها في الجاهليَّة يُقال لها: قُتَيْلَةُ بنت عبد العزَّى، جاءتها بهدايا، فقالت: لا أقبل حتَّى يأذنَ لي رسول الله ﷺ، ولا تدخلُ عليَّ، فذكرَتْ ذلك عائشةُ رضي الله عنها للنَّبيِّ ﷺ، فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين(٢).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٢)، وليس فيه ذكر للحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام. وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٢ ـ ٤١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل. وذكره في «الوسيط» (٤/ ٢٨٤) مثل لفظ المؤلف لكن دون ذكر زواج النبي ﷺ من أم حبيبة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم =

وعن الحسن رحمه الله: أنَّ المسلمين استأمروا النَّبيَّ ﷺ في أقربائهم من المشركين أن يَصِلوهم، فنزلت[1].

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: أي: عن موالاتهم.

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾: أي: عاوَنوا.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: الواضعون التَّولِّيَ في غير موضعِه.

عرَّفَهم أنَّه لم يُرِد بما أمرهم به قصدًا لقطع الأرحام، لكنْ تشديدًا عليهم؛ ليكون ذلك سببًا لإجابتهم إلى الإسلام.

= في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٤) من حديث الزبير رضي الله عنه. وصححه الحاكم. وأصل الحديث رواه مسلم (١٠٠٣)، وعلقه البخاري (٥٩٧٩) جزماً، من حديث أسماء رضي الله عنها.

(١) لم أجده، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٦): اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها في أسماء بنت أبي بكر. وذكر الخبر.

والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج...، وعزاه لابن عباس والحسن، وسيأتي عن ابن عباس قريباً.

والثالث: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس، قاله عطيّة العوفيّ ومرّة الهمداني.

والرابع: أنها عامة في الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قاله قتادة. وسيأتي.

والخامس: نزلت في النساء والصبيان، حكاه الزجاج.

وهذا لا يمنع حسن المعاشرة في موضعه، والبرَّ بالقرابة ممَّن لا يظهر عداوةً للحقِّ وأهله.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلت الآية في خزاعة منهم هلال بن عويمر وخزيمة وبنو مدلج، كانوا صالحوا النَّبيَّ ﷺ قبل أُحُد بسنةٍ على ألَّا يقاتلوه ولا يخرجوه ولا يعاونوا على إخراجه أحدًا، فأنزل الله تعالى في هؤلاء هذه الآية(١).

قال قتادة: نسختها آية القتال(٢).

***

(١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية: وهي قطع موالاة الكفَّار أيضًا، يقول: إذا جاءكم النِّساء من دار الكفر مظهِراتٍ للإيمان والهجرة.

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: أي: فاختبروهنَّ وفتشوهنَّ بالكشف عمَّا دعاهنَّ إلى ترك ديارهنَّ وإتيانكم.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾: أي: بحقيقة اعتقادهن.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾: أي: فإن انكشف لكم بالامتحان أنهنَّ مؤمناتٌ كما ظهر منهنَّ ذلك بإظهارهنَّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٣).

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: أي: فلا تردوهنَّ إلى الكفَّار.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: نفي الحلِّ من الجانبين إذا أسلمَتِ المرأة والزَّوجُ كافر.

ثم الإيمانُ ذكر في هذه الآية على ثلاثة أوجه:

الأوَّل: إيمانٌ بدلالة الحال؛ ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، وهو بنفس هجرتهنَّ إلينا، فإنَّ ذلك إظهار الإيمان منهنَّ.

والثَّاني: بالنُّطق والأمارات عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾.

والثَّالث: الحقيقة والاعتقاد، وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾.

وذُكر أنَّ هذه الآية نزلَتْ في صلح الحديبية، وكان فيه: أنَّ مَن جاءنا منهم ردَدْناه عليهم، فأمرَ اللهُ تعالى في النِّساء أن لا يُردَدْنَ إليهم، وفي الرِّجال أنْ يُرَدُّوا إليهم، وذلك لضعف النِّساء على الدَّفع عن أنفسهنَّ، والعجزِ عن الصَّبر عن الفتنة.

وسئل ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كيف كان النَّبيُّ ﷺ يمتحِنُ النِّساء؟ قال: كان يقول: «بالله ما خرجْتِ من بغضٍ لزوجك؟ بالله ما خرجْتِ التماسَ دنيا[١]؟ بالله ما خرجْتِ رغبةً إلى أرض؟ بالله ما خرجْتِ إلَّا حبًّا لله تعالى ولرسوله؟»[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان النَّبيُّ ﷺ يمتحن إلَّا بالآية التي قال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية[٣].

---

(١) في (أ): «ذنبًا».

(٢) رواه البزار (٢٢٧٢ ـ كشف الأستار)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٣): فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦).

وروى عطيَّة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كان امتحانهنَّ أنْ يشهدْنَ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، فإذا علموا أنَّ ذلك حقٌّ منهنَّ لم يرجعوهنَّ إلى الكفَّار[١].

﴿وَءَاتُوهُم﴾: أي: أعطُوا الكفَّار الذين هم أزواجهنَّ ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: ما أعطَوهنَّ من المهور. كذا قال ابن عبَّاس وقتادة والزُّهري ومجاهد والضَّحاك[٢].

وقال مقاتل: إذ تزوَّجها أحدٌ من المسلمين دفعَ مهرَها إلى الزَّوج، وإن لم يتزوَّجها أحدٌ من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء[٣].

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: دلَّ هذا على صحَّة قول أبي حنيفة رحمه الله: إنَّ المهاجرة لا عدَّة عليها؛ فإنَّ الله تعالى أباح نكاحَها للحال[٤].

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي: التزمْتُم مهورهنَّ، ولم يُرِد به حقيقةَ الأداء؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ أي: يلتزموها.

﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾: قرأ أبو عَمرو بضمِّ التَّاء وتشديد السِّين كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٠][٥]، وعنه في رواية بفتح التَّاء والسِّين، من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٦). وعطية ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) عن مجاهد وقتادة والزهري والضحاك وابن زيد وبكير بن الأشج.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٣).

(٤) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» (٥/ ٢٥٠)، و«المبسوط» للسرخسي (٥/ ٥٧)، و«الهداية» للمرغيناني (٢/ ٢٧٧).

(٥) أي: ﴿تُمَسِّكوا﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

التَّمسُّك[1]، وقرأ الباقون بضم التَّاء وتسكين الميم وتخفيف السين وكسرها[2]، من الإمساك، وهذا كذلك؛ فإن التَّمسُّك والتَّمسيك[3] والإمساك والاستمساك واحدٌ، وهو التعلُّق، ومعناه: ولا تتعلَّقوا بعقد الكوافر؛ أي: لا تتزوَّجوهنَّ إذا كنَّ حربيَّات.

وقيل: هذا في حقِّ المرتدة إذا ارتدَّتْ ولحقَتْ بدار الحرب[4]، فلا تتعلَّقوا بعقدتها؛ فإنَّها قد حرمَتْ.

وقيل: إذا ارتدَّتْ ولحقَتْ بدار الحرب بعد الردَّة زالت عصمتها بالكليَّة، فحلَّ للزَّوج تزوُّج أختها وأربعٍ سواها.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾: أي: إذا ارتدَّتْ امرأة أحدكم، ولحقَتْ بدار الحرب، فاسألوا مهرها ممَّن تزوَّجها.

﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾: أي: وليسأل كلُّ حربيٍّ أسلمَتْ امرأتُه وهاجرَتْ إلينا مهرَها ممَّنْ تزوَّجها منا[5].

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: فكان هذا الحكمُ حالَ قيام العهد، ثم نُسِخَ ذلك بآية القتال، فلم يبقَ سؤال المهر لا منَّا ولا منهم.

وهذه الآية فيمَن خرجَتْ إلينا من نسائهم، فأمَّا مَن ارتدت من نسائنا ـ والعياذ بالله ـ وذهبَتْ إليهم فحكمُها في الآية التي تليها، وهي قوله تعالى:

---

(١) أي: (تَمَسَّكوا). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٦)، وفيه: معاذ عن أبي عمرو، والحسن.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٣) «والتمسيك» من (أ).

(٤) «ولحقت بدار الحرب» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ر): «منكم».

(١١) - ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي: أحدٌ من زوجاتكم بالردَّة واللُّحوق بهم، وفي قراءة عبد الله: (وإنْ فاتَكُم أحدٌ)[١]، وفي اللُّغة هو كذلك، قال الشَّاعر:

وأقسِمُ لو شيءٌ أتانا رسولُه سواكَ ولكن لم نجدْ لك مدفعا[٢]

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: قال الفرَّاء: أي: فأصبتُم غنيمةً[٣].

وقال الأخفشُ: أصبتُم عقبَى منهم[٤].

وقال الكسائيُّ: أي: فخَلَفْتُم مِن بعدِهم فغَنِمتُم؛ أي: صار إليكم مالهم، وهو من العَقِب[٥].

وقال قطرب: عاقب الرَّجل شيئًا؛ أي: أخذ[٦].

وقيل: أي: حاربْتُم الكفَّار معاقِبين لهم، وغنمتُم مضمَر.

وقال مجاهد: اقتصصْتُم[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٨). وهي محمولة على التفسير لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة وفي مقدمتها ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١).

(٤) ذكر مثله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٧)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٦٢).

(٥) لعلها من قولهم: جاء فلان عَقِب فلان؛ أي: بعده، وفلان يسعى عقب آل فلان؛ أي: بعدهم. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: عقب).

(٦) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٢٠).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) بلفظ: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أصبتم مغنمًا من قريش أو غيرهم =

وقال ابن زيد: خرجَتِ امرأةٌ من المسلمين إلى المشركين، وأتَت امرأةٌ من المشركين، فقال القوم: هذه عقبتُكم[1] قد أتتْكُم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ﴾[2].

﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾: أي: فأعطوا المسلمين الذين ارتدَّتْ زوجاتهم ولحقْنَ بدار الحرب مهورَ زوجاتهم مِن هذه الغنيمة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾: ثم نسخ هذا الحكم بآية القتال أيضًا.

وروي: أن الآية الأولى نزلَتْ في عام الحديبية؛ لَمَّا صالح النَّبيُّ ﷺ أهلَ مكَّة، وكتبَ في العهد: إنَّ مَن أتى المسلمين مسلمًا رُدَّ عليهم، خرجَتْ يومئذ سبيعة بنت الحارث مسلمةً، وجاء زوجُها يستردُّها، ويقول: ردَّها عليَّ يا محمَّدُ؛ فإنَّه في الشَّرط، وإنَّ طينة الكتاب لم تجفَّ، فنزلت الآية[3][4].

وقال الواقديُّ: لا نعلم قرشـيَّة خرجَتْ من أبويها مسلمةً مهاجرةً إلى الله تعالى إلَّا أمَّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط، كانت تحدِّث تقول: كنْتُ أخرج إلى باديةٍ لنا بها

= ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ صدقاتهن عوضًا.

(١) في (ف): «عقيبتكم»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٢١) عن الكلبي.

(٤) ذكر الخبر عند تفسير هذه الآية مقاتل والفراء وأبو الليث السمرقندي والثعلبي والبغوي والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي في تفاسيرهم، وهبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨). وعزاه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٤)، وكذا شيخه الثعلبي وتلميذه البغوي لابن عباس لكن دون إسناد. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢١) عن الكلبي. فلعله كغيره من الأخبار التي رويت من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

أهلٌ، وأقيم فيهم الثَّلاث والأربع، وهي ناحيةَ التَّنعيم ـ وهي مسجد عائشة رضي الله عنها ـ ثم أرجعُ إلى أهلي، فلا ينكرون ذهابي، حتى أجمعْتُ المسير، فخرجْتُ يومًا من مكَّة كأنِّي أريد البادية التي كنْتُ بها، فلمَّا رجع مَن معي خرجْتُ حتى انتهيْتُ إلى الطَّريق، فإذا رجلٌ من خزاعة، فلمَّا ذكر خزاعة اطمأننْتُ إليه؛ لدخول خزاعة في عهد محمَّد ﷺ، وقلْتُ: إنِّي امرأة من قريش أريد اللُّحوق برسول الله ﷺ، ولا علم لي بالطَّريق، فقال: أنا صاحبُكِ حتَّى أُورِدَك المدينة، ثم جاءني ببعيرٍ فركبتُه، فكان يقودُ بي البعير، لا والله ما كلَّمني كلمةً حتى أناخَ بي البعير وقيَّده في الشَّجرة، وتنحَّى إلى شجرة، حتَّى إذا كان الرَّواح أخرج البعير وقرَّبه، وولَّى عنِّي، فإذا ركبْتُ أخذ برأس البعير، فلم يلتفِتْ وراءَه حتى ننزل، فلم يزل كذلك حتى قدم المدينة(١).

***

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: لا يستلحقْنَ ولدًا من غير أزواجهنَّ، فيُلحقْنَه بأزواجهنَّ.

وذكر الأيدي والأرجل كنايةٌ عن التقاط المولود وعن الولاد(٢)، فالأيدي

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٦٣٠).

(٢) في (أ): «الأولاد».

للالتقاط[1]، والأرجل للولاد؛ لأنَّها إذا التقطت بيديها وأضافت إلى ولادتها[2] فقد أَتَتْ ببهتانٍ بين يديها ورجليها.

وقال الضَّحَّاك: أي: لا تقذفْنَ رجلًا ولا امرأة بالزِّنى[3].

ومجاز ذلك: أنَّها إذا قذفَتِ امرأةً فقد بهتَتْ ما بين يدي المقذوفة ورجليها، أو نفَتْ عنها ولدًا قد ولِدتْهُ، وألحقت بها ولدًا لم تلده.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: أي: ولا يخالفْنَكَ في طاعةٍ تأمر بها. وهي عامَّة في كلِّ الطَّاعات.

وعن أم عطيَّة وأم سلمة: أنه النَّوح[4]. وهي بعض ما عمَّته الكلمة.

﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: كما تبايعُ الرِّجالَ وتستغفر لهم.

ثمَّ اختلف فيمَن فيه هذه الآية:

قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ المهاجرات كُنَّ إذا قدمْنَ قعدْنَ عند النَّبيِّ ﷺ، فيقول لهنَّ: «أبايعكُنَّ على ألَّا تشركْنَ بالله شيئًا»، ويتلو عليهنَّ الآية إلى آخرها، فإذا أقررْنَ بذلك قال: «بايعْتكنَّ، فارتفِعْنَ»، لا والذي بعثَ محمَّدًا بالحقِّ، ما مسَّتْ يدُه امرأةً قطُّ، إلَّا امرأة أحلَّها الله له أو من قرابته، قالت: وكنَّ إذا أقررْنَ بهذا الكلام فهي الممتحنة[5].

---

(١) في (ر): «فالأيدي لالتقاط المولود».

(٢) في (أ): «أولادها».

(٣) ذكر مثله مقاتل في «تفسيره» (٩/ ٢٩٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٠٧) عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا. وقال: حديث حسن غريب. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢١٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠١) عن أم عطية. ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٧٩٦)، والبخاري (١٣٠٦)، ومسلم (٩٣٦)، عن أم عطية.

(٥) روى نحوه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦).

وقال الضَّحَّاك: يعني به نساء أهل مكَّة، وليس بالنِّساء اللَّاتي أُمِرَ أنْ يمتحِنَهنَّ.

وروَتْ أُميمةُ بنت رُقَيقةَ أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يصافِحْهُنَّ(١).

وعن إبراهيم النَّخعي والشَّعبي: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بايع النِّساء وعلى يده ثوبه(٢).

وعن عَمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه أنَّه دعا بقدح من ماء، فغمسَ يدَه فيه، ثم أمرَ النِّساء فغمسْنَ إيديَهُنَّ فيه(٣).

وقال مقاتل بن حيَّان رحمه الله: لَمَّا كان يومُ فتح مكَّة، وفرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرِّجال، والنَّبيُّ ﷺ على الصَّفا، وعمر رضي الله عنه قاعدٌ أسفل منه يبايع النِّساءَ للنَّبيِّ ﷺ، فقال لعمرَ: بايعهُنَّ على ألَّا يشركْنَ بالله شيئًا، وهند بنت عتبةَ بن ربيعةَ منتقِبةٌ فيما بين النِّساء، فرفعَتْ رأسَها وقالت: والله لقد عبدْنا الأصنام دون الله تعالى، ثم قالت للنَّبيِّ ﷺ: والله إنَّك لتأخذُ علينا أمرًا ما رأيناك أخذْتَه على الرِّجال، وبايَعَ الرِّجال إذ ذاك على الإسلام والجهاد في سبيل الله.

فبايعَ عمرُ النِّساء ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ﴾، فقالت هند: إنَّ أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ، وإنَّه لا يعطيني ما يكفي ولدي إلَّا ما أخذْتُ منه سرًّا، فقال

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٧٠٠٦)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٢) عن إبراهيم النخعي. ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٥)، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٠)، وابن سعد عن الشعبي.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١١)، وفيه شيخه الواقدي، وهو متروك. ورواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٩) عن عروة بن مسعود الثقفي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٩): فيه عبد الله بن حكيم، أبو بكر الداهري، وهو ضعيف.

رسول الله ﷺ: «إنَّك لهند»، قالت: نعم، والإسلام يجُبُّ ما قبلَه، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

ثم قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، فقالت هند: أفٍّ، وهل تزني الحرَّة قط، فقال عمر رضي الله عنه: لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنَتْ امرأةٌ منهنَّ قط.

ثم قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾، فقالت هند: ربَّيناهم صغارًا، فقتلتُموهم يوم بدر كبارًا، قال فضحك عمرُ رضي الله عنه حتى استلقى.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، قالت: والله إنَّ البهتان لأمر قبيح، وما يأمرنا رسول الله إلَّا بالرُّشد ومكارم الأخلاق.

ثم قال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾، فقالت هند: والله ما جلسنا مجلسًا منك وفي أنفسنا أن نعصيَك.

فبايعهن عمر للنَّبيِّ ﷺ، واستغفر لهنَّ النَّبيُّ ﷺ(١).

قال الزُّهريُّ: كان هذا بالحديبية، وهذه البيعة يوم فتح مكَّة(٢).

وقال الكلبيُّ وسعيد بن المسيِّب وزيد بن أسلم وقتادة: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾: النَّوح، وتمزيق الثِّياب، وحلق الشُّعور، وشقُّ الجيوب، وخمش الوجوه، ولا يحدِّثْنَ الرِّجال، ولا تخلو امرأة برجل غيرِ مَحْرَمٍ، ولا يسافرْنَ فوق ثلاثة أيَّام بغير محرم(٣).

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم مختصرًا في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥١) عن مقاتل بن حيان. وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٣٠٦)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩) عن ميمون بن مهران، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم أقف عليه، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٩٤): والمبايعة وقعت غير مرة ووقعت في مكة بعد الفتح وفي المدينة.

(٣) ذكره عنهم عدا قتادة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٢٤) =

(١٣) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: ختمَ السُّورة بما بدأ بها، وهم المشركون.

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: من كونها، والثَّوابِ والعقاب فيها، فلذلك لا يؤمنون بها.

﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾: أي: هم ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أن يرجعوا إليهم.

وقيل: أي: كما يئس أسلافهم الكفَّار الذين هم في القبور من الآخرة أيضًا؛ أي: هؤلاء في الكفر كسلفهم.

وقيل: أي: كما يئس هؤلاء الكفَّار من برِّ أصحاب القبور ونفعهم.

وقيل: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود، وهم المخصوصون بذكر الغضب في آيات الله، ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: من ثواب الآخرة، ومن رحمة الله ومغفرته لهم في الآخرة، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ المشركون المقبورون، فهم[١] مع أنَّهم من أهل الكتاب في هذا كعبدة الأصنام.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هم اليهود والنَّصارى، يقولون: لا نعيم في الجنَّة من المآكل والمشارب والمناكح والملاذِّ، كالكفَّار لا يقرُّون بالجنَّة والنَّار أصلًا[٢].

= عن الكلبي والمقاتلين. ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢/ ٢٣٨) عن زيد بن أسلم، وذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٤٧).

(١) في (ر): «منهم».

(٢) ذكره عنه الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٢٦).

وقال مقاتل: الآية في المنافقين ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾: إذا دخلوها بشَّرتهم الملائكة بالنَّار، فيئسوا من كلِّ خير[1].

* * *

= ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٧) عن قتادة، ورواه عبد الرزاق أيضاً في «تفسيره» (٣٢٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٤) عن الكلبي.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي يحب المقاتلين، الرحمنِ الذي يُظهر دينَه على كلِّ دين، الرحيمِ الذي يبشِّر المؤمنين.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورة الصَّفِّ كان عيسى ابن مريم صلوات الله عليه مصلِّيًا عليه، ويستغفر له ما دام في الدُّنيا، وكان رفيقَه يوم القيامة»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة عند عكرمة والحسن وقتادة، مدنيَّة عند عامَّة المفسِّرين(٢).

وهي أربعَةَ آيةً، ومئتان وإحدى وعشرون كلمة، وتسعُ مئة وواحدٌ وخمسون حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأول هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك في ذكر الكفَّار الذين عليهم غضبُ الله، وأوَّل هذه السُّورة في ذكر المسبِّحين الذين لهم رضا الله تعالى.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٠)، كلاهما بلفظ: «من قرأ سورة عيسى عليه السلام كان عيسى مصليًّا...». قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٥)، وفيه: مدنية في قول قتادة، وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هي مكِّيَّة.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك في قطع موالاة أعداء الله، وهذه في الجهاد الذي هو تحقيق معاداة أعداء الله.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وهذا التَّسبيح شهادةٌ لله تعالى بالرُّبوبيَّة والوحدانيَّة والقدرة والملكة[1] والغنى عن معونة الخليقة؛ بما[2] فيهم من دلائل الصَّنعة، وأعلام الذِّلة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يمتنع عليه ما يريد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لحكمته تعبَّد خلقَه بالجهاد في إقامة دينه؛ ليعوِّضهم بذلك النَّفعَ الذي لا يعدِلُه نفع، ويعطيَهم النَّعيم الذي لا يبلغُه نعيم، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولو شاء لأهلكهم بما شاء من غير مُعين.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: روي أنهم تذاكروا أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى آيةَ الجهاد، فتباطأ بعضُهم، فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

* * *

(٣) ـ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «والمملكة».

(٢) في (ر) و(ف): «لما».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣١٥). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧) عن أبي صالح.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: بُغضًا، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية [النساء: ٧٧].

ودلَّت الآية أنَّ صاحب الكبيرة مؤمنٌ رغمًا للمعتزلة؛ لأنَّ ما استَحق عليه العبدُ مقتَ الله -وهو أشدُّ البغض- فهو كبيرةٌ، ومع ذلك خوطبوا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

قال نجم الدِّين(١): ولنا حديث مُسلسلٌ في هذا، مُسنَدٌ إلى عبد الله بن سلام، قال: خرجْنا نتذاكرُ، فقلْنا: أيُّكم يأتي رسولَ الله فيسألَه: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟ ثم تفرَّقنا، وَهِبْنا أن يأتيَه أحدٌ منَّا، فأرسل إلينا رسولُ الله ﷺ وجمعَنا، فجعل يومئ بعضُنا إلى بعض، فقرأ علينا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ السُّورةَ إلى آخرها، وكذا قرأ كلُّ راوٍ السُّورة عند رواية هذا الحديث إلى شيخنا(٢).

قيل: إنَّما قرأها كلَّها لأنَّ في أوَّلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]، وفي آخرها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ إلى آخر الآية.

وقال مجاهد: نزلَتْ في نفرٍ من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة، كانوا في مجلسٍ فقالوا: لو علمنا أيَّ الأعمال أحبَّ إلى الله تعالى لعملناه حتى نموت، فأنزل الله تعالى السُّورة، فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حبيسًا في سبيل الله تعالى حتَّى أموت أو أقتل شهيدًا، وكان على ذلك حتى قتل في غزوة مؤتة شهيدًا(٣).

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَهم في غزوة مؤتة، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة وقال: «إنْ قُتِلَ زيدٌ فأميرُكم جعفرُ بن أبي طالب، فإنْ قُتِلَ جعفرٌ فأميرُكم عبدُ الله بن رواحة...

---

(١) يعني: المؤلف، وقوله: «قال نجم الدين» ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧٨٩)، والترمذي (٣٣٠٩). قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٤١): إسناده صحيح قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

(٣) رواه ابن المبارك في «الجهاد» (٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧).

فأخذ زيدٌ الرَّاية فقتل، ثمَّ أخذها جعفرُ فقُتِلَ، وقطعَتْ يداه ورجلاه، فجعل الله له جناحَيْن يطير بهما مع الملائكة، ثمَّ أخذَ عبدُ الله بن رواحة الرَّاية، فكأنَّه تلكَّأ قليلًا، ثم حمل عليهم حتى استُشْهِد»[1].

***

(٤) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾: أي: مصطفِّين على نسقٍ واحد.

﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾: أي: ملزَقٌ بعضُه ببعضٍ، لا فُرْجةَ فيه، يقال: رَصَّهُ يرصُّهُ رَصًّا: إذا ألزق بعضَه ببعضٍ التزاقًا محكمًا شديدًا، ورجلٌ أرصُّ: متلازقُ الأسنان.

وهذا التَّمثيل يقع على حسن المقام، حتى إنْ دَلَفوا إلى العدوِّ دَلَفوا[2] صفًّا، وإنْ وقفوا وقفوا صفًّا، وهذا أيضًا أهيبُ وأبعدُ من طمع العدوِّ من هزيمتهم، وهذا أيضًا أشبهُ بصفوف الصَّلاة التي خُصَّتْ بها هذه الأمَّة.

ويكون التَّمثيل أيضًا بالبنيان على جهة الثَّبات للقتال كالبناء المرصوص.

والبنيانُ واحد كالبناء، ولذلك قال: ﴿مَّرۡصُوصٞ﴾، ولم يقل: مرصوصة.

---

(١) رواه البخاري مختصرًا (١٢٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب - وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان - ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له».
ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٥٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٤٨) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «إذا دلفوا إلى أحد ودلفوا»، وفي (ف): «إذا دلقوا إلى العدو لقوًا»، وفي (ر): «إن ذلقوا إلى العدو ذلقًا»، ولعل الصواب المثبت.

ودلَّ على أنَّ النُّزول أفضلُ من الرُّكوب، فإنَّ التَّراصَّ فيه أمكنُ.

وقال إبراهيم النَّخعيُّ: ثلاث آيات منعَتْني أن أقصَّ على النَّاس: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الآية[1].

فدلَّ أنَّ الآية عامَّة، وليست بمقتصرةٍ على القتال.

***

(٥) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ الآية: أَتبعَ الأمرَ بالجهادِ قصَّة موسى وعيسى عليهما السلام، واختلافَ قومهما عليهما فيما أمراهم به من نصر دين الله، وما كان من النَّصر والظَّفر لمن وافقهما على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ يحتملُ ما قال: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقد بيَّنا في تلك الآية.

وقيل: هو ما دسَّ قارون إلى امرأةٍ تدَّعي على موسى أنَّه زنى بها، وقد بيَّنا ذلك في تلك القصَّة.

وقيل: هو قولهم: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ.

وقيل: هو قولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٦). وروى نحوه البيهقي في «الشعب» (٧٥٦٩) عن ابن عباس في قصة أنه وعظ بهن رجلاً جاءه يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيل: هو قول اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: أي: لمَ تؤذونني مع معرفتكم أنِّي رسول الله إليكم، أَخبر أنَّ الذَّنب في إيذائه مع معرفتهم بنبوَّته أعظمُ؛ فإنَّ العلم بتحريم الشَّيء هو أحدُ الزَّواجر عنه، فكلَّما كانت الزَّواجر أكثر كان الإثم في ارتكابه أكبر.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾: أي: مالوا إلى الباطل ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: خذلهم وحرمَهم توفيق اتِّباع الحقِّ.

ودلَّ ذلك على أنَّ الله تعالى خالقُ أفعالِ العباد، حسَنِها وقبيحِها، ظاهرِها وباطنِها، وأنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن علم منه اختيارَ الضَّلال، ويهدي مَن علم منه اختيار الاهتداء.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: ما داموا مختارين للفسق، ثابتين عليه.

* * *

(٦) - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: ﴿مُّصَدِّقًا﴾ نصب على القطع؛ لأنه نكرة نُعِتَ به معرفةٌ، وكذا قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا﴾.

يقول: أنا موافِق لِمَا نزل قبلي من التَّوراة، وفيها صفتي، ولم أتكلَّم بشيء يكذِّب التَّوراة فتنفروا عنِّي.

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾: لتؤمنوا به، فتستكمِلوا الثَّواب بإيمانكم بمن كان قبلي وبي وبمن يكون بعدي.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالمعجزات، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر، وليس من الله.

وقيل: أي: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾؛ أي: جاء بقيَّةَ بني إسرائيل محمَّدٌ ﷺ بالقرآن وسائر المعجزات ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مع تقدُّم الدَّلائل والبشارات به.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: فجعل آياته البيِّنات سحرًا.

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾: أي: يُدْعى على لسان رسول الله ﷺ إلى دين الله تعالى، لا يدعو إلى شيء يردُّه العقل، وهو الدِّين الذي لا يَقبلُ الله دينًا غيره، فمَن دُعِيَ إلى ما لا يَقبلُ الله دينًا غيره، وقد أتاه داعيهِ بالبيِّنات، فردَّه وجعلَ ما أتى به سحرًا، فلا أظلم منه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ما داموا مختارين لذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾: أي: يريد هؤلاء الفاسقون الظَّالمون أن يُذْهِبوا نورَ اللهِ الذي أرسلَه على محمَّدٍ ﷺ، وهو ما هدى به عبادَه من دينه وكتابه.

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: بقولهم بأفواههم[1]: إنَّه سحرٌ، لا يزيدون على ذلك، ولا يجدون عليه حُجَّة، وهذا شيء لا أوهى منه.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص على الإضافة.

---

(١) «بأفواههم» ليس في (أ).

والباقون: ﴿متمٌّ﴾ بالتَّنوين ﴿نورَه﴾ بالنَّصب[1]، يقول: قد أتمَّ نورَه للحال، ويُديمه في الاستقبال، حتى يعمَّ الآفاق، ويظهرَ في البلاد، ويهتدي به العباد.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: اليهود والنَّصارى وسائر الكفَّار.

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾: أي: بالرَّشاد ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الذي لا يشوبُه باطلٌ من شرٍّ، أو تفريقٌ بينَ الرُّسل، أو تشبيهٌ ونحوه.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: أي: ليُعليَه[2] على الأديان كلِّها بالحُجج وبالغَلَبة، وعند نزول عيسى عليه السَّلام بألَّا يبقَى دينٌ غيرُه.

وقيل: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾؛ أي: ليُطْلِعَ محمَّدًا ﷺ على علم الدِّين كله، وهو كقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٣].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: هو استفهامٌ على معنى الحثِّ والعرض، كقولك: هل أنت ساكت؟ و: هل أنت آكلٌ معي؟

ولَمَّا نزلت هذه الآية لم ينزل معها ما بعدَها، وكانوا في شوقٍ إلى معرفتِه ليعملوا به، فبقُوا على ذلك ستَّة عشر شهرًا، ثم نزل:

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ **الآية**: وهو تفسيرُ تلك التِّجارة.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٢) في (ر): «ليغلبه».

وهذا الحثُّ بمعنى الأمر، بدليل أنَّه قال في جوابه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالجزم، وتقديرُه: آمنوا به وبرسوله؛ أي: دُوموا عليه.

﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: أي: جاهدوا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: أنفعُ لكم دينًا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التِّجارةَ وما فيها من الرِّبح والزِّيادة، وجعل هذا تجارةً كما جعلَه بيعًا وشراء في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ الآية [التوبة: ١١١]؛ لأنَّه بذلُ[١] الأنفس والأموال على عوضِ الجنَّة كالمعاوضات.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: جزمَ ـ على قول الفرَّاء ـ بـ(هل)[٢]؛ لأنَّ فيه معنى الأمر على ما مرَّ.

وقال الزَّجَّاج: وهو جوابُ: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿وَتُجَاهِدُونَ﴾ لأنَّهما في معنى: آمنوا وجاهدوا.

وقال: قولُ مَن قال: إنَّه جواب ﴿هَلْ﴾ غلطٌ؛ لأنَّه ليس إذا دلَّهم على ما ينفعُهم غفرَ الله لهم، إنَّما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾: أي: ولكم خصلةٌ أخرى على جهادكم في الدُّنيا قبل المصير إلى الجنَّة، تحبُّون تلك الخصلة: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: وهي نصرةٌ على الأعداء ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ لبلادهم.

---

(١) في (أ): «بذل له».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٦).

وقيل: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾؛ أي: وتجارةٌ أخرى.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا الوعد.

* * *

(١٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أنصارًا﴾ بالتَّنوين ﴿لله﴾ باللَّام، وقرأ الباقون: ﴿أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ على الإضافة[١]؛ أي: انصروا دين الله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾: أي: لأصفياءِ أصحابه.

﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: قيل: أي: مع الله؛ أي: مع نصرته، كقولهم: الذَّود إلى الذَّود إبلٌ[٢].

وقيل: أي: ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ تقرُّبًا إلى الله تعالى.

وقيل: ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ أيَّام حياتي إلى أن أصير إلى الله تعالى؛ أي: يقبضني إلى حيث يشاء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: أي: أنصار نبيِّه ودينه.

وقد ذكرنا الأقاويل في الحواريِّين في (سورة آل عمران).

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٢) قولهم الذود إلى الذود إبل: يراد أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر، والذود ما بين الثلاث إلى العشر من إناث الإبل ويجمع أذوادًا. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٤٦٢).

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى عليه السَّلام ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾.

﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: قوَّيناهم ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾؛ أي: أعدائهم.

﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾: أي: عالين غالبين، فكذلك أنتم يا أصحاب محمَّدٍ ـ ﷺ ـ يكون لكم الظُّهور على مَن خالفكم.

قيل: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ بقتال الحواريِّين على موافقة عيسى عليه السلام.

وقيل: قاتلوهم بعد رفع عيسى.

وقيل: لم يكن منه قتال ولا بعدَه من أصحابه، وإنَّما ظهروا بالحُجَّة.

وقيل: ظهروا بعد خروج محمَّد ﷺ، فإنَّه أظهرَ دينَ الحقِّ، وأبطل دين الكفَّار.

وقال قتادة رحمه الله: دعا الله تعالى إلى أن يكون لرسوله حواريُّون من أمَّته كما كان لعيسى عليه السلام، وقد كان ذلك عند العقبة، وهم كلُّهم من قريش: أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرَّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقَّاص وطلحة بن عبيد الله والزُّبير بن العوَّام وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم أجمعين، وبايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون من الأنصار، بايعوه على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وعلى أن يمنعوا رسول الله ﷺ ممَّا يمنعون به أنفسهم وأبناءهم، ولهم النَّصر في الدُّنيا، والجنَّة في الآخرة(١).

والحمد لله كثيرًا

***

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢١١) بذكر أصحاب البيعة فقط، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) مقطعاً.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الملك القدُّوس العزيز الحكيم، الرحمنِ الذي يؤتي فضلَه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، الرحيمِ الذي زهَّدَ في اللَّهو واللَّعب[1] والتَّجارة بما عندَه من الكرامة والنَّعيم.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سورةَ الجُمُعَةَ كتبَ اللهُ له عشرَ حسناتٍ، بعدد مَن ذهبَ إلى الجمعةِ في مِصْرٍ مِن أمصارِ المسلمين، وبعدد مَن لم يذهَبْ»[2].

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي إحدى عشرةَ آية، ومئةٌ وخمسٌ وسبعون كلمةً، وسبعُ مئة وستَّةٌ وخمسون حرفًا.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة بذكر مَن آمن بعيسى ومَن كفرَ به، وأوَّلَ هذه السُّورة بذكر مَن آمنَ بمحمَّد ﷺ ومَن كفرَ به.

---

(١) «واللعب» من (ر).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٤). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك السُّورة في إيذاءِ أهلِ الكتاب موسى وعيسى عليهما السلام بما قالوا، وهذه السُّورة في إيذائهم محمَّدًا ﷺ والمؤمنين بما قالوا.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: ذُكِرَ أنَّ أهلَ الكتاب قالوا للعرب: نحن أهل الكتاب وأنتم أُمِّيُّون لا كتاب لكم، ونحن أبناءُ الله وأحبَّاؤه وأنتم رعاة البَهْم، ولنا السَّبتُ ولا سبتَ لكم.

فردَّ الله تعالى طعنَهم بهذه الأشياء الثَّلاثة في هذه السُّورة.

وكان في عهدهم: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فنقضوا، وأساؤوا القول فيهم.

وقالوا في الله ما هو أفظع من كلِّ شيء: عزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله.

فنـزَّه الله تعالى نفسَه عمَّا قالوا فيه، وذبَّ عن المؤمنين ما قالوا فيهم، فقال في الأوَّل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ الآية، وهو تنزيهُ الخلائق كلِّها تنزيهَ الفطرة على ما مرَّ غير مرَّة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: أي: في العرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: وهو محمَّدٌ ﷺ، أميًّا لا يكتبُ ولا يقرأ من كتاب؛ دلالةً له أنَّه من الله تعالى يُخبرُ، لا عن كتابٍ يأخذ.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾: أي: على الأمِّيِّين ﴿آيَاتِهِ﴾؛ أي: آياتِ اللهِ التي أُنزِلَتْ عليه[١]، وهي القرآن.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: أي: يطهِّرهم من دنس الكفر.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: أي: القرآن، فيصير لهم كتاب يَعرفون فيه أقاصيص الأولين.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي: ويعلِّمهم مع ذلك ما شرعَه له ممَّا لم يذكرْه في كتابه.

وقيل: ويعلِّمهم وجه الاستنباط.

﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: قد ذكرنا في مثلِه أنَّه على معنَيْين:

وقد كانوا من قبل في ضلال مبين.

وما كانوا من قبل إلَّا في ضلال مبين.

* * *

(٣) ـ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾، وله وجهان:

أحدهما: ﴿وَآخَرِينَ﴾ من العرب ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾؛ أي: لم يلحقوا، و(ما) زائدة مؤكِّدة؛ أي: لم يسلموا بعدُ، وسيسلمون.

وقيل: لم يبلَّغوا، وسيُبلَّغون ويخاطبون فيسلِمون.

وقيل: لم يجيئوا بعدُ وسيجيئون[٢]، وهو للعرب كلِّهم إلى قيام السَّاعة[٣]، وهو في بيان شرف العرب كلِّهم إلى قيام السَّاعة.

---

(١) في (أ): «أنزلها عليهم»، وفي (ف): «أنزلها عليه».

(٢) في (ر): «لم يجيبوا بعد وسيجيبون».

(٣) في (أ): «إلى يوم القيامة».

وقال عكرمة: هم التَّابعون[١].

ووجه آخر: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ من العجم ﴿مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: ممَّن يؤمن به.

وقيل: من الأمِّيين؛ فإنَّ من العجم أمِّيين، كالتُّرك ونحوهم.

وقيل: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف[٢] على قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾؛ أي: ويعلِّمهم ويعلِّم آخرين منهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ حين أُنزِلَتْ سورةُ الجمعة، فتلاها، فلمَّا بلغ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ قال له رجلٌ: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ قال: وسلمانُ فينا، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمانَ وقال: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا لتناولَه رجالٌ من هؤلاء»[٣].

وروى سهلُ بنُ سعدٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في أصلابِ أصلابِ أصلابِ رجالٍ مِن أمَّتي رجالًا ونساءً يدخلون الجنَّة بغير حساب»، ثمَّ تلا هذه الآية[٤].

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: فلا يُعترض عليه فيما يفعل ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: المصيبُ فيما يفعل.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٣).

(٢) في (أ): «عطف» مكررة.

(٣) رواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٠٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): إسناده جيد.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: أي: تعليم الكتاب والحكمة والاختصاص بالنُّبوَّة.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: وهو حُجَّتنا على المعتزلة في أنَّ الله لا يلزمه لعباده شيء، وهو متفضِّل فيما يعطي.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: أي: اليهودِ الذين أُلزموا أحكام التَّوراة والتَّصديق بما فيها.

﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾: أي: لم يلتزموها وكذَّبوا بها[1] بتكذيب محمَّد ﷺ، ففيها البشارة به والإخبار عنه.

﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾: أي: كتبًا، جمع سِفْرٍ، وقد سَفَرَ؛ أي: كَتَبَ، وسَفَرَ: إذا كَشَفَ، وهو يكشِفُ عن المعنى الذي فيه، والسَّفَرة: الكَتَبة.

يقول: الحمارُ يحمل على ظهره كتبًا فيها العلوم، ولا علم له بما يحمل ولا نفع، فكذا هؤلاء إذ لم ينتفعوا بالتَّوراة فعلمُهم بها وعدمُه[2] سواء.

قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بتكذيبِ محمَّدٍ ﷺ؛ أي: بئس القومُ قومٌ هذا مثلُهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: ما داموا على اختيارِ ظلمِهم.

ومنهم مَن حمل هذا على اليهود والنَّصارى، والأظهر أنَّه على اليهود؛ لأنَّه قال بعده: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾.

ثم إلى هذا الموضع ردُّ طعنهم في أنَّهم أهل الكتاب والعربُ لا كتاب لهم، ثمَّ قال في ردِّ طعنهم الثَّاني:

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «وهو».

(٢) في (أ) و(ف): «ولا علم».

(٦ ـ ٧) ـ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: يقول: يا أيُّها اليهود، إن قلْتُم ظانِّين: إنَّكم أولياء الله من دون الأميِّين وغيرهم ممَّن ليس من بني إسرائيل، فإنَّ لأولياء الله عند الله كرامةً ومنزلة، ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ لتصيروا إلى الآخرة، فتنالوا ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم أنَّكم أولياء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: ولا يتمنَّونَ الموتَ قطُّ بما عملوا من السَّيِّئات وقدَّموها، واستحقُّوا بها مَقْتَ الله دون ولايته.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: وما قدَّموه من الظُّلم والمعاصي.

وفيه دلالةُ صحَّة نبوَّة محمَّد ﷺ؛ حيث أخبر، فكان كما أخبر، وهو باطنٌ، فدلَّ أنَّه بالله عَلِم ذلك.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: قولوا: اللَّهم أمِتْنا(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيدِه لا يقولها أحدٌ منهم إلَّا غصَّ بريقِه وماتَ مكانَه»(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لا يقولها رجل منكم...»، وهو من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح، وتسمى سلسلة الكذب. لكن رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٧) عن ابن عباس موقوفاً بلفظ: «لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه»، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير عند تفسير الآية.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥)، والبزار في «مسنده» (٤٨١٤)، والنسائي في «السنن =

(٨) ـ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾: أي: لا ينفعكم الفرار عنه، بل هو آتيكم فيلقاكم وتلقونه، والملاقاة من الجانبين.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾؛ أي: إلى جزاء الله الذي يعلم السِّرَّ والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: يخبركم به ويجازيكم عليه.

وقال مقاتل: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كتبَ إلى يهود المدينة يدعوهم إلى دين الإسلام، فكتب يهودُ المدينة إلى يهود خيبر: إنَّ محمَّدًا يزعم أنَّه نبيٌّ، فإنَّه يدعونا وإيَّاكم إلى دينه، فإن كنتم تريدون متابعته فاكتبوا إلينا كتابًا ببيان ذلك، وإنَّما نحن وأنتم على أمر واحد، ولا نؤمن به ولا نتَّبعه. فكتب يهود خيبر إليهم: إنَّ إبراهيم كان صدِّيقًا نبيًّا، وإنَّ إسحاق بعده كان صدِّيقًا نبيًّا، ويعقوب بعد إسحاق كان صدِّيقًا نبيًّا، وولد ليعقوب اثنا عشر ذكرًا، فكان لكلِّ واحد منهم أمَّة من النَّاس، ثم كان موسى يقرأ التَّوراة من الألواح، وعُزير يقرؤها ظاهرًا، ولولا أنَّه كان ولدَ الله ونبيَّه وصفيَّه لم يقرأ ظاهرًا، فنحن وأنتم من سبط مَن كلَّمه الله تكليمًا، واتَّخذه الله خليلًا، فنحن أحقُّ بالنُّبوَّة والرِّسالة، ومنَّا كانت الأنبياء في جزائر العرب، وما سمعنا قط كان من العرب إلَّا هذا الرَّجل، على أنَّا[1] نجد نعتَه وصفته في التَّوراة، فإن تبعتُموه صغَّركم الله

= الكبرى» (١٠٩٩٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا»، وجود إسناده السيوطي في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا» (ص: ١١٦).

(١) في (ر): «لا نجد»، والمثبت من باقي النسخ و«تفسير مقاتل».

ووضعكم، فنحن أبناء الله وأحبَّاؤه، فقال الله تعالى لنبيِّه: قل لهم: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ﴾ الآية [الجمعة: ٦][(١)].

* * *

(٩) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾: وهذا ردُّ طعنِهم الثَّالث: لنا السَّبت[(٢)] ولا سبتَ لكم.

فجعل الله لنا يوم الجمعة، وهو أفضل الأيَّام، وسيِّد الأيَّام، وفرض فيه صلاة الجمعة، وأمرنا بالسَّعي إليها، فقال: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾؛ أي: أُذِّن للصَّلاة ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ هي صلاة الجمعة، فقولك: ضُربَ من زيد، وضُرب زيد، واحد.

﴿فَاسْعَوْا﴾: أي: امضُوا، ولم يُرِدْ به الإسراع، فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إذا خرجْتَ إلى الجُمُعةِ فامشِ على هِيْنَتِكَ»[(٣)].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إذا أتيتُم الصَّلاة فأتوها وأنتم تمشون، ولا تأتوها وأنتم تسعَون»[(٤)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٢١).

(٢) في (ر): «سبت».

(٣) رواه الشافعي في «مسنده» (٣٩٨)، والبيهقي في «معرفة السنن» (٦٦٠٤) من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».

وقيل: أراد به السَّعي بالقلب، وهو الإسراع إليها تبكيرًا.

وقال الفرَّاء: السَّعيُ والمضيُّ والذَّهابُ واحدٌ[١].

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو الخُطبة.

وقال سعيد بن المسيَّب: هو موعظة الإمام[٢].

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾؛ أي: دعوا البيع والشِّراء.

وقال الفرَّاء: إذا أمركَ بترك البيع فقد أمرك بترك الشِّراء؛ لأنَّ البيع يقع عليهما[٣].

والنِّداء الذي يُنْهَى عنده عن البيع، هو الأذان الذي يكون بعد[٤] خروج الإمام.

وعند مالكٍ رحمه الله: البيعُ في تلك الحالة فاسدٌ للنَّهي، وعندنا النَّهي[٥] لغيره، وهو تأخير السَّعي، فيبقى مشروعًا في نفسِه فصحَّ[٦].

وعن محمد بن النَّضر الحارثي: أنَّه سئل عن الجمعة مع هؤلاء الأمراء، فقال: إنَّ الله تعالى أمرنا بالسَّعي إلى الجمعة، وهو يعلم مَن يصلِّي بنا إلى يوم القيامة، فنحن نسعى كما أمرنا الله تعالى[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٧).

(٤) في (ف): «عند».

(٥) «النهي» ليس في (أ).

(٦) انظر: «الأصل» لمحمد بن الحسن (٤/ ٤٢٧)، و«بدائع الصنائع» للكاساني (١/ ٢٧٠)، و«الجامع لمسائل المدونة» لابن يونس (٣/ ٨٩١)، وهذا الذي ذكره عن مالك هو ما في «المدونة»، وورد عنه أيضاً أن البيع ماض، وفي المسألة أقوال أخرى في المذهب. انظر: «التبصرة» لأبي الحسن اللخمي (٢/ ٥٧٣).

(٧) ذكره ابن المنذر في «الأوسط» (٤/ ١١٤).

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: السَّعي إلى الجمعة وترك الاشتغال عنها بالبيع وغير ذلك أنفعُ لكم من فعل ما يمنعكم عن ذلك.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: بمنافع الأمور ومضارِّها.

* * *

(١٠) - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾: أي: فُرغ منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فتفرَّقوا في أرض الله ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: طالبين المعاشَ الذي به قِوامُكم.

وفضل الله: رزقُ الله الذي تفضَّل به على عباده، وأباحه بالبيع والتِّجارات المشروعة.

وتُستحبُّ العقود في هذه السَّاعة؛ لندب الله تعالى إلى ذلك، وتسميته فضلًا.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: إذا انصرفْتَ من الجمعة فاخرج من المسجد فساوم بالشَّيء[١] وإن لم تشترِه[٢].

وعن ابن محيريزٍ قال: إنَّه ليعجبني أن تكون لي الحاجة يوم الجمعة، فأقضيها بعد الانصراف[٣].

وروى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ في هذه الآية أنَّه قال: «ليس بطلبِ دنيا، ولكن عيادة مريضٍ، وحضور جنازة، وزيارة أخٍ في الله تعالى»[٤].

---

(١) في (أ): «بالبيع».

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١٦٤).

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٣٥). وذكره علاء الدين البخاري في «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام» (١/ ١٨٣) عن ابن سيرين.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٤). وفي سنده أبو عامر الصائغ، قال الذهبي في «المغني في =

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: واشكروا له واحمدوه على ما أنعم عليكم من التَّوفيق لأدائها.

وقيل: أي: في الأسواق التي تبتغون فيها فضل الله.

يقول: اتركوا التِّجارات لِذكري، وإذا رجعتم إلى التِّجارات فلا تتركوا ذكري أيضًا، وهو دلالة على دوام الذِّكر.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: تظفرون بكلِّ مطلوب، وتأمنون كلَّ مرهوب.

***

(١١) ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾: أي: وإذا علموا تجارةً تُحمَل من[1] موضع آخر، ﴿أَوْ لَهْوًا﴾: أو شيئًا يُلهي مثلُه ممَّا يَصحب غير التِّجارة، من طبلٍ ونحوه يُؤْذِنون النَّاس بقدومهم ﴿انفَضُّوا﴾؛ أي: تفرَّقوا عنك ﴿إِلَيْهَا﴾؛ أي: إلى تلك التِّجارة.

ولم يقل: (إليهما) وقد ذكر شيئين: اللَّهو والتِّجارة؛ لأنَّ التِّجارة كانت أصلًا واللَّهوَ تبَعًا، فصرف الكناية إلى الأصل المقصود.

﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يا محمَّد ﴿قَائِمًا﴾ على المنبر تخطب.

﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾: من الثَّواب في الآخرة وإدرارِ الرِّزق في الدُّنيا لمن اتَّقى من حيث لا يحتسب ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾؛ أي: أنفع دينًا ودنيا.

= الضعفاء» (٢/ ٧٩٤): (أبو عامر الصائغ عن أبي خلف عن أنس، قال الأزدي: كان يضع الحديث).

(١) في (أ) و(ف): «عن».

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أي: المعطين.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: كان رسول الله ﷺ قائمًا يخطب يوم الجمعة، فقدمَتْ عِيْرٌ تحملُ الطَّعام من الشَّام، فانفتلَ النَّاس إليها حتَّى لم يبقَ معه إلا اثنا عشر رجلًا فيهم أبو بكر وعمر[1]، فنزلَت الآية[2].

وفي حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قدم دِحْيَةُ الكلبيُّ فما بقيَ في المسجد إلَّا نفر[3].

وفي رواية الحسن: أنَّ أهل المدينة أصابهم جوع وغلاءُ سعرٍ، فقدم عيرٌ والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فخرجوا إليها[4].

وفي روايةٍ قال النَّبيُّ ﷺ: «لو خرجَ هؤلاء الباقون لاضطرمَ الوادي عليهم نارًا»[5].

والله الموفِّق

* * *

---

(١) في (ر): «وعثمان رضي الله عنهم».

(٢) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣)، والترمذي (٣٣١١)، وليس في الصحيحين ذكر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البزار (٢٢٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٥) بلفظ قريب إلى عبد بن حميد. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٤): رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٥) عن الكلبي وأبي مالك وقرة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٦).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢١) عن الحسن، وهو تتمة الخبر السابق، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٧) عن قتادة.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي هتك ستر المنافقين، الرحمنِ الذي له العزَّة ولرسوله وللمؤمنين، الرحيمِ الذي هو خبير بعمل العاملين.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سُورةَ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ»[1].

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي إحدى عشرةَ آيةً، ومئةٌ وثمانون كلمة، وسبعُ مئة وثمانون حرفًا[2].

وختم تلك السُّورة في ذهاب الخاطئين، وافتتاح هذه السُّورة في مجيء المنافقين.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في قبائح أعداء الله تعالى المجاهرين[3]، وهذه في فضائح أعداء الله المنافقين.

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣١٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٢). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

(٢) في (أ) و(ر): «واثنان وثمانون حرفاً». وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٤٧)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٣١٩)، وفيهما: (وهي سبع مئة وستة وسبعون حرفاً).

(٣) في (ر): «الكافرين».

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾: كسرُ ﴿إِنَّكَ﴾ لمكان اللَّام في قوله: ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقولون كما يقول المخلصون.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾: كما تلفَّظ به المنافقون.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾: أي: يضمِرون خلافَ ما يُظهرون؛ لأنهم لا يعتقدون أنَّك رسول الله، والشَّهادةُ: الإخبارُ عن علم، وعندهم أنَّهم لا يعلمونه رسولَ الله، ولأنَّ الشَّهادة قولٌ عن تحقيق، وهم لا يحقِّقون ذلك.

وقيل: كاذبون في أنَّهم أرادوا الإيمان به.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾: أي: كلَّما اطَّلع منهم على شيء من النِّفاق حلفوا أنَّهم لم يقولوه، فيتستَّروا به كما يُتستَّر بالجُنَّة، وهو كما قال: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٦]، ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [التوبة: ٧٤].

ثم معنى الجُنَّة: أنَّه سُترة لِمَا يضمرونه.

وقال الحسنُ وقتادة ومجاهد: أي: جُنَّةً لأموالهم ودمائهم، يعصمونهما بها[1].

قوله تعالى: ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: قيل: أي: فمنعوا[2] المؤمنين بأيمانهم عن إقامة حكم الله تعالى، فـ(سبيل الله) هاهنا: هو طريق الدِّين وحكم الشُّرع.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥١) عن قتادة.

(٢) في (أ): «قيل أي» وفي (ر): «أي: فيمنعوا»، بدل: «قيل أي فمنعوا».

وقيل: أي: بما يستروا بإظهار الشَّهادة والحلِف على الكذب اختلطوا بالمسلمين، فاستزلُّوا كثيرًا من ضعَفتهم.

وقيل: أي: فصدُّوا عن الجهاد في سبيل الله، وكانوا يثبِّطون(١) عنه.

وقيل: فصدُّوا اليهود والمشركين عن الدُّخول في الإسلام بقولهم: نحن كافرون بهم، وقد ألحقونا بجملتهم بما نُظهره، ولو كان محمَّدٌ محقًّا لاطَّلع على ما نُضمره، فأعلم الله تعالى المنافقين أنَّه عالم بهم، وأطلعَ رسولَه على حالهم.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: الآن وفي سالف الزَّمان.

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾: أي: في الظَّاهر ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: في الباطن.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي: ختم الله عليها وخذلهم، فلا يفهمون ما يُخاطَبون به من الزَّجر عن النِّفاق والوعيد عليه.

وقيل: أي: لا يتدبَّرون فيه.

وقيل: أي: يعملون عملَ مَن لا يفهم.

وقال الرَّبيع بن أنس وقتادة: آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم(٢).

وقيل: هذا في قوم كانوا آمنوا، ثم شكُّوا فنافقوا.

ونزول هذه السُّورة(٣) في عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ وسائر المنافقين، لعنهم الله.

---

(١) في (ر) و(ف): «يتبطؤون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٢) عن قتادة.

(٣) في (أ): «الآية».

قال زيدُ بن أرقم: كنْتُ مع عمِّي، فسمعْتُ ابنَ أُبيٍّ يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية [المنافقون: ٧]، و﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ الآية [المنافقون: ٨]، فذكرْتُ ذلك لعمِّي، فذكرَهُ لرسول الله ﷺ، فدعاني النَّبيُّ ﷺ، فحدَّثْته، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني النَّبيُّ ﷺ وصدَّقه، فأصابني همٌّ لم يصبْني قطُّ مثلَه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ الآيات، فبعثَ إليَّ رسولُ الله ﷺ، فقرأهنَّ عليَّ، ثم قال: «إنَّ الله تعالى صدَّقك»[١].

* * *

(٤) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: أي: مناظرُهم، وكلُّ واحد منهم مَنظَرٌ بلا مَخْبَرٍ.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: لأنَّهم يقولون قولَ المحِقِّ الصَّادِق تلبيسًا وتزويرًا.

وروي أنَّ ابن أُبيٍّ كان رجلًا جميلًا[٢] لَسِنًا فصيحًا، فإذا قالَ سمعَ النَّبيُّ ﷺ قولَه[٣].

وقيل: هذا الخطاب ليس للنَّبيِّ ﷺ على الخصوص، ومعناه: أنَّ مَن سمع كلامَهم أعجبه، وهو كقولك: أحسب أنَّ فلانًا كذا؛ أي: مَن نظر إليه يحسب أنَّه كذا.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٢).

(٢) في (ر): «محيلاً»، وفي مصدري التخريج: «جسيمًا».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٣٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ونقل الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٦٩) عن الكلبي قال: (يعني عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر).

وقال الضَّحَّاك: نزلت في وَدَاعةَ ومعتِّبِ بن قُشيرٍ وجَدِّ بن قيس وأوسِ بن قَيْظيٍّ وطُعمةَ بن أُبيرِقَ وعبد الله بن نَبْتلٍ ومجمِّع بنِ جارية لعنهم الله، وكانت لهم ألسنٌ وأجسام.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: وهي جمع خَشْبَة، كالثُّمُر جمع ثَـمَرة.

و﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾: التَّسنيد[1] تكثير الإسناد لكثرة[2] المحالِّ؛ أي: كأنَّها أسندَت إلى مواضع.

ولهذا التَّشبيه وجوه:

أحدها: هي كالجماد أشباحٌ وصُوَرٌ، لا تهتزُّ للتَّدبر[3] في آيات الله، ولا تتحرَّك للتَّفكُّر فيما يورده عليهم رسولُ الله ﷺ من حُجج الله تعالى، كالخُشُب المسنَّدة التي هي قائمة لا حراك فيها، ولا علم ولا عقل.

والثَّاني: هم كخُشُب نَخِرَة، قد سُنِدَتْ إلى مواضعَ تُمسِكها، فهي بإمساكها إيَّاها تَتَصوَّر للنَّاظر بصورة ما يُنتَفع به، وهي في الحقيقة لا منفعةَ لها لمن عرفها واختبرها، فكذلك هؤلاء المنافقون إذا انكشفَتْ ضمائرُهم هانَتْ على أولي الألباب ظواهرُهم.

والثَّالث: أنَّ قلوبهم لا تعي خيرًا، ولا تضمر صدقًا، كالخُشُب ليس لها باطنٌ يتضمَّن معنًى ويثمر نفعًا.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾: وهو وصفٌ لهم بالجبن؛ أي[4]:

---

(١) في (أ): «التسند».

(٢) في (ر) و(ف): «بكثرة».

(٣) في (أ): «للنذير».

(٤) في (ر): «أو».

لجبنهم يحسبون أنَّ كلَّ مَن صاح فإنما يصيح عليهم، وهم المقصودون بها، فأخذ جرير هذا المعنى فقال:

ما زلْتَ تحسَبُ كلَّ شيءٍ بعدَهُمُ ... خيلًا تَكُرُّ عليهمُ ورجالًا[١]

وقال عبيد بن أيُّوب:

لقدْ خِفْتُ حتَّى لو تمرُّ حمامةٌ ... لَقُلْتُ عَدوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ[٢]

وقال ابن جريج: أي: كلَّما نزل القرآن خشوا[٣] أن يكون فيهم وعليهم؛ بما قد علموا من الغشِّ والعداوة للنَّبيِّ ﷺ[٤].

وقيل: كلَّما تفلَّتَتْ دابَّة في العسكر، أو سمعوا نداءً، أو أمرَ النَّبيُّ ﷺ بقتالٍ، ظنُّوا أنَّهم مرادون بذلك، وهو كقول القائل:

يروِّعهُ السِّرارُ بكلِّ أمرٍ ... مخافةَ أنْ يكونَ به السِّرارُ[٥]

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾: أي: الأعداء لك ولأهل دينك ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾؛ أي: لأنَّهم ينقلون الأسرار إلى الكفَّار، ويجبِّنون مَن قدروا عليه من أهل الإيمان.

---

(١) انظر: «ديوان جرير» (١/ ٥٣).

(٢) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٥/ ١٣٢)، و«العزلة» للخطابي (ص: ٥٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٠٠)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١١١).

(٣) في (ر): «حسبوا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٦٥) عن قتادة. وأشار إليه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٧٧) عن قتادة وابن جريج عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩].

(٥) البيت لبشار بن برد كما في «ديوانه» (١/ ٢٤٩).

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: أهلكهم الله، وقيل: لعنهم الله.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: كيف ومن أين يصرفون عن الحقِّ مع وضوح دلائله.

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾: قرأ نافع: ﴿لَوَوا﴾ بالتَّخفيف على أصل الفعل، والباقون بالتَّشديد للتَّكثير[(١)]؛ لكثرة المحالِّ وهي الرُّؤوس.

ولَمَّا نزلَتْ هذه الآيات، وكُشِفَ حالُ ابنِ أبيٍّ قيل له: قد نزلَتْ فيك آياتٌ شِدادٌ، فاذهبْ إلى رسول الله ﷺ يستغفر[(٢)] لك، فلوَّى رأسَه وقال: أمرتموني أن أؤمن فآمنْتُ، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيْتُ، فما بقي إلَّا أنْ أسجدَ لمحمَّد. فنزلت الآية[(٣)].

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: أي: يعرضون عمَّا دُعوا إليه.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن المصير إلى رسول الله ﷺ.

ويجوز أن يكون هذا حالًا على تقدير: يصدُّون مستكبرين، ويجوز أن يكونا وصفَيْن مقصودَيْن.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١).

(٢) في (ف): «ليستغفر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٧) عن بشير بن مسلم.

(٦) ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾: لأنَّهم كفار، وهو إخبار عن موتهم على الكفر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: ما داموا على فسقهم مختارين لذلك.

قال عطاءُ بن أبي مسلم: كان النَّبيُّ ﷺ إذا أراد مقامًا لخطبة يسبقه[1] عبد الله بن أبيٍّ إلى المقام، فيقول للنَّاس: هذا رسولُ الله أكرمَكم اللهُ به، فأعِزُّوه وانصروه ووقِّروه، فقال يومًا في مقامٍ نحو هذا، فجبهه المسلمون من كلِّ وجه، وقال له عمر: اقعد أيُّها المنافق[2]، وقام بسيفه متوجِّهًا نحوه، فقال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟»، قال: إنِّي[3] أريد هذا المنافق لأقتله، فقال: «بل نحسنُ جوارَه حتَّى يفارَقنا»، فرجع عبدُ الله ولم يدخل المسجد، فاستقبلَه بنو عمِّه فقالوا له: ما أخرجَكَ؟ قال: أتيْتُ لأسدِّد أمرَه فجبهني أصحابُه، وقال لي عمر ما قال، فقالوا: ارجع إلى رسول الله ﷺ فاستغفرِ الله يستغفر لك رسولُ الله ﷺ، فقال: ما أبالي أستغفرَ لي أم لم يستغفر لي، فأنزل الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ الآية[4].

* * *

(٧) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «يخطبه سبقه».

(٢) في (أ) و(ف): «الكافر».

(٣) في (أ) و(ف): «فقال» بدل: «قال إني».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾: أي: يتفرَّقوا، وهم لم يقولوا: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّهم كانوا لا يعتقدونه رسولَ الله، وإنَّما قالوا: (على مَن عند محمَّد)، لكنَّ الله تعالى لَمَّا أخبر عنهم ذكرَه باسم كرامته[1]؛ تعظيمًا له، وتنبيهًا لعبادِه على منزلتِه عنده.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلو شاء لأغنى المؤمنين عن المنافقين وسائر الكفَّار، ولكنَّه تعبَّد المؤمنين بالصَّبر على الضِّيق، وكلَّف المنافقين الإنفاق عليهم؛ إرغامًا لهم وتشديدًا عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: وجوهَ الحِكَم الإلهيَّة.

* * *

(٨) - ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: قيل: معناه: ويقولون، وحذفُ واوِ العطف جائزٌ كما مرَّ في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨].

﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾: وهذا كان من ابن أُبيٍّ المنافق في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وكان خرج فيها مع النَّبيِّ ﷺ بشرٌ كثير من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قطُّ مثلَها، ليس بهم[2] رغبةٌ في الجهاد، بل إصابة عرَض الدنيا.

قال الواقديُّ: بينما المسلمون على ماء المريسيع، وقد انقطعَت الحربُ، وهو ماءٌ قليلٌ، إنَّما يخرج في الدلوِ نصفُها، أقبل سِنان بن وبرة الجهني، وهو حليف

---

(١) في (ر): «باسمه كرامة».

(٢) في (ف): «لهم».

بني سالم بن عوف بن الخزرج، ومعه فتيان من بني سالم يستَقُون، فوجدوا على الماء جمعًا من العسكر من المهاجرين والأنصار، وكان جَهْجَاه بن سعيد الغفاري أجيرًا لعمر بن الخطاب، فأدلى سنان، وأدلى جهجاه، وكان جهجاهٌ أقربَ السُّقاة إلى سنان، فخرجت إحدى الدَّلوين[١] ولم تخرج الأخرى، فقال سنان: هي دلوي، وقال جهجاه: والله ما هي إلَّا دلوي، فتنازعا إلى أن رفع جهجاه يدَه فضرب سنانًا، فسال الدَّم، فنادى: يا آل الخزرج، فثارت الرِّجال، وهرب جهجاه، وجعل ينادي في العسكر[٢]: يا آل قريش، يا آل كنانة، فأقبلَتْ إليه قريش سراعًا، فنادى سنان: يا آل الأنصار، فأقبلت الأوس والخزرج، وشهروا السِّلاح، حتى خيف فتنة[٣] عظيمة، وترك جهجاه خصومته.

وكان ابنُ أُبيٍّ جالسًا في عشرةٍ من المنافقين، هو ومالك وداعِسٌ وسُويد وأوس بن قيظيٍّ ومعتِّب بن قُشير وزيد بن اللَّصيْتِ، وعبد الله بن نبتل، وفي القوم زيدُ بن أرقم، غلامٌ لم يبلغْ أو قد بلغ، فغضب ابنُ أُبيٍّ غضبًا شديدًا، وكان ممَّا يُسمَع منه أن قال: والله ما رأيْتُ كاليوم قطُّ مذلَّة، والله إنْ كنْتُ لكارهًا لوجهي هذا، ولكنَّ قومي غلبوني، قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا ملَّتنا، والله ما صرْنا وهم إلَّا كما قال القائل: سمِّنْ[٤] كلبَك يأكلْك، والله لقد ظننْتُ أنِّي سأموتُ قبلَ أنْ أسمعَ هاتفًا يهتفُ بما هتفَ به جهجاه وأنا حاضر، لا يكون لذلك منِّي غِيَرٌ، واللهِ لئن رجعْنا إلى المدينة ليخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.

---

(١) في (ر): «الذنوب».

(٢) في (أ): «الناس».

(٣) في (أ): «خفقت» بدل «خيف فتنة».

(٤) في (ر): «لا تسمن».

ثم أقبلَ على مَن حضر من قومه فقال: إنَّما فعلتم بأنفسكم، أحلَلْتُموهم بلادكم، فنزلوا منازلكم، واستهمتُموهم في أموالكم حتَّى استغنَوا، أمَا والله لو أمسكتم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير بلادكم، ثم لم يرضَوا بما فعلْتُم حتى جعلْتُم أنفسكم أغراضًا للمنايا، فقُتلْتُم دونَه، وأيتمْتُم أولادكم، وقَلِلْتُم وكَثُروا.

فقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كلِّه إلى رسول الله ﷺ وعندَه نفرٌ من أصحابه من المهاجرين والأنصار: أبو بكر الصِّديق وعثمان بن عفَّان وسعد بن أبي وقَّاص ومحمَّد بن مسلمة وأوس بن خَوْلي وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهم أجمعين، فأخبره الخبر، فكره رسولُ اللهِ ﷺ خبرَه وتغيَّرَ وجهَه، ثم قال له: «غضبْتَ عليه؟»، قال: لا واللهِ، لقد سمعْتُ منه يا رسول الله.

وشاع في العسكر ما قالَ، فليس للنَّاس حديثٌ إلا ما قالَ ابنُ أُبيٍّ، وجعل الرَّهْط من الأنصار يؤنِّبون الغلام ويلومونه، يقولون: عمدْتَ إلى سيِّد قومِكَ تقول عليه ما لم يقل، لقد ظلمْتَ وقطعْتَ الرَّحم.

فقال زيدٌ: والله لقد سمعْتُ منه ما قال، والله ما كان في الخزرج رجلٌ واحدٌ أحبَّ إليَّ من عبد الله بن أُبيٍّ، واللهِ لو سمعْتُ هذه المقالة من أَبي لنقلْتُها إلى رسول الله، وإنِّي لأرجو أن يُنزِلَ الله على نبيِّه ﷺ حتَّى يعلموا أنا كاذبٌ أم غيري[1]، أو يرى رسولُ الله ﷺ تصديقَ قولي.

وجعل زيد بن أرقم يقول: اللَّهم أنزل على نبيِّك ما يصدِّق حديثي، فقال قائلٌ: يا رسول الله، مُرْ عبَّاد بن بِشْرٍ فليأتِكَ برأسِهِ، فكرِهَ رسولُ الله ﷺ هذه المقالة.

ويُقال: قيل: قُلْ لمحمَّد بن مسلمة يأتيك برأسه.

---

(١) في (ر): «أني كاذب أم صادق».

فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا يتحدَّث النَّاسُ أنَّ محمَّدًا يقتل أصحابه».

وقام النَّفر من الأنصار الذين سمعوا قول النَّبي ﷺ وردَّه على الغلام، فجاؤوا إلى ابن أُبيٍّ فأخبروه، فقال أوس بن خَوْلي: يا أبا الحُبَاب، إنْ كنْتَ قلْتَه فأخبرِ النَّبيَّ ﷺ فليستغفرْ لك، ولا تجحدْ فينزلَ فيك ما يكذِّبُك، وإنْ كنْتَ لم تقلْهُ فأتِ رسولَ الله ﷺ فاعتذر إليه، واحلفْ لرسولِ الله ﷺ ما قلْتَه.

فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئًا، ثم مشى ابنُ أبيٍّ إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «يا ابنَ أُبيٍّ، إنْ كانت سلفَتْ منك مَقالة فتُبْ[1]»، فجعل يحلِفُ بالله: ما قلْتُ ما قال زيدٌ، وما تكلَّمْتُ به.

وفي حديث عمر: أذِنَ رسولُ الله ﷺ بالرَّحيل حين بلغَه هذا الكلام، وكانوا في حرٍّ شديدٍ، وكان لا يَرُوْحُ حتى يُبْرِدَ، ولَمَّا ركب ناقته القصواء كان أوَّل مَن لقيه سعد بن عبادة، فقال: السَّلام عليك أيُّها النَّبيُّ ورحمة الله وبركاته، قال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام»، قال: يا رسول الله، لقد رحلْتَ في ساعة منكرة، لم تكن ترحل فيها.

وقيل: لقيه أُسَيْدُ بنُ حضير ـ وهو أثبتُ ـ فقال رسولُ الله ﷺ: «ألم يبلغْكَ ما قال صاحبُكم ابنُ أُبيٍّ، زعمَ أنَّه إنْ رجعَ إلى المدينة أخرجَ الأعزُّ منها الأذلَّ»، قال: فأنت يا رسول الله تخرجُه إنْ شئْتَ، فهو الأذلُّ، وأنت الأعزُّ، والعزَّةُ لله ولرسوله وللمؤمنين، ثم قال: ارفقْ به يا رسول الله، فوالله لقد جاءَ اللهُ بك، وإنَّ قومه ليَنْظُمون له الخرز ليتوِّجوه به، فجاء الله بك على هذا الحديث، فلا يرى إلَّا أن قد سلبْتَه ملْكَه.

قالوا: فبينا رسول الله ﷺ يسير من يومِه ذلك وزيد بن أرقم يعارض النَّبيَّ ﷺ

---

(١) في (أ): «فتب إلى الله».

براحلته يريه وجهَه، ورسول الله يستحثُّ راحلتَه: حل حل؛ إذ نزلَ عليه الوحيُ.

قال زيدُ بن أرقم: فما هو إلَّا أن رأيْتُ النَّبيَّ ﷺ تأخذه البُرَحاء، ويعرق جبينُه، وتثقلُ به راحلته حتى ما تكاد تُقلَّه، عرفْتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ يُوحَى إليه، فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وأخذ بأذني وأنا على راحلتي، حتى ارتفعْتُ عن مقعدي يرفعُها إلى السَّماء، وهو يقول: «وَفَتْ أُذُنُكَ يا غلام، لقد صدَّقَ اللهُ حديثَكَ»، وأنزل الله تعالى في ابنِ أُبيٍّ السُّورة من أوَّلها إلى آخرها: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: بذاته، ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بإعزازه، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّهم أتباع رسولِه ﷺ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مواضعَ العزَّة.

وقال بعض أهل العلم: عِزُّ اللهِ: عِزُّ الملك والبقاء، وعِزُّ العظمة والكبرياء، وعِزُّ البذل والعطاء، وعِزُّ الرِّفعة والسَّناء، وعِزُّ الجلال والبهاء.

وعِزُّ الرَّسول: عِزُّ السَّبق والابتداء، وعزُّ الاختيار والاصطفاء، وعِزُّ الأذان والنِّداء، وعِزُّ قَدَم الصِّدق على الأنبياء، وعِزُّ الظُّهور على الأعداء.

وعِزُّ المؤمنين: عِزُّ التَّأخير، وعِزُّ التَّيسير، وعِزُّ التَّبشير، وعِزُّ التَّوفيق، وعِزُّ التَّكثير[2].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «نحن الآخِرون الأوَّلون»[3]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١]، «تناكحوا توالدوا[4] تكثروا»[5]،

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٤١٦ ـ ٤٢٠).

(٢) في (أ): «التوفير وعز التكبير»، وفي (ر): «التوقير وعز التكبير».

(٣) رواه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «توالدوا» من (ف).

(٥) رواه الشافعي في «الأم» (٥/ ١٤٤) عن النبي ﷺ بلاغاً وزاد: «فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة =

«يصفُّ[١] النَّاسُ يومَ القيامة مئة وعشرين صفًّا، ثمانون منها هذه الأمَّة»[٢].

***

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: لا يشغلكم كما يشغلُ هؤلاء المنافقين، فحمَلَهم الشُّحُّ على أن قالوا: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾، ودعاهم التَّعزُّز بأموالهم وأولادهم وعشيرتهم إلى أن قالوا: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾.

قوله: ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عن أن تذكروا الله الذي رزقَكُم الأموالَ والأولادَ، وله خزائن السَّماوات والأرض، وله العزَّةُ ولرسوله.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومَن يشتغل بذكر الأموال والأولاد عن ذكر الله؛ أي: عن أن يذكر قدرة الله وسلطانَه وعزته.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: المغبونون في الآخرة والهالكون، وجمع لأنَّ (مَنْ) اسم جنس، وهو جمعٌ معنًى.

= حتى بالسقط»، ورواه أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما دون قوله: «حتى بالسقط» وإسناده ضعيف، كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٦٩). وله شاهد من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، بلفظ: «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الْوَلُودَ فإنِّي مُكَاثِرٌ بكم الأُمَمَ».

(١) في (ر) و(ف): «يصبح».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٩٤٠)، والترمذي (٢٥٤٦) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٣) وصححه، من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أهلُ الجَنَّةِ عشرونَ ومئةُ صفٍّ، منهم ثمانونَ من هذه الأُمَّة».

وقال الضَّحَّاك: ذكرُ الله الصَّلاة[1].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾؛ أي: أخرجوا من أموالكم في الوجوه التي أُمرتم بإخراجِها فيها، فإنَّها عطيَّةٌ من الله لكم، فلا تبخلوا بعطيَّته عن أداء فروضِه فيها.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما والحسن والضَّحَّاك: هذا في الزَّكاة[2].

وقال الحسن: لم يكن الله ليتوعَّد أحدًا بالنَّار إلَّا بترك المفروض.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾: أي: مقدِّماتُ الموت.

﴿رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾: أي: هلَّا أبقيتني في الدُّنيا مدَّة.

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: أي: فأتصدَّق.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿وأكونَ﴾ عطفًا على قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]؛ اتِّباعًا لخط مصحف الإمام، وهو عطف على الأوَّل معنًى وتقديرًا، فإنَّ ﴿لَوۡلَآ﴾ تمنٍّ، ومعناه: إنْ يؤخِّرْني أتصدَّقْ وأكنْ من الصَّالحين بإخراج الحقوق الواجبة في المال من حجٍّ وجهادٍ وقِرَى ضيفٍ وصلةِ رحمٍ ونحوها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٧١ – ٦٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسفيان.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: مَن كان له مالٌ يبلِّغه حجَّ بيت ربِّه، أو يجب[١] عليه فيه زكاةٌ، ثم لم يفعل، سأَلَ اللهَ تعالى الرَّجعة عند الموت. فقال رجلٌ من القوم: اتَّقِ اللهَ تعالى يا ابنَ عبَّاسٍ، إنَّما يسأَلُ الكافرُ الرَّجعةَ! فقال: أقرأ عليك؟ فقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآيات[٢].

* * *

(١١) - ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾: أي: قدَّر اللهُ مدَّة كلِّ أحدٍ إلى حينه، فإذا جاء لم يُقدَّم ولم يُؤخَّر.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فليس يضيعُ عندَه ما تنفقون.

قرأ عاصم في رواية أبي بكر بياء المغايبة[٣]؛ ردًّا على معنى قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ فإنَّه للجمع معنًى، والباقون بتاء المخاطبة ردًّا على قوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾، ﴿وَأَنفِقُواْ﴾، و﴿أَحَدَكُمُ﴾.

* * *

(١) في (ف): «يوجب».

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، موقوفًا عليه ومرفوعًا. وقال: الموقوف أصح.

وقال عن المرفوع: فيه أبو جناب القصَّاب، اسمه: يحيى بن أبي حية وليس هو بالقوي في الحديث.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١).

سُورَةُ التَّغَابُنِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي هو على كلِّ شيءٍ قدير، الرحمنِ الذي هو بأعمال العباد بصير، الرحيمِ الذي إليه المرجعُ والمصير.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ التَّغابُنِ دفعَ اللهُ تعالى عنه موتَ الفَجأة»(١).

وهـذه السُّـورة مكيَّـة إلَّا قولَـه تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ الآيتيـن، فإنَّهمـا نزلتـا بالمدينـة(٢).

وقال عكرمة: السُّورة مدنيَّة(٣).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٦)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (أ) و(ف): «مدنية» بدل من «نزلتا بالمدينة».

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٧٩) ونسبه للجمهور، منهم كما قال: ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. والقول بأنها مكية عزاه للضحاك، وذكر عن عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة.

وهي ثماني عشرةَ آية، ومئتان وإحدى وأربعون كلمة، وألفٌ وأربعةٌ[١] وسبعون حرفًا.

ووجه الانتظام: أنَّ ختم تلك السُّورة باسم الله، وافتتاحَ هذه السُّورة بأسماء من أسماء الله تعالى.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في ذمِّ المنافقين، وآخرُها وعظ المؤمنين، وهذه في ذمِّ الكافرين، وآخرها وعظ المؤمنين.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فسَّرناه في أوَّل (سورة الحديد).

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أي: أوجدكم.

﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾: قدَّم ذكر الكفَّار لأنَّهم أكثر، ودلَّ أنَّه لا منزلة بين المنزلتين.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ليس بين الجنَّة والنَّار منزلة، وليس بين الطَّاعة والمعصية عمل، وليس بين الكفر والإيمان اسم[٢].

---

(١) في (أ) و(ف): «وأربع مئة». وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٨)، وفيه: وحروفها ألف وسبعون حرفا.

(٢) لم أقف عليه.

وقيل: فمنكم كافرٌ في علم الله تعالى في الأزل، ومنكم مؤمنٌ في علم الله في الأزل.

وقيل: فمنكم مَن يكفر بالله إذا عقل[1]، ومنكم من يؤمن بالله إذا عقل.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجزي كلًّا على وفق عمله.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بحقه[2]، وقيل: للحقِّ.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: فالإنسان على أحسن صورة.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزاء الله مرجع الخلق.

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه شيء.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر الصُّدور.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: يخاطب مشركي قريش يقول: ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبلكم من الأمم الماضية ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: نالهم ضرر كفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الواضحة ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؛

---

(١) في (أ): «غفل».

(٢) في (ر): «لحقه».

أي: تعجَّبوا وأنكروا أن يكون الله يرسلُ إلى خلقه بشرًا منهم حتى يكون مَلَكًا.

﴿فَكَفَرُوا﴾: فجحدوا ذلك ﴿وَتَوَلَّوا﴾؛ أي: أعرضوا عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله.

﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾: وكان الله غنيًّا عن إيمانهم، فلم[1] يَنقصوا بكفرهم ومعاصيهم من ملك الله شيئًا

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عباده ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحِقٌّ للحمد من جميع خلقه، وحميد بحمد الملائكة والرُّسل والمؤمنين.

والبشر يصلح للواحد والجمع، وهاهنا للجمع حتى قال: ﴿يَهْدُونَنَا﴾.

* * *

(٧) ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: قالوا كاذبين.

قال شريح: (زعم) كُنْيَةُ الكذب[2].

وعن هانئ بن عروة أنَّه قال لابنه: هب لي اثنتين: زعموا وسوف، لا يكونان في كلامك[3].

---

(١) من قوله: «تعجبوا...» إلى هنا ليس في (أ).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٩٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٩٥)، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «الزهد» لأبيه (١١٩٦). قلت: وما ذكر في ذم الزعم هو في القرآن كذلك، فإنه كما قال الراغب في «مفرداته» (مادة: زعم): (جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّ القائلون به). لكنه في غير القرآن ليس معناه مقتصراً على ما الذم كما ذكر بعض العلماء، قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٥٢): الزعم يطلق على القول المحقق أيضاً كما نقله أبو عمر الزاهد في «شرح فصيح» شيخه ثعلب، وأكثر سيبويه من قوله: =

وقال النَّبيُّ ﷺ: «بئس مطيَّة القوم[١] زعموا»[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾؛ أي: بعد الموت يوم القيامة.

﴿قُلْ بَلَىٰ﴾: هو ردٌّ لقولهم ﴿وَرَبِّى﴾؛ أي: وحقِّ ربي ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾؛ أي: لتخبرنَّ به للجزاء عليه.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: وبعثهم سهلٌ عليه كابتدائهم.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

= زعم الخليل، في مقام الاحتجاج. وقال النووي في «شرح مسلم» (١/ ٤٥): وقد كثر الزعم بمعنى القول، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «زعم جبريل» وفي حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه: زعم رسولك، وقد أكثر سيبويه في «كتابه» المشهور من قوله: زعم الخليل كذا، في أشياء يرتضيها سيبويه، فمعنى زعم في كل هذا: قال.

وحديث ضمام رواه مسلم (١٢) من حديث أنس رضي الله عنه. وحديث «زعم جبريل» ورد في حديث أبي قتادة، رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٩٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه.

(١) في (أ) و(ف): «المسلم».

(٢) رواه أبو داود (٤٩٧٢) من طريق أبي قلابة عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، بلفظ: «بئس مطية الرجل زعموا»، وإسناده ضعيف لانقطاعه، أبو قلابة ـ وهو عبد الله بن زيد الجَرْمي ـ لم يدرك أبا مسعود البدري، ونبه على انقطاعه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٥١)، وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٢٤٣، ٢٤٤). قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (١١/ ٧٤٢): «معنى قوله: «بئس مَطِيَّةُ الرجل زعموا» أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد، والظَّعن في حاجة، ركب مَطِيَّتَهُ، وسار حتى يقضيَ حاجته، فشبَّه النبيُّ ـ ﷺ ـ ما يُقَدِّمه الرجل أمام كلامه، ويتوصل به إلى حاجته من قوله: «زعموا» بالمطيَّة التي يتوصل بها إلى الموضع الذي يقصده».

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾: أي: القرآن؛ ليستضاءَ به من ظُلمة الضَّلال، ويُهتدَى به لمصالح الدِّين؛ لئلا تذوقوا وبال أمركم، وفي الآخرة العذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عالم به يجازيكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: أي: ليوم القيامة؛ لجمع الله فيه الأوَّلين والآخرين، الجنَّ والإنس، والحيوانات كلِّها.

وقيل: أي: يجمع أهل السَّماوات وأهل الأرض.

وقيل: أي: يجمع أهل الجنَّة وأهل النَّار.

وقيل: أي: يجمع الخصوم، فينصف للظَّالم من المظلوم[1]، ويقتصُّ للجمَّاء من القَرناء.

﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾: أي: يومُ تفاوت الأجزيَة، وذلك لأن أهل[2] الجنَّة وأهل النَّار كِلا الفريقَيْن كانا في الدُّنيا متمكِّنَين من الأعمال، مُعطَين سلامة الآلات، فاستعملَ أحدُهما قوَّته فيما استجلبَ به الجنان، واستعملها الآخر فيما اكتسبَ به النِّيران، فغبَنَ الأوَّلُ الثَّاني، كما يخرج الرَّجلان في سفر لتجارةٍ، فيبيع أحدُهما بوكس وخسران، أو يشتري بماله ما يُطلب منه بنقصان، ويربح الآخر، فيقول الخاسر للرَّابح: لقد غبَنْتَني، فكانَ التَّغابن هو النَّظر أيُّهما المغبون وأيُّهما الغابن.

وقال أهل الرِّواية والنَّقل: ما مِن أحدٍ إلَّا وله منزلٌ في الجنَّة ومنزلٌ في النَّار[3]،

---

(١) في (أ): «فينصف من الظالم المظلوم».

(٢) في (ر) و(ف): «وذلك لأهل».

(٣) يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه في سؤال الملكين، وفيه: «فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا». رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

فإنْ كان من أهل الجنَّة صُيِّر منزلُه في النَّار لغيره من أهل النَّار، وإنْ كان من أهل النَّار صُيِّر منزلُه في الجنَّة لغيره من أهل الجنَّة، وعلى هذا حمَل أكثر أهل الرِّواية قولَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] على هذا.

وعند أهل التَّحقيق: ليس هو على ظاهرِ أن يكون هو له ثم يصيرَ لغيره، لكنْ بعددِ كلِّ عبد منزل في الجنَّة؛ إن آمن كان له، وإن لم يؤمن لم يكن له، وبعدد كلِّ عبدٍ بيتٌ في النَّار، إن كفر كان له، وإن لم يكفر لم يكن له، والله تعالى عالم في الأزل مَن يؤمن ومن يكفر، لا تبدُّل على علمه، ولا تغيُّر على حكمه، وإنَّما الاشتباه على خلقه.

وقيل: الدُّنيا متجر، ويظهر الرِّبح والخسران في الآخرة، وهو ما ذكر بعده.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: لهؤلاء الرِّبح.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: لهؤلاء الخسران.

وقيل: أشدُّ النَّاس غُبنًا يوم القيامة ثلاثة نفرٍ[1]:

عالمٌ علَّم النَّاس، فعملوا بعلمه، وخالف هو علمَه، فدخل غيرُه الجنَّة بعلمِه، ودخل هو النَّار بعمله.

---

(١) «نفر» ليست في (أ).

وعبدٌ أطاعَ اللهَ بقوَّة مال سيِّده، وعصى سيِّدُه اللهَ تعالى، فدخل العبدُ الجنَّة بقوَّة مال مالكِه، ودخلَ مالكُه النَّار بمعصيته.

وولدٌ[(١)] ورثَ مالًا من أبيه، وأبوه شحَّ به، وعصى الله فيه، فدخل أبوه النَّار ببخلِه، ودخل هو الجنَّة بإنفاقِه في الخير.

***

(١١) ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ يحتمِل أنَّه توهَّم بعضُ المشركين أنَّ الإيمان لو كان حقًّا لسلِم المسلمون من المصائب في أبدانهم وأموالهم، فقال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ﴾ العباد ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]: أي: بعلم الله، وقيل: أي: بتخليقه، وقيل: بقضائه، وقيل: بمشيئته، ولو شاء لسلِمَ منها صاحبها، ولكن قد يصيب المؤمنين بالمصائب استصلاحًا لهم، وامتحانًا لصبرهم، وتكثيرًا لمثوباتهم.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: إلى ما هو صلاحٌ له.

وقيل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: بأنَّ المصيبة من عند الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للاسترجاع، وقيل: للصَّبر والرِّضا.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما يُصلح عبادَه ويردعُهم عن معاصيه.

وقيل: بإيمان كلِّ مؤمن عليمٌ.

---

(١) في (ر): «ووارث».

(٢) في (ر): «إلا بإذن الله وتتصل هذه بالآية».

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ لليقين، فيعلم أنَّ ما أصابَه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[١].

وقال مجاهدٌ: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ إذا ابتليَ صبرَ، وإذا أُنعِم عليه شكرَ، وإذا ظُلِمَ غفر[٢].

وقيل: الآية في الممتنعين عن الجهاد خوفًا من القتل والجرح والنَّكبة، فأخبرَ أنَّه لا تصيب عبدًا مصيبةٌ من ذلك إلَّا بقضاء الله تعالى، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للعلم بأنَّ[٣] في ثوابِ الله عوضًا من ذلك كلِّه.

وقيل: هي في قوم أرادوا الهجرة، وخافوا على أولادهم وأهاليهم ببعد المسافة وإصابة الآفَة، فأَخبر أنَّ ذلك لا يكون إلَّا بإذن الله، وتتَّصل هذه بالآية التي بعدها: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ على ما نبيِّن.

وقال أبو عثمان النَّيسابوريُّ[٤]: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: يصحِّحْ إيمانَه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ لاتِّباع السُّنَّة[٥].

وقيل: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ حتى يهتديَ إليه في السَّراء والضَّرَّاء بما يَلزمُه فيهما[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٣) عن الكلبي.

(٣) في (ف): «بالعلم بأن» وفي (ر): «فيعلم أن».

(٤) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري، أصله من الرِّي، صحب قديمًا يحيى بن معاذ الرَّازي وشاه بن شجاع الكرماني، ثم رحل إلى نيسابور إلى أبي حفص وصحبه وأخذ عنه طريقته، وهو في وقته من أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريقة التَّصوُّف بنيسابور. توفي سنة (٢٩٨هـ). انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٤٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٨٣).

(٦) أي: في السراء للشكر، وفي الضراء للصبر، وهما لازمان للمؤمن لينال رضا ربه. وهذا معنى جزئي، والآية عامة تحتمله وغيره من كل ما ذكر ومن غيره من أنواع الهداية.

وقيل: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للأخلاق السَّنيَّة، والتَّوقِّي[1] عن شحِّ النَّفس.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾: في كلِّ أمرٍ ونهيٍ من الإيمان والجهاد والهجرة.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: أعرضتُم عن قبول[2] ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وقد بلَّغكم ذلك، وأعذر إليكم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: المستَحِقُّ للإيمان به ولعبادته.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: وليهاجروا ولا يخافوا ضياع أهاليهم وأولادهم.

***

(١٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾: أي: مَن يعملُ بكم عملَ العدوِّ من المنع عن الخير وهو الجهاد والهجرة؛ تخويفًا لكم عن ضياعهم، ومنعًا لكم بالبكاء ونحوه.

﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾: أن تُفْتَتَنوا بهم.

---

(١) في (أ): «والتنقي».

(٢) في (ر): «فعل». وفي (ف): «قبول فعل».

قال مقاتل بن حيَّان: نزلت الآية في شأن الهجرة، جعل المرأة والولد يقولان للرَّجل: أين تذهب وتدع عشيرتك وأهلك ومالك، وتصير إلى المدينة إلى غير أهل ومال؟ فيثبِّطونهم[١] عن الهجرة، فكان الرَّجل يقول لهم: إنْ جمعنا الله وإيَّاكم في دار الهجرة لا تصيبون منَّا خيرًا، فحذَّرهم الله تعالى أن يطيعوا نساءهم وأولادهم في ترك الهجرة، فلمَّا جمعهم الله تعالى وأولادهم في دار الهجرة منعوهم ما ينتفعون به، فوعظهم الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأمرَهم اللهُ بالعفو عنهم[٢].

وقال عكرمة: إنَّ قومًا أسلموا بمكَّة، فلمَّا أرادوا أن يخرجوا إلى المدينة منعتهم[٣] أزواجُهم وأولادهم، فلمَّا قدموا على النَّبيِّ ﷺ المدينةَ رأوا النَّاس وقد تفقَّهوا في الدِّين، فأرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤].

وقال عطاء بن أبي مسلم الخراسانيُّ: نزلت الآية في شأن عوف بن مالك الأشجعيِّ، كان أهله وولده يبطِّئونه عن الجهاد والهجرة[٥].

وقيل: الآية في أزواجٍ وأولادٍ كفَّار، وهم عدوٌّ له للمخالفة في الدِّين، ولذلك قال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ بكلمة (مِن)، وهي للتَّبعيض، والمؤمنون خارجون عن هذا الوصف.

---

(١) في (أ) و(ف): «فيبطئونهم».

(٢) نحوه في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٣٥٣).

(٣) في (ف): «فأرادوا أن يخرجوا إلى المدينة فمنعهم».

(٤) رواه الترمذي (٣٣١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤) عن عكرمة.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٠) عن عطاء بن يسار وعطاء الخراساني.

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: في دينكم، يمنعكم الأولاد عن إنفاقها في الواجب في الدِّين.

والفتنة: تشديد المحنة.

ومَن أراد الامتناع عن مطاوعة الأهل والولد، وأراد صيانة ماله عن أن يدخله نقصان مع أداء الحقوق الواجبة[1] فيه، احتاج في ذلك إلى ضبطٍ للنَّفس شديد، وجهاد للشَّيطان كبير.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فاعصُوا النَّفس والأهل والولد في الشُّحِّ بالمال والضِّنِّ بالنَّفس عن الجهاد.

قال عطاء بن يسار: نزلت هذه السورة كلُّها بمكَّة إلَّا هؤلاء الآيات: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾، نزلت في عوف بن مالك، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا ورقَّقوه، وقالوا: إلى مَن تدعنا؟ فيرقُّ ويقيم، فنزلت هذه الآية[2].

وقيل: هي عامَّة في كلِّ ما يُلجِئُ الرَّجلَ إلى ارتكاب محرَّم أو إلى الإخلال بترك واجب بسببهم.

ورُوي عن بريدة أنَّه قال: رأيْتُ النَّبيَّ ﷺ يخطب، فجاء الحسنُ والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان، يعثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما فرفعهما، ثم قال: «صدق الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، رأيْتُ هذين الغلامَيْن، فلم أصبر حتَّى أخذْتُهما»، ثم أخذ في خطبته[3].

---

(١) في (ر): «الحق الواجب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥).

(٣) رواه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠). وقال =

(١٦) ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: قال قتادة: لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وفسَّره النَّبيُّ ﷺ، وهو أنْ يُطاعَ فلا يُعصى، ويُذكَرَ فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر، شقَّ ذلك على المسلمين مشقَّة شديدة، وخافوا التَّقصير في ذلك، فنزلَتْ هذه الآية[١]: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، فصارت بيانًا أنَّ ذلك الأمر كان بما في استطاعة العبد، وعليها بايع النَّبيُّ ﷺ أصحابَه، فقال: «على السَّمع والطَّاعة فيما استطعتم»[٢].

واتِّصالها بما قبلَها: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ تُحرِزوا ذلك الأجرَ العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾: اقبَلوا أمرَ الله وأمرَ رسوله، واعملوا بذلك ما استطعتم.

﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في سبيل الله ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: يكن أنفعَ لكم من الشُّحِّ.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: أي: يَقِهِ الله عنه[٣] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

* * *

= الترمذي: حسن غريب.

(١) في (أ): «فنزل قوله»، وفي (ر): «فنزلت في هذه الليلة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٩). ورواية عبد الرزاق مختصرة. والمرفوع رواه البخاري (٧٢٠٢) عن عبدِ الله بن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كُنَّا إذا بايَعْنا رسولَ اللهِ ﷺ على السمع والطَّاعة، يقولُ لنا: «فيما استطَعْتُم»

(٣) في (أ): «منه».

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: إن تنفقوا في طاعة الله محتسِبين متقرِّبين[1] به إليه، مخلصين فيه.

﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾: أي: يجزِ لكم[2] بالواحد أضعافَه.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: أي: ذنوبَكم.

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾: يقبل اليسير، ويعفو الكثير[3].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: أي: السِّرِّ والعلانية.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: فلا يُمانَع في معاقبةٍ ولا إثابة[4] ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فكلُّ أفعاله وأقواله على الإصابة.

والحمد لله رب العالمين[5]

* * *

---

(١) في (أ): «محسنين مقتربين».

(٢) في (ف): «يجزكم».

(٣) في (أ) و(ف): «ويغفر الكبير» بدل: «ويعفوا الكثير».

(٤) في (ر): «في معاقبته ولا إثابته».

(٥) في (ر): «والله الموفق للسداد»، وليست في (أ).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعل لكلِّ شيءٍ قَدْرًا، الرحمنِ الذي يُعْظِمُ للمتَّقين أجرًا، الرحيمِ الذي يجعل بعد عسرٍ يسرًا.

وروى أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ماتَ على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ»(١).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي إحدى عشرةَ آية، وقيل: اثنتا عشرة آية، الاختلاف في قوله: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

وهي مئتان وسبع وثمانون كلمة، وألفٌ ومئةٌ وأربعةٌ وسبعون حرفًا.

وخَتْمُ تلك السُّورة بمدح الله وثنائه، وافتتاحُ هذه السُّورة بخطاب الرَّسول ونِدائه.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في الدُّعاء إلى التَّوحيد، وختم تلك السُّورة بالأمر بالتَّقوى والطَّاعة والنَّفقة التي هي سبب بقاء التَّوحيد، وهذه السُّورةُ في بيان

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣١٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

أحكام الرِّجال والنِّساء المشروعة في حقِّ أهل التَّوحيد، وختمها في دلائل التَّوحيد.

* * *

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: أي: يا أيُّها النَّبيُّ وأمَّتُه.

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾ خطابٌ لأمَّتِه.

وقيل: معناه: يا أيُّها النَّبيُّ قلْ لأمَّتك: إذا طلقتم النِّساء.

ومعناه: إذا أردْتُم تطليقَهُنَّ، وهو كقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

والمراد من ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾: هي النِّساء المدخولُ بهنَّ.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: أي: للوقت المعدود لطلاقهنَّ المشروع، وهو طهرٌ لم يجامِعْها فيه، كذا فسَّرها النَّبيُّ ﷺ حيث قال لابن عمر رضي الله عنه حين طلَّقَ امرأتَه في حالة(١) الحيض: «ما هكذا أمرَكَ اللهُ تعالى، إنَّ مِنَ السُّنَّةِ أنْ تطلِّقَها في طهرٍ لا جماعَ فيه؛ فتلك العِدَّة الَّتي أمر الله تعالى أنْ يُطلَّقَ لها النِّساء»(٢).

---

(١) «حالة» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١)، ولفظ مسلم: عن ابن عمر، أنه طلق امرأته وهي حائض، في عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء».

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾؛ أي: عُـدُّوا فصـولَ عِدَّتهـا واحفظوهـا بالأقـراء كانـت أو بالأشـهر؛ لمعرفـة وقـت المراجعـة ووجـوبِ النَّفقـة وزوالِ الأحـكام المتعلِّقـة بقيامهـا إذا انقضَــتْ.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: طلَّقَ النَّبيُّ ﷺ حفصةَ، فأَتَتْ أهلَها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ، وقيل له: راجعْهَا؛ فإنَّها صَّوامةٌ قوَّامةٌ، وهي من أزواجك في الجنَّةِ[١].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ غضبَ على حفصةَ فيما أسرَّ إليها، فطلَّقها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

وقال السُّدِّيُّ: نزلت الآية في عبد الله بن عمر حين طلَّق امرأته حائضًا، فأمَرَه رسولُ الله ﷺ أن يراجعَها[٣].

وقال مقاتل بن حيَّان: نزلَت الآية في عبد الله بن عمرو بن العاص، والطُّفيل بن الحارث، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعتبة بن غزوان رضي الله عنهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: أي: في العدَّة من بيوتٍ كُنَّ يسكُنَّ فيها مع الأزواج حالةَ النِّكاح، أضيفَتْ إليهنَّ لسكناهنَّ، وهو

---

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٥٤). وقال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية: وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩) عن الكلبي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٢).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٩٤).

دليل صحَّة قول أصحابنا في الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير مِلْكٍ، وقد حلفَ لا يدخل داره.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: بأنفسهنَّ أيضًا.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قال الحسن والضَّحَّاك وحمَّاد وسعيد بن المسيِّب وعطاء بن أبي رباح وعبد الرَّحمن بن زيد ومجاهد والشَّعبي وأبو صالح والسُّدِّيُّ وهو مروي عن ابن عمر: هي الزِّنى، فتُخرج للرَّجم(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها والأسود وسعيد بن المسيِّب في رواية وابن عبَّاس: هي أن تبذو على أحمائها، فتُخرج إلى موضع آخر(٢).

روي أنَّ فاطمة بنت قيس كان في لسانها ذَرَب، فاستطالَتْ على أحمائها في عدَّتها، فأمرها رسولُ الله ﷺ أن تعتدَّ في بيت ابن أمِّ مكتوم(٣).

وعن ابن عمر في رواية وعن الشَّعبي والسُّدِّي رحمهما الله: أنَّ الفاحشة هي نفس الخروج(٤).

ومعنى هذا: ألَّا تُخرَجَ أصلًا إلَّا أنْ تخرُجَ بنفسها، فتكون قد أتت بفاحشة؛ أي: فعلة قبيحة في الشَّرع.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢ ـ ٣٣) عن الحسن والشعبي ومجاهد وابن زيد. وذكره عن ابن عمر الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩). وعن السدي الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٢٢٩٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٣٣)، عن سعيد بن المسيب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: أي: وهذه المذكورات معالم شرع الله.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: أي: يتجاوزها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ حيث أوردها موارد الهلاك.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾: أي: أَحْصُوا العدَّة، فعسى الله أن يُحدث لكم رغبةً في المراجعة بعد الطَّلاق، كذا فسَّره الحسن وقتادة والضَّحاك والشَّعبي والنَّخعي والسُّدِّي وعكرمة وابن زيد[(١)].

و﴿لَا تَدْرِى﴾ خطاب للنبي ﷺ، وقيل: خطاب للمطلِّق، وقوله: ﴿يُحْدِثُ﴾ دليل على خلق الأفعال، وهو رغبته فيها وميله إليها[(٢)].

* * *

(٢) ـ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: قاربْنَ انقضاء عدتهنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: هو الرُّجعة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: هو التَّرك حتى تنقضي العدَّة من غير إضرار.

﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أي: على الرَّجعة، وهو للاستحباب عندنا، وللإيجاب عند الشَّافعي رحمه الله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨) عن قتادة والحسن وعكرمة والضحاك والسدي وابن زيد وسفيان.

(٢) أي: الأمر الذي لعل الله يحدثه هو رغبة المطلِّق في مطلقته وميله إليها.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾: أمرٌ للشُّهود بإقامتها لله، لا للنَّاس؛ فإنَّها إذا كانت للنَّاس تُرِكَتْ في بعض الأحوال لرضًا أو غضبٍ، وإذا كانت لله أقيمَتْ على كلِّ حال[1].

﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: أي: إنَّما ينتفع به هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: فائتَمَرَ بأوامرِه وانتهى بنواهيه.

﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: أي: لا يَضيقُ عليه بتقواه أمرٌ كان يتَّسع عليه لو لم يتَّقِ.

***

(٣) ـ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: أي: إذا ترك شيئًا طاعةً لله عوَّضه الله تعالى خيرًا منه من حيث لا يظنُّ.

وهذا في إقامة الشَّهادة، وفي مراعاة أحكام الطَّلاق، والإمساك بالمعروف، والتَّسريح بالإحسان، جميعًا.

وعن مسروق: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ قال: هو أن يَعلم أنَّ الله هو يرزقه، وهو يعطيه، وهو يمنعه[2].

وقال قتادة: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من شبهات الدُّنيا، والكَرْبِ عند الموت، والأفزاعِ يوم القيامة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ في الدُّنيا، فاتَّقوا الله، فإنَّ فيها الرِّزق في الدُّنيا والثَّوابَ في الآخرة[3].

---

(١) في (أ) و(ف): «أقيمت للوجه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦).

وقال ابن كيسان: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيما أَمر به من طلاق السُّنَّة وحسنِ الصُّحبة ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ في الدِّين والدُّنيا ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ إن أطاع الله في أمره أهلًا مكان أهل، ومالًا مكان مال، من حيث لا ينتظره.

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الائتمار بما أمره، والانزجار عمَّا زجره ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة تاركي الأمر ومرتكبي النَّهي ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الثَّواب والجنَّة[١] ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الصَّبر على الرَّزايا والنَّوائب ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة الجازعين ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الأجر بغير حساب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الشُّكر على العطايا والمواهب ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبةِ مَن كفر النِّعمة ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الزِّيادة ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ﴾ في الرِّضا بمحتوم قدره ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة السَّاخطين ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ رضاه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وقال الإمام القشيريُّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: يُخرجْه من ظلمات تدبيره، وينقله إلى شهود تقديره، فجرَّده عن كلِّ شغل، وكفاه كلَّ أمر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: أي: مَن فوَّض أمرَه إلى الله، ووثِقَ بما يدبِّره من الأحوال، فالله حَسْبُهُ مدبِّرًا لأمره.

وفي ذلك ما يدعو إلى إقامة الشَّهادات لله، فلا يخافُ غيرَ الله فيها.

وقيل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وجانبَ معاصيَه، فله فيما يعطيه الله تعالى في

---

(١) في (ف): «في الجنة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٦٠٠).

الآخرة من ثوابه وكرامته كفايةٌ، ولم يَعنِ بذلك في الدُّنيا؛ لأنَّ المتوكِّل قد يضام في الدُّنيا وينالُه فيها ما يكرهُه.

وقال الحسن رحمه الله: التَّوكُّلُ على الله: الرِّضا بكلِّ ما[١] قضى الله[٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ومن يتَّقِ بالله دون خلقِه، صابرًا محتسبًا، يعلم أن الله يَقْدِر على ما يريد، مستيقنًا بذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ يقول: فالله كافيه[٣].

وقال الرَّبيع بن خُثَيم: إنَّ الله تعالى قضى على نفسِه أنَّ مَن توكَّلَ على الله كفاه، ومَن آمَنَ به هداه، ومَن أقرضه جازاه، ومَن وثقَ به أنجاه، ومَن دعاه لبَّاه، وتصديق ذلك كلِّه في كتاب الله[٤].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قوله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ من عجيب الاختصار، ولأنَّه يجزئ عن قول القائل: فهو يرزقه، ويعافيه، وينصره، ولا يُشمت به أعداءه، ويفعل به ويفعل، إلى سائر ما يجوز أن يُقال[٥].

وهذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أن المشركين أَسَرُوا ابنًا له، اسمه: سالم، فأتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ العدوَّ أسروا ابني، فقال له

---

(١) في (ف): «الرضا بما».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوكل» (١٧).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٧٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٨).

(٥) لم أقف على كلام القشيري في المطبوع من «لطائف الإشارات» وقال القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٠٠) في تفسير ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: لم يقل: ومن يتوكل على الله فتوكُّله حسبه، بل قال: فهو حسبه؛ أي: فالله حسبه؛ أي: كافيه».

النَّبيُّ ﷺ: «استكثِرْ من قول: لا إله إلا الله، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله» ـ وفي رواية قال: «اتَّقِ الله واصبر ولا تستعجل» ـ ففعل[١]، فبينما هو في بيته، فقَرع ابنه الباب، فخرج فرآه ومعه مئة من الإبل. في رواية الكلبي[٢] ـ وقال مقاتل بن حيَّان: ومعه أغنام ـ فأتى عوفٌ النَّبيَّ ﷺ، وقال: إنَّ ابني عاد بكذا وكذا، فهل يحلُّ لنا أن نتناول منه؟ قال: «نعم»، وكان عوفٌ رجلًا فقيرًا، فأنزل الله فيه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ كما اتَّقى عوفٌ ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من شدائد الدُّينا، وسكرات الموت، وأهوال يوم القيامة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ كما رزق عوفَ بن مالك وابنه[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾: أي: منفِذُ أمره، ممضٍ له، لا مانع له منه، ولا معترِض عليه.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾: أي: مقدارًا، هو بالغٌ أمرَه إليه.

وقيل: أي: قد جعل لكلِّ شيءٍ أجلًا ينتهي إليه، بلا تأخير ولا تقديم.

وقيل: هو راجعٌ إلى كلِّ ما ذُكِرَ مِن أوَّل السُّورة إلى هاهنا، من حدود الطَّلاق والعدَّة، أخبر أنَّ لكلٍّ مِن ذلك ـ من شرائعه وأحكامه ـ عنده مقدارًا؛ أي: حدًّا فالزموه ولا تتعدَّوه.

* * *

(٤) ـ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾.

---

(١) «ففعل» ليس في (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٦).

(٣) المرجع السابق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾؛ أي: اللَّائي انقطع رجاؤهنَّ لكبرهنَّ من أن يريْنَ دمًا من زوجاتكم المدخول بهنَّ.

﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: أي: شككْتُم في حكم عدتهنَّ أنهنَّ[1] بماذا يعتددْنَ؟

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾: مُقام ثلاثة قروء في التي تحيض.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾: من الصِّغار اللَّاتي لم يبلغْنَ، واللَّائي بلغْنَ بغير الحيض، كذلك يعتددْنَ بثلاثة أشهر.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾: أي: والمطلَّقات الحوامل.

﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: وهو اسمٌ لكلِّ ما في البطن من الولد، واحدًا كان أو أكثر، تنقضي عدَّتها كذلك.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لَمَّا نزل قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: يا رسول الله، لو كانت المرأة آيسة لا تحيض، كيف تعتدُّ؟ فنزل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ الآية، فقام رجل آخر فقال: لو كانت صغيرة فكيف عدَّتها؟ فنزل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾، فقام آخر وقال: لو كانت حاملًا فكيف عدَّتها؟ فنزل: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[2].

فأمَّا الحامل المتوفَّى عنها زوجها فكذلك تنقضي عدَّتها بوضع حملها؛ لِمَا رُوي أنَّ سبيعة بنت الحارث وضعَتْ بعد وفاة زوجها بعشرين يومًا، فمرَّ بها أبو السَّنابل بن بَعْكَك، فقال لها: أتريدين أن تتزوَّجي؟ قالت: نعم، قال: لا، حتى يأتيَ

---

(١) «أنهن» ليس في (أ).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٦٢)، وذكره مختصرًا الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٩).

عليك أربعة أشهر وعشرًا، فأتت النَّبيَّ ﷺ فقال لها: «قد حللْتِ»(١).

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يقول: تعتدُّ أبعدَ الأجلَيْن؛ لأنَّ قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] يقتضي الاعتداد بالأشهر في الحامل وغير الحامل، وآية هذه السُّورة تقتضي انقضاءَ عدتها بوضع الحمل في الطَّلاق والوفاة، فيُجمع بينهما احتياطًا(٢).

وعن عمر وابن عمر وابن مسعود وجماعةٍ من الصَّحابة: أنَّ عدَّتها تنقضي بوضع الحمل.

قال عمر رضي الله عنه: لو وضعَتْ ما في بطنها وزوجُها على سريره قبل أن يُدلَّى في حفرته لانقضَتْ عدَّتها وحلَّت للأزواج(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَن شاء باهلْتُه عند الحجر الأسود أنَّ سورة النِّساء القُصرى نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة، فكانت ناسخةً لذلك(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾؛ أي: ومَن يَلزم طاعة الله فيما أمره به ونهاه عنه، فذلك وإن ثقل عليه في الحال فإنَّه يجد له يُسرًا في عاقبته؛ لِمَا يأمن من عقوبة المعصية، وينال من ثواب الطَّاعة، ولذا سمَّى الله الطَّاعة اليسرى، والمعصية العسرى، بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩١)، ومسلم (١٤٨٤)، من حديث أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٢، ١٧١٠٣)، وانظر: «الأم» للشافعي (٧/ ٢٦٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٠٩٨).

(٤) رواه البخاري (٤٩١٠)، ولفظه: «أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة، لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى»، ورواه أبو داود (٢٣٠٧) بلفظ قريب من لفظ المصنف، ولفظه: «من شاء لاعنته لأنزلت سورة النساء القصرى بعد الأربعة الأشهر وعشرًا».

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾: أي: هذا كلُّه من أوَّل السُّورة إلى هاهنا أمرٌ أمركم الله تعالى به، وأنزله في القرآن على رسوله.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: وهذا يعمُّ هذا الأمر وغيره.

وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أي: أسكنوا المعتدَّات في مساكنكم.

و﴿مِنْ﴾ للتَّبعيض؛ أي: موضعًا من المواضع التي تسكنونها، فأنفقوا عليهنَّ في العِدَّة.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: أي: من وسعكم وطاقتكم؛ أي: من سَعتكم وغناكم.

والوُجْد والجِدَة، الغنى، والواجدُ: الغنيُّ.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: أي: ولا تؤذوهنَّ؛ أي: في السُّكنى والنَّفقة ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾.

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: فتنقضيَ عِدَّتهنَّ.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أي: أرضعتِ المطلَّقات أولادكم.

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: إذا لم يتطوَّعْنَ بذلك، فإنَّه من النَّفقة، والنَّفقة على الأب.

﴿وَأْتَمِرُوا۟﴾؛ أي: تشاوروا بجميل في حقِّ الصَّبي ﴿بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: اتَّفقوا فيما بينكم ـ يعني: الأزواجَ والزَّوجاتِ ـ بمعروف؛ أي: في أمر الإرضاع على شيءٍ مستحسَنٍ عقلًا وشرعًا.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: أي: وإن تضايقْتُم، وهو أن يأبى الرَّجل أن يعطيَ المرأة أجرَ

إرضاعها، وأبَتِ المرأة أن ترضعَه بغير أجرٍ[١]، أو هي طلبَتِ الكثير وهو يعطي القليل.

﴿فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ﴾: أي: للزَّوج ﴿أُخۡرَىٰ﴾؛ أي: امرأةٌ أخرى؛ أي: يطلب إرضاعَ الولد من امرأة أخرى بأجرٍ أو بغير أجرٍ على ما يتَّفق.

***

(٧ ـ ٨) ـ ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾: أي: الزَّوج الذي هو والد الرَّضيع، ويحتمِل أن ينفق[٢] الزَّوج على معتدَّته[٣]، فقد سبق ذكر الكلِّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾: أي: ضُيِّقَ عليه ﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: على قَدْر ما أعطاه الله.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾: أي: قَدْر ما أعطاها.

﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾: وهذا وعدٌ لذي العُسْرِ باليسر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾: ذكرَ حدودًا في هذه السُّورة، ونهى عن تعدِّيها، ثمَّ ذكر الذين تعدَّوا حدود الله من الماضين وما صنع بهم، وخوَّف هؤلاء مثلَه، وقال: وكم من أهل قرية عتَوا؛ أي: عصَوا وأبَوا.

---

(١) في (ف): «وأبت المرضعة أن ترضعه».

(٢) «أن ينفق» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «المعتدة».

وقيل: العتوُّ: الخروج إلى فاحش الفساد.

وقيل: هي من مجاوزة الحدِّ في المعصية.

وقال قتادة: هو المخالفة(١).

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: عتَتْ عن أمر رسلِه أيضًا.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: أي: جازيناها بذنوبها كلِّها في الدُّنيا ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في الدُّنيا.

* * *

(٩) ـ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ في الدُّنيا ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في الآخرة.

وقيل: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: منكرًا غليظًا مستعظمًا كالخسف والقذف والمسخ والغرق والرِّيح العاتية ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾؛ أي: قاسَتْ ضرر عصيانها، لم يعاقبْها الله تعالى إلَّا بذنوبها، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: هلاكًا، وقيل: خسرانًا، حيث باعوا نعيم الآخرة بالعذاب.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧١) عن السدي، ولفظه: (﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: غيرت وعصت)، وعن ابن زيد (٢٣/ ٧٢)، ولفظه: (﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: تركته ولم تقبله).

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾: في الآخرة، وهو بيانُ هذا الخسر.

وقيل: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا﴾ في الآخرة، ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ في الدُّنيا.

وقيل: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا﴾ ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا﴾ كلاهما في الآخرة، وقوله تعالى: ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا﴾ عند الموت، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا﴾ خسروا في الدُّنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أن تعصُوه وتتعدَّوا حدودَه، فيفعلَ بكم ما فعل بهم.

﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ۝١٠ رَّسُولٗا﴾: قال ابن كيسان: أي: كتابَه الذي ذَكر فيه ما أَحَلَّ بالأمم من قبلكم، وما الخلقُ صائرون إليه في المعاد.

قال مجاهد رحمه الله: ﴿ذِكۡرٗا﴾؛ أي: شرفًا وحديثًا، وهما الرَّسول والقرآن(١).

وقيل: ﴿ذِكۡرٗا ۝١٠ رَّسُولٗا﴾؛ أي: أنزل الله ذكرَه رسولًا، مفعول بالذِّكر؛ أي: قرآنًا يُذكَر فيه الرَّسول.

وقيل: ﴿ذِكۡرٗا﴾؛ أي: لذكرٍ؛ أي: لتذكيرٍ وعظة، و﴿رَّسُولٗا﴾ مفعول بقوله: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، أو لذكر منه ما تحتاجون إليه، والإنزال بمعنى الإرسال.

وقيل: أضمر هاهنا فعلًا آخر، وتقديره: ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا﴾؛ أي: قرآنًا، وأرسل إليكم رسولًا، قاله أبو حاتم، كما قال الشاعر:

وَزَجَّجْـنَ الحواجِـبَ والعُيُوْنـا(٢)

---

(١) ذكره دون نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٢).

(٢) عجز بيت للراعي النميري. وصدره:

إذا مـا الغانيـات بـرزن يومًـا

انظر: «ديوان الراعي النميري» (ص: ١٥٠).

أي: وكحَّلْنَ العيونَ.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾: وهي القرآن.

﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: أي: الضَّلالات ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: الهدى.

والإخراجُ: هو النَّقل من الكفر إلى الإيمان في حقِّ مَن آمنَ بعدَ كفرِه، والحفظُ عن الوقوع في الكفر في حقِّ مَن كان مؤمنًا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾: أي: في الجنَّة رزقًا واسعًا طيِّبًا هنيئًا مأمونًا من التَّغيير والانقطاع.

* * *

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: ذكر ملكَه وسلطانَه وقدرتَه تأكيدًا لِمَا سبق من الوعد والوعيد.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أي: سبعًا.

قال الضَّحَّاك: هي منطبِقة، لا سكانَ لها، إلَّا الأرضَ التي نحن عليها[1].

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: في كلِّ أرض سكانٌ؛ إمَّا ملائكة، وإمَّا جِنٌّ[2].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٣).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية قال: «في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق».

وقال قتادة والحسن: في كلِّ أرض خلقٌ من خلقه[١].

وقال كعب: السَّماوات سبعٌ، بعضُها فوق بعض: الأولى سماء الدُّنيا، والثَّانية رتقًا، والثَّالثة فيلون[٢]، والرَّابعة رقيعًا، والخامسة ديكون[٣]، والسَّادسة عريبا، والسَّابعة إسحاقابيل.

وقال وهبٌ: والأرضون سبع: الأولى البسيطة[٤]، والثَّانية جلدة، والثَّالثة غرقة، والرَّابعة جربا[٥]، والخامسة ملتا، والسَّادسة يالنجين[٦]، والسَّابعة عجيبا.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: ومن الأرضين.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: قيل: ينزل أمر الله تعالى[٧] بين السَّماوات والأرض، يُنزل إلى كلِّ سماء من أمره[٨] ما يريد على مَن فيها من الملائكة، وكذلك أنزل أمره إلى الأرض بما يريد أن يتعبَّد به الجنَّ[٩] والإنس.

ومعنى نزول الأمر: نزولُ الملائكة بتبليغ الأمر.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٠).

(٢) في (ر): «غيلون».

(٣) في (أ): «ديلون»، وفي (ف): «ملقا».

(٤) في (ف): «بسيط».

(٥) في (أ): «حربا».

(٦) في (أ): «يالنجين». وفي (ف): «بلنجين».

(٧) في (ر): «ينزل الله تعالى أمرًا».

(٨) بعدها في (أ): «على».

(٩) في (ر): «الملك والجن».

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ أي: بين السَّماء السَّابعة والأرض السَّابعة[١].

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ أنِّي خلقْتُ هذه الخليقة، وأخبرتكم بها؛ لِيُستدلَّ بها على قدرتي وسلطاني فتعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾: علِمَ كلَّ شيء، فلا يخفى عليه شيء، سبحانه وتعالى.

والله المستعان

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨١).

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي فرض للمؤمنين تحلَّة أيمانهم، الرحمنِ الذي يعطيهم يومَ القيامة نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، الرحيمِ الذي شرَّفَهم بطاعتهم وإيمانهم.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ أعطاه الله تعالى توبة نصوحًا»[1].

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي اثنتا عشرة آية، ومئتان وتسعُ كلمات، وألفٌ وثمانيةٌ وثمانون حرفًا.

وختمُ تلك السُّورة بثناء الله، وافتتاحُ هذه السُّورة بنداء رسول الله ﷺ.

والسُّورتان في ذكر الأزواج والزَّوجات.

وختمُهما في بيان دلائل التَّوحيد، والحثِّ على الإيمان والطَّاعات.

* * *

(١) ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾: أي: على نفسك ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من ملاذِّ

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣١٧)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

الدُّنيا ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: لطلب رضا زوجاتك؛ أي: هنَّ أحقُّ بابتغاء رضاك منك بابتغاء رضاهنَّ، فإنَّما فضيلتهنَّ بك.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لا يُلزمك ما ألزمْتَ نفسَك من تحريم الحلال عليك، بل يبيح ذلك لك، ويجعل لك منه المخرج.

واختلف فيما حرَّمه على نفسه:

قيل: هو مارية القِبطيَّة. قال ابن إسحاق: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أصابَ جاريته القبطيَّة أمَّ إبراهيم في بيت حفصة وفي يومها[1]، وكانت الجارية قد ثقلَتْ على عائشة وعلى نسائه رضي الله عنهنَّ، فعثرَتْ حفصةُ على ذلك وهو معها، فقالت: يا رسول الله، لقد جئْتَ إليَّ شيئًا ما جئْتَ إلى أحد من نسائك، أوَفي بيتي وعلى فراشي وفي يومي[2]؟ قال: «أيرضيْكِ أنْ أحرِّمَها على نفسي، فلا أمسَّها؟»، قالَتْ: نعم. فحرَّمها على نفسه، وقال: «لا تذكريه لأحدٍ من النِّساء»، قالَتْ: أفعل، وكانت حفصة لا تكتم على عائشة شيئًا، فلمَّا خرج النَّبيُّ ﷺ ذهبَتْ إلى عائشة رضي الله عنها فأخبرتها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، قال: فكفَّرَ رسول الله ﷺ بيمينه، وأصاب الجارية[3].

---

(١) في (ف): «نوبتها».

(٢) في (ف): «وفي نوبتي»

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٨). ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٠١٣) من حديث عمر رضي الله عنه، دون قوله في آخره: (فكفَّرَ رسول الله ﷺ بيمينه، وأصاب الجارية).
قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٨/ ٢١٠): اختلف في سبب النزول فقيل: قصة مارية، وقيل: قصة العسل، وقال في شرح مسلم الصحيح أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح. وانظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٧٧).

وقيل: بل حرَّم على نفسه شرابًا، وكان يشربه عند بعض نسائه، فغار سائرهنَّ، فحرَّم ذلك على نفسه، فاختلفت الرِّوايات في المرأة التي كان ذلك عندها:

فقيل: زينب بنت جحش.

وقيل: سودة بنت زمعة.

وقيل: حفصة بنت عمر(١).

قال عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يمكُثُ عند زينبَ بنتِ جحشٍ، ويشرب عندها عسلًا، فتواصيْتُ أنا وحفصة أنَّ أيَّتَنا دخلَ عليها النَّبيُّ ﷺ فلتقُلْ: إنِّي أجدُ منكَ ريحَ مغافيرَ(٢)، أكلْتَ مغافيرَ؟ فدخل على إحداهما، فقالَتْ له ذلك، فقال: «لا، بل شربْتُ عسلًا عند زينبَ بنتِ جحشٍ، ولنْ أعودَ إليه»، فنزلَتِ الآيةُ(٣).

وقال عروةُ عن عائشة رضي الله عنها: كان النَّبيُّ ﷺ يحبُّ الحلواءَ والعسلَ، وكان إذا صلَّى العصرَ دارَ على نسائه، فيدنو منهنَّ، فدخلَ على حفصةَ، فجلس عندها أكثرَ ممَّا كان يجلسُ، فسألْتُ عن ذلك، فقيل لي: أهدَتْ إليها امرأةٌ من قومِها عُكَّةَ عسلٍ، فسقَتْ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلْتُ: والله لنحتالَنَّ له، فذكرْتُ ذلك لِسَوْدَةَ، فقلْتُ: إذا دخلَ عليك فإنَّه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلْتَ مغافير؟ فإنَّه

---

(١) ستأتي الروايات بهذه الأقوال لاحقاً. وانظر طريق الجمع أو الترجيح بينها في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٦).

(٢) المغافير: شيء ينضجه العرفط، حلو كالناطف وله ريح كريهة.

والعرفط: جمع عرفطة، وهو شجر من العضاه زهرته مدحرجة، والعضاه: كل شجر يعظم وله شوك كالطلح والسمر والسلم ونحو ذلك. وفي الرواية الآتية: (جرست نحلُه العرفط)؛ أي: أكلته.

انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٢/ ٣٩٧).

(٣) رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢٠).

سيقول لك: لا، فتقولين: فما هذه الرِّيح، فكان رسولُ الله ﷺ يشتدُّ عليه أنْ تُوْجَدَ منه ريحٌ كريهةٌ، فإنَّه سيقول لك: سقتني حفصةُ شربةً مِنَ العسلِ، فقولي: جرسَتْ نحلُهُ العُرْفُطَ، وسأقول ذلك، وقوليه يا صفيَّة.

فلمَّا دخل على سودةَ فقالَتْ: والله الَّذي لا إله إلَّا هو، لقدْ كدْتُ أباديه بالذي قلْتِ لي، وإنَّه على الباب فَرَقًا منكِ، فلمَّا دنا رسولُ الله ﷺ منِّي قلْتُ: يا رسول الله، أكلْتَ مغافير؟ قال: «لا»، قلْتُ: ما هذه الرِّيح؟ قال: «سقَتْني حفصةُ شربةَ عسلٍ» قلْتُ: جرسَتْ نحلُه العُرْفُطَ.

قالَتْ: فلمَّا دخلَ عليَّ قلْتُ له مثل ذلك، فلمَّا دخل على حفصةَ قالَتْ: يا رسول الله، ألا أسقيْكَ منه؟ قال: «لا حاجةَ لي به».

قالَتْ: تقول سودةُ: سبحانَ الله! لقد حرَّمناه عليه. قالَتْ: قلْتُ لها: اسكتي[1].

وروى ابن أبي مليكة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كانت لسودةَ بنتِ زمعة خؤولة باليمن، فبُعِثَ إليها بعسلٍ، وكان النَّبيُّ ﷺ يصيْبُ الطَّعام فيدخل عليها فيشرب من ذلك العسل، وكانت عائشة وحفصة متواخيتين[2] على جميع نساء النَّبيِّ ﷺ، فقالت عائشة: إنَّ هذا يأتي هذه، وهي تسقيه من عسلِها، فإذا هو دخلَ عليك فقولي: إنِّي لأجد منك ريحًا، فإذا دخل عليَّ قلْتُ له مثلَ ذلك، فلمَّا خرج من عند سودةَ دخل عليها، فأمسكَتْ بأنفِها، فقالَتْ: ما هذه الرِّيح؟ إنِّي لأجد منك ريحًا. قال: «أيُّ ريح؟» قالَتْ: كأنِّي أجُد منكَ ريح المغافير! فقال: «قد قالَتْ ذلك فلانة، إنَّما هو عسلٌ شربْتُ مِن عند سودة، لا جرمَ لا أذوقه»، فقال: فنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ الآية[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢١).

(٢) في (أ) و(ف): «متواتيتين»، وفي (ر): «متواسيتين»، والمثبت من «أسباب النزول» للواحدي.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٠).

(٢) ـ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي: قدَّر اللهُ لكم ما تحلِّلون به أيمانكم وهي الكفَّارة.

وقيل: قد أوجبَ عليكم، فقد جعل الله تحريم الحلال يمينًا، وقد أوجب فيه الكفَّارة، وهو مذهبنا.

وكذلك كان قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وطاوسٌ والحسن والثَّوري وأهل الكوفة.

و﴿لَكُمْ﴾ في معنى: (عليكم)، كقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

فمَن لم يجعل تحريمَ الحلال يمينًا ـ وهو قول مالك والشَّافعي وجماعةٍ ـ فإنَّه يقول في تأويل قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: قد بيَّن لكم تحليل ما ملكت أيمانكم، كما قال: ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٣٨]؛ أي: بيَّنه له؛ أي: بيَّن أنَّ إماءكم حلالٌ عليكم، ولا تحرُم عليكم بيمينكم.

وعن جعفر بن بَرْقان قال: قلْتُ لميمون بن مِهْرانَ: أرأيْتَ قوله: ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، أتقول: قد أحللْتُ لكم ما ملكَتْ أيمانُكم، أم تقول: قد فرضْتُ عليكم

= ورواه مختصرًا الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٢٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣) إلى الطبراني وابن مردويه من طريق أبي عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: ورواته موثقون إلا أن أبا عامر وهم في قوله: سودة، وذكر فيه حديث عائشة.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٣) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

تحلَّةَ اليمين تكفِّرون بها عن أيمانكم؟ قال ميمون: سمعْتُ[١] كلَّ ذلك في هذا، والكفَّارة جُعِلَتْ تحلَّةَ اليمين؛ لأنَّها تُحلُّ ما حرَّمته اليمين[٢]، على معنى أنَّه إذا حنث وكفَّرها صار كأنَّه لم يحلف[٣].

﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾: أي: وليُّكم ومتولِّي مصالحِ دينكم ودنياكم.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾: بمصالحكم ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: فيما يفرضُه عليكم ويَشرَعُه لكم[٤].

***

(٣) ـ ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾: أي: إلى حفصة حديثَ مارية.

قال العوفيُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ حفصة لَمَّا قالت للنَّبيِّ ﷺ: قد رأيْتُ مَن كانت عندك ـ يعني مارية ـ والله لقد سُؤْتَني، فقال النبي ﷺ: «والله[٥] لأرضينَّكِ، وإنِّي مُسِرٌّ إليك سرًّا فاحفظيه»، قالت: وما هو؟ قال: «اشهدي أنَّ سريَّتي هذه حرامٌ عليَّ رضًا لك»، وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما تَظاهَران على سائر أزواج النَّبيِّ ﷺ، فانطلقَتْ حفصةُ فأسرَّتْ إلى عائشة: أنْ أبشري، إنَّ محمَّدًا ﷺ قد حرَّم فتاته، فلمَّا أخبرَتْ بسرِّ النَّبيِّ ﷺ أظهرَ الله تعالى النَّبيَّ ﷺ عليه، وأنزل فيه الآية[٦].

---

(١) «سمعت» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «حرمه الله».

(٣) رواه مختصراً عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢١٨).

(٤) في (ف): «ويشرعه فيكم»، وفي (ر): «وشرعه لكم».

(٥) «والله» من (ف).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٠٧٥).

وفي حديث عُبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها: هو حديث العسل[١].

وقال الكلبيُّ: أسرَّ إليها أنَّ أباكِ وأبا عائشة يكونان خليفتَيْن على أمَّتي بعدي[٢].

وقال في قوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ أنَّه قال: يا حفصة، ألم أكُ أمرْتك أن تكتمي سرِّي ولا تبديه[٣] لأحد؟ فذكر بعضَ الذي قالت، وأعرض عن بعضٍ فلم يبده لها[٤].

وقيل: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾؛ أي: جازاها على بعض ذلك، وغضب عليها، ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، فلم يجازها عليه، فوصفَه جلَّ جلالُه بالإغماض وتركِ التَّقصِّي واستعمالِ الحِلم؛ إذْ لم يجازها بكلِّ ما تستحقُّه على إفشاء سرِّه وعصيانها إيَّاه.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾: أي: أخبرَتْ بالحديث ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: وأعلم الله نبيَّه ﷺ أنَّ حفصة قد أفشَتْ سرَّه.

﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾: قرأ الكسائيُّ بالتَّخفيف، وقال الفرَّاء: معناه: غضبَ عليها به، وجازاها عليه، وهو كقولك لمن أساء إليك: لأَعْرِفنَّ ذلك لك[٥].

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٣) عن الكلبي. ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن كثير في «تفسيره»: إسناده فيه نظر. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨): فيه إسماعيل البجلي وهو ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (أ): «تبدي منه».

(٤) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٦) عن الكلبي. ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٦).

وقرأ الباقون بالتَّشديد[1]؛ أي: أعلم حفصةَ بعضَ ذلك.

﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾: أي: سكتَ عنه، وكانت ذكَرَتْ لعائشة أنَّه أصابَ مارية، وأنَّه حرَّمَها على نفسِه، والنَّبيُّ عليه الصلاة والسَّلام قال لها: إنَّك قد ذكرْتِ كذا، وذكرَ بعضَ ذلك دون الكلِّ، وهو من معاملة الكرام، وهو تركُ الاستقصاء في الملام.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾: جمعَ بينَ اللُّغتين، وهو أنبأ ونبَّأ.

ظنَّتْ أنَّ صاحبتَها أخبرَتْهُ بذلك، فقالَتْ: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾.

﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾: ﴿العليم﴾ اللهُ العالمُ بكلِّ شيءٍ، ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ ببواطن الأشياء.

* * *

(٤) ـ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: خاطب عائشةَ وحفصةَ بذلك ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾: أي: مالَتْ عن الحقِّ؛ يعني: فقد كان منكما ما يوجب التَّوبة؛ إذ قد مالَتْ قلوبُكُما عن الحقِّ الواجب لله ولرسوله عليكما.

وقيل: أي: مالَتْ إلى محبَّةِ ما كرهَه رسولُ اللهِ ﷺ.

والصَّغو: الميل، وفي صرفِه وجهان:

صغَا يصغُو من باب دخَل يدخُلُ، وعلى هذه اللُّغة ما في هذه الآية.

وصغِيَ يصغَى من باب علِمَ يعلَمُ، وعلى هذه اللُّغة قوله: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١١٣].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

ولا نعرفه من باب منع.

و﴿قُلُوبُكُمَا﴾ على الجمع مع إضافتها إلى الاثنين هو الاستعمال الغالب في اللُّغة فيما كان في الإنسان من الأعضاء فردًا غيرَ مثنًّى.

وفيه وجهان آخران: الإفراد والتَّثنية، قال الشَّاعر:

كأنَّــهُ وَجْــهُ تُرْكِيَّــيْنِ قَــدْ غَضِبَــا مُسْــتَهْدِفٌ لِطِعَــانٍ غَــيْرُ تَذْبِيْــبِ[1]

وقال آخر في التَّثنية والجمع:

ظهراهمــا مثــلُ ظُهــورِ التُّرسَــيْنِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾: أصله: تتظاهرا؛ أي: تتعاونا على إيذائه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾: أي: حافظُه ودافعُ الضَّرر عنه، ورادٌّ كيدَ مَن أراده بسوء.

﴿وَجِبۡرِيلُ﴾ عليه السَّلام أيضًا ينصره.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: إنْ أريد به الفرد فقد قيل: هو عمر رضي الله عنه، فقد روي

---

(١) البيت للفرزدق، كما في «ديوانه» (ص: ٣٧١)، وفيه: «منحجر» بدل «تذبيب»، وهو من قصيدة رائية، والمصنف تابع فيه الفراء كما في «معاني القرآن» (١/ ٣٠٨). والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريرًا تهكَّم به وجعله امرأة. وقوله: (كأنه وَجه تركيين) المُراد بالضمير الفرج، شبه كل فلقة منه بوجه تركي، والأتراك غلاظ الوجوه عراضها حمرها. وجملة: (قد غَضبا) حَالٌ من (تركيين) على طرز قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحجرات: ١٢]، و(مستهدف) صفة لـ(وجه)، وهو اسم فاعل من استهدف؛ أي: انتصب، والطعان بالكسرِ: مصدر طعنه بالرُّمحِ طَعناً وطعاناً. و(غير) بالرفع صفة لـ(مستهدف). انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (٧/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣).

(٢) الرجز لخطام المجاشعي، كما في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٤٨)، و«خزانة الأدب» (٢/ ٣١٤). ولهميان بن قحافة، كما في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٦٢٢)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٤٩٦).

أنَّه قال لحفصةَ: والله لو أمرني رسولُ اللهِ بضربِ عنقُكِ لضربْتُ عنقَكِ[١].

وإنْ أريد به الجمعُ فهم خيار المؤمنين، منهم أبو بكر وعمر أبواهما وغيرهما.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾؛ أي: ظُهَراءُ، وهم الأعوان، وأفرد لأنَّه أُخرِجَ مخرجَ الاسم، كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقال الشَّاعر:

إنَّ العــواذِلَ ليــسَ لي بأمــيرِ[٢]

روي: أنَّ تظاهرهما عليه كان في التَّحكُّم عليه في النَّفقة.

وقيل: في مارية.

وقيل: في حديث العسل.

وروي: أنَّه آلى منهنَّ شهرًا.

وروي: أنَّه طلَّق حفصة رضي الله عنها.

وعن عمر رضي الله عنه أنَّه قال لها: لو كان في آل الخطَّاب خيرٌ لَمَا طلَّقَكِ رسولُ اللهِ ﷺ، فجاء جبريل فقال: يا محمَّد، إنَّ الله تعالى يقول لك: راجعْها فإنَّها صوَّامة قوَّامة[٣].

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٧٤).

(٢) البيت بلا نسبة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦١)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٠)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٨). وصدره كما في «معاني القرآن» للأخفش:

يــا عاذلاتــي لا تــردن ملامتــي

(٣) ذكر أوله الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥) بلا نسبة. وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٣٧٧). وقصة طلاق حفصة وأمره بمراجعتها لأنها صوامة قوامة تقدمت قريباً في أول سورة الطلاق.

وقال مقاتل بن حيَّان: همَّ بطلاقِها، فقال جبريل عليه السَّلام: لا تطلِّقْها؛ فإنَّها صوَّامة قوَّامة، فترك ذلك[١].

وعن عمر رضي الله عنه قال: كنَّا معشر قريش قومًا نغلبُ النِّساءَ، فلمَّا قدمْنا المدينة وجدنا قومًا يغلبهم النِّساءُ، فطفقَتْ نساؤنا يتعلَّمْنَ مِن نسائهم، وكان منزلي في بني أميَّة بن زيد في العوالي، فغضبْتُ يومًا على امرأتي، فإذا هي تراجعُني، فأنكرْتُ أنْ تراجعني، فقالت: ما تنكرُ أنْ أراجعَكَ؟ والله إنَّ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ ليراجعْنَهُ، وتهجرُهُ إحداهنَّ اليومَ إلى اللَّيل. فانطلقْتُ فدخلْتُ على حفصة، فقلْتُ: أتراجعين رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقالَتْ: نعم. فقلْتُ: وتهجرُهُ إحداكُنَّ اليومَ إلى اللَّيل؟ قالَتْ: نعم. قلْتُ: قد خابَ مَن فعلَ هذا منكنَّ وخسرَتْ؛ أفتأمَنُ إحداكُنَّ أنْ يغضبَ الله عليها لغضبِ رسولِ اللهِ ﷺ فإذا هي قد هلكَتْ؟ لا تراجعي رسولَ اللهِ ﷺ ولا تسأليه شيئًا، وسليني ما بدا لَكِ، ولا يغرنَّكِ أنْ كانَتْ جارتُكِ هي أوسَمَ وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة.

قال: وكان لي جارٌ من الأنصار، وكنَّا نتناوب النُّزول إلى رسول الله ﷺ، فينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، وكنَّا نتحدَّثُ أنَّ غسَّانَ تُنْعِلُ الخيلَ لتغزوَنا، فنزل صاحبي يومًا، ثم أتاني عشاءً، فضرَبَ بابي، ثمَّ ناداني، فخرجْتُ إليه، فقال: حدَثَ أمرٌ عظيم! قلْتُ: ماذا؟ أجاءَت غسَّان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطم[٢]؛ طلَّق النَّبيُّ ﷺ نساءَه. قلْتُ: قد خابت حفصةُ وخسرَتْ، قد كنْتُ أظنُّ هذا، فلمَّا صلَّيْتُ الصُّبحَ شددْتُ عليَّ ثيابي، ثم نزلْتُ فدخلْتُ على

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥) عن مقاتل بن حيان، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠) عن قتادة.

(٢) في (ر) و(ف): «وأهم». وهي في الصحيحين: «وأطول»، وفي رواية للبخاري: «وأهول».

حفصةَ وهي تبكي، فقلْتُ: أطلَّقَكِ رسولُ اللهِ؟ فقالَتْ: لا أدري، ها هو ذا يعتزل في هذه الـمَشْرُبة.

فأتيْتُ غلامًا له أسودَ، فقلْتُ: استأذِنْ لعمرَ، فدخل الغلام ثمَّ خرجَ إليَّ، قال: قد ذكرْتُكَ له فصَمَتَ، فانطلقْتُ حتَّى أتيْتُ المنبر، فإذا عندَه رهطٌ جلوسٌ، يبكي بعضُهم، فجلسْتُ قليلًا، ثمَّ غلبني ما أجدُ، فأتيْتُ الغلامَ، فقلْتُ: استأذن لعمر، فدخل، ثمَّ خرج إليَّ فقال: قد ذكرْتُكَ له فصمَتَ، فرجعْتُ فجلسْتُ إلى المنبر، ثمَّ غلبني ما أجد، فأتيْتُ الغلامَ فقلْتُ: استأذن لعمر، فدخل ثمَّ خرج إليَّ فقال: قد ذكرْتُكَ له فصَمَتَ، فولَّيْتُ مُدْبِرًا، فإذا الغلام يَدعوني، فقال: ادخلْ فقد أذن لك، فدخلْتُ فسلَّمْتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو متَّكِئٌ على رَمْلِ حصيرٍ قد أثَّر في جنبِهِ، فقلْتُ: أطلَّقْتَ يا رسول الله نساءَكَ، فرفع رأسَه إليَّ فقال: «لا»، فقلْتُ: الله أكبر، لو رأيتَنا يا رسولَ اللهِ وكنَّا معشَرَ قريشٍ قومًا نغلِبُ النِّساء، فلمَّا قدمنا المدينة وجدْنا قومًا تغلبُهم نساؤُهم، وطفقَتْ نساؤنا يتعلَّمْنَ من نسائهم، قال: فغضبْتُ على امرأتي يومًا، فإذا هي تراجعني، فأنكرْتُ أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعَك، فوَالله إنَّ أزواج رسول الله ﷺ ليراجعْنَه وتهجره إحداهنَّ اليوم إلى اللَّيل. فقلْتُ: قد خاب مَن فعل هذا منهنَّ وخسرَتْ، أفتأمَنُ إحداهنَّ أنْ يغضبَ اللهُ عليها بغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكَتْ؟ فتبسَّم رسول الله ﷺ.

فقلْتُ: يا رسول الله(١)، فدخلْتُ على حفصةَ فقلْتُ: لا يغرَّنَّكِ أنْ كانت جارتُكِ هي أوسمَ وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى.

فقلْتُ: أستأنِسُ، يا رسول الله، قال: «نعم»، فجلسْتُ فرفعْتُ رأسي في البيت، فوالله ما رأيْتُ فيه شيئًا يردُّ البصرَ إلَّا أَهَبًا ثلاثةً، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أنْ

---

(١) «فقلت يا رسول الله» ليس في (أ).

يوسِّعَ على أمَّتِكَ، فقد وسَّعَ اللهُ على فارسَ والرُّومِ، وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا ثمَّ قال: «أفي شكٍّ أنتَ يا ابن الخطَّاب؟ أولئك قومٌ قد عُجِّلَتْ لهم طيِّباتُهم في الحياة الدُّنيا».

فقلْتُ: استغفر لي يا رسول الله، وكان قد أقسم ألَّا يدخُلَ عليهنَّ شهرًا مِن شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عليهِنَّ، حتَّى عاتبَهُ اللهُ تعالى[١].

وقالت عائشة: فلمَّا مضَتْ تسع وعشرون ليلة[٢] دخل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّكَ كنْتَ أقسمْتَ أنْ لا تدخلَ علينا شهرًا، فإنَّكَ قد دخلْتَ مِن تسعٍ وعشرين أعدُّهنَّ؟ فقال: «إنَّ الشَّهر تسعٌ وعشرون يومًا»، ثمَّ قالَ: «يا عائشة، إنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا عليك ألَّا تعجلي فيه حتَّى تستأمري فيه أبوَيْكِ...»، وذكرَتْ قصَّة التَّخيير[٣].

***

(٥) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: قيل: في الدُّنيا؛ قالوا: لأنَّه لو طلقهنَّ في هذه الحالة لطلقهنَّ لإلجائهنَّ إيَّاه إلى طلاقهنَّ بإلحاحهنَّ عليه بالأذى والمعصية، فإذا فعلْنَ ذلك استوجبْنَ عداوةَ اللهِ، وخرجْنَ من ولايته،

---

(١) رواه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «يومًا».

(٣) قطعة من الحديث السابق، وقصة التخيير رواها مسلم (١٤٧٥)، وذكرها البخاري (٤٧٨٦) تعليقا بصيغة الجزم.

فكان المستورات من النِّساء المؤمنات خيرًا منهنَّ، وليس المعنى: أنَّه كان في نساء الأمَّة نساءٌ أفضل منهنَّ قبل إلجائهنَّ إيَّاه إلى الطَّلاق.

وقيل: معناه: ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ في الجنَّة.

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾: أي: خاضعات لله بالطَّاعة.

﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾: أي: مصدِّقات لله ورسوله.

﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾: أي: مطيعات دائمات على الطَّاعة.

وقال الحسن رحمه الله: مصلِّيات[(١)].

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾: أي: لا يصررْنَ على صغيرة.

وقيل: راجعاتٍ إلى ما يحبُّه الله تعالى منهنَّ.

﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾: أي: كثيرات العبادة بالنَّوافل.

﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾: قال عكرمة وابن عبَّاس وأبو هريرة وقتادة والضَّحَّاك وأبو مالك وأبو العالية والنَّخعيُّ والحسن ومقاتل بن حيَّان رضي الله عنهم: أي: صائمات[(٢)].

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرَّحمن: أي: مهاجراتٍ[(٣)].

﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾: أي: فيهنَّ بِكْرٌ، وفيهنَّ ثيِّبٌ، كما فيكنَّ[(٤)] الآن، إلى أيِّها مال النَّبيُّ ﷺ.

---

(١) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ١٦٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠١) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك. وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٤٢) إلى ابن عباس والحسن وابن جبير.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٢).

(٤) في (ر): «فيكن ثيب».

وعن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: كان بينَ رسولِ اللهِ وبينَ بعضِ أزواجِه كلامٌ، فاستقريتهُنَّ امرأة امرأة، فقلْتُ: لتكفُّنَّ عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسم أو ليبدلنَّه الله بكنَّ أزواجًا خيرًا منكنَّ..، الآية، فنزلَتْ[1].

***

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾: ولَمَّا عاتبَ الله نساءَ النَّبيِّ ﷺ ودلَّهُنَّ على رشدهِنَّ أمرَ النَّاس جميعًا أن يُحسنوا القيام على أنفسهم وعلى أزواجهم وعلى أولادهم بالتَّأديب والتَّعليم والدِّلالة على الأعمال الصَّالحات، فقال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾؛ أي: اجعلوا لأنفسكم وأهليكم وقايةً تستركم من نار جهنَّم.

قال قتادة: أي: مُروهم بطاعة الله تعالى، وانْهَوهم عن معصيته[2].

وقال مجاهد: أي: أوصوهم بتقوى الله تعالى[3].

ويقال[4]: أدِّبوهم وعلِّموهم خيرًا تقُوهم بذلك النَّار.

وقيل: دلُّوهم على السُّنَّة والجماعة.

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٩ ـ ١٠٠)، ورواه بنحوه البخاري (٤٤٨٣) من حديث أنس عن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٤).

(٤) «ويقال» من (ف).

وقيل: علِّموهم الأخلاق الحسان.

وقيل: أظهروا من أنفسكم العبادات؛ ليتعلَّموا منكم، ويعتادوا بعبادتكم.

وقال عكرمة: أدِّبوهم، رحم الله رجلًا يدعو: يا أهلاه صلاتَكم، صيامَكم، مساكينكم، جيرانكم، أيتامَكم(١).

روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يمرُّ على بيت فاطمة رضي الله عنها فيقول: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية»(٢).

وكان إذا دخل العشر الأواخر من شهر رمضان أيقظَ أهلَه(٣).

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «رحم الله امرأً أيقظَ أهلَه للصَّلاة؛ فإنْ أَبَتْ نضحَ الماءَ في وجهِها، ورحم الله امرأةً أيقظَتْ زوجَها للصَّلاة، فإنْ أبى نضحَتِ الماء في وجهه»(٤).

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «علِّقِ السَّوط حيث يراه أهلُ البيت»(٥).

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٩٤) بلا نسبة، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٦٨) وصدَّره بقوله: (وفي الحديث). وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٦٦): غريب. وقال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ١٧٦): لم أجده.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروى البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥)، عن الحسين بن علي، حدثه عن علي بن أبي طالب، أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة، فقال: «ألا تصلون؟» فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر، يضرب فخذه، ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٤٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه أبو داود (١٣٠٨) و(١٤٥٠)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحح إسناده النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٥٨٧).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٩٦٣)، والبزار في «مسنده» (٥٢٤٤)، والطبراني في «المعجم =

وقال ﷺ: «لا يلقى اللهَ العبدُ بشيءٍ يوم القيامة أشدَّ عليه من جهالة أهله»(١).

وقال: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالرَّجل راعٍ على أهله وولده، وهو مسؤولٌ عنهم»(٢).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: إذا كان الرَّجل راعيَ خير لأهلِه ناداه أهلُه يوم القيامة بين يدي الله تعالى: جزاك الله من قيِّم عنَّا خيرًا، فنِعْمَ القيِّمُ كنْتَ أنتَ، تعلِّمُنا وتؤدِّبُنا، فأنجيْتَ نفسَكَ وأنجيْتَنا، وإذا كان راعيَ سوء قالوا له: لا جزاكَ اللهُ خيرًا، فبِئْسَ القيِّمُ كنْتَ(٣)، لم تعلِّمْنا ولم تؤدِّبْنا، فأهلكْتَ نفسَكَ وأهلكْتَنا(٤).

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾؛ أي: حطبُها الكفَّار والحجارة؛ أي: حجارة الكبريت.

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾: أي: غلاظ القول والفعل ﴿شِدَادٌ﴾: أي: أقوياء الأنفس.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾: من تعذيبهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ من ذلك.

* * *

= الكبير» (١٠٦٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٥٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٤٢) و(٦/ ٤٢) من حديث جابر رضي الله عنه. قال في «أسنى المطالب» (ص: ١٨٤): طرقه ضعيفة.

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٤٦٩): «ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد، ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده».

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «أنت».

(٤) لم أقف عليه.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾: أي: يُقال لهم ذلك يوم القيامة، وهو تنبيهٌ لهم اليوم ليتوبوا ويعتذروا، فهو اليومَ نافع[1].

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدُّنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي: من ذنوبكم.

﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾؛ أي: خالصة، يُقال: نصح الشَّيءُ: إذا خَلَص، والنَّصيحةُ: إخلاص القول.

وقيل: هو توثيق العزم على ألَّا تعود لمثله، والنُّصحُ: الخياطة الوثيقة، والنَّاصحُ: الخيَّاط، والنِّصاحُ: الخيط.

وقيل: ﴿نَصُوحًا﴾؛ أي: تنصحون فيها لله؛ أي: تصدِّقونه فيها، ولا تُدْهِنون.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: التَّوبة النَّصوح: النَّدم بالقلب، والاستغفار باللِّسان، والإقلاع باليد، والإضمار على ألَّا يعود[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه دخل المسجد، فسمع أعرابيًا يقول: اللَّهم إنِّي أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إنَّ سرعة اللِّسان بالتَّوبة توبة الكذَّابين، فقال الأعرابيُّ: فما التَّوبة؟ قال: يجمعُها ستَّة أشياء، قال: وما هي؟ قال عليٌّ رضي الله

---

(١) في (ف): «في الدنيا» بدل من «ويعتذروا فهو اليوم نافع».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨).

عنه: للماضي من الذُّنوب النَّدامةُ، وللفرائض الإعادةُ، وردُّ المظالم، واستحلالُ الخصوم، وأن تُدئِبَ نفسَكَ في الطَّاعة كما أَدْأبتها[١] في المعصية، وأن تذيقَها مرارة الطَّاعات كما أذقْتَها حلاوة المعاصي[٢].

وقال الفضيل: التَّوبة النَّصوح: أن يكون الذَّنب نُصْبَ عينيك، ولا تزال كأنَّك تنظر إليه.

وقال الواسطيُّ: التَّوبة النَّصوح: هي أن تكون لا لعوضٍ، لأنَّ مَن أذنبَ في الدُّنيا لرفاهة نفسه، وتاب طلبًا لرفاهَتها في الآخرة، فتوبتُه على حظِّ نفسِه، لا لله تعالى.

وقال أبو بكر الورَّاق: التَّوبة النَّصوح: أن تضيقَ عليك الأرضُ بما رحبَتْ، وتضيقَ عليك نفسُك، كما ذكر الله تعالى في الثَّلاثة الذين خُلِّفوا.

وقال رُوَيمٌ المصريُّ: التَّوبة النَّصوح: أن تكون لله تعالى وجهًا بلا قفًا، كما كنْتَ له عند المعصية قفًا بلا وجه[٣].

وقالت رابعة: هي التَّوبة التي لا تحتاج فيها إلى التَّوبة منها، ثم قالت: إنَّ توبتنا تحتاج إلى التَّوبة منها، واستغفارنا يحتاج إلى الاستغفار منه[٤].

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أتدرون مَن التَّائب؟»، قالوا: لا، قال: «إذا تاب العبدُ ولم يُرْضِ الخُصَماءَ فليس بتائب، ومَن تاب فلم يتعلَّمِ العلم فليس بتائب، ومَن تاب ولم يزدَدْ في العبادة فليس بتائب، ومَن تاب ولم

(١) في (أ) و(ف): «ربيتها».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٥).

(٣) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٠).

(٤) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣١٣)، والإمام النووي في «الأذكار» (ص: ٦٢٢).

يغيِّر لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير مجالسته فليس بتائب، ومَن تاب ولم يغيِّر فراشه وبساطه فليس بتائب، ومَن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسعه فليس بتائب، ومَن تاب ولم يقصِّر أمله فليس بتائب، ومَن تاب ولم يحفظ لسانه فليس بتائب، ومَن تاب ولم يقدِّم فضله فليس بتائب، ومَن تاب ولم يغيِّر طعامه فليس بتائب، وإذا استبان على العبد هذه الخصال فذاك التَّائب حقًّا حقًّا حقًّا»[١].

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: أي: بتوبتكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وكان لمن يخالفهم نارٌ وَقودها النَّاس والأحجار.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾: أي: لا يُخْجِل ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ ولم يُرِدْ به وقوعَ إيمانهم مع النَّبيِّ ﷺ معًا، بل يراد به وجود الإيمان منهم لوجوده من النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: ﴿مَعَهُۥ﴾ صلةُ قوله: ﴿لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا يخزي النَّبيَّ والمؤمنين معًا.

قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: يهتدون به إلى الجنَّة[٢].

﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾: نورُ كتبِ طاعتهم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: أي: أبقِه لنا إلى الجنَّة ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ذنوبنا.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن إتمام النُّور، ومغفرةِ الذُّنوب، وتبليغ الجنَّة، وكلِّ شيء.

وقال الضَّحَّاك: يُعطَى يومئذ كلُّ مؤمن ومنافق نورًا يمشي به مع محمَّد، فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحًا وظلمة، فأطفأ الله تعالى بتلك الرِّيح نورَ كلِّ منافق،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): «يهتدون به إلى الله» وفي (ر): « يهتدون بها إلى الجنة».

وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فلمَّا أطفأ الله تعالى نورَهم أشفقَ المؤمنون أنْ يُسلبوا[(١)] نورَهم، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ الآية[(٢)].

***

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: دعا إلى التَّوبة المؤمنين، وأمر بالجهاد في حقِّ الكفَّار والمنافقين دعوةٍ للكلِّ[(٣)] إلى الحقِّ المبين ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللِّسان.

وقيل: تذكير وعيد الآخرة والدُّنيا أيضًا، كما قال: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية [الأحزاب: ٦٠].

وقال قتادة رحمه الله: جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم[(٤)]. وكذا قال الحسن[(٥)].

وكان أكثر مَن يصيب الحدود حينئذ المنافقون.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: في إقامة الحدود، كما قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

---

(١) في (ر): «يطفأ».

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٧٣).

(٣) في (ر): «ودعوة الكل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧).

وقيل: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ في حقِّ الكفَّار والمنافقين جميعًا، وكان أمرَه بملايَنتهم في الابتداء بقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ثم بعدما أصرُّوا وعاندوا أمرَه بالإغلاظ عليهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: في الآخرة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع.

* * *

(١٠) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: أي: بيَّنَ الله تعالى للكافرين شبهًا: أنَّه لا تنفعهم الوُصلة بالنِّكاح وغيره مع اختلاف الدِّين[١]، وفيه نوعُ تنبيهٍ لأزواج النَّبيِّ ﷺ أنَّ وُصلتهُنَّ مع النَّبيِّ ﷺ لا تغني عنهنَّ[٢] من الله شيئًا إذا عصيْن وخالفْنَ الأمر.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: أي: في نكاح عبدين ﴿مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾: استصلحناهما للرِّسالة والنُّبوَّة.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: أي: في الدِّين؛ أي: كفرتا ولم تسلِما ولم تنصحا للرَّسولين للمساعدة على الإسلام.

وقيل: كانتا منافقتين.

---

(١) في (أ) و(ف): «الدينين».

(٢) في (أ): «لا تغنيهن».

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: بالنفاق، ولم تفجرِ امرأةُ نبيٍّ قطُّ[1].

وقيل: كانت خيانة امرأة نوح أنَّها كانت تقول للنَّاس: إنَّه مجنون، وخيانة امرأة لوط أنَّها دلَّتْ على الأضياف ليرتكبوا منهم الفاحشة.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾: أي: العَبْدان نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا﴾: عن المرأتين ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: لم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئًا.

﴿وَقِيلَ﴾ لهما[2]؛ أي: للمرأتين؛ أي: يُقال لهما يوم القيامة: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ من الكفَّار.

* * *

(١١) - ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: أي: لا يضرُّ المؤمنين كفرُ مَن قرُب منهم، كما لم يضرَّ كفرُ فرعون امرأتَه آسية.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾: اشتاقَتْ إلى الجنَّة، وملَّتْ صحبة فرعون فسألَتْ ذلك.

﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: أي: كفره ومعاصيه، وقيل: من تعذيبه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣٠)، وليس فيه: «ولم تفجر امرأةُ نبيٍّ قطُّ». وهذه العبارة رواها عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٩).

(٢) «لهما» ليس في (أ) و(ف).

ولَمَّا علم فرعون بإيمانها وَتَدها بأربعة أوتاد في الشَّمس يعذِّبها.

وقال سلمان: كانت تُعذَّب في الشَّمس، فإذا انصرفوا عنها أظلَّتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى منزلها في الجنَّة(١).

وقال الضَّحَّاك: أمرَ بأنْ يُلْقَى عليها حجرٌ وهي في الأوتاد، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، فما وصل الحجر إليها حتى رفع(٢) روحها إلى الجنَّة(٣).

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فرِّقْ بيني وبينهم بإهلاكهم.

* * *

(١٢) - ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾ عطف على قوله: ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾.

﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾: أي: جيب مِدْرعتها حين أتاها جبريل يبشِّرها بالولد وهي لا تعلمه.

﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾: أي: نفخ جبريل بأمرنا فيه؛ أي: في جيب مِدْرعتها.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٤) وصححه.

(٢) في (أ): «وصل».

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٥) عن القاسم بن أبي بزة، ولفظه: (كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح».

﴿مِن رُّوحِنَا﴾: أي: من روحٍ خلقناه لعيسى عليه السلام على الخصوص[1].

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾: قولِ جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] الآيات.

وقيل: أي: بعيسى، فهو روح الله وكلمتُه.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾: التَّوراةِ والإنجيل والزَّبور والصُّحف.

ومَن قرأ: ﴿وكتابه﴾، فالكلماتُ التَّوراة، والكتابُ الإنجيل[2].

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾: أي: المطيعين لله تعالى.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

---

(١) في (أ): «الخلوص».

(٢) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ على الجمع، والباقون على التوحيد. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

سُورَةُ المُلْكِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي بيده الملك وهو على كلِّ شيء قدير، الرحمنِ الذي وعد مَن خشيَه بالغيب بمغفرةٍ وأجر كبير، الرحيم الذي هو بكلِّ شيء بصير.

روى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[1] فكأنَّما أحيا ليلة القدر»[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كنَّا نسمِّي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ على عهد رسول الله ﷺ المنجية، وهي في التَّوراة سورة الملك[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يُؤْتَى الرَّجل في قبرِه من قبل رجلَيْهِ، فيُقال: ليس لكم عليه سبيل إنَّه كانه يقرأ سورة الملك، فيُؤْتَى من قبل جوفه، فيُقال: ليس لكم عليه سبيل إنَّه وعى سورة الملك في جوفه[4]، وهي المنجية من عذاب الله تعالى، مَن قرأها في ليلة فقد أكثرَ وأَطْيَبَ[5].

---

(١) في (أ): «من قرأ سورة الملك».

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢٥)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقوله: «وهي في التوراة سورة الملك» ورد في بعض روايات الخبر الآتي.

(٤) «في جوفه» ليس في (أ).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥١)، والحاكم =

وعن جابر بن عبد الله: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ سورة الملك و﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجدة[1].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثلاثون آية، وثلاثُ مئة وثلاثة وثلاثون كلمة، وألفٌ وثلاثُ مئة وأحدٌ وعشرون حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنْ ختمَ تلك السُّورة بأنَّ مريم كانت من القانتين لله تعالى، وافتتاحَ هذه أنَّ الملك بيد الله[2]، وأهل السَّماوات وأهل الأرض كلُّهم قانتون لله، قال عزَّ وعلا: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

= في «المستدرك» (٣٨٣٩)، وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤١)، وفي «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٤٩). وزاد أكثرهم فيه: (وهي في التوراة سورة الملك).

وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الترمذي (٢٨٩٠)، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، ولفظه: عن ابن عباس، قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر».

وروى أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١) وحسنه، وابن ماجه (٣٧٨٦)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعا: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾».

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٢)، وقد عده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ١٢٥) من الأحاديث الصحيحة التي وردت قراءتها عند النوم.

(٢) في (أ) و(ف): «أن الملك لله».

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذمِّ العاصين ومدح المطيعين.

* * *

(١) ـ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ﴾: قيل: أي: تعالى.

وقيل: أي: تعاظَم.

وقيل: أي: دام.

وقيل: أي: دام برُّه، وثبت خيرُه.

وقيل: أي: كثرت بركاتُ أسمائه.

وقيل: أي: وصلَتْ بركاتُ نعمِه إلى خلقِه.

﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: هو المتصرِّف في كلِّ العالم، وهو ملك كلِّ شيء، ومالك كلِّ شيء.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: لا يعجزه شيء.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: أي: موتَ كلِّ ميِّت، وحياةَ كلِّ حيٍّ، فهو خالق الأعيان والصِّفات.

وقال الحسن: هو خلَق النُّطفةَ، ثمَّ جعَلها علقةً، ثم مضغةً، ثم أحياها(١).

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٠٣) عن أبي بكر الأصم، ونحوه في «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٨٩).

وقيل: هو موت انقضاء الآجال، وحياة أهل الدُّنيا؛ فإنَّه قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، والابتلاء يتعلَّق بهما لا بالموت قبل الحياة، وإنَّما قدَّم ذكر الموت ترهيبًا وتقريعًا[1].

وقال الأخفش: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: الدُّنيا التي هي لموت أهلها، ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾؛ أي: الآخرة التي هي لحياة أهلها[2].

وقال ابن عبَّاس: الموتُ كبش أملح، لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجد ريحه إلَّا مات، والحياة فرس جبريل لا تمرُّ بشيء ولا يجدُ ريحَها إلَّا حَيي، ويُذبَح الموتُ بين الجنَّة والنَّار يوم القيامة، ويُقال: يا أهل الجنَّة، ويا أهل النَّار، خلود بلا موت، وفرس الحياة تركبُها الأنبياء[3].

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: ليتعبَّدكم فيمتحنكم بأمره ونهيه، فيظهرَ منكم ما علم أنَّه يكون منكم، فيجازيَكم على عملكم، لا على علمِه بكم.

وقيل: تقديره: خلق الموت ليبعثكم فيجزيكم، والحياة ليبلوكم بما به يتعبَّدُكم.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: ولم يقل: أيُّكم أكثر عملًا.

---

(١) في (أ) و(ف): «وتقريبًا».

(٢) لم أقف عليه عن الأخفش، وقد ورد نحوه عن قتادة، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٨)، ولفظه: «أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء».

(٣) ذكره دون قصة ذبح الموت الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٧). وصرح الواحدي بأنه من طريق الكلبي عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب فالخبر لا يصح، وبعضهم ذكره عن الكلبي كما في «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٣/ ٤٥١). وذكره الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٢٨٣) وقال: هو أشبه شيء بكلام الصوفية لا يعقل ظاهره.
وأما حديث ذبح الموت فمتفق عليه، رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال الفضيل: أي: أيُّكم أخلص عملًا وأصوبُه؛ لأنَّ العملَ إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل(١).

وقال الحسن: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ أي: أزهده في الدُّنيا وأترك لها(٢).

وقال أبو قتادة الأنصاريُّ: قلْتُ لرسول الله ﷺ: أرأيْتَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ما عُني به؟ قال: «يقول: أيُّكم أتمُّ عملًا وأشدُّ خوفًا، وأحسنُكم فيما أمر الله تعالى به أو نهى عنه نظرًا، وأورعُكم عن محارم الله، وأسرعكم في طاعته»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾: أي: المنيع فلا يُغالَب إذا عاقب المذنب، الغفورُ الذي يستر ذنوب التَّائب.

***

(٣) ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها فوق بعض.

ويجوز أن يكون جمع طَبَق، كجِمال جمع جَمَلٍ، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى المطابقة.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٦).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٥). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٠٤).

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾: أي: اختلافٍ واضطراب وتباعُد، كأنَّه يفوت بعضه بعضًا فلا يتساوى.

وقيل: ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ في الدِّلالة على قدرة صانعها وحكمته.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿من تفوُّت﴾[1]، وهما لغتان كالتَّعاهد والتَّعهُّد.

وقال الفرَّاء: التَّفوُّت: الاعوجاج، والتَّفاوت: الاختلاف[2].

وقوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾: أي: إلى رؤية السَّماء ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾؛ أي: شقوق، والفَطْرُ: الشَّقُّ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مِنْ وَهْيٍ[3].

وقال قتادة رحمه الله: مِنْ خَلَلٍ[4].

***

(٤) ـ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: أي: دفعتين، ولم يُردْ به الاقتصار على مرَّتين، بل أراد به التَّكرار مرَّة بعد مرَّة[5]، تقول لآخر: قد قلْتُ لك مرَّةً بعد مرَّةٍ، ولعلَّكَ قلْتَ ذلك له مرارًا كثيرًا.

وقال الحسن رحمه الله: لو كرَّرْتَه مرَّة بعد مرَّة إلى يوم القيامة لم ترَ فيه فطوراً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٠)، وليس فيه: «التفوت: الاعوجاج».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٠).

(٥) في (أ): «أخرى».

﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: قال ابن عبَّاس: ذليلًا[١].

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: قال قتادة: كالٌّ مُعْيٍ[٢].

وهو فعيل بمعنى الفاعل، يُقال: حسَرَ البصرُ: إذا انقطع نظرُه من طول مدًى، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول، من قولهم: حسرْتُ البعير؛ أي: سرْتُ عليه حتى انقطع، فهو محسورٌ وحَسير.

وقال كعبٌ: خلق سبع سماوات[٣] طباقًا بعضُها فوق بعض، بين كلِّ سماءين مسيرةُ خمس مئة عام، السَّماء الدُّنيا موج مكفوف، والثَّانية مرمرةٌ بيضاء، والثَّالثة حديدة، والرَّابعة نحاسٌ ـ أو قال: صُفرٌ ـ والخامسة فضَّة، والسَّادسة ذهب، والسَّابعة ياقوتة حمراء[٤].

***

(٥ ـ ٧) ـ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: أي: كواكبَ كأنَّها السُّرُج.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾: أي: المصابيحَ ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: جمع رَجْم؛ أي: يُرْجَم بها مَن يَسترِق السَّمع من الشَّياطين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٢).

(٣) في (ف): «السماوات» بدل من «سبع سماوات».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٧) عن الربيع عن كعب. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧٩) عن الربيع بن أنس.

وقيل: جمع راجم، كالسُّجود جمع ساجد.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: أي: للشَّياطين ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾؛ أي: عذاب جهنَّم الموقَدةِ.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: من الإنس والجنِّ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ كذلك ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾: أي: في جهنَّم ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾؛ أي: لجهنَّم ﴿شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتًا من اللَّهب كصوت الحمار، وقد ذكرنا فيه الأقاويل عند قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: أي: تتعالى وتغلي بهم كما يفور القِدْر.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: تفور بأهلها كما تفور القِدر بعُراقها(١).

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: أي: تتميَّز، قال ابن عبَّاس والضَّحَّاك وابن زيد: أي: تتفرَّق(٢).

﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي: على الكفَّار، وهو عبارة عن غاية التغيُّظ عليهم، وتقول: لأنتقمَنَّ اليوم ممَّنْ أكل رزق الله وعبدَ غيرَه.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: أي: جماعة من الكفَّار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: وهم الزَّبانية توبيخًا لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رسولٌ مخوِّف مِن هذا.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٤) عن مجاهد، ولفظه: «تغلي كما يغلي القدر». والعراق: العظم بلحمه، أو بلا لحم. انظر: «القاموس» (مادة: عرق).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾: أريد به الجمع؛ أي: أتانا الرُّسل.

﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾: أي: ممَّا تقولون من وعدٍ ووعيد وغيرِ ذلك.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾: أي: ما أنتم أيها الـمُدَّعون للرِّسالة إلَّا في ضلال كبير؛ أي: خطأ عظيم.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: أي: قال الكفَّار: ولو كنَّا نقبَل ما أتانا من السَّمعيَّات ونتفكَّر في العقليَّات ما وقعنا في جهنَّم، دلَّ على أنَّ كلَّ واحد منهما حجَّة ملزِمة وهو السَّمع والعقل.

* * *

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾: أي: بذنوبهم، وحَّد لأنَّه جنس، وهو كقوله: خرج بعطاءِ النَّاس؛ أي: أَعْطِيَتِهم.

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: أي: بُعدًا عن الرَّحمة والكرامة.

وقيل: هو تحقيق.

وقيل: هو على الدُّعاء، وهو تعليمٌ من الله تعالى لعباده أن يَدْعو عليهم به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: يؤمنون به ويصدِّقونه في الدُّنيا بما غاب عنهم ممَّا يكون في الآخرة.

وقيل: أي: يخافونه عند المعصية وقد غاب عنهم الخلقُ.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: أي: للذُّنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: أي: ثوابٌ عظيمٌ في الآخرة.

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾: أمرُ تهديدٍ لا أمرُ تكليف، يقول: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ﴾

في الله وفي رسوله وفي آيات الله ﴿أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾؛ أي: إنْ شئْتُم فنافقوا، وإنْ شئْتُم فصرِّحوا بالكفر وأعلنوه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر القلوب، لا يخفى عليه شيء[1] إنْ أسررْتُم، ولا يزيده وضوحًا إن أعلنْتُم، وهو كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

* * *

(١٤) - ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: أي: ما خلقَ، ودلَّ على أنَّ اللهَ خالقُ أفعال العباد ظاهرِها وباطنِها، وإذا حُمِل على (ما) صار مفعولًا، والفاعل هو قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ﴾، ولو قُدِّرَ ﴿مَنْ﴾ على حقيقته، فقوله: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ هو الخالق، والمخلوق يكون مضمرًا، ويكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ فاعلًا، وتقديره: ألا يعلم الخالقُ مخلوقَه، ويدلُّ على ما قلنا أيضًا.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: أي: العالم بدقائق الأشياء ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾؛ أي: العالم بحقائق الأشياء.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتْ في مشركي مكَّة، كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل عمَّا[2] قالوا، فيقول بعضُهم لبعضٍ: أسرُّوا قولكم لا يسمع إلهُ[3] محمَّد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾[4] علانيةً ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوب من السِّرِّ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ سرَّ القلوب ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ السِّرَّ والقلوب.

---

(١) «شيء» من (ف).

(٢) في (ف): «بما».

(٣) في (أ): «به».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١).

وعـن أنـس رضـي الله عنه قـال: بينما رجل يسـير بيـن جبلين إذ قال فـي قلبه: لـو عرضَـتْ لـي فاحشـة لقضيتهـا، فنـودي لـه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فارتجَّ الـوادي(١).

***

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: أي: ليِّنة منقادة.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: قال قتادة ومجاهد والفرَّاء: فسيروا في جوانبها وأطرافها(٢).

والمناكب من النَّاس: أطرافهم وجوانبهم، وإذا مشَوا في أطرافها فقد أحاطوا بها، فحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها.

وعـن ابـن عبَّـاس رضـي الله عنهمـا والضَّحَّـاك: في جبالهـا(٣). وهـي مرتفعة كالمناكب.

وعن مجاهد في رواية: ﴿فِي مَنَاكِبِهَا﴾؛ أي: في فِجاجها(٤).

﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾: أي: من رزق الله فيها.

---

(١) لم أقف عليه عن أنس رضي الله عنه، وفي «الزواجر» للهيتمي (١/ ٣٩) نحو هذه القصة بلا نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وروى عن قتادة قال: (إن بشير بن كعب العدوي، قرأ هذه الآية ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها فأنت حرة، فقالت: نواحيها...).

(٣) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٩).

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾: أي: إلى جزاء الله المرجعُ بعد البعث، فامشوا فيها طاعة وكلوا منها حلالًا.

﴿ءَأَمِنتُم﴾ أيُّها المشركون ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: الله الذي في السَّماء سلطانه، وهو كقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

وحقيقته: أأمنتم خالقَ السَّماء وملكَها.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: كما خَسف بقارون ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ أي: تدور.

والموَرَان: الدَّوران والاضطراب بالذَّهاب والمجيء.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: قال ابن عبَّاس: أي: حجارة من فوقِكُم كما فُعِلَ بقوم لوط[1].

وقيل؛ أي: ريحًا فيها حجارةٌ وحصباء فيهلككم بذلك.

وقال نفطويه: أي: ريحًا تقتلع الحصباء لشدَّتها وقوَّتها.

وقيل؛ أي: سحابًا فيه حجارة.

أي: أجُعِل[2] لكم من هذين أمان، وإذ لا أمان لكم منهما[3] فما معنى تماديكم في شرككم؟ وهذا وعيدٌ عظيمٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥٦).

(٢) في (ر): «فهل»، وفي (ف): «جعل».

(٣) في (أ) و(ف): «فيها».

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: أي: كيف عاقبةُ إنذاري، بأن أحقِّقَه لكم فتعلمون أنَّه لا خُلف لخيري، ولا مانع لعذابي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: من قبل هؤلاء المشركين.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: إنكاري عليهم وتغييري بالعذاب.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾: الطَّير: جمع طائر.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أي: تصفُّ أجنحتها للطَّيران وتقبضُ مرَّة حتى يتمَّ لها الطَّيران بهذا التَّدبير، كما تتهيَّأ السِّباحةُ في الماء بقبض اليدين وبسطِهما، والهواءُ للطَّائر كالماء للسَّابح.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: أي: في الهواء حين تطير ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: هيَّأ للطَّير هذا، كما هيَّأ للنَّاس الأرض ذلولًا، والذي هيَّأ لكلٍّ ما يصلحه لم يفعل ذلك عبثًا بل ليكون دلالة على الخالق ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾؛ أي: عالم بما يصلحه ويُقيمه.

وعطف ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ على قوله: ﴿صَافَّاتٍ﴾ لأنَّ الأوَّل دلالةٌ على الفعل، ومعناه: يبسطْنَ أجنحتهنَّ في حالٍ، ويقبضْنَ في حال.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾: عطف على ﴿أَأَمِنتُم﴾؛ أي: فمَن هذا الذي هو شيعةٌ لكم وأنصار تمتنعون بهم ﴿يَنصُرُكُم﴾ من عذاب الله ﴿مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: ممَّن سواه.

﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: أي: ما هم إلا في غرور

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾: أي: اللهُ تعالى ﴿رِزْقَهُ﴾ الذي خَلق لكم في الأرض، التي جعلَها لكم ذلولًا.

﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾: أي: ليس اغترارُهم للجهل بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرَّازق الضَّارُّ النَّافع، لكنْ تمادَوا في تمرُّدهم[1] ونفورهم عن الحقِّ.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: أكبَّ[2] على وجهه لازم، وكبَّه متعدٍّ، وهو كقولهم: أَنْعَش ـ أي: قام ـ لازم، ونعَّشه متعدٍّ، وهذا من النَّوادر، أَفْعَلَ لازم، وفَعَّلَ متعدٍّ.

وقريب من هذا: أضرَّ به وضرَّه.

ثمَّ ضرب مَثَلَ الكافر والمؤمن فقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾؛ أي: منكِّسًا رأسَه، ناظرًا إلى الأرض، لا يبصر ما بين يديه، ولا ما عن يمينه، ولا ما عن شماله، ولا يدري ما يستقبله أو يلقاه من هذه الجهات، فهو على خطر.

﴿أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾: أي: مستويًا منتصبًا، يُبصر مِن كلِّ الجهات[3].

﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ولا شكَّ أنَّ الماشي مستقيمًا منتصبًا أهدى.

يقول: فهكذا فكونوا أيُّها النَّاس.

قال قتادة: هذا الكافر أكبَّ على معاصي الله تعالى في الدُّنيا، فحشره الله يوم القيامة على وجهه، والمؤمن استقام على أمر الله تعالى في الدُّنيا فبعثه الله تعالى عليه

---

(١) في (ر): «غرورهم».

(٢) في (أ): «أي» بدل من «أكب».

(٣) في (أ): «جهاته».

يوم القيامة، وقيل للنَّبيِّ ﷺ: وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إنَّ الذي أمشاهم على أقدامِهم قادرٌ على أنْ يمشيَهم على وجوهِهم»(١).

وقال مقاتل: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: ضالًّا أعمى في الظُّلمة، يعني: أبا جهل بن هشام ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(٢).

وقيل: النَّبيُّ ﷺ.

وقيل: هي عامَّة المسلمين(٣).

***

(٢٣ ـ ٢٦) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: ابتدأ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ وهي آلات العلم والمعرفة، ثم أنتم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النِّعم؛ لأنَّكم تشركون بالله، ولا تخلصون له العبادة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: خلقكم ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تُبعثون وتُجمَعون للحساب والجزاء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٣). والمرفوع منه رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٩٣)، وفيه: «أمن يمشي سويًّا؛ يعني النبي ﷺ».

ولم أقف على من ذكر أن المقصود في الآية هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وذكر الواحدي عن ابن عباس أنه حمزة، وعن عكرمة أنه عمار بن ياسر. انظر: «البسيط» (٢٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) «المسلمين» من (أ).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يقولون ذلك استهزاء.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: علمُ وقته ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: مخوِّف ظاهر، وعليَّ الإنذار الذي أُمِرْتُ به دون الإعلام عن وقته الذي لم يُعْلِمْني الله به.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: وإذا رأوا العذابَ الذي وُعِدوه في الحشر قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ﴾؛ أي: وردَ عليهم منه ما ساءَهم؛ أي: أحزنَهم، وهو خلاف سَرَّهم.

وخصَّ الوجوه بالذِّكر لأنَّ الوجه هو الذي يظهر عليه أثر المسرَّة والمساءة.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾: أي: وتقول لهم الملائكة والأنبياء والمؤمنون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾؛ أي: تجتمعون على الدُّعاء به، كما في قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، والادِّعاء كالتَّداعي، كالاقتتال هو كالتَّقاتل.

وقال الأخفش: دعا وادَّعى واحدٌ[١].

وقال مجاهدٌ: أراد به العذاب في الدُّنيا، وهو ما رأوه ببدر[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾: أي: قل يا محمَّد للذين يقولون فيك: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: إنْ أماتني الله تعالى، كما قال: ﴿إِنِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٦١).

﴿ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: مات، ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ من الأصحاب، ﴿أَوۡ رَحِمَنَا﴾ وأخَّر في آجالنا.

﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: ينجيهم ويؤمِّنهم ﴿مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾؛ أي: لا فرَج لكم في موتنا ولا نجاة لكم به من العذاب، إنَّما ذلك بالإيمان.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: ذو الرَّحمة بخلقه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: صدَّقناه ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ لعِلْمنا أنَّه لا يفعل بنا إلَّا ما هو صلاحنا من إحياءٍ وإماتة.

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾: إذا نزل بكم العذاب ﴿مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ منَّا ومنكم.

وقرأ الكسائيُّ: ﴿فسيعلمون﴾ بياء المغايبة؛ ردًّا على قوله: ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(١).

وقال ابن كيسان: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا﴾؛ أي: أخذنا بزلَّاتنا مع إيماننا وإخلاصنا(٢)، وفيه هلاكنا، فمَن يؤمِّنكم من عذابه أيُّها الجاحدون المعاندون.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾: أي: غائرًا في الأرض ذاهبًا.

﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾: جارٍ على وجه الأرض، تراه العيون، وتقديره مفعول.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

(٢) في (أ): «إبرائنا وإخلاصنا» وفي (ر): «إيماننا وأخلاقنا».

وقيل: ﴿مَّعِينٍ﴾: مسرِع في الجري، وهو فعيل؛ أي: بمعنى مُفعِل[١].

فسيقولون: لا يأتينا به غير الله. فقل لهم: فلِمَ أشركْتُم به مَن لا يقدر على ذلك؟

وقرئ هذا على ملحِدٍ فقال: المِعْوَل والمُعِين، فسقطَتْ عيناه بقدرة الله تعالى[٢].

والحمد لله ربِّ العالمين فهو المهوِّن والمعين

***

(١) «بمعنى مفعل» ليس في (أ) و(ف).

(٢) «بقدرة الله تعالى» ليس في (أ) و(ف).

سُورَةُ
ن والقلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقسم بالنُّون والقلم، الرحمنِ الذي مدح رسوله بالخُلُق الأعظم، الرحيمِ الذي وعد المتَّقين بالجنان والنِّعَم(١).

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ كان له ثوابُ الَّذين أحسنَ الله أخلاقَهم»(٢).

وهي مكيَّة، وآياتها اثنتان وخمسون، وكلماتها ثلاثُ مئة، وحروفها ألف ومئتان وسبعون.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك في خطاب الرَّسول، وافتتاحَ هذه في ثناء(٣) الرَّسول.

وانتظامهما: أنَّ تلك السُّورة في ثناء الله وذمِّ مَن جحده ومدحِ مَن وحَّده، وهذه في ثناء رسول الله ﷺ ومدحِ مَن اتَّبعه وذمِّ مَن عاداه وحسده.

***

---

(١) في (أ): «بالجنات والنعيم» وفي (ف): «الجنات والنعم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٢)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (ر): «ثناء الله وثناء».

(١) ـ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نون اسمٌ من أسماء الله تعالى[1].

وقال عطاء: افتتاح اسم الله تعالى: نورٌ وناصر ونصير[2].

وقال جعفر بن محمَّد الصَّادق: هو اسم نهر في الجنَّة[3].

وقال الكلبيُّ: النُّون: السَّمكة التي تحمل الأرض على ظهرها، وهي في الماء، وتحتها ثور، وتحت الثَّور صخرة، وتحت الصَّخرة الثَّرى، ولا يعلم ما تحتَه إلَّا الله.

وقال الكلبيُّ ومقاتل: اسم السَّمكة: بهموت[4].

وقال الواقديُّ وأبو اليقظان: اسمه ليوثا[5].

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: اسمُه يلهوت[6].

وقال عكرمةُ: أقسم الله تعالى بالحوت؛ لأنَّ نمرود لعنه الله لَمَّا رمى بالسَّهم نحو السَّماء عاد السَّهم مختضبًا بدم سمكة في بحر معلَّق بالهواء، فأكرم الله تعالى ذلك الحوت بأن أقسم به، وأحلَّ جنسَه من غير ذكاة[7].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥).

(٥) في (ر): «لبونا». ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥). والاسم مضطرب في المصادر، ولا طائل من البحث فيه.

(٧) لم أجده هكذا، وذكر البغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٦١) عن عكرمة قال: (كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطخًا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء). وكلاهما من خرافات الإسرائيليات.

وقيل: هو آخر حرف من حروف (الرَّحمن)؛ فإنَّك إذا جمعت بين ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ صارَ: الرَّحمن.

وقيل: هو اسم هذه السُّورة.

وقيل: هو اسم القرآن.

وقيل: هو الدَّواة.

وقيل: هو المداد الذي تَكتب به الملائكة.

وقيل: هو اللَّوح المحفوظ، والقلم هو القلم الذي كتب به على اللوح المحفوظ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: أوَّل ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا ربِّ، ما أكتبُ؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى بما يكون من ذلك الوقت إلى أن تقوم السَّاعة، ثم ارتفع بخار الماء فخلق منه السَّماوات، ثم خلق منه[1] النُّون الذي عليه قرار الأرض، فبسط الأرض من فوقه، فتحرَّك النُّون، فمادَتِ الأرض، فأُثْبِتَتْ بالجبال[2].

وقال مجاهد: هو قلم من نور طوله مسيرة مئة عام[3].

---

(١) «منه» من (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٠).

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» عن ابن جريج.

وروى أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٧)، من طريق مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شيء خلق الله القلم من نور مسيرة خمس مئة عام». وفيه عثمان بن عبد الله الشامي، قال ابن عدي: له موضوعات. انظر: «الضعفاء» للذهبي (٢/ ٤٢٦).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومقاتل: طوله ما بين السَّماء والأرض[١].

وعن ابن عبَّاس في رواية: هو قلم الملائكة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وما يكتبون من أعمال الخلق.

وقال قتادة: والقلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم ما قام دينٌ، ولم يَصلح عيش، والله أعلم بما يُصلح خلْقَه[٢].

وهذا دليل على أنَّه كان يقول: إنَّ المراد بالقلم هو قلم النَّاس.

وأقسم به لِمَا فيه من الحكمة والأعجوبة؛ إذ جُعل آلةَ التَّفاهم، وقام مقام اللِّسان في الإفهام والبيان.

وقيل: هو كلُّ قلم يُكتَب به في السَّماء والأرض، ويدل عليه قوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤ ـ ٥].

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ أي: وما يكتبون؛ أي: الحلف[٣] بالقلم.

والحاصل:

أنَّ بعضهم قال: هو قسم بالحوت الذي هو تحت الأرضين، وبالقلم الذي هو فوق السَّماوات، وهو ينتظِم ما بينهما.

وبعضهم حملها على اللَّوح المحفوظ والقلم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٣). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه في عرض اللوح المحفوظ، ولفظه: (إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٠).

(٣) في (ر): «يحلف».

وبعضهم على قلم الملائكة ومدادِهم وكتابة الأعمال.

وبعضهم على الدَّواة والقلم في الدُّنيا وما يكتبون بهما.

وقيل: هو قسم من الله بنفسِه، وتقديره: وخالقِ القلم، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يجوز أن يكون للمصدر، ويجوز أن يكون للمفعول.

* * *

(٢ ـ ٤) ـ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾: هو المقسَم عليه؛ أي: لسْتَ يا محمَّد مجنونًا كما يقول مشركو مكَّة بهتانًا وعدوانًا؛ إذ كان الله أنعم عليك بوفور العقل واستكمال خصال الخير ما لم ينعم على أحد من خَلْقه بمثله.

وهو كقوله: ما أنت بحمد الله جاهلًا.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: أي: غير مقطوع، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير ممتنٍّ به عليك.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: ولا مدحَ فوقَه، فما وصَفه الله بالعظم مَن يدري نهايته؟

وهو تنزيهٌ له عن كلِّ عيبٍ يكون في الأخلاق، ووصفٌ بالتَّحلِّي بكلِّ محاسن الأخلاق.

وسُئلَتْ عائشة رضي الله عنها: كيف كان خُلُقُ رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان خلقه القرآن»[1].

تعني: ما أدَّبه به القرآن، وأمَرَ اللهُ فيه به أهلَ الإيمان، من الاجتهاد في طاعة الله

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

تعالى، والخضوع له، والانقياد لأمره، والتشدُّد على أعدائه، والتذلُّل لأوليائه، ومواساةِ عباده، وإرادةِ الخير لهم، والحرصِ على ما ينجيهم، والاحتمالِ لأذاهم، والقيامِ بمصالحهم، وإرشادِهم إلى ما يجمع لهم خير الدَّارين، والتَّعفُّفِ عن أموالهم، والحلمِ عن جهَّالهم، وخفضِ الجناح لهم، لم يتغيَّر عن ذلك في حالٍ من الأحوال، ولا زمنٍ من الأزمان.

ولَمَّا مدح الله تعالى الأنبياء ووصفَ كلَّ نبيٍّ بصفة قال له: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ففعل، فصار مستجمِعًا لكلِّ خصال الخير، وكان كلُّ واحد منهم مخصوصًا بخصلة، مثلَ نوحٍ بالشُّكر، وإبراهيم بالحِلم، وموسى بالإخلاص، وإسماعيلَ بصدق الوعد، ويعقوبَ وأيُّوب بالصَّبر، وداوُد بالاعتذار[1]، وسليمان بالتَّواضع، وعيسى بالزُّهد، فلمَّا اقتدى بهم اجتمع له الكلُّ.

ولَمَّا نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال: لقد أتيتك بمكارم الأخلاق؛ صِلْ مَن قطعَكَ، وأعطِ مَن حرمَكَ، واعفُ عمَّنْ ظلمَكَ، وأحسِنْ إلى من أساءَ إليك[2]. فأخذَ بذلك كلِّه.

وكانت خديجة رضي الله عنها تقول له في أوَّل ما نزل به جبريل وخاف ذلك،

---

(١) في (ر): «بالاعتداد».

(٢) رواه بنحوه ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٣) من طريق سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه، ومن طريق سفيان عن أُميٍّ الصيرفي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨) من طريق سفيان عن أميٍّ عن الشعبي، وكل هذه مرسلات كما قال ابن كثير عند تفسير الآية، وزاد: «وقد روي له شواهد من وجوه أُخر». قلت: له شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أحمد (١٧٤٥٢).

قالت له: كلَّا؛ إنَّك لتحمل الكَلَّ، وتَقْري الضَّيف، وتَكْسِب المعدوم، وتصل الرَّحم، وتُعين على نوائب الحقِّ[1].

وأعلى ذلك كلِّه ما كان منه ليلة المعراج من غضِّ البصر عن الكونين، حتى قال الله تعالى فيه له: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

لم ينحرف بالبلاء، ولم ينصرف بالعطاء، وغدًا يقولُ كلُّ رسولٍ: نفسي نفسي، وهو يقول: «أمَّتي أمَّتي»[2]، فهذا خُلقُه.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: وهذا وعدٌ له ووعيدٌ لأعدائه، يقول: فسترى أنت وسيرى هؤلاء الذين يجحدون نبوَّتك، وينسبونك إلى الجنون.

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: والباء زائدة، وتقديره: أيُّكم المفتون؛ أي: المُبتلَى بالجنون، وأنَّه الذي لا يفكِّر في عاقبة أمره، ولا يُحسن النَّظر لنفسه، وسيَظهر في العاقبة أن هذه الصِّفة لهم لا لك.

وقال أبو عبيدة والأخفش والقتبي: الباء زائدة، كما في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠][3].

وقال الشَّاعر:

---

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٧٧)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٧).

هُـنَّ الحرائِـرُ لا رَبَّـاتُ أحمـرةٍ   سـودُ المحاجِرِ لا يقـرأْنَ بالسُّـوَرِ[١]

وقال آخر:

نضـرِبُ بالسَّـيفِ ونرجـو بالفـرجْ[٢]

وقال الفرَّاء: الباء مقرَّرة، لكن ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدرٌ[٣] بمعنى الفَتْن والفُتُون؛ كالمعقول والمجلود[٤]، والميسور والمعسور، تقديره: بأيكم الفَتْن.

وقال محمد بن جرير الطَّبري والزَّجَّاج: الباء بمعنى: (في)، كقولك: كنت ببلد كذا، أو في بلد كذا، وتقديره: في أيكم المفتون؛ أي: في أيِّ الفريقين منكم، فريق الإسلام أو فريق الكفر[٥].

---

(١) البيت للراعي النميري. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢).

(٢) الرجز للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٦)، وفيه: نضرب بالبيض، وقبله:

نحـن بنـو جعـدة أصحـاب الفلـج

(٣) في (ر) و(ف): «الباء مقرَّرة لكون المفتون مصدراً».

(٤) في (أ): «كالمعقول والمجهول»، وفي (ر): «كالمفعول والمجهود» وفي (ف): «كالمعقول والمجهود». والصواب المثبت، يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود؛ أي: ما له عقل ولا جلادة، ومثله أيضاً المعقود، يقال: ليس له معقول ولا معقود؛ أي: ليس له عقل ولا عقد رأي. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة، و«تفسير الطبري»، و«معاني القرآن» للزجاج، و«تفسير الثعلبي»، و«البسيط» للواحدي، وغيرها، عند تفسير هذه الآية.

ولفظ الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٧٣): المفتون هاهنا بمعنى: الجنون، وهو في مذهبٍ: الفتون، كما قالوا: ليس له معقول رأي، وإن شئت جعلته ﴿بِأَييِّكُمُ﴾: في أيكم؛ أي: في أي الفريقين المجنون، فهو حينئذ اسم ليس بمصدر.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٣٠، ٥٣٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٥)، وأجازه الفراء أيضاً. انظر التعليق السابق.

وقيل: ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾: الشَّيطان؛ لأنَّه مفتون في دينه، ومعناه: بأيِّكم الشَّيطان الذي يكون منه مسُّ الجنون.

***

(٧ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: وينكشف لكم أيضًا في العاقبة الضَّالُّ من المهتدي من الفريقين.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: قال مقاتل: أي: المكذبين بالبعث والحساب، وذلك حين دعوا رسول الله ﷺ إلى دين آبائه، فنزلت في بني المغيرة بن عبد الله بن عَمرو بن مخزوم، منهم الوليد بن المغيرة، وعبد الله بن أبي أميَّة بن المغيرة، وعبد الله بن عمرو بن مخزوم، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، وأبو حذيفة بن المغيرة[١].

﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: لو تلين فيَلينون[٢].

وقال الضَّحَّاك وهو رواية عن ابن عبَّاس: أي: لو تكفر فيكفرون[٣].

وقيل: ودُّوا لو لِنْتَ لهم في دينهم بإجابتك إلى إعظام آلهتهم، فيلينون لك في عبادة الله تعالى.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦).

وأصله من الدُّهْنِ[١]، وهو راجع إلى المداراة والمقاربة والملاينة، فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره بالتصلُّب والجدِّ في أمر الله تعالى.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: ثم نهاه عن طاعة بعضهم خصوصًا لاختصاصه بخصال السُّوء وأسباب التَّمرُّد.

وقال مجاهد: هو الأسودُ بن عبد يغوث[٢].

وقال الكلبيُّ: هو الأخنس بن شَرِيقٍ الثَّقفي[٣].

وقال مقاتل: هو الوليد بن المغيرة[٤]. وعليه أكثر المفسِّرين.

﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحَلِف بالأصنام والآباء.

﴿مَّهِينٍ﴾: دنيء ضعيف حقير، وقال الشَّاعر:

لا يَكْذبُ المرءُ إلَّا مِن مهانَتِهِ ... أو عادةِ السُّوء أو مِن قلَّةِ الأدبِ[٥]

---

(١) يعني: شُبِّه التليين في القول بتليين الدهن. انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤).

(٥) البيت بلا نسبة في «الموشى» لأبي الطيب الوشاء (ص: ٤١)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ٤٤٨)، و«محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (١/ ١٥٥). وبعده كما في «الموشى»:

لجيفة الكلب عندي خير رائحة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب

وقال الحسن وقتادة: ﴿مَّهِينٍ﴾: مكثارٍ في الشَّرِّ[١].

من المهنة، وهي السَّعي في أسباب البيت والخدمة، فعيل بمعنى فاعل.

﴿هَمَّازٍ﴾: غيَّاب[٢] وقَّاع في النَّاس.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مغتاب[٣].

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: كثيرِ المشي بالنَّميمة.

وقال الفرَّاء: النَّميم والنَّميمة لغتان في المصدر[٤].

وهي التَّضريب بين النَّاس بنقل الكلام الذي يُغلظ قلوبَ بعضهم على بعض، ويوقع الفساد والقطيعة بينهم.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: كثير المنعِ نفعَه عن غيرِه، وقيل: بخيلٍ بالطَّعام.

وقال الخارجة: كان الوليد بن المغيرة إذا كانت أيَّام منًى أمرَ مناديًا ينادي: ألَا لا يوقدنَّ أحدٌ تحتَ بُرْمَةٍ، ألَا ومَن أرادَ الحَيْسَ فليأتِ الوليد بن المغيرة، فيطعم أهل منًى حيسًا ثلاثة أيَّام ما أكلوا، ويتقدَّم إليه المسكين فيسأله فلا يعطيه شيئًا، فنزلت فيه: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾، كان ينفق في الحجَّة الواحدة عشرين ألفًا أو أكثر، ولا يعطي المسكين درهمًا[٥].

---

(١) رواه الطبري عنهما في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٨).

(٢) في (أ): «عياب».

(٣) في (أ): «عياب». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٩) بلفظ: «يعني: الاغتياب».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٥)، ولم يعزه لأحد. والحيس: تمر يخلط بسمن أو أقط. =

وقيل: كان يمنع بني عمِّه أنْ يتَّبعوا محمَّدًا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿مُعْتَدٍ﴾: أي: ظالم متجاوزٍ حدودَ الله في معاملاته.

﴿أَثِيمٍ﴾: أي: مرتكبٍ للإثم فيما بينه وبين الله.

وقال قتادة: ﴿مُعْتَدٍ﴾ في عمله ﴿أَثِيمٍ﴾ بربِّه[١].

﴿عُتُلٍّ﴾: جافٍ غليظ.

وقال الكسائيُّ: العُتُلُّ: الشَّديد[٢].

وقال الخليل: هو الأكول المنُوع[٣].

وقال الفرَّاء: هو الخصيم بالباطل[٤].

وقال أبو عبيدة: هو الفظُّ الكافر[٥].

وقال أبو سعيد الضَّرير: هو السَّريع إلى الشَّرِّ.

وقال نفطويه: هو الفظُّ الغليظُ الذي لا ينقادُ إلى خير.

وقال بعض البصريِّين: هو الأكول الرَّحيب الجوف، الذي همَّته بطنُه.

وقال مجاهد: ﴿عُتُلٍّ﴾؛ أي: أكول شروب ظلوم غشوم[٦].

= وقوله: «الخارجة» لعله خارجة بن مصعب فإن المؤلف ينقل عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٠).

(٢) ذكره عنه أبو عبيد في «الغريب المصنف» (١/ ٣٦٦).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٢/ ٦٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤).

(٦) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٠٤). وروى معناه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩٩١) من طريق =

وقال زيد بن أسلم: فاحش الخُلُق(١).

وقال يمان بن رئاب: قاسٍ لئيم العِشْرة(٢).

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: أي: مع ذلك، كما قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وقيل: أي: نخبركم بعد هذا أنَّه زنيم.

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الزَّنيم: الذي لا أصلَ له(٣).

وقال الفرَّاء والكسائيُّ: هو الملصَقُ بالقوم ليس منهم(٤).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وأبو سعيد الخدريُّ وعكرمة وسعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والخليل والقتبيُّ: هو الدَّعيُّ(٥).

وقال حسان بن ثابت:

وأنتَ زنيمٌ نِيْطَ في آلِ هاشمٍ ... كما نِيْطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ(٦)

= شَهْرِ بن حَوْشَبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ غَنْمٍ، قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن العُتُلِّ الزَّنِيم، فقال: «هو الشَّديدُ الخَلْقِ المُصَحَّحُ، الأَكولُ الشَّروبُ، الواجِدُ لِلطعامِ والشَّرابِ، الظَّلُومُ للناسِ، رَحِيبُ الجَوفِ». لكن إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وعبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته كما ذكر الحافظ في «التقريب».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٢) عن الحسن.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المسيب وعكرمة. وعزاه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٦) إلى مجاهد. وانظر: «العين» للخليل (٧/ ٣٧٥)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٧٨).

(٦) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٨٩).

وقال آخر:

زنيـمٌ ليـسَ يُعْـرَفُ مَـنْ أبـوهُ بغـيُّ الأمِّ ذو حَسَـبٍ لئيـمِ[١]

وقال أبو سعيد الضَّرير: معلَّم باللُّؤم، له زَنَمةٌ يُعرَف بها، والتَّيس له زَنَمتان في أذنيه كأنَّهما قرطان[٢].

قال مرَّة الهمذانيُّ: أي: ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[٣].

وقيل: كان نسبُه من أبيه ظاهرًا، لكن هذا إخبارٌ من الله تعالى عن حقيقة حاله عنده أنَّه لغير رِشْدَةٍ.

وقد روي: أنَّه دخل على أمِّه شاهرًا سيفَه، وقال: إنَّ محمَّدًا ذمَّني بعشر صفات، ووجدْتُ تسعةً في نفسي، فأمَّا الزنيم فلا علم لي به، فإنْ أخبرتِني بحقيقته وإلَّا ضربْتُ عنقَكِ. فقالت: اسكُنْ ولأَصْدُقنَّكَ، وتأمَّل إنْ نفعتُكَ بما فعلْتُ[٤]، وإلَّا فعاتبني[٥]، اعلم أنَّ أباك كان عنِّينًا[٦]، وخفْتُ أن يموتَ فينقطعَ ذِكْرُه، ويتفرَّقَ مالُه في غير ولدِه، فدعوْتُ راعيًا إلى نفسي، فأنت من ذلك الرَّاعي[٧].

---

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٦٤)، و«تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٣).

(٢) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧) عن عكرمة. وروى البخاري (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: «رجل من قريش له زنَمة مثل زنمة الشاة».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧).

(٤) في (ر) و(ف): «قلت».

(٥) في (أ) و(ف): «فعاقبني».

(٦) في (أ): «كان غنيًا».

(٧) ذكره النسفي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٩).

قال أهل العلم: إنَّ الوليد الملعون عابَ رسول الله ﷺ بما ليس فيه، وسمَّاه باسمٍ واحدٍ قبيحٍ كاذبًا، وهو المجنون، فأجاب الله عنه، وسمَّاه بعشرة أسماء صادقًا، وهي مذمومة، فإن كان من عدل الله أن يجزي المسيء إلى رسوله بعشرٍ، كان من فضل الله تعالى أنَّ مَن صلَّى عليه واحدة صلَّى الله عليه بها عشرًا.

* * *

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿أأَنْ كانَ ذَا﴾ بهمزتين، وهو استفهام بمعنى التَّوبيخ، وقرأ ابن عامر بالمدِّ، وهو كذلك.

وقرأ الباقون بهمزة واحدة(١)، ومعناه: ولا تطعْهُ بأن كان، أو لأن كان.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ويجوز على الوجهين اتِّصاله بقوله: ﴿أَن كَانَ﴾، ويجوز أن يكون هذا ابتداءً، وقوله: ﴿أَن كَانَ﴾ متَّصلًا بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: قال السُّدِّيُّ رحمه الله: أي: على الأنف. وكذا قال الرَّبيع بن أنس(٢).

وقال أبو سعيد الضَّرير: الخرطوم: الفم وطرف الأنف، قاله(٣) نفطويه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣).

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٩٥) عن السدي، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٠) عن قتادة.

(٣) في (ف): «وقال»، وفي (ر): «وكذا».

فإنْ قيل: أليس يسوَّد وجهُ الكافر، فما بالُ ذِكر الأنف خاصَّة؟

فالجواب: أنَّ العرب خُوطبت بما[١] تتكلَّم، فيقولون: أرغمْتُ أنفَه، واحتزَزْتُ أنفَه، وقدْتُه بخزامته، ويقولون: شمَخ بأنفِه، فينسبون الكِبْر إلى الأنف، وهكذا ذكرُ الأنف بالوَسم، وإن كان السَّواد في سائر وجهه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقيل: هو على مجاز كلام العرب إذا شانوا الرَّجل بما يبقى عاره، قالوا: وسَمْتُه وكويته، قال جرير:

لَمَّا وضعْـتُ على الفرزدقِ مِيْسَـمي ... وعلى البَعِيْثِ جدعْتُ أنفَ الأخطلِ[٢]

والتَّأويل: سنسم هذا الكافر بسِمَةٍ لا تفارقُه أبدًا؛ أي: سنُلحق به عارًا لا يفارقُه في الدُّنيا والآخرة.

وقد فعل ذلك لَمَّا أنزل في القرآن من ذكر خصاله هذه، فعرفه بها الأوَّلون والآخرون، فصار ذلك شَينًا باقيًا عليه.

وخَصَّ ذكرَ الخرطوم لأنَّ ذلك ممَّا لا يَنكتِم كما ينكتم إذا كان في سائر البدن.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

وقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أي: اختبرنا هؤلاء المشركين المانعين الخيرَ بالأولاد والأموال ليشكروا، لا ليطغَوا ويمنعوا خيره[٣].

---

(١) في (أ) و(ف): «كما».

(٢) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٤٠).

(٣) في (ر): «ليشكروا لطفه أو يمنعوا خيره».

﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أي: البستان، وكان بأرض اليمن في قرية يُقال لها: ضروان، على فراسخَ من صنعاء، وكانت بالقُرْب من أهل مكَّة، وقد عرفوا ذلك، وكانت لرجلٍ يؤدِّي حقَّ الله منها، ويواسي عبادَه منها، فلمَّا مات صارَتْ إلى ولدِه، فمنعوا النَّاس خيرَها، وبخلوا بحقِّ الله تعالى فيها، فأهلكها الله تعالى، فكذلك هؤلاء.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾: أي: حين حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾؛ أي: ليقطعُنَّ ثمارها، ويجوز في النَّخيل والأعناب والزُّروع.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في أوَّل صباح النَّهار[1] قبل انتشار المساكين.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: أي: ما قالوا: إن شاء الله[2].

---

(١) في (أ): «داخلين في الصباح».

(٢) كذا قال المؤلف في معناها، وهو قول كثير من المفسرين، لم يفسروها بغيره، وقال الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٦): وهو قول جماعة المفسرين، والظاهر على هذا كما قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٧): عطفه على ﴿أَقْسَمُوا۟﴾، قال: فمقتضى الظاهر: وما استثنوا، وكأنه إنما عدل عنه إليه استحضاراً للصورة لما فيها من نوع غرابة؛ لأن اللائق في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعةٍ الاستثناءُ.

قلت: لكن لعل في ظاهر هذا القول بعداً عن المعنى المراد؛ لأن الذي ينطلق ليمنع خيراً عن الناس وهو مصر على هذا المنع بل وأقسم عليه، لا يوصف بعدم الاستثناء، ولا يذم به، بل بفعله الذي هو مقدم عليه، لكن لعل فيما قاله ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٨١) في تعليل هذا القول ما يقربه للمعنى المراد، حيث قال: وعلى هذا التفسير يكونُ قوله: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ مِن قَبِيل الإدماج؛ أَي: لمَبْلَغ غرورهم بقوة أنفسهم صاروا إذا عزَموا على فِعلِ شيءٍ لا يَتوقَّعون له عائقًا.

وهو تعليل حسن، لكن ذكر العلماء في معنى الآية أقوالاً أخر لعلها أقرب، فابن عاشور نفسه قد أخر القول السابق وقدم عليه قوله: ومعنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: أنَّهم لا يستثنون من الثَّمَرة شيئًا للمساكين، أي: أقسموا لَيَصْرِمُنَّ جميعَ الثَّمَر ولا يتركون منه شيئًا.

والآلوسي أيضاً قد ذكر نحو هذا وقبِله، فقال: وقيل: المعنى: ولا يستثنون حصة المساكين كما كان =

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: أتى هذه الجنَّة أمرٌ من أمر الله تعالى ليلًا فاستأصلها.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: أي: في حال نومِهم.

* * *

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: أي: الجنَّة ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ قال الكسائيُّ: أي: كالمصروم[1].

وإنَّما قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾، وقد طاف الطَّائف ليلًا؛ لأنَّ معناه: فنظروا إليها صباحًا، فصارَت لهم كجنَّة قد صُرِمَتْ ثمارها، وكأرضٍ قد حُصِدَ زرعُها.

وكذلك قال قتادة: ﴿كَالصَّرِيمِ﴾: كأنَّها صُرِمَتْ[2].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿كَالصَّرِيمِ﴾؛ أي: سوداء محترقة كاللَّيل[3].

وأنشد أبو عمرو بن العلاء:

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنُ البَهيْمُ ... فما ينجابُ عنْ صُبْحٍ صَريمُ

= يخرج أبوهم، وعليه هو معطوف على قوله تعالى: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ومقسم عليه، أو على قوله سبحانه: ﴿مُصْبِحِينَ﴾ الحال، وهو معنًى لا غبار عليه.

قلت: وهذا القول مروي عن السلف، فقد عزاه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧) لعكرمة. ومما قيل في معناها أيضاً ما ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٩): ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: ولا يتوقفون في ذلك، أو: ولا يثنون عن رأي منع المساكين.

(١) ذكره البخاري قبل حديث رقم (٤٩١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٨ ـ ٩٩) وحمل عليه كلام قتادة الآتي.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٦).

إذا مـا قلْـتَ أقشـعَ أو تناهـا جـرَتْ مِـنْ كُلِّ ناحيـةٍ غيـومُ[(١)]

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: أي: لَمَّا أصبح أصحابُ الجنَّة نادى بعضهم بعضًا: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾؛ أي: امضوا لصِرام بستانكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾؛ أي: إن كنتم مريدين صرامَه.

﴿فَانطَلَقُوا﴾: أي: ذهبوا في هذا الوقت ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾؛ أي: يخفضون أصواتهم في الكلام، ويتسارُّون بهذا الحديث.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾: وله وجهان:

أسرِعوا قبل أن يحضر المساكين.

والثَّاني: إذا حضروا فلا تدعونهم يدخلونها، ولا تعطوهم شيئًا.

* * *

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: أي: قصدٍ قادرين عندَ أنفسِهم.

وقيل: على منعٍ.

وقال نفطويه: على حدٍّ في المنع، قادرين عند أنفسهم على المنع.

وقيل: أي: مع القدرة على الإعطاء، ومع السَّعة التي لا عذر معها في المنع.

وقال الحسن وقتادة: على فقرٍ وفاقة إليها[(٢)]، من قولهم: حاردَتِ السَّنةُ: إذا منعَتْ قطرَها، وحاردَتِ النَّاقةُ: إذا منعَتْ لبنَها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٧٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٦٨). الجون: الأسود المشرب حمرة. انظر: «اللسان» (مادة: جوب).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨) عن الحسن. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٨٤) عن قتادة بلفظ: (على جهد من أمرهم).

﴿قَٰدِرِينَ﴾ على المنع عند أنفسهم.

وقال سفيان: ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾؛ أي: على غضب وحقد على المساكين[١].

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾: أي: فلمَّا أتوا الجنَّة ورأوها محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض: إنَّا ضللنا طريقنا[٢]، فليسَتْ هذه هي.

وقيل: بل أرادوا: إنَّا لضالُّون عن الصَّواب؛ أي: في غدوِّنا على نيَّة منع المساكين، فلذلك عوقبنا بهلاكها.

﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾: أي: تنبَّهوا أنَّهم ما أخطؤوا طريق بستانهم، وقالوا: ما ضللنا الطَّريق، لكنَّ الله تعالى حرمَنا ثمارَها بسوء نيَّتنا، ويكون هذا اعترافًا بالذَّنب.

وقيل: بل أرادوا به: إنَّا مجارَفون[٣]، كالرَّجل يريد الشَّيء فلا يناله، فيقول: هذا من حرماني، لا يعترف بعقوبةٍ على جناية، بل يضيفه إلى عدم الجدِّ وحرمان الحظِّ.

* * *

(٢٨ ـ ٣٠) ـ ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

قوله: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾: أي: أعدَلُهم وأنبلهم: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: هلَّا تعظِّمون الله تعالى بتفويض الأمر إليه، والتَّبرِّي من الحول والقوَّة والتَّعليقِ بالاستثناء.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨) بلفظ: «على حنق».

(٢) في (ف): «طريق جنتنا».

(٣) في (ف): «محارفون»، وفي (ر): «محارمون». والمثبت من (أ)، يقال: رجلٌ مُجَارَفٌ بفتح الراء: لا يَكْسِبُ خيراً، ولا يُنَمِّي مالَه، كالمُحَارَف، بالحاء. انظر: «التاج» (مادة: جرف)

وقال مجاهد: كان التَّسبيح منهم استثناء[١].

أشار إلى أنَّ هذا الأوسط كان أمرهم بذلك أوَّلًا فامتنعوا، وبنوا الأمر على قدرتهم.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: اشتغلوا بالتَّسبيح، واعترفوا بالذَّنب، وهو نيَّة المنع أو ترك الاستثناء.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾: أي: يلوم كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه على ترك نهيه عنه.

وقال الكلبيُّ: أي: يقول: أنت أشرْتَ علينا بذلك[٢].

* * *

(٣١ ـ ٣٣) ـ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾: مفرِطين في المعصية، مجاوِزين لحدِّ الطَّاعة.

ثم انقطعوا بآمالهم إلى الله تعالى فقالوا:

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾: قال الحسنُ رحمه الله: لا أدري أكان ذلك إيمانًا منهم أم ما يكون من المشرك عند البلاء.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾: أي: كذلك نعذِّب مَن فعل فعلَهم بما به عذَّبناهم.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: أي: للمشركين ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: يتفكَّرون[٣] في العواقب فيعلمون ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٠٧).

(٣) في (ر): «ينظرون».

قال أبو معاذ: قال خارجةُ: حُدِّثْتُ أنَّ هذه الجنَّة كانت قريبةً من صنعاء في الفترة، وكان أهلها مسلمين على دين عيسى، وكان الفقراء يعملون في تلك الجنَّة ستَّ سنين، والنَّفقة على الأغنياء، فإذا كانت السَّنةُ السَّابعةُ كان للفقراء ثمرُها وخيرها، غيرَ أنَّ الرِّقاب لأربابها الأغنياء، فكانوا كذلك ما شاء الله، ثمَّ دخلهم ما يدخل النَّاس من الأمر الطبيعي، فغدَوا ليَحرموا المساكين في سنَتهم السَّابعة، فابتلاهم الله تعالى بما ذكَرَ، فتاب اللهُ عليهم، فلمَّا كان في السَّنة الثَّامنة عمَروها من أموالهم ونفقاتهم، فدفعوها إلى الفقراء، فتاب الله عليهم.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ الله تعالى ابتلى أهل مكَّة بالقحط بعد تعزُّزهم بالأموال، كما كان لأهل تلك الجنَّة[1].

وقال الكلبيُّ: بلغَنا أنَّهم كانوا أبناء قوم صالحين، وأنَّ أباهم قد جعل للمساكين حظًّا من جنَّته عند الحصاد ما أخطأ[2] المنجلُ، وعند القطاف ما أخطأ القاطف[3]، ومن النَّخل ما انتثر منها، فلمَّا مات شيخُهم قال بنوه: إنَّ في هذا الفضل لطعامٌ كثيرٌ، وغدوا وقت السُّدْفة[4]، وتقاسموا ألَّا يُطعموا مسكينًا شيئًا، فأصابهم ما ذكر الله تعالى[5].

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة: الزجاج في «تفسيره» (٥/ ٢٠٩)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦).

(٢) في (أ): «أخطؤوا».

(٣) في (أ): «القاطفة».

(٤) في (ر): «السرمة»، وفي (ف): «الشدفة». والسُّدفة: الظلمة، والشدفة بمعناها. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: سدف وشدف).

(٥) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال قتادة: ذُكِر لنا أنَّ شيخًا من بني إسرائيل كان له جنَّة وبنون، فجعل الشَّيخ ينظر قَدْرَ ما يكفيه وولده وأهله، فيمسكه ويتصدَّق بالباقي، وجعل بنوه يقولون له: لئِنْ لم تنتهِ لنفعلَنَّ ولنفعلَنَّ، فأبى أن يعطيَهم، فمات الشَّيخ، وورثه بنوه، ومنعوا الحقَّ عن المساكين، فأصبحت جنَّتهم كالصَّريم(١).

وقال عكرمة: هم ناسٌ من الحبشة كانت لأبيهم جنَّة، وكان يطعم المساكين منها، فمات أبوهم، فقال بنوه: كانوا أبونا أحمقَ حين يُطعم المساكين، فأجمَعوا ليَصرمنَّها مصبحين... القصَّة(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: بلغني أنَّ القوم أخلصوا، وعلم الله منهم الصِّدق، فأبدلهم بها جنَّة يُقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغلُ منها عنقودًا(٣).

* * *

(٣٤ ـ ٣٨) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ذكر أوَّلًا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وذلك للمشركين، وذكر بعد ذلك ما يكون للمتَّقين أنَّهم لم يتعزَّزوا بجنَّات الدُّنيا ونعيمها، ولم يمنعوا حقَّ المساكين منها، وأعطاهم الله تعالى جنَّات النَّعيم في الآخرة.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لا نسوِّي بينهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٦٧).

(٢) ذكره مختصرًا الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٦٧) دون نسبة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨).

﴿مَا لَكُمْ﴾: أي: ما اعترَض في عقولكم حتَّى سوَّيتم بينهم، بل قدَّمتم أولئك على هؤلاء.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بهذا ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: كسَر (إنَّ) لِمَا ذُكر بعدها مِن اللَّام، ولولاها لفتحت لوقوع الفعل السَّابق عليه.

وذكر ﴿فِيهِ﴾ مرَّتين، وذكر الكسائيُّ أنَّ الأوَّل يجوز أن يكون كنايةً عن الكتاب، والثَّاني عن الحكم، ويجوز على عكسه.

وهو ردٌّ لقولهم: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

* * *

(٣٩ ـ ٤١) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾: وكسر ﴿إِنَّ﴾ للَّام أيضًا في هذا، ومعناه: أم لكم علينا أيمان حلفنا بها لكم أنَّا نعطيكم إلى يوم القيامة جميعَ ما تحكمون علينا لأنفسكم في الدُّنيا، حتَّى لا نزيل عنكم مع كفركم نعمةً.

والآية الأولى من نعم الآخرة، فتتَّصل لهم نِعمُ الدُّنيا والآخرة بتحكُّمهم.

قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾: أي: سَلْ هؤلاء المشركين يا محمَّد أيُّهم الضَّامن لهم من الله بهذا.

وقيل: سلهم أيُّهم يقوم بتصحيح هذه الدَّعوى.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ في هذا القول يشهدون(١) لهم بصحَّته(٢).

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾: أنَّ لهم شهداء.

وقيل: معناه: ﴿أَمۡ لَهُمۡ﴾ آلهةٌ أشركوها بالله فهي لهم ﴿شُرَكَآءُ﴾؛ أي: عندهم ينزلونهم يوم القيامة منازلَ المتَّقين، ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ هؤلاء ليفعلوا بهم يوم القيامة ذلك ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾.

* * *

(٤٢) ـ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾.

وقوله: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾: أي: فليأتوا بهم في هذا اليوم الذي يُكشَف فيه عن أهوال وشدائدَ، والعرب تقول للأمر إذا اشتدَّ: قام على(٣) ساق. وقال الشاعر:

قد سنَّ أقوامك ضربَ الأعناقْ وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ(٤)

وقال آخر:

---

(١) في (أ): «ليشهدوا».

(٢) في (ف): «بتصحيح هذه الدعوة».

(٣) في (أ): «عن».

(٤) الرجز نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٢/ ٣٨٤) لأبي البلاد خليفة بن بلاد، وذكره الراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢١٢) وقال: الأبيات لرؤبة قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له. ونسب لرؤبة أيضاً في «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (١/ ٢١٢)، و«التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٢٣)، و«باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» لبيان الحق الغزنوي (٣/ ١٥٣٥). وهو دون نسبة في «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٢٦٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٧١)، و«البصائر والذخائر» للتوحيدي (٩/ ١١٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٩)، و«اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٢٩٩). وجاء في المصادر: (ومن طرادي الطير...).

عجِبْتُ مِنْ نفسِي ومِنْ إشفاقِها ومِنْ ذِيادي الطَّيرَ عَنْ أرزاقِها
في سَنَةٍ قد كشفَتْ عن ساقِها حمراءَ تُبدي اللحمَ عن عُراقها[١]

وقال القتبي: وأصل هذا: أنَّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة وجدٍّ فيه شمَّر عن ساقه، فاستعير السَّاق في موضع الشِّدة[٢].

وقال دريد بن الصِّمَّة:

كَمِيْشُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقِهِ صَبورٌ على الجلَّاءِ طلَّاعُ أنجدِ[٣]

وقال الهذلي:

وكنْتُ إذا جاري دعا لِمَضُوفَةٍ أشمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ السَّاقُ مِئزَرِي[٤]

والحملُ في هذه الآية على ظهور شدائد الأمور قولُ ابن عبَّاس وعكرمة ومجاهد وجماعة[٥].

---

(١) الرجز أنشده ابن عباس رضي الله عنهما في شرح الآية، قال: (يكشف عن أمر عظيم، ألا تسمع العرب تقول: وقامَتِ الحَرْبُ...) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٧). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٦) من طريق عكرمة عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبِرْ عَنَاقِ إنَّه شَرٌّ باق قد سنَّ لي قومك...

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٨٩).

(٣) انظر: «ديوان دريد بن الصمة» (ص: ٤٩).

(٤) انظر: «ديوان الهذليين» (٣/ ٩٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو أشد ساعةٍ في يوم القيامة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾: أي: ويدعى هؤلاء المشركون إلى السُّجود ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

* * *

(٤٣) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾: أي: ذليلةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾؛ أي: ولهم سلامة الآلات ولا يسجدون.

وقوله تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ليس هذا بدعاءِ أمر ونداء، بل معناه: يُحملون على قصد السُّجود، وذلك إذا رأوا المؤمنين يسجدون لله تعالى يومئذ ويقدرون، فيقصد المنافقون والمشركون، فيصير ظهورهم طبقًا واحدًا، وفي رواية: كسفافيد[٢] الحديد، فلا تنحني، فيبقون قيامًا كذلك[٣].

﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ في الدُّنيا، قيل: هو نداء المؤذِّن إلى الصَّلاة.

قال كعبُ الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلَّا في المتخلِّفين عن الجماعات[٤].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٨).

(٢) جمع السَّفُّود: وهو حديدة يُشْوَى عليها اللحمُ. انظر: «اللسان» (مادة: سفد).

(٣) روى البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل مَن كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدًا».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥٦) إلى ابن مردويه.

(٤٤) ـ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾: أي: فكِلْ يا محمَّد هؤلاء المكذِّبين بهذا القرآن إليَّ.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: أي: سنُدْنيهم من عذابنا ونقمتنا بالإمهال قليلًا قليلًا، كما يرقَى الرَّاقي موضعًا عاليًا، فيتدرج إليه درجة درجة، وشيئًا شيئًا، حتى يصل إليه بالـمَهَل.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: من حيث يغترُّون بطول الإمهال ولا يدرون تقريبي إيَّاهم من العذاب والنَّكال.

وقال زيد بن أسلم: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾؛ أي: نُسبغ عليهم النِّعم ونُنسيهم الشُّكر[١].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا رأيْتَ اللهَ تعالى ينعمُ على عبدٍ وهو مقيمٌ على معصيتِه، فاعلم أنَّه مستدرَجٌ»، وتلا قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وعن عمر رضي الله عنه لَمَّا حُمل إليه كنوز كسرى وملؤوا منها المسجد بكى وقال: أخشى أن أكون مستدرجًا، وتلا هذه الآية[٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢٤)، عن سفيان الثوري.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٢٠)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٤٧٧): رواه أحمد والطبراني والبيهقي في «الشعب» بسند حسن.
لكن الآية المتلوة عندهم هي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥].

(٣) ذكره الإمام الشافعي في «الأم» (٤/ ١٥٧) عن غير واحد من أهل العلم، ومن طريقه البيهقي في =

وقال أبو روق: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: كلَّما أحدثوا خطيئةً جدَّدنا لهم نعمةً وأنسيناهم الاستغفار[1].

* * *

(٤٥ ـ ٤٧) ـ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

قوله ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: أمهلهم ولا أعاجلهم بالعذاب.

والإملاء: إطالة الملاوة[2] ـ بفتح الميم وضمِّها وكسرها ـ وهي المدَّة من الدَّهر.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: أخذي بالعذاب شديدٌ قويٌّ.

نزلَتْ في المستهزئين من قريش، وقتلَهم اللهُ تعالى في ليلةٍ، وقد مرَّت قصتُهم آخِر (سورة الحجر).

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: معطوف على ما مرَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لستَ تطمع في شيء من أموالهم في تبليغ الوحي فيثقلَ عليهم فيمتنعوا لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: قيل: أم عندهم اللَّوح المحفوظ وهم

= «السنن الكبرى» (١٢٨١٢).

(١) ذكره عن أبي روق الرازي في «التفسير الكبير» (٢٠/ ٨٥). ورواه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٠٨) من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦) عن ابن عطاء.

(٢) في (ر): «الملاومة».

يكتبون منه ما هو كائن، فيجادلونك به ويزعمون أنَّهم على كفرهم أفضلُ منك عند الله، وأنَّه لا ينزل بهم عذابٌ مستأصِل، أو فيه أنَّ البعث غير كائن.

***

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي: لِمَا حكم عليك مِن تبليغ[1] الرِّسالة باحتمال أذى قومك، ولا تَضِقْ به صدرًا، واترك معاجلتهم بالعذاب.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: أي: كيونس عليه السَّلام؛ إذ لم يصبر على أذى قومه وخرج مغاضبًا، فضيَّق الله عليه، فالتقمَه الحوتُ.

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: قال الحسين بن الفضل: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ لا يرجع إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُن﴾؛ إذ النِّداء طاعة فلا يُنهى عنها، لكن معناه: واذكره إذ نادى وهو مكظوم؛ أي: مملوءٌ حزنًا وغضبًا.

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي: لولا أنَّ الله تعالى أنعمَ عليه بإجابة دعائه وقَبول عذره.

﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾: أي: لألقي بالأرض العارية عن النَّبات والبناء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ بزلَّته.

وقد مرَّ في آية أخرى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصافات: ١٤٥]؛ أي: ألقاه الحوت.

ولا تختلف الآيتان لوجهين:

أحدهما: أنَّ الأوَّل ليس بمطلَق النبذ، بل لنبذِه مذمومًا ولم يكن كذلك، وفي الثَّاني نبذَه بالعراء وقد كان محمودًا، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون.

---

(١) في (أ): «بتبليغ» بدل من «من تبليغ».

والثَّاني: ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾؛ أي: لبقي في بطن حوته إلى يوم القيامة، ثم ألقي في عراءِ عرصة القيامة، حين يحشر النَّاس، ولكنْ منَّ الله تعالى عليه فنبذَه بعراء الدُّنيا، وهو كقوله: ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: أي: اصطفاه لدعائه وعَذَرَه.

﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: من المرسلين إلى مئة ألف أو يزيدون؛ فإنَّ الصَّالحين اسمُ الرُّسل.

وقيل: أي: بنبوَّته، وعذَرَه جعَلَه صالحًا، لم تبقَ له زلَّة، بل هو مستكمِل[١] لصفات الصَّلاح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾: وقد مرَّ مرَّات أنَّ (إنْ) الخفيفةَ وبعدها اللَّام لذلك وجهان:

أحدهما: أنَّ (إنْ) نفيٌ، واللَّام بمعنى (إلَّا).

ووجه آخر: أنَّهما للتَّأكيد.

وقرأ حمزة: ﴿ليَزْلِقُونَكَ بأبصارِهم﴾ بفتح الياء من زَلِقَ، والباقون بضمِّها من أَزْلَقَ[٢].

---

(١) في (ف): «بل هو مستمسك» وفي (ر): «وهو مستكمل».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣). والقراءة فيهما عن نافع لا عن حمزة. ووافقه أبو جعفر. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩).

وزَلِق: إذا سقط، وأَزْلَق: إذا أَسْقط.

يقول: يكاد هؤلاء المشركون يسقطونك بعيونهم لشدَّة نظرهم بها إليك بغضًا لك وغيظًا عليك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾؛ أي: حين يسمعون القرآنَ؛ لِمَا فيه مِن سبِّهم، وتسفيه أحلامِهم، وعجزهم عن معارضته.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾: أي: إنَّ محمَّدًا لمجنون، وكلامه كلام مجنون.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

فردَّ الله تعالى قولَهم فقال: ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي: وما كلامه والذي يقرؤه[١] كلام مجنون.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: ما هذا القرآن إلَّا ذكر؛ أي: تذكير للعالمين كلِّهم.

وقال النَّضر بن شميل: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾؛ أي: ليَعينونك؛ أي: يُصيبونك بأعينهم. وكذا قال الأخفش[٢].

وقال الحسن: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾؛ أي: ليقتلونك بإصابة العين[٣].

وقد عانه يَعينه عينًا، فهو عائن، والآخر معيون، على الأصل.

قال الشَّاعر:

قد كان قومُكَ يحسِبُونَكَ سَيِّدًا   وإخالُ أنَّك سيِّد مَعيون[٤]

---

(١) في (ر): «يقوله».

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤) عن الحسن وابن كيسان.

(٤) البيت لعباس بن مرداس، كما في: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٣)، و«جمهرة اللغة» لابن =

وقال الحسنُ: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾... الآية[1].

وقال الحسين بن الفضل: جواب قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ في أوَّل هذه السورة: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

والحمدُ للهِ أوَّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

* * *

= دريد (٢/ ٩٥٦)، و«الأغاني» للأصبهاني (٦/ ٣٥٨).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤).

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أخذ الطَّاغين أخذةً رابِيَة، الرحمنِ الذي لا يخفَى عليه خافِيَة، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين بجنَّةٍ عالية.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ الحاقَّة حاسبَه اللهُ تعالى حسابًا يسيرًا»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي إحدى وخمسون آية، ومئتان وثمانٍ وخمسون كلمة، وألفٌ ومئةٌ وعشرة أحرف.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه قال في ختم تلك: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: عِظَةٌ، وأعظم العِظَات ذكرُ يوم القيامة، وما فيها في القسَم على حال رسول الله ﷺ، وما فيها من العقوبات(٢).

وافتتح هذه السُّورة بذلك.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٤٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «من الصعوبات» وقوله: «في القسم على حال رسول الله ﷺ وما فيها» ليس فسي (ف).

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك أوَّلُها في القسَم على خُلُق[١] رسول الله ﷺ، وباقيها في[٢] أجزية موافقيه ومخالفيه أيضًا في الدُّنيا والآخرة، وهذه آخرُها في القسَم على ذلك، وباقيها في[٣] أجزية موافقيه ومخالفيه أيضًا في الدُّنيا والآخرة.

***

(١) - ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾: أي: القيامة.

قال الخليل: ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾؛ أي: النَّازلة التي حقَّتْ فلا كاذبةَ لها[٤].

وهذا لأنَّ أخبار الله تعالى في الدُّنيا متتابعةٌ في كتبه وعلى ألسنة رسله، يذكرها مع خفاء وقتها، فإذا قامت قيل: هي الحاقَّة؛ أي: قد حقَّتْ كما كانت تُذكَر.

وتسمَّى الآن حاقَّة على أنَّها واقعةٌ لا محالة، كما سُمِّيَتْ الواقعةَ لوقوعها لا محالة.

وقيل: سُمِّيت بها لأنَّها تَحُقُّ كلَّ إنسان بعمله من خير أو شر؛ أي: تجعله حقيقًا[٥].

وقيل: سُمِّيت بها لأنَّها تَحِقُّ فيها الأمور، فيَظهَرُ إحسان المحسن وإساءةُ المسيء، ويظهر ما يجب له وعليه من ثواب أو عقاب، فهي حاقَّة على معنى أنَّ الحقَّ فيها، كما يُقال: ليل نائم؛ لِمَا أنَّ النَّوم يكون فيه.

وقال قتادة: سُمِّيت بها لأنَّه حقَّت فيه لكلِّ قوم أعمالهم[٦]؛ أي: صحَّت.

---

(١) في (أ) و(ف): «حال».

(٢) في (ف): «وما فيها من» بدل من «وباقيها في».

(٣) في (ف): «وما فيها من» بدل من «وباقيها في».

(٤) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٧).

(٥) في (أ): «حقيقة».

(٦) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠٦).

وقيـل: هـي مـن حَـقَّ الشَّـيء يَحِـقُّ حقوقًـا؛ أي: وجـب، وهـي واجبـة؛ أي: كائنـة لا محالـة.

وقال الحسن البصري رحمه الله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ معناها: أنَّه تَحِقُّ فيها لأقوامٍ الجنَّةُ بأعمالهم، وتَحِقُّ لأقوامٍ النَّارُ بأعمالهم.

* * *

(٢ ـ ٥) ـ ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: استفهام بمعنى التَّعجُّب، وهو تفخيم لشأنها، كقولك: زيدٌ، وما زيدٌ؟

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: أي: وما أعلمَكَ يا محمَّد أيَّ شيءٍ فيها من الأهوال وشدائد الأحوال، وهو تفخيم آخر، وهو كقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: ٢٧]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٥].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾: أي: بالقيامة، وسُمِّيَتْ بها لأنَّه تقرعُ قلوب العباد لهجومها عليهم.

وقيل: تَقْرع أعداء الله بالعذاب.

وقيل: هي الدَّاهية؛ أي: كذَّبَ الأوائل بالقيامة، فلم يؤمنوا بالله ورسله، فأهلكناهم في الدُّنيا، وصيَّرناهم إلى عذاب الآخرة، فكذلك حال مشركي زمانك كذَّبوا بالقيامة، فلم يؤمنوا بي وبكتابي ورسولي، فعاقبتهم لذلك.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: أي: بالصَّيحة المتجاوِزة حدَّ الصَّيحات في الهول، حتَّى لم تحتملها قلوب القوم، وهو كما قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [القمر: ٣١].

فـ(الطَّاغية) وصفٌ لتلك الصَّيحة؛ لمجاوزتها القَدْر المعتاد، كما قال: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١]؛ أي: لَمَّا[١] جاوزَ القَدْرَ في الكثرة.

وقيل: معناه: فأهلكوا بطغيانهم.

والطَّاغيةُ: مصدر كالكاذبة والباقية والخاطئة، والألف واللَّام بدل الإضافة.

وقيل: الطَّاغية: نعتٌ للفِرْقة؛ أي: بسببِ[٢] فرقةٍ طاغيةٍ منهم، وهم قُدارٌ وأصحابه الذين عقروا النَّاقة.

ويجوز أن تكون الطَّاغية هو قُدار وحدَه، والهاء للمبالغة، كما يُقال: علَّامة ونسَّابة وراوية للشِّعر.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: أي: باردةٍ، من الصِّرِّ.

وقيل: شديدةِ الصَّوت، من الصَّرير.

﴿عَاتِيَةٍ﴾؛ أي: مجاوزةٍ للقَدْر في شدَّة العُصوف.

وقيل: عتت على خُزَّانها فلم يضبطوها.

وقيل عتت عليهم فقهرتهم[٣] وأهلكتهم، والعاتي الذي لا يُتَّقى ولا يُرَاقب.

---

(١) «لما» من (أ).

(٢) في (ر): «نعت».

(٣) في (أ): «ففرقتهم»، وفي (ف): «فغيرتهم».

قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: اللهُ تعالى أدامَها عليهم منقادةً لأمرِه فيهم، لا تَفْتُر.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: أي: متتابعةً لا تنقطع.

قال الفرَّاء: أُخذَ من حَسْم النَّار: إذا كُوي صاحبُه بها؛ لأنَّ المكواة تُحمَّى بالنَّار ويكوى بها، ويتابَع ذلك عليه[1].

وقال يونس: لا أعرف واحدَها.

وقال أبو الجرَّاح الأعرابيُّ: ليلةٌ حسامُ الحرِّ، ويومٌ حسامُ الحرِّ[2]، والجمع: الحُسُوم.

وقيل: ﴿حُسُومًا﴾؛ أي تَحسِم كلَّ شيءٍ تأتي عليه؛ أي: تقطَعه وتستأصلُه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿حُسُومًا﴾ صفةً للرِّيح، لا للَّيالي والأيَّام.

وقيل: هو مصدر، ومعناه: سخَّرها عليهم حَسْمًا لهم؛ أي: إهلاكًا واستئصالًا.

وقال أبو معاذ: هو جمع حَسْم، كقولك: زرعتُ زروعًا؛ أي: ضروبًا منه.

وقيل: ﴿حُسُومًا﴾؛ أي: شؤمًا لا خير فيه، يُقال: هذه أيَّام الحسوم؛ أي: الشُّؤم وقطعِ الخيراتِ عن أهلها.

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾: وهو خطاب السَّامع، ومعناه: يراهم مَن يراهم في هذه اللَّيالي والأيام مصرَّعين.

والصَّرعى: جمع صريع، كالأسرى جمع أسير.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٠)، ولفظه: أُخذ ـ والله أعلم ـ من حسم الداء إذا كُوي صاحبه؛ لأنَّه يُكوَى بمكواةٍ، ثم يُتابَع ذلك عليه.

(٢) «ويوم حسام الحر» ليس في (أ).

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾؛ أي: أصول نخل، وهي جمع نخلة.

﴿خَاوِيَةٍ﴾: أي: خالية الأجواف، وهذه صفةٌ لهم بعِظَم الخِلْقة.

وقيل: معناه: أنَّ الرِّيح قطعتهم حتَّى صاروا قطعًا ضخامًا كأصول النَّخل.

والوصف بالخَواء: أنَّ الرِّيح كانت تدخل أجوافهم فتصرعُهم كالنَّخلة الخاوية.

وقيل: أراد بها البالية؛ لأنَّها إذا بليَتْ خَلَتْ أجوافُها، يقول: أبلتْهُم الرِّيح فصاروا كالنَّخيل البالية.

* * *

(٨) - ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾: قيل: أي: مِن نفسٍ باقية.

وقيل: أي: مِن بقاء، على المصدر، كالكاذبة والخاطئة؛ أي: فهل ترى أنت أو أحدٌ من النَّاس أحدًا بقيَ مِن نسلِ أولئك؟ أليس قد بادوا فما بقيَ أحدٌ منهم ولا مِن نسلهم؟

قال ابن جُريج: كانوا سبع ليال وثمانية أيَّام أحياءً في عذاب الله تعالى من الرِّيح، فلمَّا أمسَوا اليومَ الثَّامن ماتوا، فاحتملتْهم الرِّيح فألقتهم في البحر، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

قال: وأُخبِرْتُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «عذَّبهم بُكرةً، وكشف عنهم العذاب في اليوم الثَّامن حين كان اللَّيل»(١).

---

(١) رواه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٦٦). وإلى قوله: «مساكنهم» ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٦١).

وهذه الأَيَّام تُسمَّى أَيَّام العجوز، وتكون باردةً ذات رياح.

قال وهبٌ: نسبَتِ الأَيَّام إليها لأنَّ عجوزًا دخلت سربًا فتبعتها الرِّيح فقتلتها في اليوم الثَّامن من نزول العذاب(١).

وقال ابن حبيب: أسماء هذه الأيام مذكورة (٢) فيما قال الشَّاعر:

كُسِعَ الشِّتاءُ بسبعةٍ غُبْرِ ... أَيَّامِ شَهْلَتِنا مِنَ الشَّهْرِ
فإذا مضَتْ أَيَّامُ شَهْلَتِنا ... بالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْرِ
وبآمِرٍ وأخيهِ مُؤْتَمِرٍ ... ومُعَلِّلٍ ومُطْفِئِ الجَمْرِ
ذهبَ الشِّتاءُ موليًا هَرَبا ... وأتتْكَ واقدةٌ مِنَ النَّجْرِ(٣)

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: قرأ أبو عمرو والكسائيُّ بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: ومَن عنده ومَن معه، والباقون بفتح القاف وتسكين الباء؛ أي: ومَن تقدَّمه(٤).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٦).

(٢) «مذكورة» ليس في (ف).

(٣) نسبت الأبيات لابن أحمر، كما في «ملحق ديوانه» (ص: ١٨٣)، و«الصحاح» للجوهري (مادة: عجز). ونسبت لأبي شبل عصم بن وهب بن عصمة التميمي ثم البرجمي بصري كان في أيام المأمون، كما في «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٣٩)، ولأبي شبل الأعرابي كما «لسان العرب» (مادة: كسع).وفي «معجم الأدباء» (٣/ ١٢٤٨) نسبت لخرقة بن نباتة. النجر: الحر. الشهلة: العجوز. الكسع: شدة المَرِّ. انظر: «اللسان» (مادة نجر وشهل وكسع).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣).

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: أي: وقرى قوم لوط المنقلِبةَ بأهلها.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: أي: الخطيئة؛ أي: جاؤوا بالخطيئة.

وفسَّرها فقال: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: خالفوه وكذَّبوه ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: أي: ربُّهم ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: أي: بالغةً زائدةً على القَدْر المعروف عند النَّاس في العذاب.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ يعني: تجاوز الحدَّ المعروف في العِظَم حتَّى غرَّق الأرض إلَّا مَن شاء الله، وهو ماء الطُّوفان في زمن نوح عليه السَّلام.

قال ابن عبَّاس ومجاهد: ﴿طغى﴾: كثر[1].

وقال قتادة رحمه الله: ارتفع على كلِّ شيء خمسة عشر ذراعًا[2].

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: أي: حملنا أجدادكم، وهم نوح عليه السلام والمسلمون من ولده وزوجاتهم.

﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: أي: في السَّفينة التي اتَّخذها نوح عليه السلام بأمرنا.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عِظَة، فقد أنجينا بها المؤمنين، وأغرقنا الكافرين؛ لتقتدوا أنتم بالفرقة النَّاجية دون الهالكة.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: أي: ولِتحفظَ هذه التذكرةَ أُذُنٌ حافظة، وتكونَ مودَعة في صدورهم.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٩).

وقال قتادة رحمه الله: ﴿تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عبرةً وآية، أبقاها الله تعالى حتى نظرَتْ إليها هذه الأمَّة ـ أي: ألواح السَّفينة ـ وكم من سفينةٍ كانت بعد سفينة نوح عليه السَّلام تلاشَتْ فلم يبقَ لها أثر[١].

وقيل: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: لنجعل فعلَتَنا لكم تذكرةً.

وقال الفرَّاء رحمه الله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾؛ أي: كلُّ أذنٍ، ومعناها يحفظُها صاحبُ كلِّ أذنٍ واعيةٍ، ثمَّ يؤدِّيها إلى غيره[٢].

وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «إنِّي سألْتُ الله تعالى أنْ يجعلَها أذنَكَ»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: وهي النَّفخة الأولى حتَّى لا يبقى حيوان إلَّا مات.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: أي: رفعتا عن موضعهما ﴿فَدُكَّتَا﴾ ثنَّى لأنَّ الجبال ذُكرَتْ[٤] جملةً، فصارت شيئًا واحدًا، وهو كقوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٥) عن مكحول مرسلًا.

(٤) في (ف): «دكت».

ومعنى قوله: ﴿فَدُكَّتَا﴾ قال الفرَّاء رحمه الله: أي: زُلزلتا[١]، كما قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

وقال غيره: (دكتا)؛ أي: دُقَّتا وكُسِّرَتا؛ أي: ضُرِبَ بعضُها ببعض، فصارتا كسرًا كسرًا، ثم كثيبًا مهيلًا، ثم كالعهن المنفوش، ثم هباء منبثًا، ثم هباءً منثورًا، ثم تمرُّ مرَّ السَّحاب.

﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: تقدَّم تفسيره[٢].

* * *

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: أي: تقع صيحة القيامة وتقوم السَّاعة، وذلك من النَّفخة الأخرى.

﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: أي: انصدعت ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قال الأخفش: أي: منخَّرة[٣]، قال جرير:

نَدِمْتَ على يوم السِّباقَيْنِ بعدما ... وهيْتَ فلم يُوْجَدْ لِوَهْيِكَ راقِعُ[٤]

وقيل: ﴿وَاهِيَةٌ﴾؛ أي: شديدة الضَّعف بانتقاض تركيبها وعدمِ استمساكها.

وقيل: أي: صارت إلى ضعفٍ ولينٍ بعد صلابتها وشدَّتها؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

(٢) «﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدَّم تفسيره» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «منخرمة».

(٤) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٢٦).

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: أي: والملائكة حينئذ على أطرافها ونواحيها.

والواحد: رجاً، بالقصر؛ أي: إذا ضعفت عن الاستمساك والحمل صاروا إلى حدودها.

وقيل: أي: تشقَّقت فصاروا على أطراف شقوقها.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾: أي: ينزل العرشُ إلى عرصة القيامة لفصل القضاء بين الخلق.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «حمَلةُ العرش[1] اليومَ أربعة، فإذا كان يوم القيامة ضُمَّ إليها أربعة، فصاروا ثمانية»[2].

---

(١) «حملة العرش» من (أ) و(ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٦٨) من طريق ابن إسحاق عن النبي ﷺ بلاغاً، ورواه الطبري أيضاً من طريق ابن زيد عن النبي ﷺ، وكلاهما معضل.
وجاء في حديث الصور الطويل، وفيه: «والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة».
رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن كثير: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، ووفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.
قلت ـ القائل ابن كثير ـ: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك.

وقال محمَّد بن إسحاق: هم ثمانية أملاك، ما منهم مَلَك إلَّا رجلاه في الأرض السُّفلى ورأسُه في السَّماء السَّابعة(١).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هم ثمانية صفوف من الملائكة(٢).

وقال الحسن رحمه الله: الله أعلم كم هم: ثمانية، أم ثمان مئة، أم ثمانية آلاف(٣)؟

وقال أبو العالية: هم ثمانية أملاك، أو ثماني زمرٍ، أو ثمانية صفوف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يحمل العرش اليوم(٤) أربعة أملاك، ويحملونه على أكتافهم، لكل واحد منهم أربعة أجنحة، جناحان على وجهه يَقِيَانه أن ينظر إلى العرش فيَصْعَقَ، وجناحان يضربُ بهما، ليس لهم كلام إلَّا أن يقولوا: سبحان الله ملأت عظمتُه السَّماوات والأرض(٥).

وفي حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لكلِّ مَلَك منهم أربعة أوجه؛ وجه إنسان فهو يسأل الله تعالى للنَّاس الرِّزق، ووجه أسد وهو يسأل الله للسِّباع الرِّزق، ووجه ثور وهو يسأل الله للبهائم الرِّزق، ووجه نسر وهو يسأل الله للطِّيور الرِّزق(٦).

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩) عن ابن زيد. وروى نحوه أيضًا عبد بن حميد وابن المنذر عن ميسرة كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٧٠).
وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبع مئة سنة يقول الملك: سبحانك حيث كنت»، وقال الطبراني: تفرد به عبد الله بن المنكدر عن أبيه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٠): هو وأبوه ضعيفان.

(٢) رواه أبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٨).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٠٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٢).

(٤) في (أ): «يومئذ».

(٥) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠) عن وهب بن منبه.

(٦) رواه بنحو هذا السياق أبو الشيخ في «العظمة» (٤٠) عن وهب بن منبه. =

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؛ أي: للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: أي: لا تخفى فعلةٌ أو خصلةٌ منكم على الله، ويحتمل لا تُخْفِي نفسٌ خافيةً[1] منكم يومئذ على الله تعالى مع كثرتكم.

قرأ عاصم والكسائيُّ: ﴿لا يَخْفَى﴾ بياء التَّذكير؛ لتقدُّم الفعل. وقرأ الباقون بتاء التَّأنيث؛ لتأنيث اللَّفظ في الخافية[2].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾: أي: فهو من أهل الجنَّة، فقد غُفرت سيِّئاته، فإذا وقف على ذلك استبشر وقال: ﴿هَاؤُمُ﴾.

قال ابن زيد: أي: تعالَوا[3].

وقيل: أي: تناولوا وخذوا.

= ورواه أبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (٢١٧)، والآجري في «الشريعة» (١٠٣٤)، وابن الجوزي في «العلل» (٢٠)، عن ابن عباس بلفظ: «يحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة أسد، وملك في صورة نسر». قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح.

وقال أبو حيان في «البحر» عند هذه الآية: ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحاً.

(١) كذا ضبطناها، وتحتمل: (لا تخفَى نفسٌ خافيةٌ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣)، عن حمزة والكسائي، أما قراءة عاصم فيهما فبالتاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣١).

ويُقال: هاكُم[1]، وللواحد: هاءَ، وللاثنين: هاؤُما، وللجمع: هاؤم، وهاؤموا، وهاكم[2]، وللمرأة: هاءِ بالمد بغير ياء بعدها، ولجمع النِّساء: هاؤنَّ، بالتَّشديد.

وقوله: ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ لأنَّه ليس فيه ما يكرهه أو يستحيي منه. والهاء للاستراحة والوقف.

***

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾: أي: علمْتُ وأيقنْتُ واعتقدْتُ ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾: الهاء للاستراحة أيضًا؛ أي: علمْتُ أنَّ الله تعالى سيحاسبني واجتهدْتُ في الطَّاعات، وجانبْتُ السَّيِّئات.

وقيل: ﴿ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: حسبْتُ أنَّ الله تعالى يؤاخذني بسيِّئاتي.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي: مَرْضيَّة، كقوله: ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوق.

وقيل: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: ذات رضاً، وهي صفةٌ جامعة لكلِّ خير.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: رفيعة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي: ثمارها قريبةُ التَّناول.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: أي: يقال لهم فيها: كلوا واشربوا ﴿هَنِيئًا﴾؛ أي: سائغًا لا مكروهَ فيه ولا أذًى.

---

(١) في (ف): «هاؤكم». ولم أجد (هاؤكم) في كتب اللغة أو غيرها، إلا ما جاء في «حروف المعاني» للزجاجي (ص: ٧٣) من قوله: (وفيه لغات والأصل: هاؤكم)، ولعلها من خطأ النساخ.

(٢) في (ف): «وهاؤكم»، وليست في (ر).

﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾: أي: جزاءً لكم بما قدَّمتم من الأعمال الصَّالحة ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾؛ أي: الماضية في الدُّنيا.

وقال ابن عبَّاس: هو في الصَّائمين خاصَّة[1].

وقيل: هو على العموم.

وإنَّما جمع بقوله[2]: ﴿كُلُواْ﴾، وأوَّلُ الآية في الواحد: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾؛ لأنَّ ﴿مَنۡ﴾ للجنس، فكان واحدًا لفظًا، جمعًا معنًى.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: بلغنا أنَّ الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: طال ما رأيتكم في الدُّنيا وقد غارت أعينُكم، وقلصَتْ شفاهكم عن الأشربة، وجفَّتْ بطونُكم، فتعاطَوا الكأس فيما بينكم، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية[3].

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾: أي: الكافر الذي يُعطَى كتابه بشماله، وفيه سيِّئات كلُّها.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤٩) عن عبد العزيز بن رفيع، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣١) عن الحسن بن صالح. ورواه الجرجاني في «الأمالي» (٢/ ١٢٧) عن أبي جعفر. وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٠٣) عن مجاهد.

(٢) «بقوله» من (أ).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٤) عن لقمان الحنفي ويوسف بن يعقوب، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠) عن يوسف بن يعقوب.

﴿فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾: هذا الكتاب، والهاء للاستراحة.

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ أي: وليتني لم أعلم ما حسابي، أهو خير أم شرٌّ؟

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: أي: المهلِكةَ القاطعة؛ أي: يا ليْتَ الموتة التي كانت في الدُّنيا لم يكن بعدها بعثٌ ولا حسابٌ.

ويحتمِل على هذا أن يكون قوله: ﴿لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ (٢٥) وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ يعني: يا ليتني لم أُبعَث، ولم أشعرْ بكتابٍ ولا حساب.

وقيل: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: يتمنَّى حينئذ أن يموت؛ لِمَا يَرى من سيِّئاته ويخافُ من عقوباته.

قال قتادة: يتمنَّى الموت، ولم يكن عنده شيء في الدُّنيا أكرهَ منه(١).

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾: قيل: أي: ما نفعني ما جمعتُه؛ إذ لم أُحشر معه؛ قال تعالى: ﴿وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾ [مريم: ٨٠]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: ما نفعني ما جمعتُه وأنفقتُه في وجوه الخير والبرِّ في الدُّنيا؛ إذ أحبطه شركي.

وقيل: ما نفعني ما جمعته إذا لم أنفقه في سبيل الله ووجوه مرضاته(٢).

* * *

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: والهاء للاستراحة أيضًا، ومعناه عند بعضهم: ذهبَتْ عنِّي حجَّتي.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٥).

(٢) في (أ) و(ف): «مرضات الله تعالى».

وقيل: ذهب عني عذري.

وقيل: أي: ذهب عنِّي سلطاني على نفسي.

قال الحسن: لقد كان مسلَّطًا على نفسه وماله في الدُّنيا(١).

وقيل: أي: ذهب عنِّي سلطان الدُّنيا وملكها وعزُّها.

وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾: أي: يُقال للزَّبانية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: شدُّوه بالأغلال.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: أي: أدخلوه مغلولًا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: أي: ثم اجعلوه في سلسلةٍ من سلاسل النَّار.

وقيل: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾؛ أي: فأدخِلوه في سلسلة.

ثم قد رُوي أنَّ سلسلتَه تدخل في فيه فتخرج من دبره(٢)، فعلى هذا معناه: ثمَّ اسلكوا فيه السِّلسلة، قال الفرَّاء رحمه الله: وهو على القلب، كقولهم: أدخلْتُ رأسي في القلنسوة، وأدخلْتُ القلنسوة في رأسي، والخاتم في أصبعي، وأصبعي في خاتمي(٣)، قال الأعشى:

إذا ما السَّرابُ ارْتَدَى بالأَكَمْ(٤)

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٦).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).

(٤) صدره:

أي: إذا ما الأَكَم ارتدَت بالسَّراب.

وعن يزيد الرَّقاشي قال: إنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾، قال: «غلٌّ واللهِ ابنِ آدم ليس بمفكوكٍ حتَّى يُرضي الله، ولا يَرضى حتَّى يُطاع، والله ما الطَّاعةُ إلَّا في دار الدُّنيا، ألا وإنَّ الطَّاعة تنفعكم»(١).

وعن كعبِ الأحبارِ قال: إنَّ الله تعالى لينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان، فيقول: خذوه، فيأخذه مئة ألف ملك أو يزيدون، فيجمعون ما بين ناصيته وبين قدميه غضبًا لغضب الله تعالى، فيسحبونه على وجهه إلى النَّار، فالنَّار عليه أشدُّ غضبًا من غضبهم سبعين ضعفًا، فيستغيث بشربة، فيُسْقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه، ثم يركس في النَّار، فويل له من النَّار(٢).

وعن سفيان عن نُسَيرِ بن ذُعْلوقٍ: أنَّه سمع [نوفًا] في قوله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ يقول: كلُّ ذراعٍ سبعون باعًا، كلُّ باعٍ أبعدُ ممَّا بين الكوفة ومكَّة(٣).

= غضــوب مـــن الســـوط زيَّافــة

انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٣٧)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٦٢٨)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٢٣٩). ورواية الديوان:

إذا ما ارتدى بالسراب الأَكَم

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢٣٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٧). وما بين معكوفتين من المصادر.

وعن كعب: أنَّ حَلْقة من تلك السِّلسلة مثلُ جميع حديد أهل الدُّنيا[١].

وعن الحسن: لو أنَّ حلقة منها[٢] وضعت على ذروة جبل لذاب الجبل كما يذوب الرَّصاص، فكيف يا ابن آدم وهي عليك وحدك[٣]؟

وروى عبد الله بن عَمرو عن رسول الله ﷺ قال: «لو أنَّ رصاصة مثلَ هذه أُرسِلَتْ من السَّماء إلى الأرض وهي مسيرة خمس مئة عام لبلَغَتِ الأرض قبل اللَّيل، ولو أنَّها أُرسِلَتْ من رأس السِّلسلة لسارت[٤] أربعين خريفًا قبلَ أن تبلغه»[٥].

***

(٣٣ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي: يعذَّب بهذا العذاب لكفره.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: كان مع كفره لا يحرِّض غيره من أهله وغيرهم على إطعام المحتاجين.

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه: أنَّه قال لامرأته: يا أمَّ الدَّرداء، إنَّ للهِ سلسلة

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٠٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٧).

(٢) في (ف): «من تلك السلسلة».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١) عن سويد بن يحيى، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٣) مرفوعًا من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) في (ر) و(ف): «لسالت من».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وقال: إسناده حسن.

لم تزَل تغلي بها مراجلُ النَّار مُذْ خلقَ اللهُ جهنَّم إلى يوم تُلْقى في أعناق النَّاس، فقد نجَّانا اللهُ تعالى من نِصفِها بإيمانِنا بالله العليِّ العظيم، فحُضي على طعام المسكين يا أمَّ الدَّرداء»(١).

والحضُّ: الحثُّ.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾: أي: قريبٌ يَرِقُّ لِمَا ناله ويدفعه عنه أو يخفِّفه عليه.

﴿وَلَا طَعَامٌ﴾: أي: فليس له طعام ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: قيل: هو ما يسيل من صديد أهل النَّار وقيحهم، وكأنَّه غُسالة أجسادهم.

وقال الأخفشُ: هو فِعْلِين من الغِسْل، وهو ما يخرج من الجرح من الدَّم عند الغَسْل(٢).

* * *

(٣٧ ـ ٤٠) ـ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾: أي: المذنبون الذين لا يستحقُّون المغفرة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ثمَّ بعدما ذكر من أهوال يوم القيامة دعاهم إلى تأمُّل ما ذكره ليعلموا أنَّه من عند الله منزَّل على رسول الله ﷺ، فقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾.

---

(١) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٩٠٢)، وابن زنجويه في «الأموال» (١٣١٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٤) إلى عبيد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٨)، ولفظه: «وقال: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ جعله ـ والله أعلم ـ من الغسل، وزاد الياء والنون بمنزلة: عفرين وكفرين».

وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ (لا) صلة مؤكِّدة، وهو قول البصريِّين.

والثَّاني: أنَّها ردٌّ كلام الكفرة؛ أي: ليس الأمر كما يقولون. وهو قول الفرَّاء[1].

والثَّالث: أنَّها نفي القسم؛ لأنه لا يحتاج إليه لوضوح الحقِّ في أنَّه تبليغ رسول كريم عن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: من عجائب خلق الله ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من ذلك، وهو قسمٌ بكلِّ شيءٍ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: أي: تلاوةُ رسول كريم أكرمه الله تعالى بالرِّسالة، وهو محمَّد ﷺ. قاله الحسن[2].

وقيل: هو جبريل، كما قال في سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

والأظهر أنَّه هاهنا محمَّدٌ ﷺ.

* * *

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: أي: ليس هذا القرآن قولًا من رجل شاعر؛ لأنَّ هذا القول[3] مُباينٌ لصنوف الشِّعر كلِّها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٨٧).

(٣) في (ف): «القرآن».

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: أي: ليس لكم هَمُّ الإيمان أصلًا، فلذلك تُعرِضون عن التدبُّر فيه ولو تدبَّرتم فيه عرفتُم أنَّه ليس بقول شاعر.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾؛ أي: وليس هو بقول كاهن تأتيه الشَّياطين، ويلقون إليه ما سمعوه من أخبار السَّماء.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: ليس لكم هَمُّ التَّذكير لِمَا يُتلى عليكم، ولو تذكَّرتم علمْتُم أنَّه ليس بقول كاهنٍ.

وطريقه طريق قولهم: هذه أرض قلَّ ما تنبت؛ أي: لا تنبت أصلًا.

وقيل: هو على حقيقته لأنَّهم كانوا يؤمنون بأنَّ الله خالقهم ورازقهم، ثم يشركون به، ويجحدون أنبياءه، وكذا كانوا يتذكَّرون بعض التَّذكُّر، ثم يتركون ذلك، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨].

وقرأ ابن كثير: ﴿قليلًا ما يؤمنون﴾، و﴿قليلًا ما يذكرون﴾ بياء المغايبة فيهما[١]؛ ردًّا على قوله: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾.

والباقون بتاء المخاطبة[٢]؛ ردًّا على قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، وكذا ما بعده إلى آخر السُّورة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾: أي: ولو تكلَّف علينا محمَّدٌ[٣] قولًا تقوَّله علينا لم نقله كذبًا وزورًا.

* * *

---

(١) وكذا قرأ ابن عامر في رواية هشام.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٣) «محمد» ليس في (ر).

(٤٥ ـ ٤٧) ـ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾: أي: لأخذنا بيده اليمنى لإقامة العقوبة عليه، كما يُؤخَذ بيمينِ مَن يريد السُّلطان عقوبته، فيُقام ليُمضَى به إلى الموضع الذي يُقام عليه العقوبة.

وقيل: أي: لأخذناه بقوَّتنا؛ قال الشَّاعر:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تلقَّاها عَرَابَةُ باليمينِ[1]

وقيل: لأخذنا قوَّته، ومنعناه عن ذلك.

وقال الحسنُ رحمه الله: أي: لقطعنا يده اليمنى[2].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: قال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير: هو نِيَاط القلب[3].

وقال مجاهد وقتادة والضَّحَّاك: هو عرقٌ في القلب متَّصل بالظَّهر، إذا قُطع ذلك مات الإنسان[4].

وقيل: أي: لأَمَتْناه، فصار كمَن قُطع وتينُه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾: أي: ولو عاقبناه لم يكن أحدٌ منكم يتهيَّأ له أن يحجزنا عنه؛ أي: يمنعنا.

وقال الفرَّاء: (أحد) يكون للجميع وللواحد؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لم تحلَّ

---

(١) البيت للشماخ. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٦).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٨٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٩٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

الغنائمُ لأحدٍ سوَّدَ الرُّؤوسَ قبلكم»[١]، وقال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥][٢].

* * *

(٤٨ ـ ٥٢) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: وإن القرآن العظيم لعظةٌ لمن همُّه التَّقوى.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾: أي: به، وذلك لا يُخرجه من أن يكون تذكرة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَٰفِرِينَ﴾: أي: وإنَّ القرآن حسرةٌ على الكفَّار إذ لم يؤمنوا به، فيتخلَّصون يومئذ.

وقيل: وإنَّ التَّكذيب لحسرةٌ، وقد دلَّ عليه قوله: ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾: أضيف الحقُّ إلى اليقين لِمَا مرَّ في آخر سورة الواقعة؛ أي: هو من الله تعالى حقًّا يقينًا.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي: فنزِّه الله تعالى يا محمَّد عمَّا يصفه به المشركون، واذكره بأسمائه العظام كما يقوله المخلصون.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣).